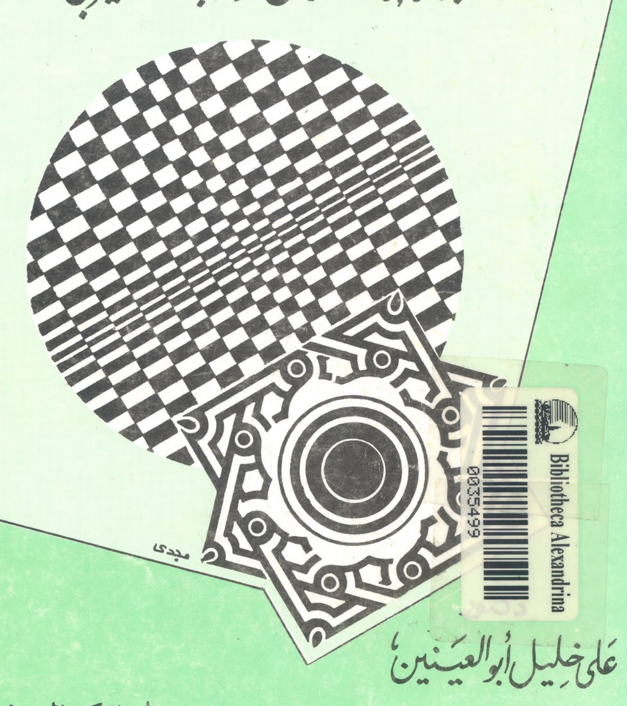
أصول الفكر التربوي الحديث

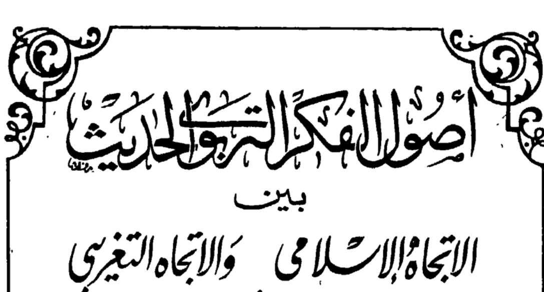
بين

الاتجاه الإسلامي والاتجاه التغريبي



علي خليل أبو العينين

دار الفكر العربي



أصول الفكر التربوي الحديث

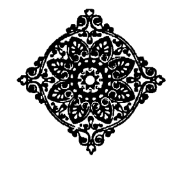
بين

الاتجاه الإسلامي والاتجاه التغريبي



دكتور

علي خليل أبو العينين





ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

١١ شارع جواد حسني - القاهرة

ص.ب ١٣٠ ت : ٣٩٢٥٥٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ — سورة الأنعام

إهداء

- إلى أساتذتي فيض العلم ..
- إلى أبي وأمي وأختي .. فيض الرحمة
- إلى زوجتي وبناتي .. ليواصلوا
- إلى طلاب الحقيقة في كل مكان

﴿ مقدمة المؤلف ﴾

إن الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لانبى بعده ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله ، وبعد ..

فإن أى تربية هى الصورة الحساسة لأى مجتمع ، تعكس مافيه من أوضاع وأفكار ، وتتعايش مع ظروفه ، وتترجم عن خصائصه ، وهى حصيلة تفاعل الأفراد مع مكونات حياتهم ، ترتبط بأنواع وأشكال الحركات الاجتماعية والفكرية السائدة ، التى تنبثق أساسا من الروح الحضارى السائد الدال على مجموعة وظيفية متكاملة من السمات المنمطة حضاريا ، وما ينتابه من تغيرات نتيجة الاحتكاك والتفاعل مع الأنماط الحضارية المختلفة .

وإذا كانت الأقطار والمجتمعات الإسلامية أمام تحد حضارى ، فكرى وعملى ، تعيشه فى مواجهة كاملة ، بما يشمله ويلقيه من ظلال وأعباء وضغوط ، من تحدى البقاء أو الاندثار ، تحدى الصحة والكرامة ، تحدى الحياة أو الموت ، فإن هذا التحدى علامة خطر وصحة فى آن واحد ، لأنه يتحدى هويتنا وذاتيتنا ويجبهنا بسؤال حاد صارخ فى كل لحظة من لحظات وجودنا : من أنتم ؟ وأين موقعكم فى محيط الحياة الإنسانية الواسع ، ومن مجراها الدافق ؟ وتحت سؤال أخطر : ماموقعنا أمام نفوسنا ، ومن محيط وجودنا ؟

إن إجابة هذه الأسئلة ، يعنى أكثر مايعنى ، تحديد الهوية الحضارية وماهو أعلى من ذلك تحديد الوعى ، والهوية التربوية ؛ فدور التربية فى هذا المجال خطير وضخم ، إذ هى الوسيلة الفعالة لإعادة الوعى ، وإثبات الذات وترجمتها إلى واقع حى ، فى الأفراد والمجتمعات على السواء ، خاصة وسط زخم الصراعات الشاملة ، التى نراها صباح مساء ، حتى عدنا نستشعر

خطورة مانعانيه من صراع فى حياتنا ، فى كل مجال من مجالاتها ، بل إننا نستشعر ضراوته وهوله ، خاصة فيما يتصل بعقائدنا وأفكارنا وقيمنا ، مما أصاب مجال التربية وجره جرا إلى ساحته خاصة فيما يتصل بأفكارها وتصوراتها ، هذا فضلا عن تطبيقاتها .

ويذهب البعض إلى أن الوعى أو الشعور بالذات — أيا كان — هو الذى فجر الصراع ووجه الأفكار والتربية خلال الفترة الحديثة ، أى منذ ١٨٠٥ ، وقد يكون حقا ، إلا أن ماسبقه من أسباب ، وبالاحرى إرهاصات هى التى أدت إليه وساعدت ، حتى وصل قمته ، فتولد بعد مخاض عنيف ، وصل إلى حد استعمال السلاح والحديد . وكان تعدد فى أنماط الوعى ، عكسه تعدد أنماط ومستويات التفكير والتصورات ، لما يجب أن تكون عليه التربية فى المجتمع العربى والإسلامى ، فى رحلة البحث عن الذات ، ووسط تطلعاته إلى آفاق عصر جديد يخلصه من وهنه ، ويحيله قوة .

وتجلى الصراع بين اتجاهين من اتجاهات الفكر ، اتجاه إسلامى أصيل يحاول حل اشكاليات التربية وطرح أفكارنا من ذات الإسلام وتعاليمه ، واتجاه تغريبى ، يحاول جر المجتمع الإسلامى وطرحه طرحا فى أحضان ثقافة غربية يعتقد أن فيها الدواء الشافى لكل الأدواء . وحسبنا القول أن هذا يجسد الصراع بين الأصالة والمعاصرة ، والذى غدا إشكالية مطروحة على ساحة الفكر التربوى الحديث والمعاصر لدى كافة المجتمعات الإسلامية وبإلحاح ، مما يبلور أهمية الدراسة الجادة لهذين الاتجاهين فى صفحة الفكر الحديث .

ومنطلقنا فى هذه الدراسة ، إن الإسلام يجب أن يكون موجها للتربية بما يحتويه من أفكار وتصورات ، وهذا لايعنى انغلاقا أو تقوقعا ، ولايعنى استلاب الذات ، بقدر مايعنى تأكيدا للذات ووعيا بها ، مما يساعد فى اعادة الوعى ، ولقد ظلت أفكار المفكرين المسلمين تطل وترنو إلى الإسلام ، لا

باعتباره موجها للتربية فحسب ، بل باعتباره موجها حضاريا شاملا ، وكان طرح الأفكار من هذا المنطلق ، ولايعنى هذا صدقا فى القاعدة عند كل المفكرين ، بل وجد منهم من أطل برأسه وبعينى رأسه نحو أفكار أخرى استلهمها وطرحها طرحا يدعو فيه للأخذ بها ، ولانكاد نشك لحظة فى صدق إخلاصهم ، وإن أخطأوا الطريق والوسيلة ، مما ولد صراعا بين أفكار هؤلاء ، وكانت النتيجة فى النهاية ، محصلتها تغريب واغتراب ، وانغلاق واستلاب ، مما تموج به الساحة من أفكار تربوية .

وتبلورت السواقف الفكرية ، **إما فى استسلام وخضوع كاملين للفكرة الغربية وتربيتها** ، وانبهار شديد بها ، وقبول كل جديد أياً كان شكله وتأثيره ، وقطع كل صلة بين الجديد والقديم . **وإما فى استسلام وخضوع كاملين لما فى القديم** ، لايسمح بدخول علم من العلوم التى تفوق فيها الغير ، وأصبح لهم الاختصاص فيها ، ولاينتفع بتجارب غيره ، من جراء الإحساس بالتفوق العقلى والحضارى من جهة الغرب ، وضيق الأفق ، وضعف العقل وسلبيته تجاه هذا التفوق . وأقفل هذا الموقف نوافذه دون العصر ومتغيراته . أما الموقف الثالث ، فقد اعتمد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وماصلح من التراث منطلقا لصياغة حياة تنطلق آخذة بلباب العصر ، محاولا أن يستوعب عصارات الفكر الإنسانى والبشرى فى أعماقه ، وأن يعيد التشكيل على نحو جديد من التوحيد وفى إطار النظرة الإسلامية الأصيلة ، وتصفيتها مما شابها من عناصر الوثنية والإلحاد والإباحية .

ولقد كانت هذه المواقف مبكرة الظهور فى جو الثقافة والفكر المصرى ، منذ جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر وجذبت الانتباه إلى وجود معسكر قوى فى الوسائل والأفكار ، أطل برأسه ليصارع وينتشر ، ومن هنا ظهرت تلك الأفكار منشغلة بقضية التخلف والتقدم ، بل واستقطبت هذه القضية فكر المفكرين المحدثين بعامة ، وشغلت التربية حيزا كبيرا لدى قطاع عريض منهم ، فقد وضعوها أساسا لإحراز التقدم وأداة له .

وإزاء هذا فإننا نقدم هذا الكتاب منطلقين مما يلى :

١ ـــ إن إدراك دور التربية ووظيفتها فى الوجود الاجتماعى ، إنما يكون بالنظر إلى حركتها ككل مترابط الأجزاء فى المجتمع الذى توجد فيه ، وهذا يعنى الانطلاق من الواقع الاجتماعى . باعتباره امتدادا فى الماضى والحاضر والمستقبل .

٢ ـــ إن التربية تعتبر نمطا حضاريا تتجلى فيه غاية ابناء المجتمع المشتركة ومساعيهم الموحدة ، ويمثل هذا النمط العاطفة القومية بكونها مزيجا لابد منه لتحقيق أهداف المجتمع ، ومعنى هذا أن التربية هى الأداة التى تحقق الانسجام بين أفراد المجتمع ، وحين يصاب المجتمع باضطراب فى تنشئة وتثقيف أبنائه ، يصبح فرقا وجماعات شتى تقيس بأقيسة مختلفة ، ومجتمعات فى إهاب مجتمع واحد ، تباعد بينها الفوارق والثقافات المتعارضة .

٣ ـــ إن الأفكار التربوية الحديثة ـــ فى مصر ـــ فى قطاع كبير منهما ظلت مطلة على وجوه الفكر الإسلامى الصحيحة ، ومن هنا كان اختيارنا لنمط الفكر الإسلامى . ولأن الفكر التغريبى تغاضى عن الأصول الإسلامية ، وظل مطلا على الفكر الغربى الحديث والمعاصر لانبهاره بما فيه ، فكان الصدام مع المشاعر ، والتناقض مع حاجات المجتمع ، وهذا يعنى عدم إهماله ، ومن ثم كان متغيرا من أهم متغيرات الدراسة .

٤ ـــ إنه لايمكن فهم مبررات الأعمال والأفكار التربوية ، إلا باستيعاب كامل للمؤثرات المختلفة ، ومنها التياران أو الاتجاهان المشار اليهما ، مع الاستيعاب الكامل لأصولهما ومعطياتهما ومقوماتهما ، خاصة الاتجاه الإسلامى ، وأى محاولة لبتر هذا الفكر بالبدء بالواقع التربوى المعاصر لابد وأن تؤول بصاحبها إلى سوء الفهم والتقدير للأصول الفكرية ، فضلا عن سوء فهم التربية هدفا ونظاما وتطبيقا .

وحتى يقبل القارىء الكريم على القراءة ولديه صورة واضحة مبدئية ، نذكر محددات معينة :

ـــ الأصول الفكرية للتربية ، تعنى الفرضيات والمسلمات والتصورات التى تقوم عليها التربية ، وارتباط هذه العملية بميادين الفكر المختلفة ، وانعكاسات التطورات الاجتماعية والفكرية على تشكيل هذه الفرضيات والمسلمات .

ـــ الفكر الإسلامى : يعنى تلك الاجتهادات التربوية التى تمت فى ضوء القرآن والسنة ، وماصح من الفكر الإسلامى ، فى ضوء متغيرات العصر .

ـــ الفكر التغريبى : يعنى مجموعة القضايا الفكرية التى روج لها بعض المفكرين ، وحاولوا نشرها فى المجتمع المصرى والتربية المصرية ، وهى تعود إلى : نبذ الشرق والإسلام والعربية واللحاق مباشرة بالمدنية ، والحضارة الغربية بكل حسناتها وسيئاتها ، وتحرير العقول من كل سلطة عقلية أو معرفية أو روحية سابقة ، والنظر إلى موضوعات المعرفة والإنسان والمجتمع والكون والدين نظرة عقلية علمانية ، عصرية غربية مدعومة بالفكرة الوضعية الخالصة دون أى مراعاة للأصول الإسلامية ، وتظهر أيضا فى الدعوة إلى إقامة المجتمع على أساس عقلانى وضعى ، ليس للدين الإسلامى وما انبثق عنه أى دور فيه .

ـــ ودراستنا لمفكرى هذا الاتجاه أو ذاك ليست دراسة استقصائية لكل ماكتب هؤلاء ، وإنما هى دراسة لنماذج وأمثلة ، فى حدود ماتقتضيه الدراسة .

ـــ أما دراستنا لمصر ، فلا تعنى دراسة إقليمية ضيقة ، بل تعنى الاهتمام بهذا الإقليم كنموذج ، ومبرر الاهتمام مايلى :

* إن مصر إقليم من أقاليم الإسلام ، ودراستها عناية بأفكار المسلمين عامة ، ولايضير إن وسمنا هذا الفكر أو ذاك بالمصرى ، فهو أمر وجدناه فى تراثنا الفكرى الإسلامى ، فإن درسنا فكر المسلمين فى مصر ، فلا يعنى إطلاقا التضييق أو الإقليمية ، بل يعنى دراسة نموذج أو مثال ، ثم إن مصر من العالم العربى والإسلامى أصابها ما أصابه ، وقد يكون لها بعض تأثير فيه .

* إن مساحة الدراسة عريضة واسعة ، لو توسعنا فيها على مستوى أكبر من إقليم ، لما استطعنا أن نحكمها وربماأتت سطحية ، وكان هذا أخوف مانخافه ، ومن ثم كانت دراستنا دراسة لعينة أو شريحة أو قطاع بعينه .

* إن تجربة مصر قديمة ، من التجارب السابقة فى مجال الفكر التربوى العربى ، وقد أثرت بصورة أو بأخرى فى معظم الأفكار التربوية ، والتطبيقات أيضا فى العالم العربى والإسلامى . ومن ثم تأتى قيمة دراسة هذه التجربة ، ولكن لايعنى هذا إهمال التجارب الأخرى ، ولكنه جهد فوق قدرة الباحث الواحد ، فالحاجة إلى فريق بحث فى هذا المجال ماسة ، لدراسة أوجه التجارب التربوية فى كافة أقطار العالم العربى والإسلامى .

وبقى أن أنبه إلى أمور : أن دراسة الاتجاه التغريبى ليس معناه تقوقعا وسلبا لفضل ، بل معناه انفتاح على التجربة الغربية فى بلادها لنعى الدرس ، ونرى الحصاد ، فتكون الاستفادة ، فالحاجة إلى تلك الاستفادة من فكر الغرب وعلومه وتجربته ماسة ، لانقلده ، ولانقع فى أسر تمجيده ، بل لدراسته وتمحيصه ، فنعرف كيف نستفيد مما عنده ، دون أن نمسخ أنفسنا مقلدين له .

ودراسة فكر المفكرين المسلمين ، لايعنى أيضا تمجيدا له ، بل يعنى ضرورة التنبيه لأهمية الفحص والتمحيص للإفادة والاستفادة ، ولاغرو فهم

مجتهدون ، يمكن الاستفادة من اتجاههم الصحيح ، ومعرفة ماأخطأوا فيه وعلى هذا أنبه القارىء ، إن الدراسة ليست ضد الغرب ، ولاضد المتغربين ، بقدر ماهى تحليل للاتجاه ومعرفة آثاره ، وهى ليست مع المفكرين المسلمين على طول الخط ، ففكرهم متلبس بالزمان والمكان ــ ويعلق به مايعلق من هنا وهناك .

ثم .. لقد أردت أن أضع هذا الكتاب بين أيدى الباحثين والقراء الكرام ، محتسبا ، معترفا بأنه عمل بشر يخطىء ويصيب ، ولايفوته أن يعترف بالفضل لأهل الفضل ، فيقدم شكره لكل من أسهم فى إخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود ، جزى الله الجميع عنى خيرا الجزاء .

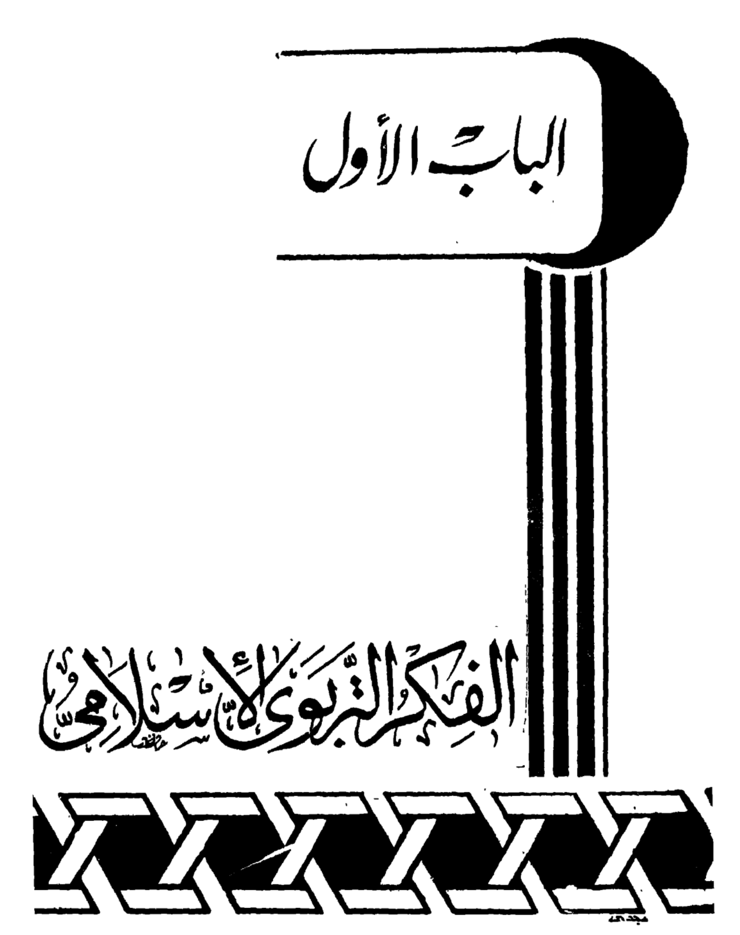
وبالله التوفيق .

الكاتب

المدينة المنورة فى

رجب ١٤٠٦ هـ

مارس ١٩٨٦ م


الباب الأول
الفكر التربوي الإسلامي

تمهيد :

إن أى نظام ناجح تكمن وراءه فكرة واضحة ، وإذا كنا إزاء الفكر التربوى الإسلامى النابع من الحضارة الإسلامية المبدعة الخلاقة ، والتى تنبع بدورها من فكرة واضحة ، هى التى منحت هذه الحضارة عبقريتها وفرادتها ، فإن ذلك يعنى أن الحضارة الإسلامية إنما نبعت من أفكار ومعطيات ومبادىء ومعتقدات تكون الإطار العام لهذه الحضارة .

والإسلام باعتباره نظام حياة يعَد تركيبا فَذًّا أحدث — ومايزال يحدث — أثره الفريد باعتباره الشرارة الروحية التى فجرت قوى الإبداع والتقدم الفكرى والمادى والروحى والاجتماعى على حد سواء ، ذلك أن التقدم يعنى أولا ارتقاء فى الدوافع النفسية يحدث تقدما فى الاستغلال المادى للأشياء ، وهو الشرارة التى يعد بها الإسلام أكبر محرك ومفجر للفكر الإسلامى ، بتقديم المعطيات الأساسية عن الإنسان والكون والله ، والتى فعلت فعلها فى الفكر الإسلامى وفى الحضارة الإسلامية ، ومازالت فاعليتها مستمرة .

وإذا كنا أمام الفكر التربوى بين اتجاهين فكريين هما الفكر الإسلامى والفكر التغريبى ، فإننا نبحث فى مشكلة الصراع بين الأفكار وهى ليست جديدة ، بل هى قديمة قدم الإنسان على الأرض ، وهذايلقى علينا مسئولية توضيح : كيف أن الفكرة الإسلامية ترجمت إلى واقع ، وماهى مميزاتها التى جعلت منها أساسا صالحا وتربة طيبة لنمو فكر تربوى إسلامى ، مهمة بناء الإنسان المسلم ، وإذا كنا بإزاء صراع الأفكار فى العصر الحديث ، فإن هذا لايعنى الانفصال أو الانقطاع عن القديم ، لأن كل جديد وحديث له أصوله القديمة ، وإذا كان الإسلام قد استطاع أن ينى الإنسان ويحدث تغييرا ، فإن هذا التغيير لابد أن يكون قد حدث من شىء ، وحول شىء ، ومن هنا تأتى أهمية دراسة الأفكار السابقة للإسلام سواء كانت فى الشرق

أو فى الغرب ، فمازال لهذه الأفكار فاعلية ، بل ويمكن القول أنها ارتدت ثوبا جديداً لتهاجم وتصارع ذلك الذى أحدث التحول عنها وهو الإسلام .

وهنا نحاول دراسة الوضع العام للحضارات والأفكار قبل الإسلام وكيف كانت تبنى إنسانها الذى يعيش فى ظلها ، ويساهم فى بناء صَرحها الحضارى ، وذلك حتى يتسنى لنا معرفة ذلك التغيير الذى أحدثه الإسلام ، وكيف استطاع أن يغير النظرة للإنسان وللكون والحياة ، وذلك فى سبيل استجلاء طريقة الإسلام وحكمته فى بناء الإنسان المسلم ، وخاصة أن الصراع الفكرى محتدم فى العالم على وجه العموم وفى العالم الإسلامى ومصر على وجه الخصوص ، متمثلا فى الصراع بين الفكر الدينى والفكر العلمانى والشيوعى ، وفى مصر خاصة بين قيم الإسلام وقيم الحضارة الغربية ، وهى معركة بكل المقاييس ، سوف تقرر مصير الإسلام ، ولاشك أن إشكاليات هذا الصراع تجعلنا نتساءل : هل يمكن استقاء فكر إسلامى تربوى يهتم ببناء الإنسان ليواجه تحدى الحضارة الغربية ؟ ومن ثم يلزمنا تناول الأسس والجذور التى تعود إليها هذه الإشكاليات من جوانب المعركة ، بمعنى تناول الفكرة الغربية والفكرة الشرقية التى قامت عليها حضارات فى الشرق وفى الغرب ، فهذا أوجب أن يعيننا على تعرف مشكلتنا ومحاولة حلها ، لأن الإسلام خاض مع هذه الأفكار معارك حامية ، سواء فى المبادىء أو فى الفكر الإنسانى ، وقد كان لهذا أثره فى التربية ، لأنها هى التى تصنع أصحاب الفكرة وحامليها والدعاة إليها . ومن هنا كان لابد من استقراء واستيضاح الأرضية والمسرح الذى أتي الإسلام عليه ليعلن حكمه وأساس حركة الإنسان فى الحياة وفى المجتمع .

وهذا هو موضوع البحث فى الباب الأول ، الذى يتناول توضيح الأرضية العامة ، والفكر التربوى المنبثق منها ، حيث يوضح الفصل الأول خصائص الفكرة الغربية وخصائص الفكرة الشرقية ، وكيف أنهما تلاقيا ،

ووضع هذه الأفكار بالنسبة للفكر التربوى ، ثم تعرض للوسطية الإسلامية كما جاء بها القرآن والسنة ، من حيث كونها فكرة حضارية انبثقت منها الحضارة الإسلامية ، وكانت لها تطبيقات تربوية ، من حيث الأهداف والنظام والمناهج والوسائل التربوية وغير ذلك مما سيوضحه الفصل الثالث ، ومن ثم تتضح الفكرة الغربية والشرقية والإسلامية كمنطلقات وأساس لبناء حضارات سميت بأسمائها .

الفصل الأول

الفكرة الغربية والفكرة الشرقية

* مقدمة
* أولا : الفكرة الغربية .
* ثانيا : الفكرة الشرقية .
* ثالثا : عجز الفكرة الغربية والشرقية عن بناء الإنسان .

وقبل البدء فى استعراض الفكرتين ، ينبغى أن نأخذ فى الاعتبار مايلى :

١ ــ أن الإنسان ليبلغ مستوى حضاريا معينا ، ويحافظ عليه يعتمد على عدة عوامل ، أهمها أن يملك لغة يستطيع التعبير بها عن أفكاره ، لأنه وكما يقول وايتهيد " كما نفكر ، نعيش "[١] فالأفكار التى يرتضيها الإنسان تعتبر مبادىء ومنطلقات موجهة له ، وعن طريقها يمكن أن يقرر مايعتقده بعد اختياره ، ومايقع خارج خبرته ، وخاصة أن هناك الكثير من الأفكار التى تؤثر فى حياة الإنسان ، بل وفى حياة المجتمع ، وتعتبر ركائز ثابتة لانطلاقة الحياة[٢] .

وهذه الأفكار ليست سوى " تسجيل لتجارب الماضي وأن بعضها الآخر تفسير وتسويغ للحالة الراهنة ، ولاشك فى أن مثل هذه الأفكار تؤثر فى السلوك الإنسانى ولايمكن إهمالها "[٣] وعليه فإنسانية الإنسان إنما تكون بالكلمة التى صنعت ومازالت تصنع الفكر ، ومازالت تصنع الإنسان بدلالتها الفكرية .

٢ــ ولكن هذه الأفكار لايمكن أن تتولد ذاتيا ، إلا إذا كان هناك محيط يولدها بحيث تعبر وتنسجم معه أو تحاول تغييره ، هذا المحيط يحتوى مقومات الإنسان الطبيعية ويضم فلسفة الإنسان والمجتمع ، بمعنى أنه يحتوي على مقومات الإنسان والمجتمع ، المادية والمعنوية على حد سواء ، ومع انسجام هذه المقومات والمعطيات جميعا فى كيان واحد تحدث عملية التركيب التى تجريها وتصنعها الشرارة الروحية عندما يؤذن

---

(١) أ . هـ جونسون : فلسفة وايتهيد فى الحضارة ــ (ترجمة الدكتور عبد الرحمن ياغي) ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ــ ١٩٦٦ . صــ٥١ .

(٢) المرجع السابق ، صــ ٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، صــ ٥٣ .

فجر إحدى الحضارات بالبزوغ ، ومعنى هذا أن المحيط الذى يعيش فيه الفرد والمجتمع ، يشكل مجموع الصفات والقيم الأخلاقية والاجتماعية التى تؤثر فى الإنسان منذ ولادته ، وتصبح لاشعوريا العلاقة التى تربط سلوكه بأسلوب الحياة فى الوسط الذى ولد فيه[٤] ، بمعنى أنه يشكل ثقافة الإنسان وكما يشكلها يشكل لغته التى تعتبر جزءا أساسيا من هذه الثقافة وهى الأداة الرئيسية للتعبير عن الأفكار التى تحملها هذه الثقافة ، والتى تضم ثمرات الفكر والرموز والمشاعر والانفعالات والوجدانات التى تتحكم فى حياة الإنسان والمجتمع بحكم التفاعل الاجتماعى ، وبالتالى تعطى الحياة شكلا وللجماعة حياتها وتاريخها ، إذ لايمكن أن نتصور فكرا ولاتاريخا بلا ثقافة ، والشعب الذى يفقد ثقافته يفقد حتما تاريخه وفكره ، فالثقافة بما تتضمن من أفكار وخاصة الفكرة الدينية هى التى نظمت الملحمة الإنسانية فى جميع أدوارها من لدن آدم ، ولايسوغ أن تعتبر علما يتعلمه الإنسان ، بل محيطايحيط بالإنسان وإطارا يتحرك داخله ، يغذى الحضارة فى أحشائه ، فهى الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع ، وتتشكل فيه كل جزئية من جزئياته ، تبعا للغاية العليا التى رسمها المجتمع لنفسه بما فى ذلك الحداد والفنان ، والراعى والعالم والإمام ، وهكذا يتركب تاريخ المجتمع وفكرة المجتمع والحضارة[٥] .

و" والمجتمع كالفرد ، وجود تاريخى بمعنى أنه جماع خبرات التاريخ الثقافى الفردى العام ، ومعنى ذلك ، أن دراسة الفرد والمجتمع دراسة ثقافية تاريخية ، تلزم الانطلاق من الواقع الاجتماعى التاريخى ، باعتباره امتدادا فى الماضى والحاضر والمستقبل ، لا أنه مجرد حالات ساكنة يمكن

(٤) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة (ترجمة عبد الصبور شاهين) ــ ط ٢ ــ دار الفكر ــ دمشق ــ ١٣٩١هـ ، صـ١٠٢ .

ص١٩

(٥) مالك بن نبي : شروط النهضة (ترجمة عمر كامل مسقاوى وعبد الصبور شاهين) إصدار ندوة مالك بن نبى ــ دار الفكر ــ دمشق ــ ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م .صـ٨٥

تثبيتها فى المكان والزمان ، وعزلها عزلا فيزيائيا عن الحالات السابقة أو الحالات التالية التى تنذر بها أو تعد ''[٦] وهناك علاقة وثيقة بين الأفكار والثقافة والحضارة ، وليكن معنى الثقافة مايكون فهى تعني ميلاد الفكر والاستقرار،والحضارة تعنى تنوع الاستخدام ، والعلاقة بينهما تغدو واضحة ، ذلك لأن الحضارة عندما قامت لم تقم فى فراغ ولامن فراغ ، وإنما قامت على أساس الثقافة التى لم تحدث من فراغ[٧] وإنما على أساس مجموعة من الأفكار والممارسات ، لأن الإنسان الأول ــ مثلا ــ كان '' يعيش فى الكهوف ويصارع العوامل الطبيعية ، ويقضي حاجاته الأساسية ، بطريقة بسيطة أولية ، فكان يحاول ويجرب ، فيصيب تارة ويخطىء تارة أخرى حتى تكونت لديه بمرور الزمن مجموعة من الخبزات العلمية ، استطاع بواسطتها أن يضمن لنفسه ولأفراد أسرته استمرار الحياة على سطح الأرض ، فى مواجهة الظروف الطبيعية المختلفة '' و '' هكذا تألفت عند الشعوب والقبائل مجموعة من المعارف ''[٨] والتى تعتبر موجهات الحياة .

٣ ــ وقد أدرك الكثيرون من فلاسفة الحضارة والتاريخ العلاقة الإيجابية بين الحضارة والدين ، وأوضحوا هذه العلاقة[٩] وأكدوا على أهميتها ، ولقد عبر مالك بن نبى عن هذه العلاقة تعبيرا دقيقا، فالحضارة لاتنبعث ــ كما هو ملاحظ ــ إلا بالعقيدة الدينية وينبغى أن نبحث فى حضارة من الحضارات عن أصلها الدينى الذى بعثها ، ولعله ليس من الغلو

---

(٦) د . فهمى جدعان : أسس التقدم عند مفكرى الإسلام فى العالم العربى الحديث ــ ط ١ ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ــ ١٩٧٩ ، صـ٧ .

(٧) د . عبد الغنى عبود : الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة ــ ط ١ ــ الكتاب الحادى عشر من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٨١ ، صـ٢٧ .

(٨) الدكتور محمد على أبو ريان : الفلسفة ومباحثها ، مع كتاب (المدخل إلى الميتافيزيقا) لبرجسون ــ ط ٢ ــ دار المعارف ــ ١٩٦٨ ، صـ ٦٩ .

(٩) انظر : د . عبد الغنى عبود : العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة ــ الكتاب الأول من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) ــ ط ١ ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ١٩٧٦ ، صـ٢٠د ــ ٥٧ .

فى شيء أن يجد التاريخ فى البوذية بذور الحضارة البوذية ، وفى البرهمية نواة الحضارة البرهمية .

فالحضارة لاتظهر فى أمة من الأمم إلا فى صورة وحى يهبط من السماء ، يكون للناس شرعة ومنهاجا ، أو هى ـــ على الأقل ـــ تقدم أسسها فى توجيه الناس نحو معبود غيبى بالمعنى العام ، فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ماوراء حياته الأرضية ، أو بعيدا عن حقيقته ، إذ حينما يكتشف حقيقة حياته الكاملة يكتشف معها أسمى معانى الأشياء ، التى تهيمن عليها عبقريته ، وتتفاعل معها ،،(١٠) .

والناتج الحضاري عنده يساوي الإنسان والتراب والوقت ، هذه العوامل الثلاثة تتفاعل مكونة مركبا حضاريا ، الا أن هذا لايتأتى إلا بفضل الفكرة الدينيةالتى تعطى الإنسان الدفعة الفكرية حتى يقوم بدوره فى بناء الحضارة(١١) ، ويعنى هذا أن النتاج الحضاري يتكون حين يتفاعل الإنسان مع البيئة الجغرافية التى يعيش فيها فى زمن معين ، ونتيجة وجود الفكرة يصنع الإنسان الناتج الحضارى .

وفى ضوء ماسبق يمكن دراسة الفكرة الغربية التى قامت على أساسها الحضارة الغربية قبل الإسلام ، ودراسة الفكرة الشرقية ومعالمها التى قامت على أساسها الحضارات الشرقية ، لما يفيد ذلك فى محاولة تحديد التيار العام الذى انبعثت منه الثقافة والحضارة الإسلامية .

أولا : الفكرة الغربية :

١ ـــ الفكرة الإغريقية : وهى تعود أساسا إلى الإغريق ، وقد تشكلت هذه الفكرة تبعا لطبيعة البيئة الجغرافية التى كان اليونانيون يعيشون

---

(١٠) مالك بن نبي : شروط النهضة (مرجع سابق) ، صـ ٥١ .
(١١) المرجع السابق ، صـ ٤٥ ـــ ٦٢ .

فى ظلالها ، وفى ظل نظام المدينة / الدولة ، والتى كان لكل واحدة منها نموها الخاص بها ، حسب الظروف المحيطة بها ، والتى أثرت فى تشكيلها الأيديولوجي [١٢] وقد انعكس هذا فى فكرة اليونان عن الإنسان والإله والوجود والحضارة ، فقد وجد :

١ ــ تعدد فى الآلهة ، حيث وجد عشرات الآلهة للبر والبحر والحرب والسلم والجمال ، وتحارب الآلهة بعضها البعض الآخر '' وهى ، خالدة لاتموت ، ولكنها تغضب وتثور وتهدد وتنذر ثم تهدأ ، ويرقص الإغريق ويقيمون الحفلات ، وتسيل أنهار من خمر مصفى وتمد الموائد ، ويباح مانراه اليوم إثما وحرجا '' [١٣] .

٢ ــ أن هذه البلاد لم تعرف الوحدة السياسية ، فلم يقع '' فى تاريخ هذه البلاد القديمة أن جمعتها حكومة واحدة ، أو سادها نظام واحد ، أو ألف بين قلوبهم معاهدة أو محالفة اللهم إلا فى ولايات قليلة وإلى أمد قصير '' [١٤] فكانت كل دويلة منها مستقلة منعزلة عن غيرها ، وتحاول '' أن تنتصر على الطبيعة وأن تجعلها فى متناول الإنسان وفى خدمته ، ومن هنا كان الطابع العام للإنسان الإغريقى هو حب التملك ، والتفكير فى نفسه وفى وحدته الصغيرة ، قبل أن يفكر فى الآخرين الذين يعيشون فى عزلة عنه ، والنظر إلى الطبيعة نظرة معادية تقوم على قهرها ، وتمجيد كل محاولة للتغلب عليها '' [١٥] .

---

(١٢) راجع : د . سعد مرسى أحمد ، و د . سعيد إسماعيل على : تاريخ التربية والتعليم ــ طبعه أولى ــ عالم الكتب ــ ١٩٧٢ ، ص ٩٣ .

ود. عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لتاريخ التربية ــ طبعة أولى ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٧٨ ، ص ١١١ ــ ١١٣ .

(١٣) د . سعد مرسي أحمد ، ود . سعيد إسماعيل علي (مرجع سابق) ، ص ٩٣ .

(١٤) مصطفى أمين : تاريخ التربية ــ طبعة ثامنة ــ مطبعة المعارف بمصر ، ١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٦ م ، ص ٢٥ .

(١٥) د . عبد الحميد ابراهيم : الوسطية العربية ، مذهب وتطبيق ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٧٩ ، ص ١٤٨ .

٣ ــ أفسحت هذه الفكرة '' المجال لنمو الشخصية الفردية فى جميع مظاهرها السياسية منها والخلقية والعلمية والفنية ''[١٦] بمعنى أنها '' مجدت القدرات الإنسانية ، وشحذت من الإمكانيات البشرية ، وسارت فى ذلك إلى نهاية الشوط الذى يغلب النزعة الإنسانية على كل شىء ، ونعنى بالنزعة الإنسانية هنا ، هو ذلك الإنسان فى مقابل الكون والوجود والقوة العليا ، قد يحاربه القدر الأعمى ، وقد يسقط ولكن سقوط أبطال التراجيديا يثير الشفقة والرحمة ''.

'' إن الإنسان فى الحضارة اليونانية والرومانية يقاس ــ كما يشرح جارودى ــ بأبعاد الأرض والكواكب ، ووفق قوانين الجماعة والكون الكلي ، ويسعى إلى الفهم والمعرفة وتحديد ماهيته ووضعه بالنسبة إلى كليته ، سواء كانت تلك الكلية العالم أو الحرية أو الطبيعة أو منظومة المفاهيم ''[١٧] وبالتالى '' لم يكن للدولة دين رسمي يستمسك به جميع أفرادها ، أو عقائد ثابتة مقررة ، ولم يكن قوام الدين الإقرار بعقائد معينة ، بل كان قوامه الاشتراك فى الطقوس الرسمية ، وكان فى وسع أي إنسان أن يؤمن بما يشاء من العقائد ، على شريطة ألا يكفر بآلهة المدينة أو يسبها ، وملاك القول أن الدين والدولة كانا شيئا واحدا فى بلاد اليونان ''[١٨] .

٤ ــ غلبة الحياة الفردية ، ويدل نتاج هذه الفكرة ، على عظمة الإنسان الفرد '' وقدرته على غلبة الطبيعة ، ولكنه لايزال نتاجا بشريا محصورا فى دائرة ضيقة ، وقد أصاب '' اشبنجلر '' حين جعل المثل

---

(١٦) د . عبد الله عبد الدايم : تاريخ التربية ــ من منشورات كلية التربية بجامعة دمشق ــ مطبعة جامعة دمشق ــ ١٣٧٩ هـ ــ ١٩٥٩ م ، ص ٢٢ .

(١٧) د . عبد الحميد ابراهيم : المرجع الأسبق ، ص ١٤٩ .

(١٨) ول ديورانت : قصة الحضارة ــ الجزء الأول من المجلد الثاني ــ (حياة اليونان) ــ ترجمة محمد بدران ــ الإدارة الثقافية ــ جامعة الدول العربية ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ ١٩٥٤ م ، ص ٣٤٨ ــ ٣٤٩ .

الأعلى للحضارة اليونانية هو " الجسم المادي المنعزل " ومن هنا كانت مظاهر النشاط متلونة بتلك النزعة البشرية ، فآلهة الإغريق صورة من البشر ، ويتظاهرون مع فريق ضد فريق "[١٩]

وكان إنتاجهم الفنى متمثلا فى النحت والعمارة ، وتجسيد الإنسان والآلهة فى تماثيل ، محاولة من الإنسان الإغريقى فى أن " يعطى بديلا للشعور الداخلى ، ممثلا فى هيئة تحس وتلمس وترى "[٢٠] وكان أدبهم معبرا عن هذه الفردية فى الشعر الحماسى وسير الأبطال[٢١] .

٥ ـــ أن الحياة العقلية بلغت ذروتها ، حيث بحثوا بعضا من المشكلات الفلسفية التي لازالت موضوعا للتأمل ، ولأن الروح اليونانية كانت عقلية علمية وتنظر إلى الوجود وكأنه هندسة كبرى ، فتستبعد منه بقدر المستطاع الممكن الحادث ، وتخضعه للضرورة "[٢٢] فلم يكن هناك فكر ثابت ، بل" هناك تفكير متحرك ومتغير ، يتجدد دون انقطاع بفضل مؤثرات تأتيه من الخارج ، ويعرض أمام القارىء أشد المظاهر اختلافا ، بل أكثرها تعارضا . "[٢٣] . وقد قامت هذه الحركة العقلية علي القياس والاستنتاج والتوليد وبناء النتائج على المقدمات والخضوع لمبادىء عقلية صرف مثل استحالة الجمع بين النقيضين ، وربط الأسباب بمسبباتها ، وبلغت ذروتها فى منطق أرسطو الذى هو نتاج عقل ، ونشاط إنسانى ووظيفة بشرية .

---

(١٩) د . عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ١٤٩ .   (٢٠) المرجع السابق ، ص ١٥٠.

(٢١) المر. هـ . وايلدز وكينث . ف . لوتش : أصول التربية الحديثة ـــ جـ ١ ـــ ط ١ ـــ (ترجمة د . محمد سمير حسانين) مطبعة سعيد ، طنطا ـــ ١٩٧٧ ، ص ٩٧ .

(٢٢) د . يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ـــ ط ٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـــ القاهرة ـــ ١٩٥٣ ، ص ٢٨٥ .

(٢٣) ألبير ريفو : الفلسفة اليونانية أصولها وتطوراتها ـــ (ترجمة د . عبد الحليم محمود وأبو بكر زكري) ـــ مكتبة دار العروبة ـــ القاهرة ـــ ١٩٥٨ ، ص ٢٥ .

هدف الفكرة اليونانية :

كان هدف اليونانيين '' أن يعيشوا حياة كلها سعادة تشبه حياة الآلهة أثناء وجودهم على الأرض ، وليس ذلك مرده رغبة الآلهة ، وإنما مرد ذلك هو نوع الحياة التى وافقوا عليها أنفسهم[٢٤] ''ومن ثم كان نتاجهم الحضارى معبرا عن ذلك ، وكانت تربيتهم انعكاسا لهذا الهدف .

الانعكاسات التربوية :

ورغم الاختلاف بين أثينا وإسبرطة ، فإن هذه الروح العامة هى التى تحكمت فى الفكرة اليونانية ، والتى تحكمت فى وضع كثير من الأسس التى بنيت عليها التربية ، فعلى أساس هذه المبادىء وهذا الهدف تشكلت أهداف التربية اليونانية ، إذ هى تهدف إلى تدريب الناشئة على تنمية ملكاتهم الفردية بحيث يحصلون السعادة لأنفسهم ، واستغلوا من أجل هذا كافة الإمكانيات ، سواء فى المنزل أو فى المدارس ، إذ هدفت إلى تنمية شخصية المواطن المتكاملة ، وشملوا بها جميع المواطنين ، ثم إن تنمية القوى الفردية '' بالتعليم الصحيح فى تنظيمها وحسن ضبطها '' كفيل بأن '' يخلق جماعة اجتماعية متجانسة ''[٢٥] .

ورغم هذا فإن هذه التربية لم تكن '' متاحة لجميع أفراد الشعب ، فقد حرمت النساء من دخول المدارس فى أثينا ، كما حرم العبيد — الذين لم يعتبروا مواطنين — من التعليم ، وكان عددهم يزيد على أربعة أخماس عدد الأحرار الذين اعتبروا مواطنين .. أى أن التربية اليونانية القديمة كانت تربية أرستقراطية أكثر منها ديمقراطية ... وكانت عادة وأد الصغار غير

(٢٤) ألمر . هـ . وايلدز وكينث . ف . لوتش (مرجع سابق) ، ص ١٠٢ .

(٢٥) جورج سباين : تطور الفكر السياسى — الكتاب الأول — ترجمة حسن جلال العروسى) — ط ٤ دار المعارف بمصر — ١٩٧١ ، ص٦٣٠ .

المرغوب فى بقائهم لسبب من الأسباب من أهم المآخذ التى تؤخذ على التربية الأثينية القديمة ، إذ أنها إن دلت على شيء ، فإنما تدل على قسوة وإنكار للإنسانية ،، [٢٦] فهم لايهمهم إلا الإنسان المواطن الذى يستطيع أن يعيش سعيدا ويحقق فرديته ليكون عنصرا فعالا فى الصراع القائم سياسيا وطبيعيا ، ولا غرو فهى أفكار حضارة '' سليلة الجدران والحصون ،، [٢٧] .

ويمكن أن نقول إن الفكرة اليونانية تميزت بما يلى :

١ ـــ تمجيد الشخصية الفردية ، فى مواجهة الكون والحياة والطبيعة ، والقوة العليا ، واعتبار الإنسان المحور الأساسى الذى تدور حوله كافة الفعاليات والأفكار ، وبالتالي سادت المصلحة الفردية على مصلحة الجماعة ، فقد اعتبر الفلاسفة اليونانيون '' الفرد مستقلا بذاته قائما بنفسه ، ولاينظرون إليه من جهة أنه جزء من الجماعة وعضو من أعضائها '' ، ورغم محاولات التوفيق بين الفرد والجماعة إلا أنهم فى النهاية لم يعودوا يشغلون أنفسهم '' بالتوفيق بين المصلحتين الفردية والاجتماعية كما كانوا يفعلون أولا ، وإنما قصروا جهدهم على البحث فى طرق الحياة وتوفير السعادة للأفراد '' وكانت التربية ، وسيلة لإنماء مواهب الفرد وإسعاده وإطلاق حريته ، من غير أن ينظروا فى ذلك إلى علاقته بإخوانه وبني نوعه ،، [٢٨] .

٢ ـــ ومع الاهتمام بالفرد أصبح الأمر في يد المواطنين الأحرار فقط ، وأصبح الدين فرديا ، وأصبح النظام السياسى لهم ، وأصبح الإله على شكل الفرد ، وهو فى أحسن أحواله بشر فائق القوة ، ولكن نفسه مشحونة

(٢٦) فتحية حسن سليمان : التربية عند اليونان والرومان ـــ مكتبة نهضة مصر ـــ (د . ت) ، ص ٦٦ .

(٢٧) طاغور : سادهانا ـــ (ترجمة محمد طاهر الجبلاوى) ـــ مكتبة الأنجلو المصرية ـــ القاهرة ـــ (د . ت) ، ص ٨ .

٢٤

(٢٨) مصطفى أمين : تاريخ التربية (مرجع سابق) ، ص ١٠١ ـــ ١٠٢ .

بالنزوات الطائشة ، والانحرافات التى يتورع عنها البشر العاديون [٢٩] .

٣ ــ وأصبح الفرد مصدر الحكمة ، ومن هنا كان الاهتمام ببناء الأفراد عقليا ، وبناء أجسامهم ليكونوا حكماء فضلاء ، وأصبح ميزان الحق فلسفة وحكمة ومنطقا وقياسات عقلية ، والأخلاق ميزانها الفضيلة الإنسانية والمجتمع ميزانه العدل وسيادته ، وكل هذا ناتج عن عقل فلسفى متأمل ، لأن الانسان الفيلسوف فوق النبى الموحى إليه ، من وجهة النظر اليونانية وفلسفتها .

٢ ــ الفكرة الرومانية :

وتعتبر ربيبة الفكرة اليونانية ، وإن اختلفت عنها أحيانا ، ويمكن بلورة الفكرة فيما يلي :

١ ــ كان محور الفكرة الرومانية « الأسرة فى مقابل الفرد» حيث '' كانت الأسرة الرومانية رابطة بين الأشخاص والأشياء من جهة ، والآلهة من جهة أخرى ، وكانت هى المركز الذى يلتف حوله الدين والخلق ، والنظام الاقتصادى وكيان الدولة بأجمعها ، كما كانت هى المنبع الذى تستمد منه هذه المقومات كلها ، وكان كل جزء من أملاكها ، مهما صغر ، وكل مظهر من مظاهر وجودها ، يرتبط ارتباطا وثيقا وجديا بالعالم الروحي ،، [٣٠] .

٢ ــ ولم يكن الرومانى '' كما كان الإغريقى يفكر فى آلهته ، كأن لها صورا كصور الآدميين ، ولم يكن يسميها إلا ممينا Mumina أى الأرواح ، وكانت هذه الآلهة فى بعض الأحيان معنويات مجردة ، كالصحة أو

---

(٢٩) د . محمود عثمان : ،كر المادى الحديث وموقف الإسلام منه ــ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ــ (د . ت) ، ص ٣١ .

(٣٠) ول ديورانت : قصة الحضارة ــ الجزء الأول من المجلد الثالث ــ (٩) ــ (قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) ــ (ترجمة محمد بدران) ــ الإدارة الثقافية ــ جامعة الدول العربية ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م ، ص ١٢٢ .

الشباب ... ،، [٣١] وكانوا يدينون ،، بأن لكل عمل فى الحياة إلها خاصا به يتولاه ويشرف عليه ،، [٣٢] وكان لهذه الديانة الأثر العظيم فى توثيق عرى المودة بين أفراد الأسرة ، وفى إنماء الروح الوطنى والإحساس بالواجب ، ورغم ماللأمة من آلهة عامة فإنه كان لكل أسرة إلهها الخاص بها ، ولم تكن الديانة من الأمور الفردية ، ولكنها كانت رسما من رسوم الدولة العامة ، التى تعمل على توثيق الروابط بين الأسرة والدولة ، والحكومة والأفراد [٣٣] .

٣ ـــ وكان الإيمان بالأسرة كأساس لفكرتهم ، أساس الانطلاق لتكوين امبراطورية كبرى ، ومن ثم ظهرت عبقريتهم فى التطبيق ، والإدارة والتنظيم ، وعلى وجه الخصوص فى النظم السياسية والعسكرية ،، ومن خلال الفاعلية التى مكنت روما من إقامة امبراطورية عالمية عظمى ، تفوق حتى امبراطوريات فارس والأسكندر ،، ومن ،، خلال قدرتهم التنظيمية حولوها إلى شبكة بنيان من الإدارة للكنيسة العظيمة للروم الكاثوليك ، وتعتبر حتى اليوم أساس الأنظمة القانونية لمعظم العالم الغربى ،، [٣٤] .

الانعكاسات التربوية :

وانعكس هذا على التربية ، فالامبراطورية فوق الجميع ، والانسان الروماني شجاع متحمس ، مغرم بالحياة الحربية مطبوع على طاعة القوانين ، ميال إلى كسب المنافع المادية ، يغفل حقوقه الفردية ويتناسى شخصيته حيال حكومته ، ولم يعتن الرومان في تربيتهم بتهذيب ،، القوى الإنسانية على وجه منتظم متناسق ، ولم يعنوا بأمر الجمال أو التناسب ، إنما جعلوا غرضهم من التربية مقصورا على كسب الفوائد والمنافع المادية ، وأهملوا ماوراء

---

(٣١) المرجع السابق ، ص ١٢٣ .
(٣٢) مصطفى أمين : (مرجع سابق) ، ص ١١٩ .
(٣٣) المرجع السابق ، ص ١٢٠ .
(٣٤) ألمر . هـ . وايلدزوكينيث . ف . لوتش : (مرجع سابق) ، ص ١٤٣ .

ذلك '' وغالوا فى حب المنافع المادية حتى '' أثر ذلك فى أخلاقهم ، وأصبحوا والأثينيين على طرفى نقيض ، فبينما كان الرجل الأثينى ممتازا بما فيه النزق والحركة الفتية ، والميل إلى اللهو وحب الفكاهة ، كان الرومى معروفا بالهدوء والسكينة والجد والوقار ، والزهد فى مسرات الحياة ''[٣٥] كما كان عكس الإسبرطي فى تقديسه الأسرة ، وإعلاء نفوذ الأب على أبنائه[٣٦] .

ولقد تطورت الفكرة الرومانية بعد اتصالها بالمسيحية بعد ذلك ، وكان تأثير الفكرة الرومانية فيها بالغ الوضوح مما سيتضح فيما بعد ، **وعموما يمكن القول بأن الفكرة الغربية تميزت بما يلى :**

١ ـــ أنها نشأت فى أحضان طبيعة خاصة ولعلاقات واضحة بهذه البيئة ، فقد لوحظت '' العلاقة الإيجابية '' العضوية بين الإنسان وبيئته ، أى بين الإنسان والظروف الحياتية التى يعيش فيها[٣٧] وهذا ماعبر عنه ابن خلدون[٣٨] قديما ومالك بن نبي حديثا[٣٩] وغيرهما .

٢ ـــ أن الفكرة اليونانية تأثرت بطبيعة المدينة / الدولة ، وأذكى هذا روح الفردية والمواطنة ، فقدمت نموذجا للفكرة التى تقوم عليها الفردية ، سواء فى مقابلتها بالكون وبالله ، أو في خلقها آلهتها ، أو فى تسييد العقل ، واعتبار الفيلسوف فوق النبي ، والفلسفة العقلية فوق الوحى .

---

(٣٥) مصطفى أمين ، (مرجع سابق) ص ١١٧ .

(٣٦) المرجع السابق ، ص ١١٧ ، ١١٨ وراجع :
د . محمد ناصر : قراءات فى الفكر التربوى ـــ جـ ١ وكالة المطبوعات ـــ الكويت ـــ ١٩٧٣ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٦ .
فتحية حسن سليمان : التربية عند اليونان والرومان (مرجع سابق) ، ص ١٣١ .

(٣٧) د . عبد الغنى عبود : الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة ـــ الكتاب الثامن من سلسلة الإسلام وتحديات العصر ـــ ط ١ دار الفكر العربي ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٧ ، ص ٢٦ .

(٣٨) راجع : عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ـــ دار الشعب ـــ القاهرة ـــ (د . ت) ، ص ٩٨ .

(٣٩) أنظر ص ٢١ من الكتاب .

٣ ــ أما الفكرة الرومانية فبفضل ماكونه الرومانيون من امبراطورية واسعة ، استطاعوا فرض عقيدة ودين ، ومن ثم غلبت عليها النظرة الجماعية الأسرية ، ولم يكن للفرد فيها نصيب وافر من الظهور ، بل كانت الأسرة مقدسة ، والحياة الاجتماعية هى الأساس ، فالأب يفرض والابن يطيع ، والدولة تفرض والشعب يطيع ، ومن ثم خفتت النزعة الفردية ، وتألقت النزعة الجماعية .

٤ ــ وكان الدين يقوم على أساس من التعدد ، إلا أنه لدى اليونان تمثيل للبشرية الفائقة ، أما لدى الرومان فقد غلبت النزعة العملية النفعية ، فكل أسرة لها إله وكل جماعة لها إله ومحراب ، إلا أن كل هذا يذوب فى آلهة الدولة .

٥ ــ والفيلسوف الفرد هو نموذج الفكرة اليونانية ، أما الفكرة الرومانية فقد كان المصلح والمقنن هو القادر على سياسة المجتمع دون أى فرد آخر ، ورغم هذا فإن الحاكم الأعلى فى الحضارة الرومانية كان يجمع إلى جانب رجل القانون وظيفة رجل الدين الأعلى ، أما فى الحضارة اليونانية فقد ظل الدين فى معزل عن توجيه الفكر الفلسفي ، مادام العقل إله نفسه .

ثانيا : الفكرة الشرقية :

وفى الشرق كانت هناك حضارات ذات طبيعة خاصة ، وجدت فى آسيا ، واتخذت ألوانا متعددة بتعدد الأمكنة والبيئات ، ولكننا نلاحظ سمات مشتركة بينها جميعا تميزها ، حيث تقوم على أفكار تختلف عن غيرها ، وذلك بحكم وجودها فى بيئات زراعية ، سواء فى الشرق الأقصى أو الأوسط[٤٠] ، وكان لهذه البيئات أثرها فى تكوين الإنسان الشرقى فكرته ، هذا إلى جانب ذلك التراث العريض الواسع المتمثل فى أقوال الحكماء

(٤٠) راجع د . محمد السيد غلاب : البيئة والمجتمع ــ طبعة رابعة ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ ١٩٦٩ ، ص ١٤٤ ، ١٣٢ .

وأصحاب الديانات الوضعية وبعض من تعاليم الديانات السماوية .

ورغم مايبدو من اختلاف وتنوع فى هذه الفكرة من حضارة لأخرى ، إلا أنه من الواضح أنها اشتركت فى أفكار عامة ، تأقلمت بطبيعة الإقليم الذى عاشت فيه ، ويمكن تناول هذه السمات كما يلى :

١ ــ الإيمان بالإله ، سواء فى صورة التعدد أو الوحدة ، والإله فى هذه الفكرة ليس بشرا ولاشبيها بالبشر ، بل هو مفارق للبشر ، فالمصريون مثلا ــ آمنوا بآلهة متعددة ومختلفة إما حيوانات وإما طيور ، عبدوها لذاتها أولا ، ثم آمنوا بها بعد ذلك على أنها تجسيد للإله وآمنوا بألوهية الفرعون ــ أيضا ــ على أنه صورة مجسدة للإله العظيم سيد السماء ، رع وآمون ثم آتون وكان هذا الأخير هو دعوة إخناتون للتوحيد ، ومثل هذا لدى الهنود والصينيين والإيرانيين ، فكل هؤلاء آمنوا بقوة مطلقة عليا وراء العالم تتحكم فيه وتسيره وتوجهه لها مطلق التصرف ، ولها هذا الوجود كله وتمثل كل شيء فى الوجود .

٢ ــ وهى لاتهتم على وجه العموم بتعريف الإنسان أو تحديد ماهيته ، " بقدر مايعنيها وجوده فى موقف وسلوكه إزاء هذا الموقف " وهى أيضا " لاتهتم بالبحث عن الأسباب والنتائج بقدر ماتهتم بالفعل الخلقى " و " لا نبحث عن المبادىء العقلية الكلية بقدر ما تهتم بذاتية الإنسان ورضائه الداخلى "[٤١] .

وهذا مانلاحظه جيدا من خلال دراسة العقيدة المصرية عن الإنسان ، فقد اعتقد المصريون أن الإنسان يتكون من " ثلاثي يجمع فى وحدة ، كلا من (الكا) الذى يرى فيه البعض صورة غير مادية للجسم " صنو أو قرين و " الخــو " (Khu) أى الروح ، و " الخات " (Khat) أى الجسم ، وهى

(٤١) د . عبد الحميد إبراهيم : (مرجع سابق) ، ص ١٠١ .

تتكون فى مرة أخرى من ثلاثي آخر يجمع " الخابيت " (Khaybet) أى الظل ، مع " البا " أى الروح ، و " السمو " أى المومية (الجثة المحنطة) أما القلب الجسدي فقد كان يسمى " الحاتى " (Hati) ، وكان يفترض فيه أن يكون مقر الذكاء ، أما روحه فيسمَّى " الآب " (Ab) ، ويعنى الإرادة والشهوات ، وكان رمز " الشرارة الحية " أو القوة المتحكمة تسمى " سخم " (Skhem) ، وكان الرمز " ران " (Ran) يعبر عن الاسم الشخصي "[٤٢] ولما كان التفكير فى الموت والحياة والآخرة ، هو الشغل الشاغل للمصريين القدماء ، كانت الشعائر المصرية تقوم على استحضار الرحمة من الآلهة لكى تجمع بين الجسد والروح بعد الموت ولكى يتحقق الخلود[٤٣] .

ومن أجل هذا الخلود ، فإن " الجسد ينبغى أن يصان ويحفظ ، والقلب يحفظ ويرتجى ، والكا أو النفس الفاعلة تتلى التراتيل باسمها من أجل صاحبها ، وتقدم القرابين لصالحها ، والروح تنتقل ماشاء لها ربها فى عالم الأرض أو فى عالم السماء مادامت مؤمنة ، والنورانية تكتسب لصالح الأعمال ، والاسم يخلد عن طريق ترديده في الدعوات وتكراره فى نقوش المقبرة ، وقرنه بالسمعة الطيبة عن طريق الابن الأكبر "[٤٤] .

والهندى هدفه الأسمَى ، قتل " فكره وإرادته فى التأمل الصوفي ، وأن يخضع ميوله وشهواته ، ويخلع كل فكرة أرضية ، كما يتحد بالذات الإلهية ، وينحل فى مبدأ كل مبدأ " فالديانة الهندية " لاتقرر خلود الروح

---

(٤٢) سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافي المصري ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٦٦ ، ص ٢٦ .

(٤٣) بول ماسون أورسيل : الفلسفة فى الشرق ــ (ترجمة محمد يوسف مرسى) ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٤٧ ، ص ٥٨ .

وراجع جيمس هنرى برستد : فجر الضمير ــ (ترجمة سليم حسن) ــ القاهرة ــ ١٩٥٦ ، ص ٢٣٥ ومابعدها .

(٤٤) د . عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ــ الجزء الأول (مصر والعراق) ــ القاهرة ــ ١٩٦٧ ، ص ٣١٤ .

وحسب ، بل تقول بتناسخ الأرواح وتؤمن بالتقمص ، وترى أن الروح تنتقل بين أحياء عديدة ، كل منها يتعلق بنوع الحياة التى سبقت ، وجميعها عرضة للشرور والآلام التى تمتلىء بها حياة الفانين ، لذا كانت كل حياة فردية شرا ... وكان المثل الأعلى لدى الهندى أن يفر من مثل هذه الآلام ، وأن ينهى عملية التقمص هذه بأن يُفنِى روح الفردية فى روح العالم الكلية ، ويكون هذا عن طريق الفناء فى (النرفانا) التى تعنى الانطفاء وكثيرا ماتعنى الطمأنينة التامة والحكمة والخير "[٤٥] .

ونجد مثل هذا فى الفكرة الصينية والمانوية والزرادشتية ، والتى آمنت بأن قيمة الوجود الإنسانى على الحقيقة هى فى ذوبانه أو فى اتحاده بالقوة المسيرة والفناء فيها ، وقد انسحب هذا على بقية حياة الإنسان .

٣ ــ عدم الاعتماد على العقل اعتماد كليا " ، ولاترفع من قدر الإنسان بحيث يصل فى غروره إلى مقام الآلهة ، بل والتطاول عليهم ، وخلقهم على غرار نفسه وأهوائه ، ولاتجعل همها الأول هو نظرية " المعرفة " ولاتجعل الفيلسوف الذى يضع قوالب للوجود والكون والمطلق هو الصورة المُثلَى ، ولاتصب اهتمامها على الحياة الحاضرة ، وتحليلها والوصول إلى أعلى درجات الكمال [٤٦] "وترى هذه الفكرة " أن هناك قوة أخرى فوق العقل ، ولايستطيع العقل مهما جَدَّ ــ أن يصل إلَى الكشف عن تلك القوة ، ومن هنا آمنت بالقضاء والقدر ، واندفعت نحو التضحية والاستجابة لنداء القوة التى تورث لمن يسلك سبيلها السرور والفرح ، وتشوقت لحياة أخرى تختلف عن تلك الحياة ، ويتحقق فيها الجلال والجمال معا "[٤٧] .

---

(٤٥) د . عبد الله عبد الدائم (مرجع سابق) ، ص ١٢ .

(٤٦) د . عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ١٥١ .

(٤٧) المرجع السابق ، ص ١٠١ .

ولذا لم تنتج هذه الفكرة ، فلسفة ولانظريات ، ولامنطقا عقليا شكليا ، بل أنتجت طقوسا وعادات وصلوات وأدعية وحكمة ، وكان اهتمامها منصبا على الطقوس التى تقوى الفعل ، ومنطقها يعتمد على التجربة ، وبالتالى لم يكن المثل الأعلي هو الفيلسوف ، بل كان المثل الأعلي هو النبى الذى يقع على الحقيقة مباشرة ، وكذلك الحكيم ، فهى " تُعْلي من قدر النبى فوق الفيلسوف لأن النبى يصل إلى الحقيقة المطلقة عن طريق نور يقذفه الوحى فى القلب[48] " وعلى هذا الأساس نبعت الأديان فى ظل تلك الفكرة سواء كانت وضعية أو سماوية .

ففى مصر مثلا ترنو الأفكار إلى السماء[49] ، وكذلك الحضارة والفكرة الهندية تنظر إلى السماء[50] ، وتُعَلِّق وخدة الوجود كطابع عام لها ومن هنا فلا وجود للإنسان حقيقة إلا إذا ذاب فى الوجود وفى القدرة الخالقة ، وليس كل إنسان مؤهلا لهذا ، بل أناسا مخصوصين وصلوا إلى تلك الروح الكبرى ووصلوا إلى الحكمة ، واتحدوا تماما بأنفسهم وبالروح الكبرى ، فهم لايميلون إلى التجسيد ، بل يميلون إلى المعنَي .

٤ ــ **الإعلاء من شأن الأسرة**، وسلطة الأب ، والملك ، والفرعون ، وهو انعكاس لما سبق ، فالأوضاع الاجتماعية ، وهى انعكاس لفكرة الألوهية والإنسان ، تعلى من شأن الأسرة انطلاقا من روح فكرتها وتعلي من شأن الحاكم والأمة وانطلاقا من اهتمامها بالأسرة الصغرى كان اهتمامها وتقديسها للأسرة الكبري والأمة ، وهنا نجد نظرية الحق الإلٓهى فى الحكم ، وظهر التفاوت الطبقى فى هذه المجتمعات بلا استثناء .

---

(٤٨) المرجع السابق ، ص ٢٩ وراجع منه أيضا ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٤٩) راجع د . عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى (مرجع سابق) ، ص ٣١٥ .

(٥٠) راجع : د . عمر فروخ : تجديد التاريخ فى تعليله وتدوينه (إعادة النظر فى التاريخ) ــ ط ١ دار الباحث ــ بيروت ــ ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨٠ م ، ص ٤٣ ، ٤٨ .

ونلمح هذا فى النظام الاجتماعى المصرى ، فهم يربطون بين الأب وابنه ، من قولهم '' نَهَج الابن منهج من أنجبه '' وَوَصْفِهم الابن إذا سلك مسلك أبيه بأنه '' كا '' أبيه ، أى نفسه ، وأنه مولود لأبيه ، وقولهم '' جرى المثل على أن المرء يتتبع خُطا أبيه '' وأن '' الأم تلد ولكن الشبيه ينتج الشبيه '' ثم اتجاه مجتمعهم إلى أن لايتمثل فى سلوك الناشىء شخصيته وحدها ، وإنما يتمثل فيه شخصية أبيه وأثره كذلك ، حتى ليقول من يراهما '' مثل ذاك (هو مثال) هذا ''ومن يسمعهما أكد ذلك وقال بمثله ، وهذا إلى جانب تقدير الأب منهم بدوره لمسئوليته إزاء المجتمع فى تربية أولاده ، وذلك بحيث إذا ابتغى دعاء الناس من أجله قال : أيها الناس ادعوا لفلان '' الذى كون داره (أى عائلته) وربَّى أولاده وفعل خيرا على الأرض '' ولايخلو من دلالة مع ذلك أن أغلب التعاليم المصرية المكتوبة قد صيغت على أنها تعاليم آباء ومربين وليست عَلى أنها تعاليم فلاسفة ورجال دين ''[٥١] .

وقد جعل هذا النظام الفرعون إلها أو ابنا للإله ، وجعل الأب المصرى مصدر السلطة[٥٢] ، وكان الكهنة ثم النبلاء والقواد العسكريون ، ثم كبار التجار وأصحاب المهن الأثرياء ، ثم الحرفيون والرعاة والفلاحون والعبيد ، طبقات اجتماعية ، فكان هناك تفاوت واضح بين حياة علية القوم وسواد الشعب فى المسكن والملبس والغذاء وفى قضاء أوقات الفراغ ، حتى فى الدفن والمقبرة[٥٣] .

وفى الفكرة الهندية وخاصة البراهمانية وفى ظلها أصبح المجتمع

---

(٥١) د . عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ـــ وزارة الثقافة والإرشاد القومى ـــ الجمهورية العربية المتحدة ـــ الدار القومية للطباعة والنشر ـــ القاهرة ـــ ١٣٨٦ هـ ـــ ١٩٦٦ ، ص ٦ .

(٥٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٥٣) د . سعد مرسي أحمد ، ود . سعيد إسماعيل علي (مرجع سابق) ، ص ٨١ .

الهندي '' مقسما إلى طبقات وراثية ، كل طبقة فيها مستقلة عن الأخرى تمام الاستقلال ، ولايجوز الارتقاء من إحداها إلى الأخرى ، بل لايجوز التزاوج فيما بينها ، وهكذا كانت تعتبر مرتبة المرء الاجتماعية ومصيره فى الحياة ، بحكم ولادته ونسبه لا بإرادته واختياره مما نشأ عنه نكران مطلق للاستقلال الفردى ، وإهمال للمواهب الشخصية والميول ، وتعذر ارتقاء الفرد إلى مرتبة أخرى فوق مرتبته مهما يبذل من جهد ويظهر من تفوق '' (٥٤) .

أما الفكرة الصينية فى هذا المجال ، فكان الولاء للامبراطور الذى يشرف على ملايين البشر '' من فوق عرشه المزعزع ، وكان يحكم من الوجهة النظرية ، بحقه المقدس ، فقد كان هو (ابن السماء) وممثل الكائن الأعلَى فى هذه الأرض (٥٥) '' وكان هذا الولاء '' هو الذى خلق فى نفس الصينى من قديم ماتميز به من ولاء نادر (للأسرة) الصغرى ، وللأسرة الكبيرة علَى السواء '' (٥٦) وكان '' وراء القدرةالتى كان نواب الملك بالصين ينفذون بها سياسات الإدارة المركزية '' (٥٧) وإليه '' تُعْزَى '' روح المحافظة ، وتهدف إلى أن تُجَمِّع فى الفرد حياة الماضى ، وأن تنشئه علَى عادات فكرية وعملية كالعادات الماضية دون أن تقوى أية ملكة أو تغير أية عادة وفق مقتضيات الظروف الجديدة '' (٥٨) ولذا قدس الصينيون

---

(٥٤) د . عبد الله عبد الدائم (مرجع سابق) ، ص ١١ .

(٥٥) ول ديوارنت : قصة الحضارة ـــ الجزء الرابع من المجلد الأول ـــ (٤) ـــ الشرق الأقصى والصين ـــ ترجمة محمد بدران ـــ ط ٢ الإدارة الثقافية ـــ جامعة الدول العربية ـــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـــ القاهرة ـــ ١٩٥٧ ، ص ٢٨٠ .

(٥٦) د . عبد الغني عبود : الحضارة الإسلامية (مرجع سابق) ، ص ٧٢ .

(٥٧) ك . م . بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ـــ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ـــ مراجعة أحمد خاكى ـــ من الفكر السياسي الاشتراكي ـــ الجمهورية العربية المتحدة ـــ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـــ الإدارة العامة للثقافة ـــ دار المعارف بمصر ـــ ١٩٦٢ ، ص ٧٠ .

(٥٨) د . عبد الله عبد الدائم (مرجع سابق) ، ص ١٨ .

الأسلاف وعبدوها ، والسماء وعظماء الرجال .

وقد استطاع كونفشيوس أن ينجح في ترديد وترويج أفكاره '' التي تقول بالأخلاق العملية النفعية القائمة على سلطة الدولة والأسرة ، وعلى منفعة الفرد أيضا ''[٥٩] وذهب إلى ضرورة الطاعة العمياء من المرأة للرجل ومن المحكوم للحاكم ، عن رضا تام ، وهذا اللون من الطاعة عبارة عن عبادة ''[٦٠] .

هذه هي أهم ملامح الفكرة الشرقية وقد تأثرت بها كافة الإنجازات الحضارية ، والتنظيمات السياسية والتربوية ، مع اختلافات فرعية وتنوعات جزئية ، وتحت هذه الفكرة تنضوي المساحة العربية والعرب ، الذين كانوا يؤمنون بالله ووجوده وقوته ، وقدموه '' على المعبودات التي حوتها الكعبة إذ ذاك ''[٦١] وكانوا لايملكون القدرة على إسناد الأسباب لمسبباتها إلا في القليل ، ولذا كان اعتقادهم في الأشياء ، وتصوروا طبيعة الإنسان جسدا وروحا وامتازوا بالأخلاق الفاضلة ، وكانت لهم تنظيمات اجتماعية ، والقبيلة هي أساس النظام الاجتماعي ، وفي داخل القبيلة كانت توجد شرائح مختلفة .

ثالثا : عجز الفكرة الغربية والشرقية عن بناء الإنسان :

١ ــ امتاز الشرق بالديانات السماوية ، فاليهودية دين سماوي دعا إلى الإيمان بإله واحد خالق ، وكانت تعاليمها تفيد تنظيم الدنيا والآخرة ، إلا أنها أصابها الانحراف ، وأصبحت '' ديانة قومية موقوتة '' و '' لاتعدو

(٥٩) المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٦٠) عبد المتعال محمد الجبري : المرأة في التصور الإسلامي ــ ط ٤ ــ مكتبة وهبة ــ ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ ، ص ١٥٦ .

(٦١) د . سعيد إسماعيل علي : تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ١٣٧٩ هـ ــ ١٩٧٩ م ، ص ١٨١

أن تكون طورا راقيا من الأشكال الدينية القديمة ضم أخلاطا من المعالم البارزة لأنماط شتَّى من الوثنية التقليدية ،، (٦٢) ومن هنا كان اقترابها من النزعة الإغريقية فى الميل إلى التجسيد والولع بالتحديد والتركيز على ماهو فى متناول الإنسان ،،(٦٣) ورغم اهتمامهم بالأسرة ، إلا أنه '' كان لتصورهم للألوهية المشخصة ولاعتقادهم بالصلة الشخصية الحميمة مع الآله ، والمسئولية الفردية تجاهه أثره فى نمو الشخصية الفردية ،، (٦٤) . ومن هنا كان اقترابها من النزعة الغربية ، والإله فى التوراة التي لدينا ، متجسد ، يمشى فى الجنة وله صوت مسموع(٦٥) ، وينزل على الجبل يصحبه دخان ورعد وسحاب وبرق ، وهكذا تميل التوراة إلى التجسيد والتحديد (٦٦) و '' قياس الأشياء ووصف الواقع بطريقة دقيقة ، والحديث عن البناء والأمكنة ونوعية الأشياء ،، وهى بهذا '' تقترب من النزعة الإغريقية العلمية ،، (٦٧) .

وقد منح الكهنة اليهود أنفسهم تفويضا من موسى ومن الله ــ بالإضافة والحذف وتحرير الأسفار والأفعال والأناشيد ، والمزامير وإضافتها إلى التوراة ، وخصصوا وظائف رسمية فى الهيكل لجماعة من الكهنة ، مهمتهم تدوين مايقوله الكهنة ، ويلفقون للناس ضمن مايذيعون عليهم من نصوص وتعاليم الرب ووصاياه (٦٨) . ومن هنا أصابها الانحراف ، واقتربت

---

(٦٢) زاهر عزب الزغبي : الإسلام ضرورة عالمية ــ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٧١ ، ص ٦٢ .

(٦٣) د . عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ١٥٦ .

٣٢

(٦٤) د . عبد الله عبد الدائم : التربية عبر التاريخ ــ طبعة ثالثة ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٨٧ ، ص ٣٢ .

(٦٥) سفر التكوين : الاصحاح الثالث : ١٠ ، ١١ ، سفر الخروج : الاصحاح ١٣ : ٢٢ .

(٦٦) سفر الخروج : الاصحاح ١٩ : ١٩ ، ٢٠ .

(٦٧) د . عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٦٨) د . سعيد إسماعيل علي : نشأة التربية الإسلامية ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ١٩٧٨ ، ص ١٣٠ .

أكثر من النزعة الغربية ، واصطبغت بوثنية اليونان كما يتضح لَدَى " فيلون الأسكندرى " [٦٩] .

٢ ـ **المسيحية** ، جاءت بعد غرق اليهودية فى الماديات ، ولكنها لم تأت " نظاما فلسفيا ، يقوم على قوانين المنطق " [٧٠] بل " قامت لتحرير الضمائر من ربقة الخوف والنصوص " [٧١] ومن ثم عملت على " تطهير الروح وتقوية الصلة بين الإنسان وخالقه ، أما تنظيم الحياة الدنيا وإحكام الصلة بين الفرد والفرد ، فلم تنل من المسيحية عناية تذكر " [٧٢] .

وقد كانت المسيحية نقية ، كما جاءت على لسان المسيح ، نقية فى تصورها للألوهية ، وغيرها ، ولكن تلامذته من بعده اضطروا إلى نقل المسيحية من " أرض اليهود ، إلى الشعوب الوثنية ، المحيطة بها ، كالرومان واليونانيين وغيرهم ، ورغبة من هؤلاء المبشرين فى نشر الدعوة المسيحية بين تلك الشعوب الوثنية ، وخوفا من أن تجد فى هذه الشعوب نفس المصير الذى وجدته بين اليهود ، اضطر المبشرون إلى تطعيم المسيحية ببعض الطقوس والعادات والشعائر التى وجدوها فى تلك الشعوب الوثنية " [٧٣] وهكذا وبمرور الوقت ، وتعاقب الأجيال ، أخذت الأحكام الإلهية تتغير ، لتحل محلها أحكام أرضية " [٧٤] .

---

(٦٩) راجع ألبير ريفو : (مرجع سابق) ص ٢٥٨ ـ ٢٦١ .
(٧٠) صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية ـ طبعة ثانية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٤ ، ص ١٨٦ .
(٧١) عباس محمود العقاد : مايقال عن الإسلام ـ دار الهلال ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ ، ص ١٢١ .
(٧٢) د . أحمد شلبى : المجتمع الإسلامي . أسس تكوينه ، أسباب تدهوره ، الطريق إلى إصلاحه ـ ط النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٣ ، ص ٢٢ .
(٧٣) محمد مجدي مرجان : الله واحد أم ثالوث ـ دار النهضة العربية . (د . ت) ، ص ٨٣ .
(٧٤) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

فالمسيحية حين انتقلت إلى أوربا وواجهت الفكرة الغربية التي تعتمد على المادة والأرض والإنسان ، واجهت مشكلات عديدة أهمها علاقة العقيدة بالعقل ، ولذا فهي قد كفت عن كونها مسيحية في نفس اللحظة التي انتقلت فيها من مهدها ، " لقد أصبحت دين بولس ولم تعد ديانة الناصرى ... وماالمسيحية المثالية الحديثة التي هي فلسفة أكثر من كونها دينا ايجابيا إلاَّ نتاجَ قرون من حضارة ماقبل المسيح ، ومابعده " (٧٥) . ولذا يقال " إن هذه الديانة من وضع بولس ، وليست الوحي الذى نَزل من الله إلى المسيح " (٧٦) وقد تمثلت " عناصر الأخلاق والفلسفة القديمة " (٧٧) .

٣ ــ وأمام هذا ، فقد التقت الفكرتان الشرقية والغربية واتصلتا بعضهما ولتمايزهما واختلافهما تصارعتا، وتفانت كل واحدة من أجل إخضاع الأخري لها ، ولتركيبها ، وتمخضت الأمور عن أوضاع منحطة :

أ ــ فقد أصبحت الديانات الكبري غيرها في أول نزولها ، وأصبحت لعبة المنافقين والمُحَرِّفين ، وأصبحت مزيجا من الفكرة اليونانية ، والوثنية الرومانية ، والأفلاطونية ، والرهبانية ، واضمحلت التعاليم الأساسية النقية ، وعادت " نسيجا خشبيا من معتقدات وتقاليد لاتُغَذِّي الروح ولاتتحدى العقل ، ولاتشعل العاطفة ، ولاتحل معضلات الحياة ، ولاتنير السبيل ، بل أصبحت بزيادات المحرفين ، وتأويل الجاهلين ، تحول بين الإنسان والعلم والفكر ، وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية " (٧٨) .

---

(٧٥) سيد أمير على : روح الإسلام ــ جـ ١ ــ (ترجمة أمين محمود الشريف) ــ مكتبة الآداب ومطبعتها ــ القاهرة ــ ١٩٦١ ، ص ٢٠٨ .

(٧٦) د . أحمد شلبى : المسيحية ــ الجزء الثانى من مقارنة الأديان ــ النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٧٣ ، ص ٢٢٢

(٧٧) ألبيريفو(مرجع سابق) ، ص ٢٧٦ .

(٧٨) أبوالحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (مرجع سابق) ، ص ٣٨ .

ووصلت الخلافات الدينية ذروتها ، وعجزت كل المحاولات عن التغلب عليها ، وتعذرت محاولات الجمع بينها ، وخاصة بين عقيدة أهل الشام والدولة الرومانية ، وعقيدة نصارى مصر ، وخاضت الأفكار فى بحار الجدل والمهاترات اللفظية ، بين طبيعة المسيح الواحدة وطبيعته المزدوجة[٧٩] .

ب ــ وظهر عجز الأطر الفكرية القائمة عن تشكيل أو إعادة تشكيل الإنسان ، وأصبح الناس جميعا « يعيشون حياة جاهلية ، يسجدون فيها لكل ما خُلِقَ لأجلهم ، ويخضع لإرادتهم وتصرفهم ، لا يثيب الطائع بجائزة ، ولا يغذب العاصى بعقوبة ، ولا يأمر ولا ينهى ، فكانت الديانة سطحية كافية فى حياتهم ، وليس لها سلطان على أرواحهم ونفوسهم وقلوبهم ، ولا تأثير لها فى أخلاقهم واجتماعهم ، كانوا يؤمنون بإله صانع أتم عمله واعتزل وتنازل عن مملكته لأناس خلع عليهم خلعة الربوبية ، فأخذوا بأيديهم أزمة الأمر »[٨٠] .

ج ــ وبلغ التحلل الاجتماعى والتخلف الاقتصادى ذروته ، وأصبح تقديس الملوك والأمراء والأباطرة سمة غالبة ، وأصبحت عبادة الإنسان ديانة ، وفقد المجتمع العالمى « نشاطه وأريحيته فى الحياة ، وفى كل ما يأتى ويذر ، وكان مجتمعا مرهقا مخنوقا ، فكان مدفوعا إلي ساحة الحرب ومن غير أن ينشط أو يتحمس لأغراض أولي الأمر » وكان الناس مُرْغَمِين على أن يطيعوا من لا يحبون ، ويفدوا بأرواحهم وأموالهم من يبغضون ، فانطفأت جمرة القلوب ، وبردت العواطف ، ونشأ الناس على النفاق والرياء والختل ، ونشأت النفوس على الذل وتحمل الضيم والصغار[٨١] » .

---

(٧٩) المرجع السابق ، ص ٣٩ ، وراجع : د. ابراهيم أحمد العدوي : مصر الإسلامية . مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية ــ مكتبة الانجلو المصرية ــ ١٩٧٥ ، ص ٧ ومابعدها .

(٨٠) المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٨١) المرجع السابق ، ص ١١٢ .

وجملة فقد أصبح كل شيء فى غير محله ، فالإنسان ''قد هانت عليه إنسانيته''يسجد للحجر والشجر والنهر ، وكل مالايملك لنفسه النفع والضرر ، وقد ''فسدت عقليته ، فلم تعد تسيغ البديهيات وتعقل الجليات ، وفسد نظام فكره ، فإذا النظرى عنده بديهى ، وبالعكس ، يستريب فى مواضع الجزم ، ويؤمن فى موضع الشك ، وفسد ذوقه فصار يستحلى المر ويستطيب الخبيث ، ويستمرىء الوخيم ، وبَطَل حسه ، فأصبح لا يبغض العدو الظالم ، ولايحب الصديق الناصح '' وأصبح مجتمعه '' الصورة المصغرة للعالم ، كل شيء فيه فى غير شكله أو فى غير محله ، قد أصبح فيه الذئب راعيا والخصم الجائر قاضيا ، وأصبح المجرم فيه سعيدا حظيا ، والصالح محروما شقيا ، لاأنكر فى هذا المجتمع من المعروف ، ولاأعرف من المنكر '' تتحكم فيه'' عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية ، وتسوقها إلى هُوَّة الهلاك'' [(٨٢)] .

أما المواهب والقدرات الإنسانية ، فكانت '' ضائعة أو زائغة لم يُنْتفع بها . ولم توجه التوجيه الصحيح ، فعادت وبالا على أصحابها وعلى الإنسانية ، فقد تحولت الشجاعة فتكاً تكون همجية ، والجود تبذيرا وإسرافا ، والأَنَفَةُ حمية جاهلية ، والذكاء شطارة وخديعة ، والعقل وسيلة لابتكار الجنايات ، والإبداع فى إرضاء الشهوات فكان أفراد البشر والهيئات البشرية كخامات لم تحظ بصانع حاذق ينتفع بها فى هيكل الحضارة ، وكألواح الخشب لم تسعد بنجار يركب منها سفينة تشق بحر الحياة » [(٨٣)] .

وبات العالم فى حاجة إلى فكرة ، ومنهج يقود المجتمع البشرى ، '' لينشىء فيه حالات وأوضاعا تطلق الأفراد من الانحرافات الداخلية على الفطرة، وتسمح للقوى الخيرة البانية فى الفطرة بالظهور والتجرر والتفوق ، وتزيل العوائق التى تحول بين الفطرة والانطلاق إلى الخير الذى فطرت عليه'' . [(٨٤)]

---

(٨٢) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٨٣) المرجع السابق ، ص ٩٠ ، وراجع : د.أحمد شلبي : المجتمع الإسلامى (مرجع سابق) ، ص ٢٧ .

(٨٤) سيد قطب : هذا الدين ـــ دار الشروق ـــ بيروت (د . ت) ، ص ٣١ .

خاتمة

وبعد .. يمكن الخروج مما سبق بالنتائج التالية :

١ — أن الفكرة مرتبطة بالثقافة والحضارة ، وهى تصدر أساسا عن فكرة دينية عقائدية ، وعنها تصدر الحضارة ، مهما كان مستوى الفكر الإنسانى ، وسواء كانت هذه الحضارة ناتجة عن نسق أو نظام فكرى أو بسيطة مستقاة من العقل والسلوك .

٢ — أن الأفكار فى العالم متعددة ، ولها أصولها — قبل الإسلام — وجذورها ، متأثرة تماما بالبيئة التي تنشأ فيها والتي تلقي ظلالها على الإنسان الذى يصوغ ويشكل هذه الفكرة . وهذه الأفكار مع تعددها وتباينها واختلافها يمكن أن تدرج تحت فئتين : الفكرة الغربية والفكرة الشرقية .

الفكرة الغربية :

أ — وهى تعود أساسا إلى الفكرة الإغريقية ، والتى تكونت وأثرت فيها عوامل مختلفة ، بحيث طبعتها بطابع مميز خاص .

ب — وتغلب عليها النزعة الفردية ، وقد أفسحت المجال لنمو الشخصية الفردية فى جميع مظاهرها ، عقلا وعاطفة وجسما ، وقد أفرطت فى اعتبار الإنسان وتأكيد دوره وعظمته حتى جعلته فى مصاف الآلهة ، بل هو الذى يخلق إلهه ، وهى صورة قوية من البشر ، يتنازعون ويلعبون ويشربون الخمر ، كما يفعل الإنسان تماما .

ج — وقد مجد اليونانيون العقل الإنساني ، فى مقابل الكون والقوة العليا ، وهو قادر على الوصول إلى الحقيقة ، ومن ثم كان الفيلسوف هو القادر على

الوصول إلى الحقيقة بفضل منطقه العقلى ، ووصلت الحياة العقلية عندهم ذروتها فى الفلسفة وبناء المنطق .

د ــ وهدفهم هو السعادة ، والحياة السعيدة على الأرض ، بناء على ماسبق ، وبالتالى تعلقت الفكرة بالأرض ، وأصبحت التربية هى الأداة التى توصل الإنسان المواطن الحر إلى غاية السعادة الأرضية .

هـ ــ وقد جاء الرومان فى أعقاب اليونان ، وكانت فكرتها ربيبة الفكرة اليونانية ، وإن اختلفت بعض الشيء ، فقد تميزت بتقديس الأسرة ، وبها استطاعت بناء دولة متماسكة ، وقدست سلطة الأب والملك والحاكم ، واستطاعت هذه الفكرة أن تبدع فى مجال التنظيم والإدارة ، ولكنها لم تختلف عن الفكرة اليونانية فى أن هذه الفكرة أيضا أرضية مادية نفعية ، والطبيعة خصم يجب منازلته والانتصار عليه ، والمشرع القانونى هو المُوَجِّه ، وفكره هو السليم ، ولاعبرة للسماء .

الفكرة الشرقية :

وهى أيضا نتاج إنسان تختلف تركيبته عن غيره ، سواء فى ظلال البيئة عليه ، أو فى تراثه العقلى ، ورغم كثرة التفاصيل فيها إلا أنها تتميز ــ عامة ــ بما يلى :

أ ــ اعتبار الأسرة ، الأساس فى البناء الفكري والاجتماعي ، ومنها استمد الحاكم والأب والدولة قدسيتها ، إذ هي حضارات عملاقة كبيرة ضخمة .

ب ــ الإيمان بالإله المطلق القوة ، وبنظام الحق الإلهى فى الحكم ، الإيمان بالخلود بعد الموت .

جـ ــ عدم الاعتماد على العقل اعتمادا مطلقا ، لأنها لاترفع الإنسان إلى درجة يصل فيها إلى مقام الآلهة ، أو التطاول عليهم ، أو تخلقهم على غرار نفسه ،

وبالتالى فهى لاتهتم بتعريف الإنسان ، بل تهتم أساسا بالعقل والسلوك . .

د ـــ اعتبار النبي فوق العقل والفلسفة ، ولذا لم تورث هذه الفكرة أنساقاً فلسفية ، بل حكمة . وإن اتصلت الفكرتان ببعضهما ، إلا أنه ظهر عجز هذه الفِكَر عن بناء الإنسان ، وتدهورت أحوال الإنسان ، وأحوال المجتمع والدولة ، بعد فساد اليهودية والمسيحيّة ، وكان لابد من ظهور فكرة جديدة .

* * *

الفصـــل الثانى

الفكرة الإسلامية

تمهيد .

أولا : معطيات الفكرة الإسلامية .

* في العقيدة * في الكون * في الانسان

ثانيا : حركة الفكرة الإسلامية .

* الفكر الإسلامى .
* عطاء الفكرة الإسلامية للقواعد الفكرية ومنهج البحث .
* استجابة الحركة العلمية للحاجات الاجتماعية .

تمهيد :

وصلت الأفكار الحضارية قبل ظهور الإسلام إلى طريق مسدود ، فقد عجزت الأطر الفكرية القائمة ، وفشلت النظريات الفلسفية فى تشكيل الإنسان وبنائه ، ووصلت البِنَي الاقتصادية والاجتماعية إلى درجة عالية من الفساد ، ووصلت الأفكار والأوضاع عند العرب إلى درجة من السوء ، وكان لابد من ظهور رد فعل ، يعيد قافلة البشرية إلى الطريق الصحيح .

وفى هذا الجو ظهر الإسلام كرد فعل ، وكدين ، وفكرة ومعطيات كاملة للحياة ، وعلى أساسه بني الإنسان المسلم الذى استطاع أن يبني الحضارة الإسلامية ، وكان ظهوره عربيا ، مجسدا للروح العربى ، فى أدق صوره ، ولم يظهر فى فراغ أو هبط على قوالب غريبة ومعدة ليملأها ، نعم كان إلهيا ، ولكنه فى نفس الوقت للبشر فى واقع جغرافى وفى معطيات بيئة معينة ، وحين أتى لم يأت لينسخ باطلا بباطل ، ويبدل عدوانا بعدوان ، ويحرم ويحلل حسب الأهواء وإنما جاء ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد ، ومن ضيق الحياة الدنيا إلى سعة الحياة الدنيا والحياة الأخري ، ومن جور إلى عدل ، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، محلا للطيبات محرما للخبائث .

خاطب الإسلام العرب ، وابتعثهم من مكمنهم الجغرافى ، ووضعهم فى طريق التاريخ ، وحولهم إلى مسلمين ، وغيرهم تغييرا شاملا حتى كأنه خلقهم خلقا جديدا ، ولكنه لم يلغ التكوين البشرى فى بيئته الجغرافية ، بل نقّاه وضبَطه ونَظَّمه ، ونقله من الوثنية إلى العوحيد ومن القبلية والشيئية إلى الانسانية ، وحقق بأفكاره التى جاءت فى القرآن وتَرْجَمَتْها السنة إعجازا هو ''استثارة الروح العربى ، ولمس خصائصه ، مما جعله يستجيب ويصغي إليه ، ثم تنمية هذا الروح ، ووضعه داخل إطار التاريخ ثم الانتقال به من المحلية إلى العالمية ، مع الحرص على خصائص المحلية الإيجابية ، وعدم التصادم معها ، لأنها

هى التى ستنهض برسالته العالمية ، وستمنحها شخصية مميزة لاتضيع بين التيارات'' [٨٥] .

وأمام هذا كان لابد لنا من دراسة الفكرة الإسلامية فى معطياتها التى حولت الإنسان ووضعته فى مجرى التاريخ ، ودراستها أيضا فى حركتها الفكرية وعطاءاتها المختلفة ، ثم فى مميزاتها التى يمكن الاستفادة منها فى بناء الإنسان المسلم الحديث ، دفعا لروحها . فى معركة الصراع الدائرة . ففى هذا توضيح وتلمّس للطريقة التى استطاعت بها الفكرة الإسلامية بناء الإنسان .

أولا : معطيات الفكرة الإسلامية :

تستمد الفكرة الإسلامية معطياتها من القرآن والسنة ، فهما المصدران الأساسيان لهذه المعطيات ، ونلمح منذ البداية تلك الوسطية التى هى سمة من أهم سمات هذه المعطيات ، حكمت مبادئها ، وتشريعاتها ، وهى تعني فيما تعني : ذلك الموضع بين الطرفين ، فلا هو مغال كالمسيحية ، ولامفرط كاليهودية ، ومن معانيها أيضا : الجمع بين الشيئين والإحاطة بالطرفين ، ففيه الدين والدنيا ، الروحية والمادية ، الفردية والجماعية ، والواقعية والمثالية ، والثبات والتغير ، فهو يجمع بين هذه جميعا ، ''ويفسح لكل طرف منها مجاله ، ويعطي حقه بالقسط'' أو '' بالقسطاس المستقيم'' بلا وكس ولاشطط ، ولاغلو ولاتقصير ، ولاطغيان ولا إجبار [٨٦] .

وهى وسطية واقعية إسلامية ، لامجرد مهارة كلامية ، فهى تنظيم للحياة ، وقيم لضبطها ، وهي '' لاتجمد الإنسان ومواقفه الواقعية فى نقطة هى مركز الدائرة ، أو هى الحد الأوسط فى قضية منطقية « فهى » العدل

---

(٨٥) د . عبد الحميد ابراهيم : الوسطية العربية (مرجع سابق) ، ص ١٤٥ .

(٨٦) د. يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام — طبعة أولى — مكتبة وهبة — القاهرة — ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ، ص ١١٩ .

والموازنة بين الشيئين [٨٧] وتضع الإنسان فى مقابل شيئين '' متقابلين أو متضادين ، بحيث لاينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل ، وبحيث لايأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ، ويطغى على مقابله ويَحِيفُ عليه [٨٨] '' فهى إذن العدل ، الذى '' يراعى الشيئين ويضبط بينهما ، وليس هو الذى يبحث عن حد ينبثق عن الشيئين ، ويكون له وجوده المقابل ، وهو بهذا المعني يعيد التكامل إلي الإنسان ، ولاينظر إليه بعين واحدة ، إنه لايلخصه فى مهارة ذهنية ، إنه الوسط الذى يعنى العدل [٨٩] '' .

والإسلام يعلن انتماءه للبيت العربى ، ويحدد الحكمة وسط التيار الكلى ، ويحدد الملامح الخاصة للتيار العربى داخل المحيط العام ، فهو لاينفي المسيحية ولااليهودية ، إلا أنه من ناحية أخرى ، جاء بحساب وميزان وتوازن دقيق ، معتمدا على العدل ، ومؤسسا على أن « كل حركة يجب أن تقابلها وتعادلها تناهضها » حركة ، وكل قوة يجب أن تقابلها وتعادلها قوة [٩٠] '' ولابد من وجود توازن وتعادل بينهما ، إذ أنه يعنى ، المحافظة على بقاء القوتين ، دون أن تتلاشى إحداهما فى الأخرى [٩١] '' .

فهو مراع لهذه الوسطية وَمُحَقِّق لها ، وهى العدل والاستقامة والخيرية ، والأمانة والقوة ، '' والسماء رفعها ووضع الميزان ، أن لاتطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان '' [٩٢] وهو المعني فى قوله تعالى '' اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين '' [٩٣] . فالصراط المستقيم هو الإسلام ، وقد تجلت هذه

(٨٧) د. عبد الحميد ابراهيم (مرجع سابق) ، ص ٨١ .
(٨٨) المرجع الأسبق ، ص ١١٩ .
(٨٩) د. عبد الحميد ابراهيم : (مرجع سابق) ، ص ٨٥ .
(٩٠) توفيق الحكيم : التعادلية ــ مكتبة الآداب ومطبعتها ــ القاهرة ــ ١٩٧٦ ، ص ١١٨ .
(٩١) المرجع السابق ، ص ١٢ .
(٩٢) الرحمن : ٧ : ٩ .
(٩٣) الفاتحة : ٦ ــ ٧ .

الوسطية فى الاسلام فى كل جانب من جوانبه ، نظرية وعملية ، تربوية وتشريعية ، إذ أن الإسلام '' وسط في الاعتقاد والتصور (.....) وسط فى التعبد والتنسك ، وسط فى الأخلاق والآداب ... وسط فى التشريع والنظام '' [٩٤] ويظهر هذا من دراسة معطياته .

فى العقيدة :

وقد عرض الإسلام لهذا الجانب كما يلى :

١ ـــ تصور الإله ليس مُجَسَّداً كما يصوره اليهود مجسدا ، وليس كما تصوره المسيحية حالاً فى البشر ، ولكنه وسط بين المجسمين الذين لايؤمنون إلا بالخوف والرهبة وبين الحلوليين الذين لايؤمنون إلا بالاتحاد بين الإنسان والله [٩٥] ، هذا فى طرف ، وفى الطرف المقابل '' الخرافيين الذين يسرفون فى الاعتقاد ، فيصدقون بكل شىء ، ويؤمنون بغير برهان ... وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس ولا يستمعون لصوت الفطرة ، ولا نداء العقل ، ولا صراخ المعجزة '' [٩٦]

٢ ـــ أعلن الإسلام أن الله واحد لاشريك له [٩٧] ، وكان إعلان التوحيد قاعدة أساسية لتوجيه الحياة كلها ، ومن ثم كان تأكيده لها « كتوكيده لوجود الله، بل هو أشد وألزم فى عقيدة الإسلام ، لأن الإيمان بالله الأوحد ألزم من الإيمان بالعقيدة الإلهية على إطلاقها ، إذ كان الإيمان بغير إله واحد مفسدا لفهم الكون ، ومفسدا لفهم الضمير ، ومفسدا لفهم الواجبات الأدبية والفرائض الدينية ، ومفسدا لعلم الإنسان بحقيقة الإنسان [٩٨] »ومن ثم كانت هذه الفكرة تصحيحا لأفكار كثيرة متضاربة عن

---

(٩٤) د. يوسف القرضاوي (مرجع سابق) ، ص ١٢٧ .

(٩٥) د. عبد الحميد ابراهيم (مرجع سابق) ، ص ٣٢٠ .

(٩٦) المرجع الأسبق ، ص ١٢٧ .

(٩٧) الاخلاص .

(٩٨) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية ـــ المجلد السابع من مؤلفات الأستاذ العقاد ـــ دار الكتاب

الذات الإلّهية ، ولذا كان علىَ الإسلام '' أن يجرد الفكرة من أخلاط شتى من بقايا العبادات الأولى ، وزيادات المتنازعين على تأويل الديانات الكتابية'' [99] وبالتالى فقد سما بتصور الذات الإلّهية بصورة'' لم تسم بها عقيدة قبل ذلك ، وبصورة أقصى مما يتصوره العقل البشرى من الكمال'' [100] .

وفى سبيل إرساء هذه القاعدة أوضح الإسلام أن الله كامل مريد ، تصدر عن إرادته جميع المخلوقات ، وهو خالق القوانين والأسباب والحياة كلها ، وتصفه آيات القرآن بصفات وأسماء'' تمثل ذاته وقدرته وكل ما يليق به'' [101] كما أكدت الأحاديث النبوية هذا [102] ، إذ هى تتساق مع القرآن وتنسجم معه فى الدعوة إلى التوحيد ، توحيد الله الباريء المصور الواهب المعطي ، وتجعل التوحيد أساس السلوك فى الإسلام .

وقد أصبحت هذه القاعدة الأساس الذي تصدر عنه حركة الإنسان والمجتمع ، وعنها '' ينشأ الاتجاه إلى الله وحده ، بالعبودية والعبادة ، فلا يكون الإنسان إلا عبداً لله ، ولا يتجه بالعبادة إلا طاعة لله ، ولا يلتزم بطاعة إلا طاعة الله ، وما يأمره به من الطاعات'' [103] ، فإذا أعلن الإنسان المسلم التزامه

= اللبنانى ــ بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ١١٥ .

(٩٩) عباس محمود العقاد : الله ــ مطابع الأهرام التجارية ــ القاهرة ــ ١٩٧٢ ، ص ١٣٣ .

(١٠٠) حامد عوض الله : الألوهية وفكر العصر ــ أهناك إلّه ــ رقم (١) من سلسلة الدراسات العلمية ــ المركز الثقافى الجامعي ــ القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٤١ .

(١٠١) الامام الأكبر محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ــ ط ٩ ــ دار الشروق ــ بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ص ٢٥ ، وانظر : الشورى : ١١ ، الحشر : ٢٢ ، الحديد : ٣ .

(١٠٢) راجع : الامام البخاري : صحيح البخارى ــ كتاب الشعب ــ دار الشعب ــ ١٣٨٨هـ ج ٩ ، ص ٢ . الامام المنذري : الترغيب والترهيب ــ إدارة الطباعة المنيرية ــ القاهرة ــ (د.ت ١٩٧٩م) ، ص ٢٣٨ .

(١٠٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ــ ط ٢ ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م ، مجلد ، ص٢٧٦ .

بهذه العقيدة ، كان لابد أن يكون الإخلاص مكملا لها ، والإخلاص هو التزام منهج الله ، الذي حدده ووضحه فى القرآن ، وشرحته وافية السنة المطهرة ، بمعنى التزام ماحلل وماحرم .

٣ ـــ والصفات التى حددها القرآن تحدد موقف الله " أمام مخلوقاته مجتمعة ، وأمام كل مخلوق منها على حدة ، كما تحدد موقفه من الكون ، والحياة والأحياء ، وموقفه من المؤمنين به ، ومن العصاة له ، وتحدد موقفه من بدء الخلق : وموقفه من نهايته" وهى صفات فيها تعميم وتخصيص ، وتنوع ومرونة ، تناسب كل حال ، وتستجيب لكل متغير ، " فهو ليس عفوا غفورا على طول الخط ، ولكنه منتقم جبار أيضا ، وهو عفو غفور للتائبين إليه ، والمستغفرين له ، وهو منتقم جبار بالنسبة للمكابرين المعاندين الذين لايتعظون ولايريدون أن يتعظوا ، وبنفس المنطق نراه سبحانه الأول ، ونراه الآخر ، أيضا ، كما نراه المحيي ، ونراه المميت ، ونراه القابض ، ونراه الباسط ... وهكذا" (١٠٤) .

وعلاقة الله بالخلق علاقة متنوعة ، فهى إيجاد وخلق(١٠٥) وهى عناية ورحمة(١٠٦) ، وخلقه للكون والحياة والأحياء ليس عبثا ، بل لتمكين الإنسان من تأدية مهمته فى الحياة واستغلال طاقاته كافة ، ومن هنا تتجلى كافة الأسماء والصفات .

ومن عنايته تعالى بخلقه ورحمته بالإنسان ، أرسل الرسل والأنبياء ، إذ لاسبيل إلى النجاح والسعادة والفلاح فى الدنيا والآخره إلا على أيدى الرسل ، ولاسبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولاينال رضا

---

(١٠٤) د. عبد الغني عبود : الله والانسان المعاصر ، (مرجع سابق) ، ص ١٢٢ .

(١٠٥) أنظر : يس : ٨٢ .

(١٠٦) أنظر فاطر : ٤١ ، النمل : ٧٩ ، العنكبوت : ٦٠ ، الروم : ٥٠ ، القصص : ٧٣ ، الأنعام : ١٢ .

الله إلا على أيديهم " فالطيب من الأعمال والأقوال ليس إلا هديهم وما جاءوا به ، فهو الميزان الراجح الذى على أقوالهم وأعمالهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال" (١٠٧) .

٤ ــ ولذا كان الإيمان بالرسل مكملا للإيمان بالله تعالى ، ذلك أنهم المُبَلِّغُون عن الله ، والإيمان بهم وبعصمتهم إيمان بما جاءوا به من عند الله ، والإسلام يقرر أن دعوتهم واحدة ، إذ أنهم جميعا دعوا إلى الله وتوحيده والإسلام " إن الدين عند الله الإسلام" (١٠٨) ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله" أنا أوْلَى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة ، ليس بينى وبينه نبى ، والأنبياء إخوة أبناء علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد " (١٠٩) . ويقول " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدُ الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ماكان من عمل" (١١٠)

والرسل مع عصمتهم ، ووحى الله تعالى لهم بشر ، يأكلون ويشربون ويتمتعون ، تنطبق عليهم قوانين البشرية ، وخطاب كل نبى لقومه بلغتهم ، ومن ثم كان خطاب الإسلام للناس بلغة يفهمونها ، ولاينكر طبيعتهم البشرية ، ويتمثل ذلك فى محمد صلى الله عليه وسلم ، " الذى كان فى مظهر الكمال ، الجامع لتلك القوة والعدل ، والشدة فى الله ، وهذا اللين والرأفة والرحمة ، وشريعته أكمل الشرائع ، ولذلك تأتى شريعته بالعدل إيجابا له وفرضا ، وبالفضل ندبا له واستحبابا ، والشدة فى موضع الشدة ، وباللين فى موضع

(١٠٧) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد فى هدي خير العباد ــ ط ١ ــ المطبعة المصرية ، ١٣٤٧هـ ــ ١٩٢٨م ، ج ١ ، ص ١٥ .

(١٠٨) آل عمران : ١٩ ، وانظر : الشورى : ١٣ ، والبقرة : ٢٨٥ ، وآل عمران : ٤ .

(١٠٩) ابن الديبع الشيبانى (عبد الرحمن بن على) : تيسير الوصول الى جامع الأصول من حديث الرسول ــ البابى الحلبى ــ القاهرة .(د .ت) ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ .

(١١٠) الامام المنذري : الترغيب والترهيب (مرجع سابق) ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

اللين ، ووضع السيف فى موضعه ، ووضع الندى موضعه ، فيذكر الظلم ويحرمه ، والعدل ويوجبه ، والفضل ويندب إليه فى بعض آية [111] ''.

والإسلام بهذا يعرض للرسول فى وسطية بين إنكار للنبوة ، وبين تأليه النبى ، وبين الشدة واللين فيها ، فالإسلام كان فى هذا وسطيا ، فمحمد صلى الله عليه وسلم ، كان يأكل ويشرب ويتزوج ، ويُوحَى إليه ، ورحيم وعطوف وشديد وقوى كل فى موضعه .

٥ ـــ وفى المعرفة بالله ، يواسط بين المعرفة الإلهامية والوحى وبين المعرفة العقلية ، إذ هو يؤمن بدور العقل فى الوصول إلى الله ، وفى نفس الوقت يعتبر الوحيَ مكملا وطريقا من طرق المعرفة به أيضا ، ويعطى الغيبيات حقها ، إذ هو يعطي الإنسان منها أقصى ما يستطيع إدراكه على استيعابه والتفكر فيه ، ويحجب عنه ما دون ذلك ، وهو يزوده بالحقائق اليقينية عنها عن طريق الوحي ، سواء فيما يتعلق بالجنة والنار ، وحقيقة الملائكة والجن ، وحقيقة الروح والعرش والكرسى وغيرها ثم ينهاه عن الخوض فيما لم ينص عليه وحي ، واعتماد الوحى هنا'' لمصلحة العقل ذاته ، لأنه لايستطيع أن يخوض غمار البحث فى هذا المجال دون أن يضل ويحار [112] '' وبهذا يعتبر الإسلام '' دفعا للعمل إلى تركيز نشاطه فى النشاط الأفيد له [113] ''.

والنصوص الإسلامية تستعرض الكثير من المشكلات الغيبية وتبين '' عدم جدوَى البحث فى هذه المشكلات ، وأن الأولى بالتفكير هو مشكلات العمل والواقع [114] '' وبهذا وقف الإسلام من الغيبيات موقفا وسطا ، إذ أنه

(١١١) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين ـــ (تحقيق محمد رشيد رضا) ـــ مطبعة المنار ـــ القاهرة ـــ ١٣٣١هـ ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

(١١٢) عبد المعطى محمد بيومي : تجديد الفكر الإسلامي فى العصر الحديث ـــ رسالة دكتوراه غير منشورة ـــ كلية أصول الدين ـــ الأزهر ـــ القاهرة ـــ (د . ت) ، ص ١٠٩ .

(١١٣) المرجع السابق ، ص ١١١ .

(١١٤) د. سعيد اسماعيل علي : ''مصادر التربية الإسلامية''ـــ الكتاب السوي فى التربية وعلم النفس -

لم يكن غيبيا " إلا فيما لايمكن أن يصل العقل إلى إدراكه ، كذات الله ، والروح مثلا[115] " وهو حين لم يترك هذه الأمور للعقل يضل ويغوى ، فإنه يضع الإنسان فى مقام العبودية الكاملة لله . معترفا له بالملك والسلطان ، ولنفسه بالعبودية والطاعة ، متنازلا عن الأهواء والأنانية .

٦ ــ والإسلام يوضح العلاقة بين الإنسان والله ، فالله "فوق العرش والسماء ، كما لاتزيده بعدا عن الأرض والثرى ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء ، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثّرى ؛ وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كلّ شهيد ، إذ لايماثل قربه قرب الأجسام ، كما لاتماثل ذاته ذات الأجسام ، وأنه لايحل فى شيء ، ولايحل فيه شيء ، تعالى عن أن يحويه مكان ، كما تقدس أن يَحُدَّه زمان .. وأنه بائن عن خلقه بصفاته ، ليس فى ذاته سواه ، ولاسواه فى ذاته ، وأنه مُقَدَّس عن التغير والانتقال ، لاتحله الحوادث ولاتعتريه العوارض ، بل لايزال فى نعوت جلاله مُنَزَّهاً عن الزوال ، وفى صفات كماله مستغنيا زيادة الاستكمال ، وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالأبصار ، نعمة منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار[116] " فالله قريب بعيد ، ليس حالاً فى أحد من خلقه . فيألفه ، ولابعيدا عن الإنسان فيحل اليأس فيه ويصبح عبثيا ، بل الإنسان فى حركة دائمة مع الله ، فالمسلم الصادق "فى حالة من الخوف والرجاء ، أي حالة تجمع بينهما متجاورين ، فهو ليس فى خوف فقط فيوئسه ، وليس فى رجاء فقط فَيُبْطِرُه ، بل هو في حركة بينهما لايركن لإحداهما على حساب

= بأقلام نخبة من أساتذه التربية وعلم النفس ــ عالم الكتب ــ القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ١٧٧ . وراجع أمثلة لذلك فى : الاسراء : ٨٥ ، النازعات : ٤٢ : ٤٥ ، والامام النووى (محى الدين ابو بكر شرف) : الأحاديث القدسية ــ تحقيق وتعليق مصطفى عاشور ــ ط ١ ــ مكتبة الاعتصام ، ١٣٩٧ ــ ١٩٧٨ ، جـ ٣ ، ص ٢١

(١١٥) عبد الكريم غلاب : الفكر الإسلامي بين الاستلاب وتأكيد الذات ــ الدار العربية للكتاب ــ ليبيا ــ تونس ــ ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م ، ص ٢١٤ .

(١١٦) الامام أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ــ دار الشعب ــ القاهرة ــ (د . ت) ، ج ١ ص ١٥٥

الأخرى [١١٧] '' وهذه الحركة ''تنتج فى النهاية نتاجا جديدا . حقا هى حركة صعبة ، لأنها فوق صراط أدق من الشعرة ، ولكنها محوطة بعناية الله ، الذى يؤلف بين الثلج والنار ، فيضفي عليها جوا'' مفهوما« .يخلصها من العبثية ويوجهها نحو هدف » وتجعل صلة الإنسان بالله متراوحة بين « الشدوالجذب، والأخذ والرد ، وتجعل المرء فى حالة من التوتر الصحي ، فهو ليس بعيدا عن الله بعدا يوئسه ، ويجعله يعيش فى كون معادٍ خال من الروح القدس ، وفى الوقت نفسه ليس قريبا قرب اتحاد أو حلول ينسيه الفارق بين العالمين ، وينتهى إلى سديمية فارغة ، بل هو قريب بعيد ، فى حالة تجمع بين الخشية والرجاء ، وتعمر القلب بالحركة المتواصلة والمتراوحة بين الإنسان والمطلق ـــ... »[١١٨] وهذه الحركة ليست انزعاجا أو تمردا أو قلقا مَرَضِيًّا ، إذ هى تدور تحت رعاية الله وعنايته وفى جو من التوكل والرضا والاعتماد على الله .

وقد ألقى هذا ظلاله ووضح أثره فى الحركة الإسلامية ، والفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي ، الذى لم يركن قط إلى الحس أو العقل فقط أو الروح فقط ، بل تقلب بينَ هذا وذاك ، ووقف موقف التضرع والخشية ، والرغبة والرهبة والخوف والرجاء ، وكان له أثره فى ''رفع مستوى الإنسان وتحرير الجماهير من طغيان الملوك والأشراف والأقوياء ورجال الدين ، وتصحيح العلاقة بين الحاكمين والمحكومين ، وتوجيه الأنظار إلى الله وحده وهو خالق الخلق ورب العالمين '' [١١٩] . وبهذا كانت الوحدة فى الرسالة ، والتشريع ، والهدف والكيان ، من صنع هذه العقيدة الوسطية التي امتاز بها الإسلام .

---

(١١٧) د. عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ٣٢ .

(١١٨) المرجع السابق ، ص ١٥ ـــ ١٦ .

(١١٩) د. مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ـــ ط ٢ ـــ المكتب الإسلامي ـــ دمشق ـــ بيروت ١٣٩٧هـ ـــ ١٩٧٧م ، ص ٤٥ .

فى الكون :

أتى الإسلام بنظرة محددة للكون ، فيها علاقات الإنسان بالأشياء ، بعد أن كون لديه العقيدة الواضحة ، فهيأه للإبداع والتركيب ، والإنتاج العقلي والفكري ، إذ جعل النظرة الحضارية منبثقة أساسا من العالم الواقعى الذى يعيشه الإنسان ، وليس من الخرافات ، والغيبيات الكهنوتية[(١٢٠)] .

وجمع الإسلام بين ماظاهره التناقض فى وسطية فريدة ، فالكون ''وحدة مركبة من الظاهر المعلوم والغيب المجهول'' [(١٢١)] ليست مادته المحسوسة مسيطرة على الإطلاق ، ولا الغيب المعنوي مسيطرا على الإطلاق ، وإنما هو يجمع بين المادة والغيب ، والعمل الخلاق المبدع هو المحك للاستفادة من قوى الكون جميعا . ويتجلى هذا من قوله تعالى : ''قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ولاأعلم الغيب ولاأقول إنّى مَلَكٌ ، إنْ أتّبعُ إلا مايُوحَى إلّى ، قل هل يستوي الأعمى والبصير ، أفلا تتفكرون'' [(١٢٢)] . والمعنى أنى لاأدعى ''ملك خزائن الله ، وهى قسمة بين الخلق'' ولا '' علم الغيب وإنى من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله تعالى وأفضله ، وأقربه منزلة منه ، إنى لم أدّع إلّهية ولا مَلَكِيَّةً لأنه ليس بعد الإلّهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة'' [(١٢٣)] ، وإنما أسلك المنهج الموحى إلّى به من عند الله ، وفى هذا توجيه للإنسان أن يتوجه للكون ومعه تصوره كالآتى :

---

(١٢٠) د. يوسف نور عوض : المقومات الإسلامية للثقافة العربية ــ دار القلم ــ بيروت ــ (د . ت) ، ص ٣١ .

(١٢١) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام ــ دار الشروق ــ بيروت ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م ، ص ٢٦ .

(١٢٢) الأنعام : ٥٠ .

(١٢٣) الامام الزمخشرى (محمود بن عمر) : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ــ ط ١ ــ المكتبة التجارية ــ القاهرة ــ ١٣٥٤هـ ــ ج ٢ ــ ، ص ١٥ .

١ ــ أن الله هو خالق الكون ، وقواه ومحتوياته ، وقد وردت الآيات المتصلة بالكون ، لتوجيه الإنسان إلى التفكر والتدبر الذى يصل به ''إلى مرتبة رفيعة من الإيمان عن طريق تلمس الغاية من الأشياء داخل إطار الكون المادي أو حدوده الطبيعية'' (١٢٤) .

٢ ــ أنَّ الكون مُهَيّأً وصالح ، وقد ''مهد تمهيداً للدور البشري على أرضيته'' (١٢٥) فهو ــ إذن ــ مساعد ''لوجود الإنسان أرقَي نماذج الحياة بصفة خاصة ، فليس الكون عَدُوّا للحياة ، وليست الطبيعة خصما للإنسان يصارعه ويغالبه'' (١٢٦) بل هى صديق ، ولكن ما طبعها الله عليه من غموض إنما كان لحكمة ، هى استثارة العقل الإنساني للكشف وإعادة التركيب ، فإذا ما وصل إلى شيء ، لايجد بين ما وصل إليه وما جاء به الإسلام أى تناقض ، لأن كل هذا يتم فى إطار العبودية والاعتماد على الله والتوكل عليه .

٣ ــ والكون واحد تتعدد أبعاده ، ويتسع ويتغير ، وبقدر ما يتم لعلمنا اكتشافه والإحاطة به ، فإن الإيمان الحقيقى يأتى على ''غرار ما للكون ومالله من مثال لامتناه'' (١٢٧) ومعنى هذا أن الإنسان يجب أن يمشى ويتحرك ، ويجد ويكد مستخدما كافة إمكانياته من أجل أن يوفقه الله وتعطيه الطبيعة والكون مايريد ، وأن يكتشف أسرار الكون التى شاء الله له أن يكتشفها ، وأن يبدع ويبتكر أبعاد الكون مادام يقدر ، وهو قادر إن شاء الله .

---

(١٢٤) د. محمد جمال الدين الفندي : الله والكون ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ١٩٧٦ ، ص ٢٢ .

(١٢٥) د. عماد الدين خليل : التفسير الإسلامي للتاريخ ــ ط ١ ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ج ١٩٧٥ ، ص ١٩٢ .

(١٢٦) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام (مرجع سابق) ، ص ٢٣ .

(١٢٧) د. أحمد عودة : الإسلام فى مفترق الطرق ــ (ترجمة ــ د. عثمان أمين) ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٩٧٥ ، ص ٦٠ .

ولذا كان توجيه الإسلام للإنسان إلى القراءة ، لكى يملك أدوات العلم والمعرفة فى سبيل دراسة الكون وتأمله والوصول إلى الإيمان الكامل عن هذا الطريق .

٤ ـــ والإسلام يقرر أن الكون يتكون من أرض وسماء ، وما فيهما ، ومن قوى أخرى ، كالجن والملائكة ، وبالرغم من دعوته لدراسة الكون والانخراط فيه ، استيعابا ، إلا أنه يدعو الإنسان للانفصال عنه ، ولايذوب فيه ، فالكون والطبيعة ليسا مقصودين لذاتهما ، فالطبيعة ''متغيرة متقلبة ، وحق المسلم أن يتجاوزها ليبحث عن جوهر ثابت لايتغير ، ومنفصل عنها ، وهذا الجوهر فوق الكوكب والقمر والشمس ، إنه أكبر من كل شىء ، وإذا اكتشف فيها المسلم لغة فهى لغة التسبيح لله '' (١٢٨) .

وعلى هذا الأساس يطرح الإسلام صورا فذة عن ''ضرورة التناغم الكامل بين الإنسان والطبيعة ، وما وراءهما ، ذلك التوازن الواقع بين تسخير القوى المادية (وتصنيعها) وبين عبادة الله سبحانه ذلك التقابل المبدع بين النزعتين الجمالية والعملية ، وهذه المعادلة الواضحة بين جبروت الإنسان وقدرته الفعالة ، وبين نسبيته وضعفه وحاجته الدائمة إلى الله ، وهذا التأكيد المستمر على حماية الفاعلية البشرية من الجنوح والانحراف بعيدا عن المتطلبات المادية والطبيعية '' (١٢٩) .

وهنا تأتى أهمية دراسة القرآن ، باعتباره موجها حضاريا شاملا ، وهو كون مقروء ، ولذا كان التوجيه إلى العلم ، والذى به اعتبر الإسلام ''من الديانات النادرة التى كان طلب العلم فيها فرضا دينيا ، لايكون المسلم مسلما

---

(١٢٨) د. عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ١٣٣ .

(١٢٩) د. عماد الدين خليل : التفسير الإسلامي (مرجع سابق) ، ص ٢٦٨ ، وانظر : سبأ : ١٠ ـــ ١٣ ، ص : ١٧ ـــ ٢٠ .

إلا بتنفيذه ، لأن معرفة الدين تحتاج إلى توسع كبير فى طلب العلم ،، [١٣٠] .

والإسلام يهدف من هذا إلى :

ـــ تحقيق التوازن عن طريق الالتزام الكامل والمسئول بالموقع الصحيح بين الله والإنسان ، الذى لايتم إلا عن طريق الإيمان بالله ، والتزام العبودية له ، وبموقع الإنسان فى الكون ، وبموقفه تجاه الأشياء ، ذلك الموقف المليء بالحركة والسكينة والرضا .

ـــ تحقيق التوازن فى السباق الحضاري ، بحيث لاينقلب إلى طغيان وإفساد ، لايتم ذلك إلا بالتسابق فى الخيرات ، وهنا يأخذ السباق والصراع والدفع معنى إيجابيا عميقا ، بالإيمان والحركة الخَيِّرة ، والتوكل الحقيقى على الله والاعتماد عليه .كل ذلك فى سبيل تحقيق رسالة الإنسان فى الأرض ، بحيث يصبح الإنسان فى قلب الكون إنسانا ، ويصبح المعنى الحقيقى للتوحيد ، معنىً إبداعياً فى بناء الشخصية المسلمة القادرة على ''تغيير السلوك وتتحرر من الأسر المادى لتطور العمران ، وتعقيد المادة ، وتنوع المعطيات الاقتصادية والاجتماعية ،، [١٣١] ومن ثم تقوم على الأسس الموضوعية لواقع المجتمعات وإمكانيات التطوير فيه ، مع إعمال للقدرات البشرية ، والمهارات الإنسانية ، في أن تستثمر الواقع وتثريه بالنضج والحيوية والأمل ،، [١٣٢]

● فى الانســان :

أتى الإسلام بقواعد ومنطلقات ، أرست دعائم النظرة للإنسان ، كما يلى :

(١٣٠) د. عون الشريف قاسم : الإسلام والثورة الحضارية ـــ دار القلم ـــ بيروت ـــ ١٤٠٠هـ ـــ ١٩٨٠م ، ص ٥٨ .

(١٣١) صابر طعيمة : تحديات أمام العروبة والإسلام ـــ دار الجيل ـــ بيروت ـــ ١٩٧٦ ، ص ٤٩ .

(١٣٢) المرجع السابق : ، ص ٥٠ .

١ ــ نظر الإسلام للإنسان على أساس خلافته فى الأرض . ''وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ فى الأرض خليفة '' (١٣٣) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أنه المخلوق الوحيد ''الذى قُدِّر له أن يصنع تاريخه بإرادته واختياره سلبا وإيجابا ''(١٣٤) وهو يملك مقومات الاستخلاف وبفضلها تكون له الكلمة الأخيرة .فمكان الانسان أشرف مكان ''بالرغم من أخطائه جميعا '' إذ أنه أريد له ''أن يكون خليفة الله في أرضه '' (١٣٥) ''ثم اجتباه فتاب عليه وهدى '' (١٣٦) .

٢ ــ وقد وهبه الله من الأسرار والاستعدادات للقيام بمهام الاستخلاف ، ولذا نراه مخلوقا ذا طبيعة مزدوجة معنوية ومادية ، وهما فى الإسلام ملاك الذات الإنسانية تتم بهما الحياة .

ويعود الاهتمام بالجانب المادي إلى أن شخصية الإنسان تقوم عليه ، ومن هنا تأتى علاقة الإنسان بالأشياء المادية ، وحاجاته ، ويأتى حبها وحب إشباعها مشروعا إذ أنها فى جبلته مفطور عليها ''فإذا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فيه من رُوحِي فَقَعُوا له سَاجِدين '' (١٣٧) وهو بطبيعته المادية قادر على السَّعى فى الأرض وتعميرها وتحسينها واكتشاف أروع مافيها من كنوز ونعم ، وتسخير قواها المتنوعة بإذن الله ، لمنفعته والنهوض بمهمته ، فالجسم المادى ليس شرا فى الإنسان ؛ لأنه لو كانَ مَلَكاً روحيا خالصا ماوجدت لديه الدوافع التى تحفزه على استخدام المادة والسير فى مناكب الأرض والكشف عن مكنونها (١٣٨) .

---

(١٣٣) البقرة : ٣٠ وانظر الأنعام : ١٦٥ .

(١٣٤) د. عماد الدين خليل : التفسير الإسلامي (مرجع سابق) ص ١٥٣ .وانظر الاسراء : ٧٠ ، والتين:٤-٥.

(١٣٥) محمد إقبال : تجديد التفكير الديني فى الإسلام ــ ترجمة عباس محمود ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ، (د . ت) ، ص ١٠٩ .

(١٣٦) طه : ٢٢ .

(١٣٧) الحجر : ٢٩ وانظر البقرة : ٢٤٧ .

(١٣٨) د. يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام (مرجع سابق) ، ص١٣٥ .

فالجسد الإنسانى مُعْطًي مستمر ينفتح وينكشف ''على الحياة البيولوجية ، بيد أنه ليس نباتا ولاحيوانا صرفا ، فالجسد موجود بتجاوز الوجود الخام ، فالكائن البشرى مدفوع لأن يتنفس لأن له طبيعة فيزيولوجية '' (١٣٩) . وقد أولَى الإسلام الاهتمام البالغ بالجسد .ووجَّه إلى العناية به .

وبقدر اهتمام الإسلام بالجسد ، فقد اهتم بالجانب المعنوي بطريقة متوازنة ، فلم يطغ الجانب المادي على الجانب المعنوي ، بل أعطى لكل حقه ، بلا تفاضل ، بل فى تكامل وتوازن ، فكما كان الجسد منفتحا على الحاجات المادية البيولوجية ، كذلك كان القلب والعقل والروح والنفس كجانب معنوي له أثره مفتوحا على الحاجات المعنوية ، فكان القلب هو ''الملك المستعمل لجميع آلات البدن (...) وهو معدن العقل والعلم والحلم والشجاعة ، والكرم والضبر والاحتمال والحب والإرادة والغضب ، وسائر صفات الكمال '' (١٤٠) وله صلة بالجسد ، ''ألا وإنَّ فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله '' (١٤١) .

أما العقل فقد أولاه الإسلام عناية ، من حيث هو '' اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان '' (١٤٢) وبها قوة التأمل والمراجعة والتذكر والترجيح

---

(١٣٩) د. محمد عزيز الحبابي : الشخصانية الإسلامية ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٦٩ ، ص ٣٥ .

(١٤٠) ابن قيم الجوزية : مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة ــ صححه محمود حسن ربيع ــ ط ٣ ــ الاسكندرية ١٣٩٩/١٩٧٩ ، ص ٢١١ .

وراجع : الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ، ج ٢ ، ص ١٣٤٤ ، وانظر البقرة : ٧ ، الأنعام : ٤٦ .

(١٤١) ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل العسقلانى) : فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ــ البابى الحلبى ــ القاهرة ــ ١٩٥٩ ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

(١٤٢) الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ، ج ٢ ، ص ١٣٤٥ .

والحكم بين الأشياء[١٤٣] . وقد أولاه هذه العناية لما له من دور فى حياة الإنسان ، وقد انفعل الفكر الإسلامي بهذا كما نلاحظه لدى كافة المفكرين[١٤٤] .

وكان الاهتمام بالروح والنفس ، ووردت آيات كثيرة فى هذا المجال ، وورد الحديث الشريف مؤكدا ، وهكذا فإن الإسلام جاء بفكرة وسط عن الإنسان ، بين المادي والمعنوي ، فهو يواسط ويوازن بين مكونات الذات الإنسانية ، لايغلب قوة على قوة ، ولامكونا على مكون ، ولالجانب على جانب ، بل الإنسان هو التكامل بين هذه القُوَي جميعا ، وتصوره هكذا لايعطى ولايوحى بثنائية ما ولايشير إلى تعدد ، إذ أنه ليس هناك انفصال ولاتجزئة فى الإنسان ، بل هو شيء واحد يكونه التفاعل بين هذه القوى جميعا ، وليس هناك اصطدام بينها ، ولا بين المصالح المادية والحاجات الروحية .

٣ ــ ونظر الإسلام إلى الإنسان فى جانبه الأخلاقى على أنه كائن لديه الاستعداد للخير والشر ، فالإسلام ينظر للإنسان على أنه ذو طبيعة محايدة ، وهذا يعنى أنه يكتسب جانب الخير والشر بالتطبيع لا بالطبع ، وقد أوضح القرآن هذا "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْن "[١٤٥] ، " فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا "[١٤٦] . ويعبر الحديث عن ذلك بقوله "كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " [١٤٧] فهو كائن محايد ، لديه الاستعداد لسلوك السبيلين إما الشكر ، وإما الكفر ، فيه استعداد للفجور والتقوى .

---

(١٤٣) د. محمد البهي : الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر ــ مشكلات الحكم والتوجيه ــ ط ٢ ــ دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ــ ١٩٧٥ ، ص ٣٣٩ .

(١٤٤) راجع على سبيل المثال : الماوردي (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى) : أدب الدنيا والدين ــ دار الكتب العربية ــ القاهرة ــ ١٣٢٧ ، ص ٣ .

(١٤٥) البلد : ١٠ .

(١٤٦) الشمس : ٨ .

(١٤٧) ابن الديبع الشيبانى : (مرجع سابق) ، ج ١ ص ٢٣ .

وقد انفعل الفكر الإسلامي ، فالامام الغزالى — مثلا — يقول :
''الصبى أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نفس وصورة ، وهو قابل لكل مانقش ، ومائل إلى كل مايمال إليه ، فإن عُوِّد الخير وعلِّمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة ، وإن عُوِّدَ الشر وأهمل إهمال البهائم شَقِىَ وَهَلكَ '' [١٤٨] ومن ثم يوجه الإسلام الإنسان '' إلى الخير ، وحتى يستكمل السيطرة على نفسه بحيث لاتتحرك شهوته إلى مخالفة ربه ''[١٤٩] .ويكون ذلك بالتزام الطريق المستقيم ، الذى قرر البعض بأنه الإسلام ، والبعض بأنه القرآن ، والبعض بأنه السنة والجماعة ، والبعض بأنه طريق العبودية ، وهى كلها ''صفات متلازمة لامباينة ''[١٥٠] .

والتزام هذا الصراط يؤدى بالإنسان إلى التزام طريق الخير والعمل به ، فتتحقق سعادته فى الدنيا والآخرة ، إذ الإسلام يستهدف الحياة الدنيا والآخرة معا .

٤ — أما أفعال الإنسان ، فإن الإسلام يقر إرادة الإنسان ، مع إرادة الله المطلقة فى توازن دقيق ، ولكن الحرية المطلقة لدى الإنسان لاوجود لها ، كما أن حُريته لايمكن أن تلغى ، لأن فى إطلاقها تحويل الإله إلى مجرد فكرة ساكنة عاجزة ، وفى إلغائها ، إلغاء لاهتمامات الإنسان ، إذن فليس الإنسان مُجبَراً على طول الخط ، ولاحُراً على طول الخط ، وإنما

---

(١٤٨) الغزالى : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ، ج١ ، ص ٧٢ .وراجع ماقاله ابن خلدون : المقدمة (مرجع سابق) ص ١١٦ . وابن مسكويه : تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق — حققه وشرح غريبه ابن الخطيب — ط ١ — المطبعة المصرية — (د . ت) ، ص ٦٧ .

(١٥٠) الشيخ محمد متولى الشعراوى : الله والكون — ط ١ — دار المسلم المعاصر — ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م ، ص ٣٦ .

(١٤٩) ابن تيمية : تفسير سورة النور — (تحقيق صلاح عزام) — دار الشعب — القاهرة — ١٩٧٢ ، ص ١٣٥ .

تجمع أفعاله بين إرادة حرة ، وجبر فى توازن ، فلا إلغاء لوجود الإنسان ، ولا إيقاف لقدرة الله [١٥١] .

ويعبر الغزالى عن ذلك بقوله " ففعل النار الإحراق مثلا جَبْر مَحضٌ ، وفعل الله اختيار محض ، وفعل الإنسان على منزلة بين المنزلتين ، فإنه جبر على الاختيار "وسمى هذا بالكسب ، وهو ليس مناقضا للجبر والاختيار ، بل هو جامع بينهما عند من فهمه " [١٥٢] ومن ثم كان الاختيار للإنسان بناء على تكليف ، مما يعتبر ابتلاء واختبارا [١٥٣] .فإذا أراد الإنسان ونوي وعزم فخلق الفعل لله على يدي العبد ، والتوفيق من الله ، ويظل فى هذه الحركة الدائمة .

ولكن هذا لايتم إلا بالعلم الصحيح ، والتربية السليمة ، التى تنظر إلى الإنسان على أنه ذكى مفكر ، بمعنى وجود إمكانات الذكاء البشري فيه بالفطرة ، وهذا مايقره الإسلام ويحث الإنسان على أن ينمى هذا الذكاء بالتفكير ، والتفكير فى الإسلام ذو أسلوب علمي قائم على النظر والتساؤل ، والملاحظة الممعنة المدققة للكون الطبيعي والنفس البشرية [١٥٤] .

٥ ــ وبالنسبة للفردية والجماعية أتى الإسلام فيها أيضا بنظرة وسط ، فهو لايضخم الإنسان الفرد ، ولايضخم الجماعة ، إذ هو يعطى الفرد ذاتا ومسئولية بحيث يصبح فى النهاية فردا فى مجموع ، ويعطى المجتمع كيانا ووجودا ومسئولية ، فهو يغذي فى الفرد النزعة الفردية بحيث يشعر بذاتيته واستقلاله ، ولكن حين يقر هذه الفردية ، يبين للإنسان دوره كفرد فى إطار

---

(١٥١) انظر : الانسان : ٣٠ . العنكبوت : ٦٩ . الرعد : ١١ . وراجع البخاري : صحيح البخاري (مرجع سابق) ، ج ٨ ، ص ١٤٥ .

(١٥٢) الغزالي : احياء علوم الدين (مرجع سابق) ، ج ٣ ، ص ٢٥٠٣ .

(١٥٣) انظر : الملك : ٢ .

(١٥٤) د. محمود السيد سلطان : مفاهيم تربوية فى الإسلام ــ منشورات مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع ــ الكويت ــ ١٩٧٧ ، ص ٥٠ .

المجموع ، ويضمن للأفراد خقوقا تظهر كل واحد منهم كقوة مميزة متفردة ، متفتحة على الحياة ، مقبلة عليها ، تحياها بلا خشية وتواجه الواقع بلا انزواء ، فتقبل على كل تقدم بثقة المطمئن إلى حقه فى فرح الحياة ، واطمئنانا إلى واجبها فى الحياة .

وهى تُبنَى فى الأساس على التوحيد والعبودية التى تعطى الإنسان قسمات ذاته المميزة المتفردة ، والتى ضمن الإسلام لها حق الحياة وحق الحرية ، وحرية الحركة ، وحرية المعرفة ، وسما ''بروحه إلى آفاق الكمال ، وهذب من طباعه وأخلاقه ، فنفى عنها كل ضعيف وفاسد ، وقوى فيها كل صالح ونبيل '' (١٥٥) وبهذا ضمن للإنسان الفرد حركة تنتقل من شيء إلى شيء ، ومن حال إلى حال ، بحيث لايركن إلى العادة والمألوف ، ويفقد الدهشة ، والانفعال بها ، والتذوق والإحساس بالجديد والانفعال به .

وكما كان اهتمام الإسلام ببناء المسلم الفرد ، اهتم أيضا وعنى «بتقوية الروح الاجتماعية فيه ، ومحاربة القبلية والعائلية الانعزالية فى نفسه » لأنه '' مهما اتصف الفردبأكمل الصفات وأتمها فلن يتم كماله إلا إذا ملأت الروح الاجتماعية قلبه ووجهت عمله ، وأيقظت ضميره ، وكانت المسيطرة عليه فى كل تصرفاته '' (١٥٦) ومن ثم عنى الإسلام بتنظيم المجتمع المسلم لإقامته على أسس عادلة كاملة ، فصحح الميزان الاقتصادى ، وحقق العدالة الاجتماعية ، وصحح العلاقة بين الشعب والدولة ، وبين الأفراد وبعضهم ، وبهذا حقق ذاتية الفرد على أساس سليم ، من ذاته المؤمنة ، وحقق المجتمع المسلم المتوازن المتعادل، على أساس من الوحدانية ، والتحرر الواعى المتحرك ، ونبعت من الوحدانية سياسة المال ، وسياسة الأفراد ، وسياسة الأسرة ، وكافة النواحى الاجتماعية .

(١٥٥) د. مصطفى السباعى : هذا هو الإسلام ــ المجموعة الاولى ــ ط ١ ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ ١٤٠٠هـ ــ ١٩٧٩م ، ص ١٠،٩ .

(١٥٦) المرجع السابق ، ص ١٠،١١ .

والمجتمع الدولى له مساحات واسعة من تشريعات الإسلام : فى العلاقات الدولية ، فى السلم والحرب ، فى العهود والمواثيق ، وفى كافة الأمور ، كل ذلك فى إطار تحقيق المجتمع المسلم العادل المتوازن المتكافل ، المرتبط بعلاقات طيبة مع غيره .

وراعى الإسلام الوسطية فى بقية أموره : فى العبادة ، صلاة وزكاة وحجا ، فليس هناك رهبانية بل انطلاق فى الحياة بعد أداء هذه العبادة ، وفى التشريع والمعاملات يتوسط بين التحليل والتحريم ، أما فى التشريع فهو يعلن أن الحياة متطورة ، وتحتاج إلى اجتهاد فى التشريع لأنه رسالة عالمية عامة للناس جميعا ، ولذا أباح الاجتهاد ، مع مراعاة القواعد ، فهناك إذن ثبات مع مرونة كافية ، ثبات في المبادىء والمصادر ، ومرونة فى الاجتهاد وإعمال الفكر واستنباط الأحكام ، وبهذا تظهر وسطية الإسلام بين الثوابت واجتهاد الانسان .

وبهذا يمكن القول أن الإسلام حين أتى بهذه النظرة الوسطية فى العقيدة والكون والإنسان والمجتمع ، ووجه الفكر إلى التفكر فى هذه المعطيات ، كان فاعلا لحركة فكرية واسعة شاملة ، ناشطة مبدعة أسهمت فى كل ميدان ، واستطاع أن يبني أمة إسلامية حقا ، بعد أن خلصها من المعوقات والمتاهات التى يمكن أن تتعرض لها فى كافة المجالات ، وخاصة فى المجال الفكري ، فقد نتيه فى الآراء ، ورب رأى خطأً ، فعلى العلم أن يواجه هذه الحالات التى يتردد فيها العقل بين الشك والإقناع بتمرينه على هذه المواجهة .

فالقرآن لايهمل هذا الجانب ، بل يلفت النظر إليه أحيانا بالإشارة والتلميح ، فيكشف الفرق بين الحقيقة وماسواها ، مثلا فى قصة يصف فيها انحراف اليهود فى هذه الناحية ''ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون '' فهنا نرى الميل والشك ومجرد الاحتمال ، هذه الأمور

المعبرة عن صور مختلفة للتردد ، توضع مكانها من الحقيقة الساطعة التى تعبر عن الانفتاح العقلي ، فى أصفى صوره .

وهذه آية أخرى توجه النقد الصارم للفكر الذى يسوغ لنفسه المناقشة فيما لاعلم له به ، دون أن يتحرى أوّلا جمع معطيات موضوع المناقشة ، « هاأنتم هؤلاء حاجَجْتُم فيما لكم به علم فلم تُحَاجّونَ فيما ليس لكم به علم » فهذه الآيات تضع الفكر الإسلامي فى طريق العلم وتزوده لاكتسابه بأحسن التوجيهات المنهجية [١٥٧].

ومن هنا كانت حركة واسعة هى نتاج الفكرة الإسلامية ، التى وَجَّهَتْ وَغَرَسَتْ ، فأنتجت وأثمرت وكان لها عطاؤها واستجاباتها فى كافة مناشط الفكر .

ثانيا : حركة الفكرة الإسلامية :

اتضح مما سبق أن الإسلام أرسى أفكارا رئيسية عن الله والمجتمع ، والإنسان والكون ، وهي معطيات الفكرة الإسلامية التى أصبحت معطيات وأساسيات الفكر الإسلامى التى انطلق منها سواء في مناشطه أو في قيمه ومناهجه ، فقد فتح الإسلام أمام الفكر الإنسانى أبواب المعرفة ، وأعطاه الموجهات التى تضمن له حسن السير ، وفتح أمامه أبواب الواقع للتعامل معه ، وأتاح له الحرية الكاملة فى النقد والإبداع ، كل ذلك فى إطار العبودية لله ، ومن المجالات التى وجه الإسلام إليها سواء فى القرآن أو السنة ، القرآن ودراساته ، المخلوقات كافة ، الإنسان ، الأرض ، السماء ، المجتمع ، ثقافات الشعوب وأفكارها .

ومن ثم كان القرآن والسنة المصدرين الرئيسيين للفكر الاسلامى ،

---

(١٥٧) مالك بن نبي :إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامى الحديث ــ مكتبة عمار ــ القاهرة ــ ١٩٧٠ ،ص ٤٧، ٤٨ .

الذى عبر تعبيرا واضحا عن الفكرة الإسلامية ، باعتبارها نظاماً وتطبيقاً للإسلام كله ، ومن هنا دخل المسلم باهتمام شديد وبوعي تام على القرآن ، يريد أن يدرك مايرضيه ويطمئن إليه ، بعقل " هو هبة الله لكل حى ، ولكن أساليب تفكيره كسب يكتسبه من معالجة النظر ، ومن التربية والتعليم ، ومن الثقافة ، ومن آلاف التجارب التى يحياها المرء فى هذه الحياة " (١٥٨) .
ومن ثم كانت دراسة المسلم لكافة العلوم لفهم القرآن ، والسنة ، وليس عجباً "أن تضع الفكرة الموحاة — هكذا دائما — معالمها المضيئة أمام الفكر العلمى ، حتى كأنها تصف له الطريق " (١٥٩) .ومن هنا كان استمداد الفكر الإسلامى من معطيات الفكرة الإسلامية ، التى كانت أساسا دافعا لحركة فكرية واسعة ، ومنطلقات "فتحت المجال أمام الفكر العربي فى ميادين المعرفة والحركة الفكرية وتطوير الحياة ، ووضعت أمامه الأسس المنظمة لهذا التطوير بحيث تحرك بعد ذلك فى أفق واسع ، ولكن فى إطار إسلامى متحرر ، فلم يفهم الإسلام فهما جامدا أو فهما انعزاليا ، ولكنه أدرك الإسلام على حقيقته كحركة فكرية قابلة لاستخدام الفكر فى أبعاده المتحررة مع المحافظة على الأسس الحقيقية للإسلام لصالح الفكر الإسلامي والإنسانى على العموم " (١٦٠) .

وهكذا وجدنا أنفسنا أمام فكر إسلامى ، ناتج عن الفكرة الإسلامية ، معبر عنها أصيلا فى تمثيله لها ، فى كافة المجالات المعرفية ، كان من آثاره حضارة مادية معنوية شامخة ، تفى لدنيا الناس بالأمن والطمأنينة والسمو والرخاء ، وتحملهم إلى أخراهم على ضوء هذه الأعمال من خير إلى نعمة

---

(١٥٨) مالك بن نبي :الظاهرة القرآنية — ترجمة عبد الصبور شاهين ،تقديم محمد عبد الله دراز ،ومحمود محمد شاكر — دار الفكر — دمشق ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ، ص ١٩

(١٥٩) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

(١٦٠) عبد الكريم غلاب (مرجع سابق) ، ص ١٩ .

وخير ، ومن بؤس إلى شقاء وبؤس ، وهكذا صلحت دنياهم فصلحت لهم أخراهم . فكان الفكر الاسلامى ، ذلك النشاط الانسانى العقلى ، الذى تجلى عن مفكرين استمدوا مقومات فكرهم الأساسية من الفكرة الإسلامية كما جاءت فى القرآن والسنة ، واجتهدوا فى ضوئها فى شتَّى فروع المعرفة ، اعتقادا بأن الاسلام دين وحضارة ، له دوره الرئيسى فى توجيه الحياة الفردية والاجتماعية على السواء ، كما أن له فضل التوجيه الرئيسى للحياة الفكرية والمادية .

وقد تعامل الفكر الإسلامي مع حقيقتين : ''حقيقة توفيقية وحقيقة توقيفية ، أما الأولى فقد سار فيها وارتاض رياضة كبرى ، فأنتج العلم التجريبي ، أما الثانية ، فلم يستطع عليها صبرا ، فبحث فيها أيضا ، إما بمنهج متطابق معها ، وإما بمنهج مخالف ، فظهر العلم النظرى '' [١٦١] وقد ظل الفكر الاسلامى مزدهرا معطاء مادام متمسكا بالفكرة الإسلامية ، وماتدعو إليه من وسطية وواقعية ، بمعنى أنه ظل هكذا مادام معبرا عن الوسطية التى دعا إليها الإسلام . ولعل أكبر عمل قام به الفكر الإسلامي ، معبرا عن تلك الوسطية ، آن العقلية الإسلامية تعتبر الكاشفه الأولى ''للمنهج الاستقرائى التجريبى معبرا عن حضارتها ، منقدحا فى باطنها خلال القرون الخمسة الأولى من تاريخ الاسلام ... العصر الذهبى اللامع من تاريخ الإنسانية جميعا '' [١٦٢] ولكنه كان متوازنا فلم يُغَلِّب العقل على الوحى أو على أى قوة من قوى الإنسان ، بل كان متوازنا ، وكان مصدره وتوجيهه من الوحى .

---

(١٦١) د. على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفي فى الإسلام ــ ط ٢ ــ الاسكندرية ــ ١٩٦٢ ،ص ١٩ .

(١٦٢) د. على سامي النشار :مناهج البحث عند مفكري الإسلام ــ ط ٢ ــ دار المعارف ــ القاهرة ، ١٩٦٧ ،ص ز .

١ ــ عطاء الفكرة الإسلامية للقواعد الفكرية ومنهج البحث :

أعطى القرآن القواعد الأساسية ، فى هذا المجال ، فهو يحمل على استعمال المنطق ، لرؤية الصواب والخطأ ، والتمييز بين الحق والباطل بالحجة والمشاهدة الحسية ، وليس بالقسر والتقليد الأعمى ، إذ لابد أن يقتنع بالفكرة الملقاة إليه عن أى إنسان مهما كان مركزه ، وليس للإنسان أن يتبع الظن أو التخمين ، وبهذا أولى الإسلام المنهج الذى يكتسب به الإنسان معلوماته ويتوصل به إلى الحقائق اهتماما بالغا ، لأن الفكرة الإسلامية إذا كانت قد أتت بمعطيات معينة ، فإنها لاتستقيم وحدها ''لأن المطالبين بأن يسلموا وجوههم لله ، وأن يطيعوا الله والرسول ، لم يطالبوا به عن طريق الإكراه والقهر والغلبة ، بل طولبوا به عن طريق الحجة والبرهان والدلالة ، أى عن طريق العقل والتفكير والتمييز بين الهدي والضلال والحق والباطل والرشد والغي ... فصار واجبا إذن أن يكون الكتاب والسنة ، متضمنين لأسلوب يهتدى به العقل عند الفصل فى الأمور المشتبهة '' [١٦٣] .

وأهم خاصية من خصائض المنهج الإسلامي أنه منهج إدراكى أو تأملى يخالف المناهج السابقة التى اطلع عليها المسلمون في مختلف الثقافات ، ولذا وضعوا منهجهم عن تأمل تام وشعور حقيقي بما يفعلون ، فكان بناء منهجيا كاملا [١٦٤] ، يعتمد على أن العلم الذى يأمر به الإسلام يقوم على التجربة والتفكير الجيد والخبر الصادق ، ''ونتيجة هذا كله أن ينفتح أمام العقل طريق البحث العلمي المحرر من كل قيد يحول دون انطلاقه '' [١٦٥] . وقد كان لتوجيهات القرآن بتفاعلها مع العقلية العربية فضل استخراج المنهج الإسلامي الذى مكن من التوصل إلى الحقائق ...

---

(١٦٣) محمود محمد شاكر :أباطيل وأسمار ــ ط ٢ ــ مطبعة المدني ــ القاهرة ــ ١٩٧٢ ، ص ٥٢٢، ٥٢٣ .

(١٦٤) د. على سامي النشار :نشأة الفكر الإسلامي ، (مرجع سابق) ، ص ٩ .

(١٦٥) د. مصطفى السباعي :اشتراكية الإسلام ــ الناشرون العرب ــ القاهرة ــ (د.ت) ص ٧٩ .

ومن هذه التوجيهات :

١ ــ عدم اتباع الظن أو التقليد [١٦٦] .

٢ ــ التفكير العلمى الدقيق [١٦٧] ، واستخدام المراجع والرجوع إلى أهل الذكر [١٦٨] واستخدام الحواس [١٦٩] .

٣ ــ اتخاذ التجربة طريقا لإثبات الحقائق ، وذلك مانجده واضحا فى سورة البقرة [١٧٠] .

٤ ــ مراعاة التوازن بين مصادر المعرفة المختلفة .

وبتفاعل هذه المعطيات مع العقلية الإسلامية توصل المسلمون إلى منهج خاص بهم ، وبالتالى لما انفتحوا على ثقافات العالم وفكره واتصلوا بها ، كانوا ''يعرفون المنهج الاستقرائي حق المعرفة ، وهو الذى تفخر به أوربا الحديثة ، وتزعم أنه من بنات أفكارها ، فقد كانت مدرسة بغداد تنتقل من المعلوم إلى المجهول ، وتقوم بدراسة الظواهر دراسة دقيقة بقصد الانتقال من المعلول إلى العلة ، ولاتقبل إلا ما تكشف عنه التجربة '' [١٧١] وبالتالى نقدوا المنطق الأرسطى وخالفوه فى كثير من وجوهه ، لأنهم اعتمدوا المنهج الاستقرائى .

وكان هذا العطاء ، هو السبب فى أن الفكر الإسلامى لم يَرَ حَدًّا للعلم ''ينتهى عنده العالم ، وأن لحقائق الوجود مدًى يمكن أن يحيط بها العلماء ، بل على العالم أن يدأب على البحث والنظر ، وعليه أن يبتعد عن غرور

---

(١٦٦) النجم : ٢٨ .

(١٦٧) النحل : ٧٨ .

(١٦٨) النحل : ٤٣ .

(١٦٩) المؤمنون : ٧٨ .

(١٧٠) البقرة : ٢٦٠ .

(١٧١) سيد أمير علي : روح الإسلام ، (مرجع سابق) ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .

(أنصاف) العلماء الذين يظنون أنهم علموا كل شيء ، فليست هذه الصفة إلا لله وحده ،، [١٧٢] وعلى هذا الأساس ''انطلقت الحركة العلمية مستجيبةً للحاجات الفكرية التى طرحها الإسلام ،، [١٧٣] فاستحدثت منجزات توصل العلم الاسلامى إليها ، إذ أن الإسلام لم يأت بأية منجزات علمية وإن وَجَّه إليها ، ولكنه ''أتى بالمناخ العقلى الجديد الذى يتيح للعلم أن يتطور ،، وخاصة أن ''العلم لايناط بالمعطيات العلمية فحسب ، بل بكل الظروف النفسية الاجتماعية التى تتكون فى مناخ معين ،، [١٧٤] .فالمنهج لم يكن له أن ينجز إلا بفضل المناخ القرآنى الذى أتاح له الفرصة وأعطاه الحرية الكاملة فى إطار العبودية لله جل وعلا .

٢ ــ استجابة الحركة العلمية للحاجات الاجتماعية :

أدى تطور المجتمع الإسلامي فى مختلف مراحله إلى تغيرات وتطورات استجابت لها الحركة العلمية ويمكن أن نلمح ذلك فيما يلى :

أ ــ فى عهد الرسول والصحابة : مع ظهور الإسلام ''كان الرسول نفسه أول معلم فيه ، ثم كان صحابته الذين أرسلهم إلى الأمصار يعلمون أصول الدين معلمين أيضا ،، وكان المسلمون ''مُتَلَقِّينَ للعلم من صاحب الرسالة ، يجدون عنده كل شيء مما يشفى صدورهم ، ويريح نفوسهم ،، [١٧٥] وكان القرآن والرسول يلبيان حاجات الأمة فى العقيدة والتشريع والأخلاق ''وكانت الأسئله تترى مُوَجَّهَةً إلى الرسول ــ ﷺ ، فيجيب عنها الوحى القرآني تارة ، وتجيب عنها أحاديث الرسول تارة

(١٧٢) د. مصطفى السباعى : اشتراكية الإسلام (مرجع سابق) ، ص ١٠١ .

(١٧٣) عبد الكريم غلاب (مرجع سابق) ، ص ١٠ . ١

(١٧٤) مالك بن نبي :انتاج المستشرقين (مرجع سابق) ، ص ٣٧ .

(١٧٥) عبد الغني عبود :دراسة مقارنة لنظام البحث العلمي فى الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ــ رسالة دكتوراه غير منشورة ــ كلية التربية ــ جامعة عين شمس ــ ١٩٧٢ ،ص ٣٤،٣٥ .

أخرى ، وأسئلة المجتمع إذ ذاك لم تكن إلى جد ، وكانوا يسألون الرسول ــ ﷺ ــ فى كل صغيرة وكبيرة ،، [(١٧٦)] .

وبعد وفاة الرسول ــ ﷺ ــ ''جري الناس وراء عقولهم واسترسلوا فى التساؤل ،، [(١٧٧)] بعد أن عرضت لهم مشكلات الحياة الجديدة ، وانهال على الصحابة الكثير من الأسئلة الخاصة بالفروع ، وكان كثير منهم يجيبون برأيهم ويستعملون القياس والنص بعد التثبت منه ، وكان أول عمل عملي قام به المسلمون هو توثيق القرآن وجمعه ، وكانت الطريقة التى جمع بها القرآن هي طريقة البحث العلمي المنهجي الكامل على أساس من التوثيق الواقعي [(١٧٨)] .

ودارت الدراسات حول القرآن وتفسيره ، ومن هنا كانت هذه العلوم هى ''أول ما عرفه العرب من العلوم ، فالمعروف أن الصحابة تفرقوا فى الأمصار الإسلامية ، وشارك الكثير منهم فى الفتوحات ، فتأسست المدارس الدينية فى الأمصار الإسلامية ، وكان أساسها القرآن والحديث والفقه ، فكانت بداية التأليف العلمي عند العرب وثيقة الصلة بهذه المصادر ،، [(١٧٩)] . إذ كانت الحاجة ماسةً إلى فهم الدين الجديد ، باعتباره نظام الحياة ، فكانت العلوم تدور حول القراءات والتفسير والحديث ، باعتبارها النواة الأساسية التى منها استنبط الفقه ، ولأجلها رُوِىَ الشعر وبحثت مسائل النحو .

---

(١٧٦) د. عبد الحليم محمود :التفكير الفلسفي فى الإسلام ــ طبعة ثالثة ــ مكتبة الانجلو المصرية ــ ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٨م ، ج ١ ، ص ٩٠ .

(١٧٧) د. محمد عبد الرحمن بيصار :العقيدة والاخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع ــ ط ٢ ــ مكتبة الانجلو المصرية ــ ١٩٧٠ ، ص ١٠٣ .

(١٧٨) انظر :أحمد العنانى :توثيق القرآن أولى منجزات العلم الإسلامية'' الدوحة ــ العدد (٦١) ربيع اول ١٤٠١هـ ــ يناير ١٩٨١ ، ص ٨٠ .

(١٧٩) د. السيد عبد العزيز سالم :تاريخ الدولة العربية (من ظهور الإسلام حتى ظهور الدولة الأموية) ــ مؤسسة الثقافة ــ الجامعة ــ الاسكندرية ، ١٩٧٤م ، ص ٤٠٠ .

وظهر الاهتمام بعلم الحديث والفقه الذى اعتبر علم التشريع والقانون فى جميع النواحى السياسية والدينية ، واعتمد أساسا على النصوص ،وتم اعتماد الاجتهاد والقياس بعد حدوث مشكلات جديدة ، إلى أن ظهرت مدارس متخصصة بعد ذلك .وكان الاهتمام بعلوم اللغة استجابةً لحاجات المجتمع ، إذ كان لابد من الاهتمام بها لدراسة القرآن وتفسيره، إلا أنها تطورت بعد ذلك تطورا ملحوظاً .

ب ــ بعد الفتوحات الإسلامية : ومع امتداد رقعة الإسلام على البلاد المجاورة للجزيرة العربية ، كانت قد تكونت لدى المسلمين الملكة الأصيلة النابعة من ذاتهم ومن فكرهم ، والتى صبغتهم بصبغة خاصة بهم ، ضاربة بجذورها فى أعماقهم ، نابعة من القرآن والسنة ، اللذين أثارا فيهم روح الإبداع والابتكار ، هذا مع أن ''قوة الإبداع التى تميزوا بها مالبثت أن حررتهم من رقهم العلمي إذ أدركوا أن التجربة والترصد هما ركن المباحث العلمية الحديثة ، فمالوا إلى التجربةَ يلجُون بها خفايا الطبيعة وأسرار الكون ، وإلى المكتشفات التى أسهمت إلى حد بعيد فى تطوير العلم وتقدم الإنسانية ''(١٨٠) .

وبالرغم من اختلاطهم بالشعوب التى فتحت بلادهم فلم يكونوا مجرد نَقَلَة ، فقد كانوا مقتبسين ومحللين وناقدين ، وإن كانوا قد وقفوا موقف التلميذ فإنهم وقفوا أيضا وقفة الدارس المتعمق ، فالناقد الواعى حتى أتيح لهم فى النهاية أن ينتقلوا من صفوف التلاميذ إلى كراسى الأساتذة والشيوخ ''(١٨١) بعد أن تمثلوا الرصيد الضخم من المعارف والمعلومات ، وأنشأوا من خلاصته نهضة علمية رائعة ، وطاوعتهم اللغة العربية فتابعت هذه

(١٨٠) د. مصطفى الرافعي :حضارة العرب فى العصور الإسلامية الزاهرة ــ طبعة ثانية ــ دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت ــ ١٩٦٨ ، ص ١٥ .

(١٨١) د. محمد نبيل نوفل : ''مفهوم العلم والإسلام'' ــ من بحوث المؤتمر الفكرى الثانى للتربويين العرب ــ بغداد ــ حزيران ١٩٦٨ ، ص ٤ .

الأبحاث ، وأمدتها بالألفاظ التى تسد حاجتها المتجددة '' [١٨٢] واستقل الفكر ''عن شخصيته الموروثة التى أخذها المسلمون وصار ذا طابع جديد إسلامى خالص '' [١٨٣] وأصبح معنى الفكر الإسلامى يعنى الفكر العربى وأصبح هذا الفكر عالميا بإسلاميته وعربيته [١٨٤] .

فقد كانت البلاد المفتوحة ذات حظ موفور من النظام المدنى ، والعمران الاقتصادى ، والتقدم العلمى ، ومن ثم ظهرت الحاجة ماسة إلى العلوم المدونة ، كالطب والحساب والنجوم وغيرها ، ومع الدفعة الإيمانية والمناخ العقلى الذى أرساه القرآن اهتم المسلمون بهذه العلوم ، بعد استقرار الأوضاع وظهور الحاجة الماسة إليها ، فاهتموا بها ودرسوها ، وحصلوا على كتبها ، ومع استقرار الدولة زادت حركة الفكر وتيسر تداول الكتب وتيسر تنقل طالبى العلم والثقافة [١٨٥] .

وكانت أول استجابة لهذا ازدهار حركة الترجمة ، وإن كانت ليست جديدة تماما على المسلمين [١٨٦] ، فقد وجدت فى عصر الرسول — ﷺ ، ووجدت فى العصر الأموي فردية خالصة ، على يد خالد بن يزيد الذى استدعىَ بعض العلماء من الاسكندرية وكلفهم بترجمة كتب اليونانيين ومنهم «اصطفن القديم ، ونقل لخالد بن يزيد كتب الصنعة » [١٨٧] وتوالى الاهتمام بالترجمة ، وإن كانت ذات صبغة خاصة ، إلى أن جاء عهد عمر

(١٨٢) د. الشحات السيد زغلول :السريان والحضارة الإسلامية — الهيئة المصرية العامة للكتاب — الاسكندرية — ١٩٧٥ ، ص ١٥٣ .

(١٨٣) د. عبد الغني عبود : ''الايديولوجيا والتربية فى الإسلام'' — المقولة الثالثة من ''فى التربية الإسلامية'' — طبعة أولى — دار الفكر العربي — ١٩٧٧ ، ص ٩٧ .

(١٨٤) فيليب حتي : تاريخ العرب — ترجمة محمد مبروك نافع — القاهرة — ١٩٥٢ ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

(١٨٥) انظر :د. سعيد اسماعيل علي : نشأة التربية الإسلامية (مرجع سابق) ، ص ٦٣ .

(١٨٦) انظر :د. الشحات السيد زغلول : (مرجع سابق) ، ص ١٤٠ .

(١٨٧) ابن النديم : الفهرست — دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت — (د.ت) ص ٣٤٠ .

ابن العزيز الذي « وسع معهد الطب فى أنطاكية بأن استقدم إليهم نطس الأطباء من الاسكندرية ، وكلفهم ــ بعد أن استخار الله ــ بنقل بعض المؤلفات الطبية إلى اللغة العربية »[(١٨٨)] .

والمهم أن البيئة الإسلامية فى هذه الفترة ، شأنها شأن أى بيئة اجتماعية أخرى يتوفر فيها هذا التفاعل المستمر لايمكن أن تخلو ممن يعرف غير لغة أهلها خاصة ، والظروف هنا أفسحت المجال لأصحاب هذه الألسن الأجنبية أن يجدوا لأنفسهم مجالا بين ظَهْرانى القوم[(١٨٩)] ، واستمر الاهتمام بالترجمة من كافة اللغات ، وكان الاهتمام منصبا أولا فى الطب ، ثم النجوم والحساب ، ثم « تطرق إلى سائر فروع الرياضيات والطبيعيات ، وانتهى أخيرا إلى الفلسفة وعلم المنطق بداعى نشاط المعتزلة »[(١٩٠)] وشجع الخلفاء حركة الترجمة « فنجم عنها تضاعف فى حركة النقل وزيادة الإنتاج فى الترجمة والشرح والتعليق ، وكان المأمون أعظم مثل فى العناية بالترجمة ، فقد نَمّى دار الحكمة وَقوّاهَا ، حتى أصبحت غُرَّةً فى جبين الدولة العباسية كلها ، واستمر تشجيع الحكام لحركة النقل والترجمة ، حتى وصلت إلى ذروة ازدهارها فى القرن الثالث الهجرى ، مما دعا البعض إلى اعتباره عصر المترجمين ، وظلت الترجمة على حال كبير من النشاط حتى منتصف القرن الرابع الهجرى تقريبا »[(١٩١)] .

واستطاع المسلمون والعرب أن يستفيدوا من الحضارات والفكر السابق عليهم ، وكان أن « طرحت لنا الثقافة العربية الإسلامية ثقافة واسعة

(١٨٨) د. كمال اليازجى : معالم الفكر العربي ــ طبعه سادسة ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ، ١٩٧٩ ،

(١٨٩) د. الشحات السيد زغلول (مرجع سابق) ، ص ١٤٠ .

(١٩٠) د. كمال اليازجى (مرجع سابق) ، ص ٦٦ .

(١٩١) حسن عبد العال :التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجري ــ رقم (١) من مكتبة التربية الإسلامية ــ اشراف د. إبراهيم عصمت مطاوع ود.عبد الغنى عبود ، تقديم د. عبد الغني عبود ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ ١٩٧٨ ، ص ٧٣ .

شاملة حاوية لجميع الثقافات التى انعكست على تراثها » [١٩٢] مما أدى إلى ظهور بوادر قوية تشير إلى « وحدة الانسان ، تلك الوحدة هى فى الصميم من الإيمان الجديد » فكأنما كانت تلك الخطوة هى الأولى « على طريق المواطن العالمي الذى لاهو من شرق ولاهو من غرب ، وإنما هو إنسان » وكان « ذلك الدمج الباهر بين ثقافتين كانتا متنافرتين متناحرتين إلى درجة القتال ، هو الذي أخرج إلى العالم تلك الصيغة الحضارية الثقافية الإسلامية الجديدة » [١٩٣] .

واستوعبت الحركة الفكرية الإسلامية الثقافات الأجنبية ولكنها « نشطت مرة أخرى فبعثت فيها من روحها ، وأظهرتها للملأ ، وبها من الزيادة مايشهد لها بالفضل ويقر لها بالجميل . وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول أن التراث الثقافى الذى دخل فى حوزة العرب ، والذى أوصلته إليهم المراكز الثقافية القديمة لم يتجمد على أيديهم ، وإنما توفرت له كل الظروف التى دفعته ليبلغ أقصى الطاقة ، ويحقق غاية النمو » [١٩٤] وذلك بفضل الدفعة الإيمانية التى أيقظت الروح العربى ، فامتد إلى خارج ، مستوعبا ، متعلما ، وباتساع هذه الحركة ، ازدادت المعارف « ونما الروح العلمى ، واتسق أسلوب التفكير ، وأخذت مجارى الفكر تتنوع وتفترق ، وأصناف العلوم تتنوع وتستقل » [١٩٥] . وذلك فى إطار ومفهوم الفكر الإسلامي ، الذى قام على أساس من التحرر من الهوى والعصبية والحقد ، ويستمد مفاهيمه من مصادر الفطرة والعقل والقلب والوحى ، والعقل يتخذ من الوحي هاديا ومرشدا .

---

(١٩٢) أحمد جمال العمري :أبو بكر الصولي :الأديب النديم ــ رقم (١٠) من سلسلة (أعلام العرب) ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ١٩٧٣ ، ص ٣٩ .

(١٩٣) د. زكى نجيب محمود : ''طريق العقل فى التراث الإسلامى'' ــ مجلة الهلال ــ يناير ١٩٨٠ ، ص١٣،١٤ .

(١٩٤) د. الشحات السيد زغلول (مرجع سابق) ، ص ١٥٣ .

(١٩٥) د. كمال اليازجى (مرجع سابق) ، ص ٦٨ .

وأمام هذا تجلى الفكر الإسلامى وتمثل فى النتاج العلمى فى شتى المجالات العلمية والاجتماعية والتطبيقية ، فتمثل هذا الفكر فى توازنه بالغ السمو ، حين اتصل بكافة المجالات ، بالدنيا والآخرة ، بالله والإنسان ، بالأرض والسماء ، ومافيهما بحيث ظهر طابع الشمول كطابع أساسى عميق راسخ ، يمثل حالة من ''التوازن الجوهرى كماتعلن عنه الحقيقة الأصل أو الحقيقة الوحى ''[١٩٦] .

وفى ضوء تقرير الوحي أصبح الهدف البارز للفكر هو إسعاد الإنسان من خلال تحقيق العبودية الحقة ، ومن ثم أتت ضروب الفكر كلها مؤدية إلى هذا الهدف ، فشملت كما شمل الإسلام ''الحياة بأسرها ، إنه يهتم اهتماما واحدا بالدنيا والآخرة ، وبالنفس والجسد وبالفرد وبالمجتمع ، إنه لايهتم فقط لما فى الطبيعة والانسانية من وجود الإمكان إلى السمو ، بل يهتم أيضا لما فيها من قيود طبيعية ، إنه لايحملنا على طلب المحال ، ولكنه يهدينا إلى أن نستفيد أحسن الاستفادة بما فينا من استعداد ''[١٩٧] .

ويمكن أن نلحظ الإبداع العلمي عند العرب والمسلمين فى كافة المجالات والضروب الفكرية ، سواء فى اللغة التى دونت فيها المعاجم واسْتُنْبِطَت القواعد وَدُوِّنَت ، واسْتُخْرِجَ العروض لضبط الشعر ، واستنبطت قواعد النقد ، وأصول البيان ، والبحث فى مفردات اللغة وشرحها ، وقد أجاد المسلمون فى هذا ''ووضعوا الكتب المعجمية على أساس الموضوع ، ثم بحثوا فى صورها وأصول اشتقاقها وأسرار صيغها ، وانتهوا بوضع المعاجم العامة ''[١٩٨] واتصل بهذا ازدهار علوم الأدب ، وألفت

---

(١٩٦) د. فهمى جدعان :أسس التقدم عند مفكرى الإسلام فى العالم العربي الحديث (مرجع سابق) ، ص ٥١ .

(١٩٧) محمد أسد :الإسلام على مفترق الطرق ــ سلسلة صوت الحق ــ تصدرها الجماعة الإسلامية بجامعة القاهرة ــ دار الاعتصام ، (د.ت) ، ص ١١٠ .

(١٩٨) د. كمال اليازجى (مرجع سابق) ، ص ٨١ .

الموسوعات فى هذا المجال [١٩٩] .

واستطاعت اللغة العربية أن تقدم للعالم خدمات جليلة ، حيث حفظت المعارف السابقة بعد ترجمتها من اليونانية والفارسية والهندية ، سواء فى الرياضة والفلك والجغرافيا والطب والفلسفة وغيرها ، ورغم الإبداع فإنها حافظت على التراث الفكرى العالمى بفضل مرونتها وقابليتها للتجديد والتجدد والتطور .

وكان هناك اهتمام واضح بالتاريخ ومناهجه التى تأثرت بعلم مصطلح الحديث ، إذ أنه مع الاهتمام بسيرة الرسول ﷺ ، وإفراد الأبواب لها فى كتب الحديث ، نشأت حركة تدوين السيرة ، وانفصلت عن كتب الحديث ''وألفت فيها الكتب الخاصة ، واستفاد التاريخ من الطريقة التى اتبعها مؤرخو السيرة والتى تعتمد على الدقة فى النقل وتحرى الصحة '' [٢٠٠] وكان لهذا أثره الواضح فى كتابة التاريخ ودراساته حيث وضعت التراجم العامة بعد ذلك ، وظهر المؤرخون المتخصصون كالطبرى وابن الأثير والمسعودى وابن خلدون ، وابن خلكان ، وياقوت والقفطى وغيرهم .

وبرزوا كذلك فى علم الجغرافيا ، وتوصلوا إلى معلومات جغرافية أضيفت إلى التراث الجغرافى ، وقام الكثير منهم برحلات واسعة ووضعوا فيها المؤلفات ، وصفوا فيها البلاد التى زاروها، ظهرت فى كتب الرحلات والمسالك والممالك والمعاجم الجغرافية ، ومن أعلام هذا المجال ، ابن خرداذبة وابن حوقل والمقدسى الإدريسى ، وابن بطوطة واليعقوبى ، وأبى الفداء [٢٠١] ... ومع هذا اشتغلوا بأفكار الجغرافيا ، كصورة الأرض

(١٩٩) انظر المرجع السابق ، ص ٨١ — ٨٣

(٢٠٠) د. مصطفى الرافعي (مرجع سابق) ، ٨٥،٨٤ .

(٢٠١) د. كمال اليازجى (مرجع سابق) ، ص ٨٥،٨٤ .

واستدارتها ، ونظرية المد والجزر [٢٠٢] ، كما أنهم اشتغلوا ''بعلم الجيولوجيا وسموه تشريح الأرض '' [٢٠٣]

وفى مجال العلوم الطبيعية ، فمع ظروف المجتمع الإسلامى ظهرت الحاجة إلى ضرورة وأهمية العلم الواسع ''بكثير من شئون الحياة من هندسة وطب ونجوم ، ونظام حكم ، كما وجد الفلك ، والجبر والحساب والهندسة ، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل إن علوم البصريات والميكانيكا بلغت شأوا كبيرا على أيدى المسلمين ، فابتكروا علم حساب المثلثات واستخدموا الجبر فى الهندسة لأول مرة ، وأدخلوا المماس واستبدلوا الجيب بالقوس فى حساب المثلثات ، ولم يكن تفوقهم فى علم أبعاد الأرض يقل عن ذلك '' [٢٠٤] .

وارتقى الطب والجراحة على أيديهم ، فكانوا ''أول من درس المواد الطبية من الناحية العلمية وكانوا '' أول من اخترع الصيدلة الكيماوية ، وأول من أنشأ المؤسسات المعروفة اليوم باسم (الصيدليات) وأسسوا فى كل مدينة مستشفيات عامة باسم ''دور الشفاء أو مارستانات ... وكانت الدولة تنفق عليها '' [٢٠٥] وكان ''كل منها مجهزا بخزانة أدوية ، وبعضها ملحقا بمعاهد لتدريس الطب ، ثم أنشأوا ــ عند الحاجة ــ المستوصفات النقالة ، ووجهوها إلى السجون وساحات الحرب ، والمناطق الموبوءة على الجمال ، بأجهزتها وخزائن أدويتها '' [٢٠٦] وهناك الكثير من المؤلفات فى الطب والجراحة ، والأدوية والعقاقير وهناك أسماء لامعة فى هذا المجال .

---

(٢٠٢) د. أحمد شلبي :الفكر الإسلامي ، منابعه وآثاره ــ رقم (٢) من موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ــ ط ٦ ــ النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٧٨ ، ص ١٢٤ .

(٢٠٣) سيد أمير علي : روح الإسلام (مرجع سابق) ، ج ٢ ــ ص ٢٧٥ .

(٢٠٤) المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

(٢٠٥) د. كمال اليازجى (مرجع سابق) ، ص ٩٣ .

(٢٠٦) انظر المرجع السابق ، ص ٩٢ ــ ٩٤ .

وارتقى علم الكيمياء ارتقاء عظيما ، على يد جابر بن حيان الذى ''يعد اسمه عنوانا على عصر جديد فى علم الكيمياء يضارع فى الأهمية اسم برستلى ولافوازييه ، وحذا حذوه آخرون امتازوا بقوة الابتكار والدأب على العمل وعمق المعرفة ، ودقة الملاحظة '' (٢٠٧) ، وسجل المسلمون تقدما ملحوظا فى أساليب التبخير والتذويب والترشيح والتكليس والتصعيد والتقطير وصهر المعادن ، فاعتبروا بفضل ذلك أصحاب الخطوة الأولى فى تحويل الكيمياء إلى علم منظم ، وللعرب فى هذه العلوم كشوف عرفوا بها ، منها : القلويات والنشادر ونترات الفضة والحامض الآزوتى ، ولهم من المستحضرات الحامض الكبريتى وماء الذهب وكربونات البوتاس وكربونات الصودا ، وبحكم امتيازهم فى هذا العلم ، تسنّي لهم أن يُدْخِلُوا على صناعات كثيرة تحسينات شتى (٢٠٨)

وبرعوا فى الطب البيطرى ، وفى كافة فروع العلوم ، مما يمكن القول معه أن الفكرة الإسلامية ألقت ظلالها على الفكر الإسلامى بحيث تمرس بمعطياتها ، وتمثلها فأنتج ماأنتج من عطاءات فكرية متنوعة ، وفى كافة المجالات ، بحيث كان الإلهام الواسع الذى فتح الطريق أمام الحياة العلمية الحديثة (٢٠٩) .

ولم يكن هناك ذلك الفصل بين الدين والعلم بل كان العلم الطبيعي جزءا من العلم الدينى ، لأن الإسلام تضمن جميع الجوانب المادية فى حياة الإنسان ، وكذلك الجوانب المعنوية ، ولكن فى توازن دقيق ، فالدين يتسع ليشمل دراسة كافة الظواهر ، لأنه ''الجامع بين العقيدة والفكر فى وحدة

---

(٢٠٧) سيد أمير علي : روح الإسلام (مرجع سابق) ، ج ١ ، ص ٢٧٢،٢٧١ .

(٢٠٨) د. كمال اليازجى : (مرجع سابق) ، ص ٩٤ .

(209) ABUAL — FUTOUH AHMAD RADWAN: Old and new Forces in Egyption Education, Columbia University, New-York, 1951, P, 49.

لاتنفصل ، وهو الذى يعتمد على الوحي والنبوة ورسالة السماء أساسا له ، تم يكون العقل وسيلة من وسائله ، والعلم منهجا يجرى فى محراه '' [٢١٠] .ولعل هذا مادعا الإمام الغزالى إلى القول ''وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن ، هو ظن صادر عن عَمَى عين البصيرة ... بل هذا التأمل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض ، فيعجز عن الجمع بينهما ، فيظن أنه تناقض فى الدين ، فيتحير به ، فَيَنْسَلُّ من الدين انسلال الشعرة من العجين ، وإنَّما ذلك لأن عَجْزَهُ فى نفسه خَيَّلَ إليه نقضا فى الدين وهيهات '' [٢١١] .

فميادين الفكر الإسلامى تتصل بكل ميادين الفكر الإنسانى ، من حيث إمكانية التوصل إلى الحقيقة التى يدعو إليهاالإسلام''والتى لايدخلها الشك من بين يديها أو خلفها ، فالله واحد لاشريك له ، وهو خالق السموات والأرض ... وهذه الحقيقة يستهدى إليها الإنسان بنور العقل والفطرة السليمة '' [٢١٢] وهذا العقل ينتج عن علم كسبى ، ولايمكن أن يقال عنه أنه كمل وتم ''وأغلق باب البحث فيه فما عاد ينتظر جديدا .وإنما هى مرحلة على الطريق ، وما تحسبه كل مرحلة خط النهاية وغاية السعي ، ليس فى حساب الحياة والعلم إلا خطوة على الطريق ، تبدأ من حيث انتهت سابقتها منتفعة بكل عطائها من التجارب والأخطاء '' [٢١٣] .

وأمام هذا وبعده يمكن أن نخرج بالنتائج التالية :

١ ــ أن الفكرة الإسلامية بمعطياتها التى تميزت بالوسطية والتوازن ،

(٢١٠) أنور الجندي : شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامي ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ، ص ٦٦ .

(٢١١) الامام الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ، ج ٢ ، ص ١٣٦٨ .

(٢١٢) د. نازلي اسماعيل حسين : فلسفة الحضارة ،مكتبة سعيد رأفت (بدون تاريخ) ١ ، ص ١٥٦ .

(٢١٣) د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) : الشخصية الإسلامية (دراسة قرآنية) ــ طبعة ثانية ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ١٦٧ .

كانت لها عطاءاتها فى الفكر الإسلامي وتأثيراتها المتنوعة والفنية ، لأنها كانت فكرة ربانية المصدر ، ولكنها لاتعنى ''تحليقا فى آفاق من (الروحية) التى تحرر روح الإنسان من جسده ، أو تأخذ هذا الإنسان من مجتمعه وعن عالمه المادى الذى يعيش فيه ، لأن ذلك على نقيض (الفطرة) التى فطر الله الناس عليها وإنما تعنى ''أن يتمثل الإنسان فى نفسه جلال الخالق سبحانه ، وبديع خلقه ''[٢١٤] . ومن ثم تميزت الفكرة الإسلامية بالنزعة ''الإنسانية الواضحة ، الثابتة الأصيلة فى معتقداته وتوجيهاته ''[٢١٥] هدفها تحرير الإنسان من كل ألوان العبودية وإسعاده والسمو به وحمايته ، ومن أجل ذلك قررت أن الإنسان قد أعطى كافة الإمكانيات والفعاليات والصلاحيات للعمل الإنسانى الفعال ، وبفضل ذلك استطاع المسلم أن يفكر ويبتكر وينفذ ، ومع وجود النص القرآنى أو البنية الفوقية ، التى لم تكن عائقا ولا معطلا ، بل كانت مساعدا على استكمال حرية التفكير ، وإلغاء كافة ألوان السيطرة إلا السيطرة الإلهية والمشروعة ، ومنع العسف والإكراه ، وتحرير العقل من الجمود ، فقد أدرك المسلمون قيمة ماأعطوه ، فأعملوا عقولهم فى أمور حياتهم ''حتى العلوم الدينية ، فقد جعلوا لها أقيسة منطقية ، وقواعد خاصة تستند إلى العقل والدراية أكثر من استنادها إلى النقل والرواية ''.[٢١٦] .

وقد كان هذا مصدر الأصالة فى الفكر الاسلامى النابع والمستند إلى الفكرة الإسلامية ، فأصبح فكرا إنسانيا لكنه مرتبط بالفكرة الإسلامية الصادرة عن القرآن والسنة .

---

(٢١٤) د. عبد الغني عبود : الملامح العامة للمجتمع الإسلامي ــ الكتاب التاسع من (سلسلة الإسلام وتحديات العصر) ــ ط ١ ــ دار الفكر العربي ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢ .

(٢١٥) د. يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام (مرجع سابق) ، ص ٥٣ .

(٢١٦) صابر طعيمة : تحديات أمام العروبة والإسلام (مرجع سابق) ، ص ١٣٨،١٣٧ .

٢ ــ وأمام توازن الفكرة الإسلامية أتي الفكر الإسلامي جامعا بين الدين والدنيا ، وكان ارتباطه بالإسلام فى معناه الحقيقى الذى يعد الإنسان ''تهذيبه وتثقيفه وتوجيه طاقاته الفكرية للانطلاق فى مجالات التخصص الأخرى ، فيكون المهندس ، ويكون الفلكى ، ويكون الفيلسوف ويكون الفقيه المتخصص فى الشريعة ، وبذلك تكاملت شخصية الفرد ، وتكاملت حياة الجماعة ، وتكاملت الثقافة فازدهرت الحياة '' (٢١٧) .

وكانت الفكرة الإسلامية أكبر موجه للمنهج والبحث وللعطاءات المتنوعة ، وممارسته من إطلاق للتفكير ، والطاقات الإبداعية وملكة النقد الموضوعى النزيه لما يلْقَى من أفكار مع الحرص على الدقة والأمانة والتفريق بين العلم والظن ، واعتماد مصادر المعرفة إشراقا وإلهاما ووحيا وفكرا ، وطبيعة وتاريخا ، وربط المعرفة بالنتائج المترتبة عليها من حيث الضرر والنفع فى جو أخلاقي سليم ، وبهذا تجاوز إطار (الذاتية) أو (الأنانية) المحضة ، التى تدمر أجمل ما فى الإنسان ، إلى الأفق الرحب الذى يتجاوز به الإنسان حدود ذاته المحدودة إلى أفق الكون كله بما فيه من رحابة '' (٢١٨) .

وقد أنتج هذا وعيا باتجاهين أو ضربين من الاتجاهات الفكرية ، الضرب الأفقى المستعرض ، والضرب الرأسى التخصصى العميق ، وقد أدى هذا إلى اتصال الفكر الإسلامى بأقصى الأبعاد المحتملة للتطور كما تتحمله الطاقة البشرية الذهنية ، وهذه الفكرة لم تقف عند حدود الحياة الموقوتة ، بل امتدت إلى الحياة الأخرى مع ارتباط هذا بمبدأ الترقى وازدياد المعرفة والخبرة (٢١٩) ومن هنا كان الفكر الاسلامى أصيلا مبتكرا مجددا .

---

(٢١٧) د. عون الشريف قاسم :الإسلام والثورة الحضارية (مرجع سابق) ، ص ٧٢ .

(٢١٨) د. عبد الغني عبود :الملامح العامة للمجتمع الإسلامي (مرجع سابق) ، ص ٥١ .

(٢١٩) د. محمد كمال جعفر : ''ثقافة المسلم المعاصر بين الأصالة والتجديد'' ــ المسلم المعاصر ــ العدد الثالث ــ رجب ١٣٩٥ ، يوليو ١٩٧٥ ، ص ١٩ .

٣ ــ أتى الفكر الإسلامى على مثال مافى الفكرة الإسلامية من شمول وتكامل ، بحيث حوى الروح والمادة ، والعلم والدين ، والدين والدولة ، الإنسان والطبيعة ، الطبيعة وخالق الطبيعة ، كل ذلك فى إطار الفكرة الإسلامية الشاملة للحياة ومابعدها ''والقوانين الطبيعية التى خلقها الله أيضا ، بالاضافة إلى تلك المثاليات الدينية ، الموحى بها فى الديانات السابقة '' (٢٢٠) .

جاء الفكر الإسلامي شاملا ''مناهج الاجتماع والقانون والاقتصاد والدين والسياسة والتربية '' فلم يأت ممثلا لمجموعة منفصلة من العناصر ، بل مَثَّل ترابطا عضويا بين الإنسان ومحيطه المادى والمعنوى ، فلم ''يقم الفكر الإسلامى على العقل وحده ، ولا على النظرة الروحية وحدها ، ولم يكن له أن يُعلِي إحداهما على الأخرى ، وإنما أقام مفهومه على أساس التوازن بينهما '' (٢٢١) ومن هنا كان متكاملا فى مفاهيمه وتجلياته فى نسيج واحد هو جسم الفكر والثقافة الإسلامية .

٤ ــ أن هذا الفكر عَكَسَ أصالة الفكرة الإسلامية ، من اعتمادها على ثوابت قطعية ، ثم اعتماده على مساحة كبيرة واسعة للعمل فيها ، حيث ترك الإسلام المجال فيها لعمل العقل ، الذى يجب أن يدأب ويبحث وينظر للوصول إلى الحقائق ، يقول الرسول ''إن من معادن التقوي تعلمك إلى ماقد علمت علم مالم تعلم ، والنقص فيما علمت قلة الزيادة فيه ، وإنما يزهد الرجل فى علم مالم يعلمه قلة انتفاعه بما علم '' (٢٢٢) .

---

(220) ALI KHALID MODIWI: A Theoretical Basis For Islamic Education, Thesis submitted to the University of Wales in candidature for the Degree of Philasaphiae Doctor, April, 1977. P. 300

(٢٢١) أنور الجندي : مقدمات العلوم والمناهج ــ محاولة لبناء منهج اسلامى متكامل ــ المجلد الأول ــ الفكر الإسلامى ــ دار الأنصار ــ ١٣٩٩ ــ ١٩٧٩ ، ص ١٣٥ .

(٢٢٢) ابن عبد البر (أبو عمر النمري القرطبى) : جامع بيان العلم وفضله وماينبغى فى روايته وحمله ــ (تقديم عبد الكريم الخطيب ــ راجعه وصححه عبد الرحمن حسين محمود) ، دار الكتب العربية ــ القاهرة ــ ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م ، ص ١٢٥ .

وقد كان الفكر الإسلامى يعي قدر العقل ويعي موقفه وحدوده ، ويعي وظيفته ، واجتهد فى إطار هذه الثوابت ، وعن طريقها وبفضلها استطاع أن يجاهد ويصارع المذاهب والعقائد والنظريات ، لأنه حركي ديناميكي قادر على الاحتكاك وإعادة صياغة نفسه فى مواجهة الانحرافات ، وفى مواجهة الثقافات ، وهذا راجع إلى سمة التطور التى يمتاز بها هذا الفكر ، والفكرة الإسلامية عموما .

ولما كان هذا التطور من أبرز طوابع الفكر الإسلامى ، تمثل فى القدرة على الملاءمة والتشكل والتطابق والالتقاء مع مظاهر المجتمعات والعصور المختلفة والانفتاح على الثقافات والمجتمعات والقدرة على رفض مالا يلائمه ، ملتمسا ذلك فى الاجتهاد الذى فتح الإسلام بابه على مصراعيه ، ومن ثم تمثل فى إعطاء إجابات متجددة للمواقف المتجددة والمتغيرة ، مع المحافظة على الشخصية الإسلامية والقيم الأساسية النابعة من الفكرة الرئيسية فى الإسلام وهي التوحيد ، وبهذه الميزة استطاع الإسلام أن يواجه كافة المتغيرات ، ويعالج كل جديد مهما كان شكله وحجمه .

٥ ــ وكان الفكر الإسلامي متنوعا ، وإسهاماته مختلفة ومتنوعة ، لم يهمل الجانب التطبيقي لحساب الجانب النظري بل كان التكامل من أهم سماته ، بحيث تكامل النظر مع التطبيق[٢٢٣] .

* * *

---

(٢٢٣) راجع : د. عبد الغني عبود : الحضارة الإسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٣٣،١٤٢ .

الفصـــل الثالث
الفكر التربوى الإسلامى

— تمهيـــد
— أولا : مصادر الفكر التربوي الإسلامى .
١ — القرآن والسنة .   ٢ — التراث .
— ثانيا : أهداف التربية .
١ — الهدف الأعلى من التربية
٢ — الأهداف الخاصـــة .
أ — الأهداف الماديـة .
ب — الأهداف الفكريـة .
جـ — الأهداف الأخلاقية والروحية .
د — الأهداف الجماليـة .
هـ — الأهداف الاجتماعيـــة .
— ثالثا : مؤسسات التربية ومناهجها :
أ — المسجد .   ب — الكتّـاب .
جـ — المدرسة .   د — مؤسسات أخرى .
— رابعا : المبادىء العامة للمناهج .
— خامسا : طريقة التدريس .
— سادسا : سمات الفكر التربوي الإسلامى .

تمهيد :

لم يكن للفكرة الإسلامية أن تنجح ، لولا ما صاحبها من فكر تربوي ونظام تربوي ، يقوم على مبادئها وينبع من مصادرها ، شأنها فى ذلك شأن أى نظام أو فلسفة لابد وأن يصحبها تطبيق لمبادئها ، هذا التطبيق هو التربية ، التى تعتمد على مسلمات ومنطلقات ومبادىء هذه الفلسفة أو هذا النظام .

وإذا كنا قد رأينا مبادىء الفكرة الإسلامية ، فإن التربية الإسلامية هى التى ترجمت هذه المبادىء إلى واقع وتلك المعطيات إلى سلوك فى الأفراد والمجتمع ، اعتمدت فى مصادرها وأصولها على مصادر وأصول الفكرة الإسلامية من قرآن وحديث . وبهذا يمكن القول إن التربية الإسلامية استطاعت فعلا أن تترجم أهداف الفكرة الإسلامية إلى واقع حى ، ونجحت فى أن تُكَوِّنَ نمطا فكريا تجلت فيه غاية المجتمع والأفراد المشتركة والمساعي الموحدة ، فى إطار عاطفة مشتركة تعتبر الأرضية المشتركة للشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامى الذى نشأ نشأة خاصة ، إذ أنه انبثق من القرآن والسنة واستمد تصوراته عن الكون والحياة والإنسان منهما ، بمعنى أنه انبثق من الفكرة الإسلامية التى راعت الفطرة البشرية ، وأقرت الصالح ونفت الطالح ، وأضافت الجديد .

وقد اعتمد الفكر التربوي الإسلامى على القرآن والسنة ، لأن القرآن « يعنى بتربية الموجودات كلها بما فى ذلك تربية الإنسان »[1] ، ومن ثم كانت معطياته هى أساس انطلاق الفكر التربوي الإسلامى ، وفى ضوئها قدمت الاجتهادات وأعمل الرأي ، وتشكلت الآراء التى تعتبر فى معظمها ركنا أساسيا من الفكر التربوي الإسلامى ، لأن الإسلام إنما وجه عنايته إلى تشكيل شخصية الإنسان ومن ثم كان الهدف الأساسى فى بناء الإسلام هو

---

(١) د . محمد فاضل الجمالي : تربية الانسان الجديد ــ الشركة التونسية للتوزيع ــ تونس ــ ١٩٦٧ ، صـ ١٩٧ .

تشكيل الشخصية الإنسانية فى ضوء مبادىء الإسلام ، ومن هذا المنطلق تعتبر المصادر الأصلية ، ومعطياتها تربوية فى الدرجة الأولى ، لأنها مصدر حياة المسلم ، وهدفها بناء شخصية المسلم وتوجيه كل طاقاته وفق منهج شامل متكامل ، يسعى إلى تحريك طاقات الإنسان جميعا بنوع من التناغم والترابط ، ويدفعها إلى التعبير عن قوى نفسها جميعا إلى الحد الأقصى المتاح من درجات التعبير، وبهذا يؤدى إلى هدفين أساسيين :

أولهما : توحيد الإنسان وتوجيه نشاطه بما يخدم تلك الوحدة النفسية ، وثانيهما : تنويع الحضارة البشرية وتعميق معطياتها وجعلها أكثر انسجاما من تكوين الإنسان ، وحاجاته النفسية والمعاشية ، ودوره فى الأرض ... وهى قمة التربية [٢] ، وعلى هذا نتناول الفكر التربوى الإسلامى فى مبادئه ومعطياته ، ولكن فى إجمال ، نظرا لتنوع الفكر التربوي الإسلامى ، وتأتي هذه الدراسة على اعتبار وحدة هذا الفكر فى عصور الازدهار مع إشارات طفيفة للتنوع والاختلاف من عصر إلى عصر .

أولا : مصادر الفكر التربوي الإسلامي :

تعتبر المبادىء والمعطيات الإسلامية هى الأساس والمنطق الأول للفكر التربوي الإسلامى وهذه مستندة من الإسلام ومن الاجتهاد الموافق لروح الإسلام ، وبفضلها تحققت الشخصية الإسلامية ، ومن ثم تعتبر المصادر الأساسية للفكرة الإسلامية هى مصادر الفكر التربري .

١ ـ القرآن والسنة :

وتلتمس فيهما المبادىء العامة والمسلمات والمعطيات ، وخاصة أن التربية نظام فرعي نابع من نظام كلي ، أي نابع من معطيات تفسر جوانب

---

(٢) د . عماد الدين خليل : فى النقد الاسلامي المعاصر ــ طبعة أولى ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٩٧٧ ، صـ ١٥٣ .

الحياة المختلفة ، ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه المعطيات حتى يمكن تحديد الجانب التربوى منها ، لأن دراسة أى اتجاه فى موضوع ما يتطلب معرفة الفلسفة التى ينتمى إليها ، والتى تحدد طبيعته سواء كان هذا خاصا بالتقييم أو بالتنظيم أو التفسير أو العرض [٣] وقد تناولنا هذه المعطيات فى فصل سابق [٤] ، وهى نفس المعطيات التى يعتمد عليها الفكر التربوي فى إطار الاهتمام بالوجود البشري خاصة لأنه موضوع التربية ، وهو « الذى تهتم التربية بإحداث التغيير المرغوب فيه ، وتسعى جاهدة لنموه وترقيته وتطويره إلى ما هو خير وأفضل » [٥] .

وبهذا يمكن اعتبار القرآن والسنة المصدرين الأساسيين للفكر التربوى الإسلامى على أساس :

(١) أن القرآن أتى بالمبادىء العامة وفصلتها السنة الشريفة التى استطاعت ترجمة الوحي إلى واقع حي ملموس ومشاهد ، بمعنى أنها حولت النص إلى واقع .

(٢) أن المبادىء والأسس التى جاءت فيهما إنما تعبّران تعبيرا صريحاً وواضحا عن مدى صلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان ، وذلك بفضل إعمال الفكر لتحويل هذه المبادىء والأسس إلى واقع تربوى ، إذ أنها لم تأت لتنفصل أو تنعزل عن الحياة ، بل لتكون لها الفعالية الاجتماعية والتربوية اللازمة ولتطبق فى الواقع علي الإنسان وفي الإنسان .

---

(٣) مقداد يالجن : الاتجاه الاخلاقي فى الاسلام . دراسة مقارنة ــ ط ١ ــ مكتبة الخانجى ــ القاهرة ــ ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢ م ، صـ ١٥ .

(٤) انظر الفصل السابق من الرسالة ، ص ص ٤٥ ــ ٥٨ .

(٥) د . عمر محمد التومي الشيباني . (مرجع سابق) ، صـ ٣٨ .

وقد أدّي تعامل الفكر مع هذه المعطيات والمبادىء إلى إيجاد فكر تربوي متكامل متوازن ، تعامل مع الشخصية الإنسانية ذات المميزات الواضحة ، ومن ثم تعتبر هذه أساسا لفهم الطبيعة البشرية والإنسان الذى هو مادة التربية الخام متعلما ومعلما ، وقد أوقفنا الإسلام فى مصدريه الأصليين على هذه الطبيعة وأبعادها ، ذات الصلة الوثيقة بالتربية ، وعلى هذا الأساس تعامل الفكر التربوي مع واقعه فأنتج وأثمر ، واستغل هذه الأبعاد ، ووظفها توظيفا كَفَل تحقيق الشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامى ورقيهما وتقدمهما ، وكان للفكر الإسلامى تراث واضح فى هذا المجال يعكس بوضوح كيف كان متفاعلا وملبيا لحاجات المجتمع .

٢ ــ التراث :

ألقى القرآن والسنة وما حوياه من مبادىء أساسية عن الطبيعة الإنسانية وما فتحاه من مجالات للفكر الإنسانى الأسس التى استمد منها الفكر التربوي أسسه ومنطلقاته ، بحيث أنتج الفكر التربوي فكرا متميزا ، يخدم قضية إعداد الفرد المسلم للحياة الإسلامية الصحيحة ، وكانت اجتهادات مختلفة وغنية ومتنوعة لا يمكن إغفالها أو تجاهلها أو التنكر لها ، لأنها تشكل « جذور الأمة ومكونات شخصيتها ومسارها الحيوى عبر الزمان والمكان .. » وقد شكلت تراثا « هو القاعدة والمنطلق وحجر الزاوية ... وهو قَدَر الأمة ونسيج وجودها الذي لا يمكن لإنسان أن ينكره إلا على مستوى الجدل النظري الذى لا رصيد له فى عالم التجربة الحية والواقع المعاش »[٦] وبدون الامتداد إلى الماضي لا تتمكن الأمة من أداء مهمتها ، إذ أن تراثها « ليس إلا مجموعة تجاربها ومعطياتها ومكونات حياتها

(٦) د . عماد الدين خليل : « موقف ازاء التراث » ــ المسلم المعاصر ــ العدد التاسع ــ ربيع أول ١٣٩٧ هـ ــ مارس ١٩٧٧ ، صـ ٣٥ .

الشاملة ، وعوامل التأثير والصياغة فى هذه الحياة »[٧] . وشخصية أية أمة إنما هى نتاج تفاعل أنشطة وممارسات وأفكار تتم نتيجة التفاعل بين الناس والمكان والزمان ، بحيث تعتبر « بصمات عميقة موغلة فى التكوين النفسى والأخلاقى والفكر الاجتماعي للأمة .... بحيث إن أى تجاوز أو إغفال أو محاولة للقطع والبتر لا تؤدى إلا إلى تشويه شخصية الأمة إن لم نقل قتلها وتمزيقها »[٨] .

معنى التراث : إنه يعنى ببساطة « كل ما وصل إلينا من الماضى داخل الحضارة السائدة ، فهو إذن قضية موروث وفى نفس الوقت معطى حاضر على عديد من المستويات »[٩] ولذا فهو يأخذ معنى « الثروة التى انتقلت إلينا من أسلافنا »[١٠] فى كافة المجالات ، مبتدئا من عامل الزمان منتهيا بالنظرة الشاملة للكون والحياة ، مرورا باللغة والأدب والأخلاق والذوق ، والعلاقات والعادات والتقاليد والعرق والسلوك ، باعتبار هذا كله تراثا شاملا وعميقا فى مجرى الزمن يضم العوامل والمؤثرات التى صنعت وصاغت هذه التقاليد والأعراف[١١] الناتجة عن الممارسات الحضارية .

وأمام هذا يوجد مستويان للتراث : **المستوى الأول** : تراث مكتوب موجود فى المكتبات والمخازن « مخطوط أو مطبوع » له وجود مادي على مستوي أولى ، مستوى الأشياء » ، **المستوي الثاني** : وهو المستوي التصوري فى نفسية الجماهير ، إذ أن التراث « فى الحقيقة مخزون نفسى

---

(٧) المرجع السابق ، صـ ٣٦ .

(٨) المرجع السابق ، صـ ٣٧ .

(٩) د . حسن حنفي : التراث والتجديد ــ موقفنا إزاء التراث ــ المركز العربى للبحث والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٨٠ ، صـ ٩٠ .

(١٠) أبو الحسن الندوي : رحال الفكر والدعوة فى الاسلام ــ ط ٤ ــ دار القلم ــ الكويت ــ ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م ، صـ ٣٠ .

(١١) د . عماد الدين خليل (مرجع سابق) ، صـ ٣٧ .

عند الجماهير » وهو « مازال قيمة حية فى وجدان العصر يمكن أن يؤثر فيهم ويكون باعثا علي السلوك »[12] .

وفى كلتا الحالتين ، فإن التراث ليس كيانا مستقلا بذاته ، إذ هو يشكل كيان الأمة ، وليس مسألة متحفية ، أو مجالا للبحث الأكاديمى فقط ، وليس متعة تزجى للناس فى أوقات الفراغ ، وليس حقلا إنتاجيا يجذب انتباه السائحين ، بل هو سلوك معاش في الحياة اليومية ، فليس المهم قراءة التراث ودراسته فقط ، بل المهم أن « يخرج قارئه ، ودارسه بروح يستمدها مما قرأ ودرس ليبثها فى حناياه ، فإذا هو مصطنع لنظرة جديدة ، من شأنها أن تعقد الأواصر بينه وبين السلف الذى أحيينا تراثه ، حتى ولو وقف من مضمون إرثه موقف الناقد أو المتشكك[13] » فالمهم هو ترجمة هذا التراث إلى واقع بعد تمثله ، ونفى غير الملائم ، لأن التراث مازال قيمة حية فى السلوك ، ومن هنا كان إحياء التراث « ضرورة واقعية ورؤية صافية للواقع ، فالتراث جزء من مكونات الواقع ، وليس دفاعا عن موروث قديم ، التراث حي يفعل فى الناس ويوجه سلوكهم وبالتالى يكون تجديد التراث هو وصف لسلوك الجماهير وتغييره لصالح قضية التغيير الاجتماعى[14] » ومع هذا ، فإنه يجب أن نأخذ فى الاعتبار .

أولا :

أن هذا التراث ليس هو الإسلام ، أو بالأصح أن الإسلام ليس تراث أمتنا بالشكل الرياضى الصارم كتطابق مثلثين تناظرت زواياهما ، إنما يجيء التراث نتاج تفاعل بالسلب والإيجاب مع الإسلام بالدرجة الأولى ، ومع عدد آخر من المبادىء والأديان والمذاهب بالدرجة الثانية ، فهو إذن ــ أي التراث ــ حشد من المعطيات تتمخض عن طبيعة التجربة التى أحدثتها

(١٢) د . حسن حنفي (مرجع سابق) ، صـ ١٦ .

(١٣) د . زكى نجيب محمود : « إحياء التراث وكيف أفهمه » ــ العربي ــ العدد (٥٦٥) ــ محرم ١٤٠١ ــ ديسمبر ١٩٨٠ ، صـ ١٣ .

(١٤) د . حسن حنفي (مرجع سابق) صـ ١٦ .

مواقف آبائنا وأجدادنا من الإسلام ، معطيات شتى فيها من الخطأ والصواب ، والأسود والأبيض ، والمتعرج والمستقيم ، والظالم والعادل[١٥] » .

ثانيا : أن الإسلام كما جاء في القرآن والسنة الصحيحة له صفة الديمومية والاستمرارية ، التي تتخطى عوامل الزمان والمكان ، إذ هو ليس موقوتا ولا زائلا ولا متغيرا ، أو خاضعا لقوانين النسبية ، وفتح باب الاجتهاد يدل على ما نزعمه ، ومن ثم فإن الإسلام بهذا الشكل مستكمل « لجميع مقومات الحياة وأصولها ، ولجميع مقومات الدين وقواعده بصورة دقيقة منظمة فهو نظام كامل للدين والدنيا »[١٦] أما الفكر الذى دار حولهما ، فهو عطاء موقوت ،لأنه انتاج إنسانى مرتبط بزمان ومكان ، بمعنى أنه لن يصل بحال مرحلة الخلود المطلق ، وتجاوز نسبيات الزمان والمكان ، كما أنه باعتباره حصيلة لقاء عملي واقعي بين الإنسان وبين العقيدة — يجيء متأرجحا بين النقص والكمال ، بين الفجاجة والطرافة ، والتعصب والبدائية ، وبين النضج والمرونة والانفتاح والتوافق . . . « وما أكثر ما قاد هذا التأرجح فى التعبير كثيرا من الناس إلى أن يجانبوا روح الإسلام وبداهاته وهم يحسبون أنهم يعبرون عن ضرورات هذا الدين »[١٧] .

فتراثنا إنما كان نتيجة لقاء المطلق بالنسبي ، الإسلام بالمسلمين « فضم بين حناياه تجاربهم المضيئة ، وجهودهم الخلاقة ، وإبداعهم الدائب ، ونتاجهم الدائم ، كان بمثابة المؤشر لما اعتمل فى نفوسهم من مشاعر وعواطف وأحاسيس ، ولما انتاب أذهانهم من رؤى وأحلام وأفكار وتصورات ، .. وهى جميعها من ألفها إلى يائها — مسائل تحتمل الخطأ

(١٥) د . عماد الدين خليل (مرجع سابق) ، صـ ٤٦ .

(١٦) د . محمد الصادق عفيفي . المجتمع الاسلامي وأصول الحكم — طبعة أولى — دار الاعتصام — ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م ، صـ ٣٩ .

(١٧) المرجع السابق ، صـ ٤٧ .

والصواب » والنور والظلمة ، والحق والباطل »[١٨] ومن هنا يأتى الفرق الواضح بين الإسلام ومعطياته ، والفكر الاسلامى وتجلياته ، إذ أن الأخير حوى كافة الاتجاهات الصحيح والسليم والمخطىء والضال نسبة إلى الرقعة الإسلامية لا إلى الإسلام ومبادئه .

فالتراث ليس بالضرورة هو الإسلام ، وعليه فإن التراث باعتباره « ظاهرة تشارك الماضى فى أحد أبعادها ، يتمتع عبر وجهيه المادى والثقافى ، بوجود موضوعى مستقل عن موضع الباحث المؤرخ له .

إن مهمة الباحث فى التراث بصفته تتركز فى الانطلاق من : ١ ــ أن التراث نفسه نشأ بشكل موضوعى . ٢ ــ من أن الباحث يمّكن أن يتصدى له متسما برؤية علمية تراثية معمقة لمفهوم الموضوعية »[١٩] بمعنى أن يدخل الباحث إلى التراث من فهم التراث ذاته ، بحيث « نأخذ من تراث الأقدمين ما نستطيع تطبيقه اليوم تطبيقا عمليا ، فيضاف إلى الطرائق الجديدة المستحدثة ، فكل طريقة للعمل اصطنعها الأقدمون ، وجاءت طريقة جديدة أنجح منها ، كان لابد من اطراح الطريقة القديمة ، ووضعها على رف الماضي الذى لا يُعْنَي به إلا المؤرخون ، بعبارة أخرى ، إن الثقافة ــ ثقافة الأقدمين أو المعاصرين ــ هى طرائق عيش ، فإذا كان عند أسلافنا طريقة تفيدنا في معاشنا الراهن أخذناها وكان ذلك هو الجانب الذى نحييه من التراث ، أما ما لا ينفع نفعا عمليا تطبيقيا فهو الذى نتركه غير آسفين[٢٠] » .

---

(١٨) المرجع السابق ، صـ ٤٧ .

(١٩)د . طيب تيزينى : مشروع رؤية جديدة للفكر العربى من العصر الجاهلى حتى المرحلة المعاصرة ــ الجزء الأول ــ من التراث إلى الثورة ــ حول نظرية مقترحة فى قضية التراث العربى ــ ط ٢ ــ دار ابن خلدون ــ بيروت ، ١٩٧٨ ، صـ ٢٤٤ .

(٢٠)د . زكي نجيب محمود : تجديد الفكر العربى ــ ط ٢ ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٩٧٣ ، صـ ٢٧ .

ودورنا هنا الانطلاق « من واقع هذا الموروث ، محتفظين فى هذا السياق ببعض عناصره أو معدلين فيه عموما غير منطلقين من الصفر ، وإنما علينا الإقرار العملى والنظرى بوجود محيط اجتماعى أسهمت فى تكوينه أجيال سابقة سالفة[21] » وبهذا يتحقق التجانس الزماني والمكاني ، حيث يربط الحاضر بالماضي والماضي بالحاضر ، وبالتالى لا يحس الإنسان بالغربة عن الماضي أو الحاضر « بوضع طبقة من الجديد فوق طبقة من القديم ، مما ينشأ عنه فى كثير من الأحيان لفظ القديم للجديد ، ورجوع للقديم كرفض العضو للجسم الغريب[22] » .

ولا يمكن غض الطرف عن التراث التربوى ، وخاصة أن المربين والمفكرين المسلمين تركوا لنا تراثا عظيما ، سواء فى مجال الفلسفة التربوية أو المناهج ، أو طبيعة المتعلم ، ودور المعلم وأساليب التربية ، وكان لعلماء الكلام ، والفلاسفة ، والصوفية آراء ، وعنى الفقهاء من أهل السنة بالتعليم ليشب العامة على معرفة الدين علما وعملا ، لأن معرفة الدين لاتتم إلا بنوع من التعليم[23] » .

وإذا كان الفكر الإسلامى فى التربية جاء مختلطا بكتابات الأدباء والفلاسفة والفقهاء ، فإنه جاء أيضا منفصلا فى كتب ورسائل ، منها كتاب القابسى« الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » ورسالة ابن الجزار « سياسة الصبيان وتدبيرهم » ورسالة ابن جماعة « تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم » ورسالة ابن سحنون « آداب المعلمين » ورسالة الزرنوجي « تعليم المتعلم » ورسالة العلموي « المفيد فى أدب المفيد والمستفيد » والغزالي « إحياء علوم الدين » وفيه أبواب كاملة

---

(٢١) المرجع الأسبق ، صـ ١٢٤٥

(٢٢) د. حسن حنفى (مرجع سابق) ، صـ ١١٧

(٢٣) د. أحمد فؤاد الأهوانى · التربية في الإسلام ــ طبعة ثانية ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٧٥ ، ص ٨٩

و« أيها الولد المحب » ، ومسكويه « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » وابن سينا فى « السياسة » وابن خلدون فى « المقدمة » وابن الحاج العبدرى « المدخل إلى الشرع الشريف » وابن عبد البر « جامع بيان العلم وفضله » وإخوان الصفا فى « الرسائل » والجاحظ وغير ذلك .

ورغم ذلك فإننا نلاحظ أن الفكر التربوي الإسلامي فى أغلبه يوجد منشورا هنا وهناك فى كتابات الفقهاء والفلاسفة وغيرهم ، وهو فى كل هذا يتكامل " أكثر مما يتكامل فى كتابات رجال التربية الإسلامية ، وذلك لأن الفكر التربوى عند أولئك الفقهاء والفلاسفة والمتكلمين فكر متصل بفكر أكبر يدور حول الفرد المسلم ، ثم يأتى الفكر التربوى فى النهاية ليكون فى خدمة الفرد والمجتمع ، ولا يأتى مبتورا منقطعا عنهما[٢٤]" وعليه يمكن القول أن التراث الفكري الإسلامي يحتوى على فكر تربوي ، إما مستقلا بذاته وإما مختلطا بغيره من آراء وأفكار ، وإذا جمعت جميعا يمكن أن تتكامل كأساس لنظرية تربوية تعد منطلقا للتطبيقات التربوية .

ويمكن تلخيص الموقف فى هذا المجال كما يلى :

١ ــ الاعتماد على استقراء معطيات القرآن والسنة ، واستيعابها والتعامل معها على أساس أنها المصدر الرئيسى الثابت لكل فكر تربوى يمكن أن تكون له فاعليته فى التربية الإسلامية .

٢ ــ استيعاب التراث وذراسته ، حتى يمكن الاستفادة مما فيه من آراء صحيحة وسليمة ، يمكن أن تفيد فى تحسين التربية ، وتوضيح جوانب الضعف لتركها وتجنبها فى ضوء الواقع التربوي ، وجوانب قوته وضعفه حتى يمكن رد المسببات إلى أسبابها ، بمعنى أنه مع موضوعية دراسة التراث يجب الالتحام بالواقع التربوي ، وحتى يمكن إحداث التغيير المطلوب تحقيقه ، واستفتاء

---

(٢٤)د . عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٧٧ ، صـ ١٣٣ .

التراث هنا ضروري ليقام الجديد على أساس قديم ملائم ، وتكييف الجديد مع القديم وحتى لا يرفض أو يلفظ .

٣ــ استخلاص نظرية تربوية فى ضوء المعطيات الأساسية والجيد من التراث ، وإقامة التطبيق العملى على هذا الأساس الذى تنطلق على أساسه وتبنى النظرية التربوية ، وما كان مجتهدا من التراث ليستفاد منه ، ما دام يحل مشكلا حاضرا ، أو يشكل أساسا من أسس النظرية التربوية ، وإذا لم يوجد فالاجتهاد ثم الاجتهاد ، ثم الاستعانة بالخبرات الأخرى فى هذا المجال .

فإذا كان فى التراث مثلا ، الدعوة إلى إلزامية التعليم [٢٥] ، وأهمية تحقيق العدل فى الفرص التعليمية وتكافؤها ، وتعليم البنت [٢٦] ، ومراعاة ميول التعليم [٢٧] ، وتحقيق الاتجاه الديمقراطى فى التربية [٢٨] ، وتوفير الحرية للمعلمين والمتعلمين [٢٩] ، وتحقيق وظيفة التربية ، وغيرها ، فإن مجال الباحث هنا تحديد الإجراءات باستحداث الأساليب لتحقيق هذه الاتجاهات لا إضاعة الوقت فى جدواها والخلاف حولها ، وبهذا يصبح لنا فكر تربوي متميز .

ثانيا : أهداف التربية الإسلامية :

تنبع أهداف التربية من فهم الطبيعة الإنسانية ، والمجتمع والكون ، والعقيدة من المصادر الأصلية ، وإذا كنا قد وقفنا على معطيات الإسلام ، فإنه يمكن فهم أهداف التربية الإسلامية فى ضوئها ، لما لهذا من أهمية بالغة ، فى تحديد وتوجيه العملية التربوية بما يضمن لها الفاعلية والاستمرار ، ومن هنا فإن دراسة أهداف التربية " عملية معقدة تتطلب مهارات متنوعة وذلك أنها تتضمن التفكير الجمعي والفردي ، والتعبير عن هذا التفكير مع ربط التفكير

---

(٢٥) انظر : حسن عبد العال : التربية الإسلامية فى القرن الرابع . (مرجع سابق) ، ص ٢٢٤ .
(٢٦) المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .
(٢٧) المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .
(٢٨) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .
(٢٩) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

والتعبير بالتطبيق العملي ''[30]

وإذا كان الهدف يعنى « وجود عمل مرتب منظم قائم على استبصار سابق للنهاية فى ظل ظروف وإمكانيات موضوعية مصاحبة »[31] فإنه ''يدل على نتيجة أى عمل طبيعى على مستوى الوعى ، وبعبارة أخرى ، إنه يعنى تدبر العواقب من حيث نتائجها المحتملة المترتبة على تصرف ما فى موقف معين بطرق مختلفة ، والإفادة مما هو متوقع لتوجيه الملاحظة والتجربة [32]'' والهدف التربوى يعنى'' المتغير المطلوب الذى تسعى العملية التربوية أو الجهد التربوى إلى تحقيقه ، سواء فى سلوك الفرد أو حياته الشخصية أو فى حياة المجتمع ، وفى البيئة التى يعيش فيها الفرد ، أو فى العملية التربوية نفسها ، وفى عمل التعليم كنشاط أساسي وكمهنة من المهن الأساسية في المجتمع[33]'' بمعنى أنه يعني '' النتيجة النهائية لتعليم ناجح[34]''.

وقد تناول الفكر التربوي الإسلامي أغراضا للتعليم ، وأهدافا، معتمدا أساسا على النظرة الإسلامية للكون والإنسان والله ، مستندا إلى القيم التى وردت فى القرآن والسنة ، والتي تميزت :

ــ بنظرتها الشاملة للحياة ، دنيا وآخرة ، على قدم المساواة ، لم تهتم بواحدة دون الأخرى .

ــ بنظراتها المتوازنة الوسيطية للإنسان فى كافة نواحيه فلم ينصب اهتمامها على ناحية دون أخري أو جانب دون آخر مما يدخل تحت مفهوم الإنسان ،

---

(٣٠) د. فكرى حسن ريان : المناهج الدراسية ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ١٩٧٢ م ، ص ٢٧ .

(٣١) منير المرسى سرحان :فى اجتماعيات التربية ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ ١٩٧٣، ص ٦١

(٣٢) رالف واين : قاموس جون ديوي ــ ترجمة محمد العريان ــ مكتبة الانجلو المصرية ــ ١٩٦٤ ، ص ٤١

(٣٣) د. عمر محمد التومي الشيباني (مرجع سابق) ، ص ٢٨٢

(٣٤) د. فتحى عبد المقصود الديب ، د. محمد صلاح الدين علي مجاور : المنهج المدرسى ، أسسه وتطبيقاته ــ ط ١ ــ دار القلم ــ الكويت ــ ١٣٩٢ ، ١٩٧٣ ، ص ١٩ .

وكان اهتمامهابالإنسان ماديه ومعنويه[٣٥]، فرديته وجماعيته[٣٦] ومدخل نظرتها هو الاستخلاف الذى كرم الله به الإنسان[٣٧].

ــ بنظرتها الشاملة المتوازنة لجميع مناشط الإنسان وحركته ، فى علاقته بربه ، وبنفسه وبالآخرين وبالأشياء ، ولم تركز على علاقة دون علاقة ، بل اهتمت بها كلها فى شكلها الحركي ، لا فى شكلها السكوني الجامد .

وعلى هذا الأساس جاءت مجموعة الأهداف التربوية ، معتمدة على قيم أقرها الإسلام وارتضاها ، وهى مطلوبة بشكل متساو تماما ،ولكنها تتدرج طبقا لمراحل النمو الإنساني ، ويمكن تناول الأهداف كما يلى:

١ــ الهدف الأعلي من التربية :

لم يكن هدف ’’ المسلمين من التربية دنيويا محضا كما كان عند اليونان والرومان مثلا ، ولم يكن دينيا كما كان عند الإسرائيليين فى العصور الأولى ، وإنما كان غرضهم دينيا ودنيويا معا ، وكانو يرمون إلى إعداد المرء لعمل الدنيا والآخرة ‘‘ [٣٨] ويكاد الهدف الأعلى من التربية يتحدد ويتمحور حول تكوين الشخصية المتكاملة المتوازنة العابدة’’ بالمفهوم الشامل للعبادة ، الذى يشمل كل مناشط الدنيا والآخرة ، والتى تعتبر غاية الوجود الإنساني ووظيفة الإنسان فى هذه الحياة ، وهى أوسع وأشمل من مجرد الشعائر ، فلأن ’’ يصير الإنسان كل الإنسان عابدا ، ذلك هو الهدف الكلى للتعليم والتربية فى الإسلام‘‘[٣٩].

وعلى هذا الأساس ترتبط العملية التربوية بكل مناشط الحياة ، كما

(٣٥) أنظر ص ٦٤ من الكتاب

(٣٦) انظر ص ٦٨ من الكتاب

(٣٧) أنظر ص ٦٤ من الكتاب

(٣٨) د. عبدالله عبد الدايم : التربية عبر التاريخ .(مرجع سابق) ١٤٢ .

(٣٩) د. عبد الفتاح حلال : من الأصول التربوية فى الإسلام ــ المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار فى العالم العربي ــ سرس الليان ــ المنوفية ــ ج . م . ع .ــ ١٩٧٧ ، ص ٧٩ .

أن الإسلام يرتبط بكل مناشط الحياة ، بل تصبح هى الحياة نفسها ، وخاصة أن تكامل الشخصية فى جوانبها وتوازنها فى الحياة هو السمة الرئيسية للشخصية العابدة ، والتى تعتبر الهدف الأعلي للتربية الإسلامية ، وبهذا تشتمل على كل ألوان الأنشطة التربوية ، والأهداف الفرعية التى تسعي هي الأخرى لتكوين هذه الشخصية ، واذا كان المربون المسلمون قد تناولوا أغراض التعليم ، ويكادون يعتبرونها فى نهاياتها التقرب الى الله وتمثل الفضيلة التي دَعَا إليها ، فإن هذا نابع من فهم كامل واستيعاب تام لوظيفة الإسلام ، باعتباره نظاما فرديا واجتماعيا وروحيا وكونيا ، وحضاريا يهتم بالدنيا كما يهتم بالآخرة على صعيد واحد ، ولذا فمعنى تناول أغراض التربية والتعليم بهذا الشكل ، يعنى الاهتمام بأمور الحياة كلها ، ويعنى اهتماما بأمور كثيرة فيها" صلاح دينهم ودنياهم ، فعنوا بتدريس علوم الدين والشريعة ، كما عنوا بدراسة علوم اللسان والتاريخ ، والجغرافيا والكيمياء، والفيزياء والهندسة ، والفلك وغيرها ، واستطاعوا بفضل هذه التربية الجامعة أن يشيدوا حضارة رائعة قدمت للعالم زادا ثقافياً علميا ، كان هو الأساس فى تطور الحضارة الحديثة كلها (٤٠) ».

لقد كانت تعاليم الإسلام فى القرآن والسنة ، تدعو إلى التكامل والتوازن والشمول فى تنمية الشخصية المسلمة بحيث تنمو عابدة على وجه الحقيقة ، مما كان لها أفضل الأثر وأبلغه فى بنائها فعلا عابدة متوازنة فى قواها ، لا تعمل للروح فقط ، ولا تعمل للمادة فقط ، بل كان التوازن الدقيق بين هذين القطبين (٤١) ، وهذا مما نادى الإسلام به والتَزَمَتْه التربية فى تنميتها للشخصية العابدة عاكسة ومحققة لمبادىء الإسلام فعلا ، والتى تميزت بوسطيتها بين القطبين والجمع بينهما .

---

(٤٠) المرجع الأسبق ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤١) أنظر ص ٦٩ من الكتاب

٢ ــ الأهداف الخاصة للتربية :

فى سبيل الهدف النهائى أو الأعلى للتربية تنوعت الأهداف الخاصة ، وتنوعت أيضا نظرا لاختلاف بيئات المجتمع الإسلامي ، وظروفها ، ومعطياتها فى المسيرة الحضارية التى مر بهاهذا المجتمع ، وقد لخص هذه الأهداف الباحثون فى التربية الإسلامية ، حسبما فهموه من كتب التراث الإسلامى (٤٢) ، ويمكن تناولها كما يلى :

أ ــ الأهداف المادية : وقد تناولتها أولا ، باعتبار أن الإنسان يتعامل أول ما يتعامل مع الأشياء المحيطة به ، ويعيش بها وفى وسطها ، وقد أعطى الإسلام هذه الأشياء قيمة بمقدار ما تساعد الإنسان على وجوده ، وبمقدار ما تساعده على تأدية رسالته وهى الاستخلاف فى الأرض ، وبمقدار ما يستدل منهاعلى قدرة الله تعالى ، وبهذا لا يقف الإسلام مجرد وقفة سطحية مجردة صماء ، بل ينظر إلى ما وراء السطح إلى الأعماق ، إذ أن نظرته تتمثل فى ثلاثة مستويات :

المستوى الأول : لفت نظر الإنسان إلى الأشياء حوله ، ودفعه الى التأمل فيها لاستنباط القوانين المسيرة لها . (٤٣)

المستوى الثانى : لفت نظر الإنسان إلى ما فيها من نفع ومصلحة له ، ووجوب الحركة من أجل الحصول على ما فيها من خير ومنفعة . (٤٤)

---

(٤٢) راجع ــ خليل طوطح : التربية عند العرب ــ المطبعة التجارية بالقدس ــ ١٩٣٥ ، ص ١٩ ــ ١٥٠ .

(٤٣) محمد فوزى العنتيل : التربيه عند العرب ، مظاهرها واتجاهاتها ــ الدار المصرية للتأليف والترجمة ــ ١٩٦٦ ، ص ١١ ــ ١٥.

منير المرسى سرحان : فى اجتماعيات التربية ، (مرجع سابق)ص ٦٩ ــ ٧١ .

مصطفى أمين : تاريخ التربية ، (مرجع سابق) ص ١٦٧ ــ ١٦٨ .

(٤٤) انظر : الشعراء : ٧ ، لقمان : ١٠ ، يس :٣٦ ، الزخرف: ١٢ ، ق : ٧ ، الفرقان : ٤٥ ــ ٤٩.

انظر : الزمر : ٢١ ، الرعد : ١٧ ، النحل : ٧٩ ، البقرة : ٢٤ ، سبأ : ٢٤ .

المستوى الثالث : لفت نظر الإنسان إلى أن كل هذه المخلوقات تقوم بأمر الله مسبحة له ، قائمة مسخرة على النواميس التى خلقها الله .(٤٥)

فإذا كان استغلال الأشياء والتعامل معها له قيمة فى النظرة الإسلامية ، فان القيم الإسلامية كلها تتداخل هنا ، سواء منها القيم الإلهية أو الفكرية ، أو غيرها ، فالإنسان فى تعامله المادي مع الأشياء ، ينفصل عنها ولا يصبح عبدًا لها ، وهو ينفصل من عالم الأشياء ولا يذوب فيها ، وفى نفس الوقت يستغلها ويعيش معها فى سلام ، فهي أشياء ليست مقصودة لذاتها وبالتالى يتخطاها باحثا عن الجوهر الثابت الذى لا يتغير ، فإذا تعامل معها وجد لغة التسبيح والانقياد إلى الله فينخرط معها فى تسبيحها طواعية فتعطية أقصى ما عندها .

وعلى هذا تأتى القيم الإسلامية فيما يتعلق بجانب المال ، فهو يوجهه ويعتبره شاملا "جميع القوي التى سخرها الله للإنسان من خير البر والبحر ، ظاهر الأرض وباطنها (٤٦)"، وتقرر أن الله مالك المال على الحقيقة والإنسان مستخلف فيه ، وعليه أن يعمل علي تطبيق شريعة المالك الحقيقى ، فله حق التملك الفردى ما دام شرعيا ومكتسبا عن طريق حلال ، وليس له كنز المال ، بل لا بد من الإنفاق وعدم البخل ولكن فى غير إسراف ، وإذا كان العمل والحركة هما مجال الكسب فإنه يجعل من العمل قيمة ، ولكن يوجهه " ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داوود عليه السلام كان يأكل عن عمل يده (٤٧)"، "لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"(٤٨) "لكنه العمل المتزن غير المرهق" إن

(٤٥) أنظر : الانبياء : ١٩ ، ١٦ الرعد : ١٥ ، الحج : ١٨

(٤٦) د . محمد عبدالله العربي : النظم الإسلامية ـ الاقتصادية والحكومية والدولية ـ مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية ـ ج ٢ ـ القسم الأول (د . ت) ص ١٣٠ .

(٤٧) الامام المنذري : الترغيب والترهيب (مرجع سابق) ، ج ٣ ، ص ٢

(٤٨) المرجع السابق ، ص ٢ .

المُنبتَّ لا أرْضًا قَطَعَ ولاَ ظهْرًا أبقى [٤٩] " وعلى الإنسان أن يؤدى حقوق الله تعالى فى المال والعمل ، سواء فى الزكاة أو العمل الصالح أو خدمة المجتمع ، عن طريق إزالة العقبات من الطرق ، وخدمة الضعفاء والمشاركة فى أبواب الخير ، وفى الاهتمام بالنفس يعطيها حقها فى المأكل والمشرب والملبس من غير إسراف ولا بخل ، وباحسان وتقوى فى إطار العبودية الصالحة لله .

وقد كان هذا أساسا قامت عليه التربية الإسلامية ، فهى لم تهمل النواحى المادية والنفعية ، يتضح هذا من الكتاب الذى بعثه عمربن الخطاب إلى الولاة : " أما بعد ، فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ، وروّوهم ما سار من المثل، وما حسن من الشعر" فعمر يأمر بتعليم الأولاد السباحة والعلوم والفروسية ، والرياضة البدنية ، والمهارة الحربية ، والعناية باللغة ، ورواية الأمثال السائرة والشعر الحسن[٥٠] .

وتكثر فى كتابات المسلمين الإشارة إلى القيمة المادية للعلم ، وإلى ما يوفره من رزق كريم وعيش طيب " ولهذا جعلوا للفنون والصنائع مكانا فى التعليم ، وعنوا بإعداد الفرد للمهن [٥١]" وقد ظهر هذا فى " تطور صناعة النسيج ونظم الرى ومنتجات الحديد والصلب ، والفخار والخزف ،والصناعات الجلدية ، والنهضة المعمارية ، ونسج السجاجيد والأكلمة ، وصناعة الورق والبارود ، واعتماد التجارة البحرية على ألف سفينة وتقدم الأنشطة التجارية .

---

(٤٩) الإمام احمد بن حنبل : مسند الإمام احمد — طبعة أولى — المطبعة الميمنية — مصر (د . ت جـ ١ ، ص ٣٠٠

(٥٠) محمد عطية الابراشي : التربية الإسلامية— رقم (٢) من دراسات فى الإسلام — المجلس الأعلى للشئون الإسلامية— وزارة الأوقاف — مصر — ١٣٨٠ هـ— ١٩٦١ ، ص ١٠ — ١١

(٥١) د . عبدالله عبد الدايم : (مرجع سابق) ، ص ٢١٦ .

ورغم أن التربية الإسلامية كانت تهدف إلى التدريب العملى ، فإن هذا التدريب كان يقوم على أساس تعليم العلوم الأساسية ، فيستمر هذا التدريب بالنظرية وتراجع النظرية عند التطبيق ، وحتى فى التدريب التجارى كان التدريب يقوم على أساس أن الاقتصاد علم أساسى[٥٢] ،، .

ب ـ الأهداف الفكرية : وهذه تتصل بالمعرفة ومجال الفكر والعقل ، وتأتى قيمها كما يلي :

١ ـ أن العقل وظيفة ، ومن أهم وظائفه الفكر والتدبر والتذكر والنسيان ، وهى تأتي فى الإسلام كقيم فكرية متصلة باستخدام العق'

٢ ـ أن العقل تساعده الحواس ، ومن ثم أتت نظرة الإسلام ا ں كقيمة ، فهو منفذ العقل على الواقع ، ووظيفته إدراك المحسوس ، وتتمثل فى '' المدركات بالحواس الخمس ، كالألوان ويتبعها معرفة الأشكال والمقادير ، ذلك بحاسة البصر ، وكالأصوات بالسمع ، وكالطعوم بالذوق ، والروائح بالشم ، والخشونة والملامسة واللين والصلابة والبروده والحرارة والرطوبة واليبوسة بحاسة اللمس ،فهذه الأمور ولواحقها تباشر بالحس ، أ تتعلق بالقوة المدركة من الحواس فى ذاتها[٥٣] ،، .

٣ ـ ويؤكد الإسلام قيمة العلم ، فهو الحاكم والضابط لكل شيء مما يقع تحت إمكانية إدراك الحس أو فى مقدور العقل أن يدركه ، ولذا فالعناية بالعقل عناية بالوجود البشرى كله ، لأنه القوة التى إذا سلكت الطريق الصحيح كان أداة فعالة فى بناء الإنسان وهدايته[٥٤] .

(52) Maehdy Nakhosteen: History Of Islamic Origins Of Western Education, Universit Of Clorado Press, 1964, P0 42.

(٥٣) الإمام أبو حامد الغزالي : معيار العلم ـ تحقيق د. سليمان دنيا ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦١ ، ص ٦٩ .

(٥٤) أنظر ص ٧٢ من الكتاب

٤ ــ إلا أن العقل البشرى وطرقه فى الوصول إلى المعرفة وحده لا يكفى ، ففى الإسلام طرق أخرى موصلة للمعرفة يصل إليها القلب بالإشراق والإلهام ، والوحي الذى يختص به النبى والرسول ، بمعني أن هناك ألوانا معرفية ، منها المعرفة الإلهامية أو الذوقية ، وهذه تعتمد على أدوات أخرى للوصول إليها ، وهى البصيرة(٥٥) . ويقول الإمام الغزالى : " اعلم أن العلوم التى ليست ضرورية وإنما تحصل فى القلب فى بعض الأحوال ، تختلف الأحوال فى حصولها ، فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدرى ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم ، فالذى لا يحصل بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسَمّى إلهاما ، والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ، ثم الواقع فى القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ، فيقسم إلى ما يدرى العبد كيف حصل له ، ومن أين حصل ، وإلى ما يطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم ، وهو مشاهدة الملك الملْقِى فى القلب ، والأول يسمي إلهاما ونفثا فى الروع ، والثانى يسمى وحيا ، وتختص به الأنبياء ، والأول يختص به الأولياء والأصفياء ، والذى قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء (٥٦) " فالقيم هنا تدور حول : أ ــ أهمية وقيمة العقل . ب ــ أهمية وقيمة الحس . ج ــ أهمية وقيمة البصيرة . ذ ــ أهمية وقيمة الوحى .

بمعنى أن درجات المعرفة فى الإسلام تضم :

أ ــ معرفة عامة عادية . ب ــ معرفة علمية تستند على العقل .
ج ــ معرفة إلهامية ذوقية . د ــ معرفة تتعلق بالوحى والتلقى من الله .

ومن هنا تشكلت أهداف التربية الإسلامية طبقا لهذا ، فعنيت بتنمية

---

(٥٥) انظر : البقرة :٢٨٢ ، الكهف : ٦٥ ، يوسف : ٢٢ ، ٥٦ .

(٥٦) الغزالى : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .
وانظر : ابن خلدون : المقدمة (مرجع سابق) ، ص ٩٠ .

الطاقات العقلية وتدريبها في سبيل استخدامها الاستخدام الذى يعود بالخير على الإنسان ، وقد عنى المسلمون بالإعداد العقلي للإنسان وتنمية القدرة على التأمل والتذكر والملاحظة والتخيل وبناء المعطيات الحسية بناء عقليا ، وتنمية الروح العلمي ، ونري هذا فى كتاباتهم ، حيث نجد تصنيفات مختلفة للعلوم ، كما نجده عند الغزالى ، وعند الفارابى ، وابن خلدون ، وعند مصطفى طاش كبرى زاده ، وحاجى خليفة ، وغيرهم . ونلاحظ مبادىء تقوم عليها التنمية الفكرية والمعرفية ، منها'' الإثارة للبحث عن المعرفة العلمية ، تطبيق الفنون العلمية ، تقدم العلوم التى تم تطبيقها وامتداد وانتشار هذا التطبيق ، تطور المعامل والاهتمامات التجريبية ، تشجيع الفنون والحرف . . . تشجيع المبادأة الفردية والحرية الأكاديمية للمدرس والتلميذ.. والحصول على الامتياز لتخريج رجال عظماء فى العلم وقواد فى الشئون العامة [٥٧]''.

واهتمت التربية الإسلامية بتنمية الروح التجريبي ، مستمدة إياها من القرآن والسنة[٥٨] ، وما يستلزمه من قوة الملاحظة ، والاعتماد على التجربة وتكرارها ، مع تشجيع الاستفسار الحر وإتاحة أدوات البحث والعلم للمتعلمين. كل ذلك فى إطار تربية العقل وإعداده إعدادا سليما لممارسة الفكر الواعي على أسس سليمة .

ج ــ الأهداف الجمالية : وهى ترتبط أساسا بتنمية الذوق الإنساني فى علاقاته المختلفة ، حيث ينفتح على ما فى الكون وما فى هذه العلاقات من جمال ، ومن عناصر جمالية ، والإسلام يعرض لقيم جمالية كثيرة ، والقرآن نفسه جماع كل القيم الجمالية ، سواء فى آياته أو فى دعوته إلى تذوق الجمال فى عناصر ومكونات الطبيعة ، والتى إذا ما استطاع الإنسان

---

(57) MEHDY NAKHOSTEEM: OP. CIT, P. 41,42.

(٥٨) أنظر ص ٧٣ من الكتاب

أن يتذوق الجمال فيه وفيها ، فإنه ينعكس على كل حياة الإنسان ، وفى كل جزئية من جزئيات حياته ، لأنه يكون متمثلا لقيم الجمال ، ومن هنا يصبح دقيقا فى مواعيده وفي تعبيراته ، وفى كل سلوك صادر عنه '' لأن الإحساس بالجمال ترتبط به مجموعة من الخلال الفاضلة ، مثل النظافة وسمو النفس ، والترفع عن الدنايا ، وعلو الهمة ، ومن المعروف أن الخلال النبيلة تترابط فيما بينها كما تترابط الخلال الوضيعة ، فالرجل الكريم نجده ــ فى العادة ــ شجاعا عفيف القلب حساسا بالجمال عزيز النفس عالىَ الهمة ،وبالعكس من ذلك نجد الرجل البخيل ضنينا بماله صغيرا فى تصرفه هياباً عند اللقاء ، والشعوب التى اشتهرت بالحس الجمالي هى الشعوب الكبيرة التى صنعت تاريخ البشر '' .[٥٩]

والإسلام فى هذا المجال ، يهتم بالإحساسات البشرية ، وفتحها على مشاهدة الكون كله من مجرات ونجوم وأرض وسماء وأقمار ، وما فيها من ألوان وأصوات ، وحركات وأشكال[٦٠] ، لأن هذا ''يوحي للإنسان بأفكاره ،ويطبعها بطابعه الخاص من الذوق الجميل أو السماجة القبيحة''وبهذا ''يجد الإنسان فى نفسه نزوعا الي الإحسان فى العمل ، وتوخيا للكريم من العادات''[٦١].

وإذا كان هدف الإسلام إدراك جمال الحقيقة المطلقة ، لأنه يخضع الطبيعة ويسخرها للإنسان ،فهو لا يهدف ولا يميل إلى محاكاة الطبيعة والتجسيد ،ونحت الصور والتماثيل ، وخاصة أنه''قد صح أن الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس ،تقبل آثارها ، وتمتثل بأمرها ،وتكمل بكمالها ، وتعمل

---

(٥٩) د . حسين مؤنس : المساجد ــ رقم (٣٧) من سلسلة عالم المعرفةــ سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت ــ ربيع أول ١٤٠١ هـــ يناير ١٩٨١ م ، ص ٨ .

(٦٠) أنظر : فاطر : ٢٧ ــ ٢٨، الملك :٧

(٦١) مالك بن نبي : شروط النهضة ، (مرجع سابق) ، ص ٩١ .

على استعمالها ،وتكتب بإملائها ، وترسم بإلقائها ،والموسيقى حاصل للنفس ووجود فيها على نوع لطيف وصنف شريف ، فالموسيقار إذا صادف طبيعة قابلة ،ومادة مستجيبة ،وقريحة مواتيه وآلة منقادة ، أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوسا مؤنقا وتأليفا معجبا ، وأعطاها صورة معشوقة ، وحلية مرموقة[٦٢]'' فما دامت الطبيعة مأمورة للإنسان وعقله ، فهو لا يهدف ولا يستهدف النسبي ولكنه يهدف المطلق ، فالمسلم يميل إلى تمثل صفات الله ،ومحاكاة الإلهي ،الذى هو فوق الفكر ،وفوق الواقع والمادة ، وبالتالى يسمو على الطبيعة ،ولذا فقيمة الجمال فى الإسلام تهتك الواقع للبحث عن المطلق ،لتلتقى بالعناية الإلهية فى التنسيق والإبداع والحركة والسكون.

وعلى هذا الأساس عنيت التربية بتنمية الإنسان متمتعا بقدرة خاصة على تذوق الجمال وقيم الجمال الكامنة فى الحياة والأشياء ، وإعادة تشكيلها بما يتوافق وعقيدته ،وفى التعامل والتفاعل فى الحياة الاجتماعية وفى الحياة الفردية ، وقد تجلت العبقرية الإسلامية عن طريق التربية'' فى الفن التجريدى الذى يسمونه الأرابيسك ''و'' هو فن مضاد للتجسيد كل التضاد ، خصم لكل صورة شخصية ولكل ما هو جسم ،ولما كان هو نفسه خلوا من كل جسم فإنه يسلب الشيء جسمه مغطيا إياه بثروة هائلة من الزخرفة ''.[٦٣]

وقد دربت التربية الإسلامية المتعلمين على كافة مجالات الفن ،وكان لكل واحد منها قواعد ،كالخط وغيره ،وظهرت صناعات فنية مختلفة ،منها الجاد ،ومنها المرفه والمسلي ،''مثل صناعة''الشعبذة''التى تعتمد على سرعة الحركة التى تضحك السفهاء وتعجب العقلاء ،ومثل'' الزفنة ''الذى يعتمد على تحريك الأكتاف والحواجب والرءوس ، وهو أنقص الصناعات

---

(٦٢) أبو حيان التوحيدي : المقابسات ــ المطبعة الرحمانية ــ القاهرة ــ ١٩٢٩ ، ص ١٦٤ .

(٦٣) د . عبد الحميد ابراهيم (مرجع سابق) ، ص ٣٩١ ، نقله عن : د . عبد الرحمن بدوى : اشبنجلر ــ النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٤٥ ، ص ١٣٤ .

ولا يقوم إلا بدور تكميلي فى الغناء كما يقول الفارابى ، ومثل ''الكرج''وهو من اللعب المعدة للولائم والأعراس كما يذكر ابن خلدون ،وهو عبارة عن تماثيل خيل خشب مسرجة من الخشب معلقة بأطراف أقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيول ''.(٦٤)

وبفضل التربية الجمالية ، ظهرت فنون كثيرة ،منها الموسيقى ،وترتيل القرآن ،والخط والنقش والزخرفة ،وجمال المعمار وصناعة الحلى الدقيقة ،وغيرها . وكان الشعر أبرز عاكس للتربية الجمالية ،وكذلك الأدب ،والمقامات ،وصناعة النسيج والسجاجيد ونقوشها الفاخرة ،وغيرها.

د ــ الأهداف الاجتماعية: وقد عملت التربية الإسلامية على تنمية الشخصية الاجتماعية بناء على أساس من القيم الاجتماعية ، تكون أساس الضبط الاجتماعي الذى يقوم على'' أساس نوعي الضبط الاجتماعى المعروفين لدى علماء الاجتماع . النوع الأول : ضبط اجتماعى داخلى ، ينميه الإسلام فى المسلم ،ميزانه القيم والأخلاق الإسلامية التى تشكل ضميره وإيمانه وعقله ،الذى يهديه إلى معرفة الحلال والحرام. والنوع الثاني: ضبط خارجى ،يتمثل فى تشريعات الإسلام وعقوباته القانونية فيما يختص بكل أمور الحياة الاجتماعية والمختلفة ''.(٦٥)

وتنبع هذه الأهداف من قيم اجتماعية تنبع أساسا من حاجة الإنسان إلى الارتباط بغيره من الأفراد ، والإسلام يعرض ألوانا من القيم الاجتماعية تتعلق بالأسرة والزواج والعلاقات الأسرية ،والعلاقات بالأسرة الكبيرة ،والعلاقات بالناس ،فى المساواة والإخاء ، واحترام الناس ،واعتبار المال ذا وظيفة اجتماعية ، وغير ذلك من القيم الاجتماعية التى تلعب دورا

(٦٤) المرجع السابق ، ص ٤١٩ ــ ٤٢٠ .

(٦٥) د .محمود السيد سلطان ، د . جعفر صادق اسماعيل : مسار الفكر التربوى عبر العصور ــ ط ٢ ــ جامعة الكويت ــ ١٩٧٧م ، ص ٦٢ .

بالغا فى حياة الناس ،وفى حياة المجتمع ،وذلك فى حين تلعب القيم الفردية دورا بالغا وهاما فى هذا النوع من القيم ،إذ أن جميع القيم الفردية تنقلب إلى قيم اجتماعية وخاصة أنه لا تعارض بين الفرد والمجتمع .[٦٦]

وقد عملت التربية الإسلامية على تنمية الشخصية الاجتماعية عن طريق الوعى الاجتماعى ،والتى عن طريقها تتكون الألفة الجامعة التى ''تجمع الشمل وتمنع الذل ''[٦٧]وذلك عن طريق التفكر فى العلاقات الاجتماعية ،والوعي بتاريخ الجماعة واستنباط القوانين الاجتماعية ، فالتربية الاسلامية تستخدم كافة الأساليب لتنمية الشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية التى ترتبط بالمجتمع عن طريق البر والرأفة والرحمة ،كل ذلك فى إطار العبودية الحقة والتقوي.

هـ ــ الأهداف الروحية والأخلاقية: وتقصد تعليم آداب الشرع وتعويد المتعلم أداءها السليم ،وفهم روح الإسلام ،بهدف بلوغ مرضاة الله ،والانعتاق من غضبه وعقابه ،وتحقيق العبودية المخلصة لله تعالى ،ويعتبر هذا الهدف سيد نتائج التربية الإسلامية وأعظمها ''.[٦٨]

وتتداخل هذه الأهداف مع بقية أهداف التربية الإسلامية ،إذ هي تعتمد على قيم تتداخل مع بقية القيم ،لأنها تتعلق بكل مفاهيم الحياة والإنسان ،ومنطلقات سلوك الإنسان ،إذ هى تتعلق بقضية الإيمان بالله وتوحيده ،باعتباره المثل الأعلي ،وهنا تصبح قضية الإيمان ليست مجرد فكرةأدبية ،بل تأخذ معني الفعالية الفردية والجماعية والمادية ، ومنها يترجم المسلم وجوده فى وحدة أجزاء هذا الكون المتكامل المتماسك ،المطرد

---

(٦٦) انظر : الإسراء : ٢٢ ــ ٢٩ ، وانظر الرسالة ، ص ٥٦ .

(٦٧) الماوردى : أدب الدنيا والدين ، (مرجع سابق) ، ص ٨٩ . وانظر ابن خلدون : المقدمة ،ص ١٦٣ .

(٦٨) د . محمد سعيد رمضان البوطي : تجربة التربية الإسلامية فى ميزان البحث ــ المكتبة الأموية ــ دمشق ــ ١٩٦١ ، ص ٢٥ .

السنن ،المحكم القوانين [٦٩] .

وعلى هذا يصبح الإيمان بالله الأوحد ،ذا فعالية إنسانية ،إذ يكون المسلم موجها عمله لله ،مخلصا قلبه له ،متوجها له بكليته بالفكر والاعتبار ودوام المراقبة ، والإقبال عليه ،والاعتماد عليه ، ومن ثم تصطبغ كل القيم الأخرى بهذه القيمة ،فتنطلق من منطلق الإيمان والتوحيد ،ويصبح معني تحقيقها تحقيق كرامة الإنسان وأفضليته التي ميز بها ،باعتبارها أفضل ما منح لمخلوق فى الكون ،ومن ثم يصبح الإيمان وظيفة إنسانية واجتماعية ويصبح خلق الإنسان متفقا مع ايمانه ،ويصبح عمل الإنسان ،وما رزقه من طبيعة إنسانية متميزة متفردة متفقا مع إيمانه- الذى يسمو به ليتمثل صفات الله باعتباره المثل الأعلي ،إذ أن الله له من الصفات الكثير ،ولا بد من ظهور آثار هذه الأسماء[٧٠]''وذلك من خلال العبودية''وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون[٧١] '' '' ومعلوم أن كمال العبودية المطلوب من الخلق لا يحصل فى دار النعيم والبقاء وإنما يحصل فى دار المحنة والابتلاء. وأما دار البقاء فدار لذة ونعيم لا دار ابتلاء وتكليف[٧٢]'' .

ويتصل بهذا ويلازمه التزام الأخلاق التى أمر بها الإسلام باعتبار أن '' الروح الخلقي منحة من السماء إلى الأرض [٧٣]'' وكان تقديم الإسلام للقيم الأخلاقية ذا منحى سلوكى ، يعتمد على الإرادة البشرية ، قائم على التوسط والاعتدال ، وميزانها هو الله من ناحيتين: أ ــ تمثل الأوامر والنواهى الأخلاقية. ب ــ تمثل أخلاق الله وصفاته ، وقيمة هذا فى أنه يوجد الوازع النفسى الداخلى الذى يحمى الإنسان من الانحراف ، عن الجادة والصلاح ،

(٦٩) صابر طعيمه : المعرفة فى منهج القرآن الكريم ــ دار الجيل ــ بيروت ــ (د . ت) ص ٢٨٨ .

(٧٠) ابن قيم الجوزية : مفتاح دار السعادة (مرجع سابق) ، ص ٣ .

(٧١) الذاريات : ٥٦ .

(٧٢) المرجع الأسبق ، ص ٦ .

(٧٣) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة (مرجع سابق) ، ص ١١١ .

وبهذا تأخذ العبادة كسلوك قيمة أخلاقية واضحة ومحددة ، وينتقل هذا فى شكل حركة دقيقة إلى حياة المسلم كلها ، والقيمة النهائية هنا هى التقوى ، التى هى جماع كل خير.

ومن هذا المنطلق يقدم الإسلام منهجا أخلاقيا ، يؤكد المسئولية الفردية والاجتماعية ، ويؤكد إنسانية الإنسان ، فلا تنحط به إلى درجة البهيم أو الشيطان ، لأن " الإنسانية من الإنسان ، ولهذا كانت حقيقتها الاتصاف بصفات الإنسان التى فارق بها الحيوان البهيم والشيطان الرجيم[٧٤] " وهى فى نفس الوقت لا تطلب منه الوصول إلى مرتبة الملائكة التى تفعل ما تؤمر به دون تمرد أو تساؤل ، ولذا فإن القيم الأخلاقية التى أقرها الإسلام فيما يتصل بنفسه أو بربه أو بغيره ، أو بمجتمعه أو بالمجتمع العالمى أو غير ذلك[٧٥] إنما تهدف إلى إقامة الإنسان والمجتمع على أساس أخلاقى متين. يصل بالإنسان إلى السكينة و " الطمأنينة والوقار والسكون الذى ينزله الله على قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف ، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه[٧٦] " معتمدا فى ذلك على الحركة التى تعتبر من أهم سمات الإنسان ، وعلى رسوخ الفعل والقيمة كعادة واتجاه فى النفس الإنسانية ، والدافعية الذاتية الداخلية بتمثل الله مراقبا ، وبالتالى تتحقق السكينة التى يرومها الإسلام.

وتأتى اهتمامات التربية من هذا المنطلق ، فتهدف إلى تكوين السلوك الخلقي الكامل وتنميته ، سواء فيما يتعلق بالوازع الداخلى أو الخارجى ، أو بتكوين تصور عن الجزاء ، أو غير ذلك ، من مراحل تكوين السلوك الأخلاقي ، ويكاد يجمع المربون المسلمون على أن التربية الروحية

---

(٧٤) ابن قيم الجورية : مدارج السالكين ، (مرجع سابق) جـ ٢، ص ١٩٧ .

(٧٥) انظر : د . محمد عبدالله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن (مرجع سابق) ، الملاحق .

(٧٦) الغزالي : احياء علوم الدين ، جـ ١، ص ٢٨٧ .

والأخلاقية هى روح التربية الإسلامية ، وأن " الوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية " فالغرض الأساسي من التربية الإسلامية ، تهذيب الخلق ، وتربية الروح ، وكل درس يجب أن يكون درس أخلاق ، وكل معلم يجب أن يراعى الأخلاق ، وكل مؤدب يجب أن يفكر فى الأخلاق الدينية قبل أي شيء آخر[٧٧] " فقد هدفت التربية إلى " تنمية أخلاقيات معينة لدى الإنسان ، أي تنمية عادات سليمة تتفق مع الفكرة الإسلامية عن الإنسان ليسير عليها فى حياته[٧٨] " .

ومن دراستنا السابقة ، يمكن القول أن عوامل نجاح الفكرة الإسلامية ، من وسطية وتكامل وشمول ، قامت عليها التربية فى أهدافها ، التى جاءت طبقا لهذه الفكرة ، بحيث هدفت إلى تكوين الذات المسلمة الإيجابية فى الحياة وفى شئون المجتمع ، وفى الفكر ، بحيث تكون مبدعة خلاقة، ومشاركة فى كل شئون المجتمع طبقا لمعايير وقيم ، وتهتم بأمور مجتمعها بحيث تكون ذاتا منتجة فى أقصي درجات الفعالية الإنتاجية ، وحيث تقتضى خلافة الإنسان فى الأرض أن يقوم بعمارتها ، وتحويل العناصر التى تقع تحت يده إلى إنتاج وثروة، فالتربية الإسلامية تهدف على وجه الحقيقة إلى مساهمة ومشاركة الفرد المسلم بني جنسه فى بناء وتعمير الأرض ، وتغيير الواقع الطبيعى بعناصره ، والاجتماعي بمعطياته ، والثقافي بميراثه ، وصنع ثقافة جديدة للمجتمع ، وصنع حياة أفضل دائما فى ضوء المعايير والقيم والأهداف التى جاء بها الإسلام.

وفى هذا راعت الفطرة البشرية والتكوين الإنساني الأساسى ، وجوانبه المتنوعة من مادي ومعنوي وأخلاقي وروحي ، وجمالي ، واجتماعي ، فلا

---

(٧٧) محمد عطية الأبراشي : التربية الإسلامية . (مرجع سابق) ،ص ٩ .

(٧٨) د . عبد الغني النوري ، د . عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية ــ ط ١ ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ ١٩٧٦ ، ص ١٦٠ .

تري تلك الحواجز بين العقيدة والفكر الإسلامى ، ولا التعارض بين المادة والعقل ولا بين الدين والدنيا ، ومن هنا كانت شمولية الأهداف التربوية ، وذلك الانفتاح العقلي والفكري والاجتماعي على كافة المتغيرات الاجتماعية الحضارية ، مما أنتج في النهاية شخصية إسلامية متميزة ، وضعت فى قلب التاريخ وفى مجراه فكانت علامة مضيئة فى مسيرة الحضارة.

ثالثا: وسائط التربية ومناهجها:

قامت على هذه الأهداف وسائط تربوية مختلفة ، وتوفرت المؤسسات التربوية ، وكان لها فلسفتها وطابعها الذى تقوم عليه ، وكانت دار الأرقم بن أبى الأرقم ، أول مؤسسة تربوية في الإسلام '' بعد نزول الوحي على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكليفه بأعباء الرسالة ومسئولياتها ، وكان المعلم الأول فيها..هو الرسول الكريم نفسه ، الذى سبق إعداده على مدي الأربعين سنة ، سبقت تكليفه بالرسالة ، وكان المتعلمون الأوائل فيها هم الصفوة المختارة التي سارعت إلى تصديقه والإيمان به ، وكان منهج الدراسة بها آيات القرآن ، يتنزل بها الروح الأمين على قلب هذا المعلم[٧٩] '' ، وكان '' من هذه الدار ، أول توجيهات الإسلام نحو المعرفة ، والقراءة التى لا بد أن تنتج عن كفاية ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس بين أتباعه ليقرأ لهم القرآن ، ويشرح لهم ما قد يغمض عليهم ، وكانت '' طريقة التدريس هى الشرح والتوضيح والتفسير والتحليل ،وكانت وسيلة الإيضاح هي القدوة الصالحة ، يضربها هذا المعلم الأعظم ، لتلاميذه العظام[٨٠] ''.

---

(٧٩) د . عبد الغني عبود : دراسة مقارنة لتاريخ التربية — طبعة أولى — دار الفكر العربي — القاهرة — ١٩٧٨ ، ص ٢٠٥ .

(٨٠) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

أ ـــ وكانت الهجرة إلى المدينة إيذانا ببلوغ مرحلة جديدة فى تاريخ المسلمين ، والتربية الإسلامية ، إذ أنها بداية عهد الدول الإسلامية ، وتطورا هاما فى مؤسسات التربية ، فكان المسجد الذي أصبح المؤسسة التربوية الإسلامية التى تلازم المسلمين فى أى مكان منذ ذلك العهد ، واعتبر المسجد'' المكان الرئيسى لنشر الثقافة الإسلامية ، وبفضل وظيفة المسجد المتسعة ، إذ هو دار عبادة ومعهد تعليمي ، ودار قضاء ، ومنزل لاستقبال الوفود والسفراء ، وكانت تعقد فيه حلقات العلم ، ويمكن القول أن وظيفة المسجد وظيفة تربوية عامة ، وكان المنهج يدور حول تعليم الناس أمور دينهم ، وعقيدتهم ، وكان يدور حول الأمور العامة للحياة ، فقد كان'' علي ابن أبى طالب يصرف جهوده فى المدينة ، لتوجيه نشاط العنصر الناشىء إلى الناحية العملية ، فشرع مع ابن عمه عبدالله بن عباس فى إلقاء محاضرات أسبوعية فى المسجد الجامع في الفلسفة والمنطق والحديث والبلاغة والفقه ، بينما تفرغ غيرهما إلى إلقاء محاضرات في شؤون أخرى[٨١]'' .

وقد أخذ المسجد هذه المكانة لأن أول مسجد أنشىء فى الإسلام أنشأه رسول الله ﷺ ، وكان المنهج والفكر التربوى فى هذه الفترة هو القرآن ، وذلك لقول الرسول '' ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله-ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده[٨٢]'' ، وكانت هناك طرق لحفظ القرآن ومدارسته ، فقد كان هو المنبع الذي دار حوله الفكر الإسلامي بعد ذلك[٨٣] ، وكذلك الفكر التربوى[٨٤].

---

(٨١) عمر أبو النصر : علي وعائشة ـــ دار إحياء الكتب العربية ـــ القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٦١ .

(٨٢) الشيخ منصور على ناصف : التاج الجامع للأصول فى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ـــ طبعة رابعة ـــ دار الفكر ـــ بيروث ـــ ١٣٩٥ هـ ـــ ١٩٧٥م ـــ جـ ١ ، ص ٦٢ .

(٨٣) انظر ص ٧٦ من الكتاب

(٨٤) أنظر ص ٩٤ من الكتاب

وهكذا'' اتخذت الجماعة الإسلامية المساجد معاهد للتعليم ، لأن التعليم كان دائما من اختصاص الجماعة ، فلم تكن دولة الخلافة أو دول السلاطين مسئولة عن التعليم ، حتى فى عصر الراشدين ، وإنما كان التعليم من اختصاص الأفراد والجماعة ، فكانت الجماعة تتكفل بمعاش المعلمين ، سواء أكانوا معلمين صغارا يعلمون الصبيان القراءة والكتابة ، ويحفظونهم القرآن ، أو شيوخا أجلاء يقرأون علمهم على طلابهم فى المسجد فى علوم القرآن والحديث واللغة والأدب ''[٨٥]''وهكذا'' أصبحت المساجد معاهد للتعليم ، وضمن هذا كفاءة العلماء من ناحية وحرية أهل العلم من ناحية أخرى[٨٦]'' .

وانتشرت المساجد بعد ذلك باتساع رقعة الإسلام ، وبدأ تطور يدخل فى وظيفة المسجد ، ومنهجه ، حيث'' بدأت علوم أخرى ــ غير علوم الدين ــ تفرض نفسها على الدراسة فى المساجد بين سنتين أو أكثر من وفاة المعلم الأعظم ، وبدأ فى هذه الفترة المبكرة من التاريخ الإسلامي ، التأثر بالحضارات الأجنبية ، ونقل (عناصرها) إلى عاصمة الخلافة ذاتها[٨٧] '' ومن هذا التاريخ أخذ منهج المسجد يتسع ويضم علوما جديدة ، فرضتها ظروف الحياة وتطور المجتمع الإسلامى ، وبدأت تلك المدرسة تتسع وتضم ــ إلى معلميها التقليديين ــ معلمين جددا ، عارفين بتلك العلوم الجديدة ، وقادرين على تعليمها للناس[٨٨]'' وهكذا'' أصبحت الدراسات اللغوية والأدبية تجد طريقها إلى المسجد[٨٩]'' وكان'' العروض أيضا

---

(٨٥) د .حسين مؤنس : المساجد ، (مرجع سابق) ، ص ٣٥ .

(٨٦) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٨٧) د . عبد الغني عبود : دراسة بمقارنة (مرجع سابق) ، ص ٢١٠ .

(٨٨) المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٨٩) د . أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ــ رقم (٤) من موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ــ طبعة رابعة ــ مكتبة النهضة المصرية ــ ١٩٧٣ ، ص ١١١ .

يدرس بالمسجد'' وكذلك'' درس فى المساجد الطب والميقات[٩٠]'' .

(ب) الكتَّاب ، وكان مؤسسة تربوية قائمة اتسع وانتشر بعد تعقد الدراسات فى المساجد ، وارتفع مستواها بحيث احتاج المسلمون إلى مؤسسة خاصة تتعهد النشء وتعدهم للدراسة بالمساجد ، حيث أصبحت هذه من نوع الدراسات العليا المتقدمة ، وكان أن انتشر الكتاب ، وأصبح المكان الرئيسى لتعليم الصبيان ، واستمتع بمكانة كبيرة من الأهمية فى الحياة الإسلامية ، لأنه مركز تعليم الأطفال القرآن ، ولأن تعليم القرآن كان أمرا على قدر عظيم من الخطورة ، فقد كان العلماء يرونه فرضا من فروض الكفاية[٩١] .

وتحمل الكتاب مسئوليته وأصبح المؤسسة الشعبية لتعليم الصبيان ، وانتشر بشكل واسع ، بحيث كان كثيرا فى المدن ولا تخلو منه قرية ، وكان'' منهجه يدور حول القرآن وحفظه وتعليم مباديء الإسلام ، ورواية الشعر ، والتدريب على القراءة والكتابة ، مع تحصيل شيء من الأخبار وأولويات الحساب[٩٢]'' . وعرف الاختلاف فى مناهجه ، طبقا لاختلاف البيئات الإسلامية[٩٣] ، إلا أنه كان يدور أساسا حول تحفيظ القرآن الذى كان المرتكز فى منهج الكتاب استنادا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم« خيركم من تعلم القرآن وعلمه[٩٤] » . وإلى جانب القرآن وجدت القراءة والكتابة ، وبعض المهارات اللازمة كالسباحة والرماية ، وتدريبهم على العبادات ، وتعليمهم الآداب والعادات الحميدة . ومع تقدم الزمن ،

---

(٩٠) المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(٩١) د . عبدالله عبد الدايم ، (مرجع سابق) ص ١٤٦ .

(٩٢) د . كمال اليازجي ، (مرجع سابق) ص ٧١ .

(٩٣) انظر : ابن خلدون : المقدمة ، ص ٥٠٥ ، وللتوسع انظر : د . أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٩٤) الامام المنذرى : الترغيب والترهيب (مرجع سابق) ، جـ ١ ، ص ٢٠٥ .

أضيفت أصول وقواعد اللغة ، والأنساب والشعر والحساب إلى جانب ما سبق[٩٥].

وقد انتشرت هذه الكتاتيب وأصبحت المؤسسة الخاصة بالتعليم الابتدائي ، التى تقوم علي تعليم أبناء عامة الشعب .

(ج) المدرسة: وظهرت كتلبية لحاجات المجتمع وكوسيلة تمخض عنها الفكر التربوى لمواجهة ظروف المجتمع ، وقد أشرفت الدولة عليها ،وخاصة أنهـا اهتمت الى جانب التعليم بأغراض سياسية ومذهبية ، بمعنى أن المدرسة أصبحت أداة من أدوات الدولة فى ترويج مذهبها وسياستها ، والمهم أن هذه المدارس كانت الدراسة فيها'' رسمية '' تسير وفق لوائح وقوانين شبيهة بتلك التي نعرفها اليوم ، أخذت بالتنظيم كل شيىء فيها ، حضور التلاميذ وانصرافهم ، البرامج التعليمية ، هيئة التدريس ، المكتبة ، الإجازات العلمية ، أي أن هذه القوانين لم تترك شيئا من نظم الدراسة ،إلا تناولته بالتنظيم والتنسيق[٩٦]'' هذا إلى جانب تخصيص أموال كثيرة لإنشاء المدارس وإيجاد معلمين لها ، وصرف مرتبات للطلاب ، وبالتالى أصبحت المدرسة خاضعة للدولة ورعايتها ، ولم تختلف هذه المدارس عن المساجد ، '' إلا أنها كانت أكمل وأوفي بأغراض الدراسة المتصلة بها ،ولسكني الطلاب المنقطعين إلى العلم ، على أنه كان للمدرسة غرض رئيسى هو تدريس الفقه وفق واحد من المذاهب السنية الأربعة بطريقه تستدعى انقطاع الطلاب للدرس وتفرغ المدرسين للعمل ، حيث كانت ترتب لهم أجور ثابتة[٩٧]'' وإلى جانب المدرسة ، وجدت دور الكتب ، فكان هناك بيت الحكمة فى بغداد ، ودار الحكمة فى مصر ، وكذلك فى بلاد الأندلس ، وهناك دور كتب كثيرة فى

---

(٩٥) راجع حسن إبراهيم عبد العال : أصول تربية الطفل فى الإسلام (مرجع سابق) ص ٣٧١ ، ٣٧٣ .

(٩٦) عز الدين عباس : التعليم فى الإسلام ــ الرائد ــ مجلة المعلمين ــ السنة السابعة ــ العدد الخامس ــ مارس ١٩٦٢م ، ص ١٦ .

(٩٧) د . عبدالله عبد الدايم (مرجع سابق) ، ص ١٥٥ .

جهات متفرقة من العالم الإسلامى ، وكان الغرض منها تسهيل الدراسة وتيسير شئون التأليف والترجمة ، وكانت لها مناهجها ودورها فى عملية التربية ، إلا أن مناهجها كانت تختلف عن غيرها ، فقد كانت تمثل مرحلة التعليم العالى ، حيث كانت مراكز علمية " يلتقى فيها العلماء والباحثون للقراءة والدرس ، وطالما عقدت فيها المناظرات والمناقشات "[98] وكانت من أحسن مراكز التعليم ، وما يتبعه من مناقشات ومحاورات ، وقد " كان فى تلك الدور حُجَر للاطلاع ، وحجر للنسخ ، وقاعات للمحاضرات وحلقات للدراسة "[99] وكانت موئلا للعلماء والباحثين [100]. حيث كان فيها كتب وأدوات للتعليم .

(د) هذا إلى جانب القصور ومنازل العلماء والصالونات الأدبية ، وحوانيت الوراقين [101] ، والخوانق والربط والزوايا [102] وكان فيها معلمون يلقون دروسا فى الفقة واللغة العربية والتصوف والحديث ، وكذلك كانت البيمار ستانات مكانا لتعليم الطب ، وكانت تعقد فيها حلقات لتدريس الطب [103] .

وهكذا كانت هذه المؤسسات التربوية متمشية مع الحاجات الاجتماعية ، وكانت مناهجها تلبي الحاجات التربوية للمجتمع المسلم الجديد والمستحدثة ، وقد كانت مناهجها تقوم على مبادىء هامة ، نجدها واضحة فى كتابات التربويين المسلمين .

---

(٩٨) المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٩٩) محمد عطية الابراشي : التربية الإسلامية وفلاسفتها ــ طبعة ثانية ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي ــ القاهرة ــ ١٩٦٩م ، ص ١٠٨ .

(١٠٠)انظر : آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (ترجمة محمد عبد الهادى أبوريدة) ــ طبعة ثانية ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨ ــ جـ ١ ص ٢٤٥ .

(١٠١) انظر : أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية (مرجع سابق) ، ص ٥٨ ــ ٩٦ .

(١٠٢)راجع : العزيزي (تقى الدين أحمد بن علي) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ــ دار التحرير للطبع والنشر ــ القاهرة ، جـ ٣ ، ص ٣٩٩ .

(١٠٣)راجع عبدالله عبد الدايم (مرجع سابق) ، ص ١٦٣ .

رابعا : المبادىء العامة للمناهج :

تمشت مبادىء اختيار المناهج وتدريسها مع أهداف التربية ، طبقا لقيمتها التى تدرس من أجلها ، وهى كما يلي :

١ ـ **قيمة المادة من الناحية الدينية** : وذلك على اعتبار أن العلوم الدينية هي أشرف العلوم ،وباعتبار أن'' العلم المدني بوحي من روح الإسلام ذاته ... لا يقل عن هذا العلم الدينى شرفا ''[١٠٤] وإن كانت العلوم المدنية قد اتسعت بعد انتشار الإسلام ، واحتاج المسلمون إلى فهم الدين أكثر ، يصور ذلك حاجى خليفة'' ثم إن الملة الإسلامية كما اتسع ملكها ودرست علوم الأولين بنبوتها وكتبها صيروا علومهم الشرعية صناعة بعد أن كانت نقلا فحدثت فيها الملكات وتشوفوا إلى علوم الأمم فنقلوها بالترجمة إلى علومهم وبقيت تلك الدفاتر التى بلغتهم الأعجمية نسيا منسيا وأصبحت العلوم كلها بلغة العرب ، واحتاج القائمون بالعلوم إلى معرفة الدلالات اللفظية والخطية فى لسانهم دون ما سواه من الألسن لدروسها وذهاب العناية بها[١٠٥]''ومن هنا كان من الضروري الإلمام بالعربية لفهم الدين ، واستنباط الأحكام الشرعية ، ويتعلق بهذا العلوم الأدبية وغيرها مما يتعلق بفهم الدين .

وما كان ذلك إلا لأن الدين كان نظام الحياة منظما لعلائقها ووشائجها ، يرد على الاستفسارات المختلفة التي تثيرها العقول ، ومن ثم كانت قيمة المادة الدراسية تقاس بمدى خدمتها للهدف الديني الأسمي ،ومن خلال هذه الغاية نظر مربو المسلمين إلى بعض العلوم الأخرى ، فهى عندهم ذات قيمة بقدر ما تؤدى إلى خدمة الهدف الأول ، نعنى الهدف الدينى ، وقد اعتبر كثير من العلماء المسلمين دراسة أكثر العلوم ، دينية أو فلسفة ، تؤدى إلى

(١٠٤) د . عبد الغني عبود : دراسة مقارنة (مرجع سابق) ، ص ٢٥٣ .

(١٠٥) حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله) ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، منشورات مكتبة المثنى ـ بغداد ـ (بدون تاريخ) ، ص ٥٤ ،٥٥ .

تحقيق الغاية الروحية والخلقية فانكبوا على دراستها لهذا الغرض[١٠٦]''.

ولكن لا يفهم من هذا الفصل بين أمور الدين والدنيا ، فلم يكن هذا الفصل موجودا ، بل أخذ العلماء بعين الاعتبار ، أمور الحياة الدنيا والآخرة فى آن واحد ، فهذا الماوردى مثلا يضع كتاب'' أدب الدنيا والدين'' دلالة على الجمع بينهما ، كما يبدو من الاسم ، حتى الصوفية لم يهملوا هذا ، فقد جمعوا بين الدين والدنيا ، كما عند الغزالي وغيره من الصوفية السلفيين .

ويظهر هذا جليا فى أنه لم يعرف أبدا ما يسمى برجل الدين . « فكل عالم رجل دين ودنيا ، ويأخذ من العلوم المختلفة بأوفر قسط . فهذا شيخ الطب بالديار المصرية ابن النفيس (ت ٦٨٧ هـ — ١٢٨٨م) له عدة مؤلفات فى علوم الطب والفقه والأصول والحديث والعربية والمنطق وتلميذه المفضل ابن هبة الله الأسنائى اشتغل أولا بالفقه والأصول ثم عني بالمعقولات فغلب عليه الطب والحكمة والمنطق[١٠٧]» وغيرها أمثلة كثيرة ، ويظهر هذا فى الحياة نفسها حيث يبدو أنه لا انفصال بين التعليم الديني والدنيوي ، فقد كانت الحرف والصناعات المختلفة تستقبل أبناءها من خريجي الكتاتيب ، بل كان الصبيان بعد انتهائهم من تعليمهم يشتغلون مع آبائهم فى الزراعة فى الريف ، أو ببعض الحرف والصناعات فى المدن حيث كان المجال لاكتساب المهنة عن طريق الممارسة العملية[١٠٨].

وهكذا فإن الدين باعتباره نظاما للحياة ، أصبح موجها للنظر إلى المناهج من خلال هذا المنظور الدينى ، ومدي قيمة المادة الدراسية ومدي

---

(١٠٦) د . عبد الله عبد الدايم (مرجع سابق) ، ص ٢١١ .

(١٠٧)على سالم إبراهيم النباهين : نظام التربية فى عصر دولة المماليك فى مصر — رسالة ماجيستير غير منشورة — كلية التربية بطنطا ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م ، ص ١٦٠ .

(108)Dodge, Bayard : Muslim Education in medival times, The middle Eest Institute, washington, D . C . 1962, P 5 .

إفادتها فى فهم الدين ، وفهم نظام الحياة ، ومدى تمشيها مع هذا النظام .

٢ ــ **قيمة المادة من حيث صفتها التدريبية** : وذلك لما تؤديه المادة من أثر فى تكوين ملكات ينتقل أثرها إلى مواد أخرى ، فالقيمة التدريبية للأدب واضحة ، حيث إنه يؤدى إلى صقل العقل وإذكاء اللسان ، مما يؤدى إلى فهم مواد أخرى ، وهكذا الحساب أيضا ، « ومن أحسن التعليم عندهم الابتداء بها ، لأنها معارف متضمنة وبراهين منتظمة فينشأ عنها فى الغالب عقل مضىء درب على الصواب ، وقد يقال : من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول مرة يغلب عليه الصدق ، لما فى الحساب من صحة المبانى ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقا ، ويتعود الصدق ويلازمه مذهبا »[١٠٩] ذلك لأن العلوم يمكن أن تكون غير بينة بنفسها لكن يجب تسليمها ، ومن شأنها أن تبين فى علم آخر وهي مسائل بالنسبة إلى ذلك العلم الآخر[١١٠]» . ومعني هذا أن بعض العلوم كان يدرس لفائدة منه تحصل فى علم آخر .

٣ ــ **قيمة المادة التثقيفية الذاتية** : وإذا كان المسلمون قد عرفوا العلم من أجل المنفعة ، فقد عرفوه أيضا لوجه العلم ولوجه الله تعالى « والعلم ألذ الأشياء وأفضلها ، وشرف الشىء إما لذاته أو لغيره ، والعلم حائز الشرفين جميعا لأنه لذيذ فى نفسه فيطلب لذاته ولذيذ لغيره فيطلب لأجله ، أما الأول فلا يخفى على أهله أن لا لذة فوقها لأنها لذة روحانية ، وهى اللذة المحضة ، وأما اللذة الجسمانية فهى دفع الألم فى الحقيقة ، كما أن لذة الأكل دفع ألم الجوع ، ولذة الجماع دفع ألم الامتلاء ، بخلاف اللذة الروحانية فإنها ألذ وأشهى من اللذائذ الجسمانية ... سيما إذا كانت الفكرة فى حقائق الملكوت وأسرار اللاهوت ، ومن لذته النابعة لمعرفة أنه لايقبل العزل والنصب ، مع دوامه لا مزاحمة فيه لأحد ، لأن المعلومات متسعة

(١٠٩) ابن خلدون (مرجع سابق) ، ص ٤٥٦ .

(١١٠) حاجي خليفة (مرجع سابق) ، ص ٩ .

مزيدة بكثرة الشركاء[111]» والإنسان إنما فضل بفضيلة العلم ، « وإلا فغيره من الدوإب والسباع أكثر أكلا منه ، وأقوى بطشا وأكثر جماعا وأولادا وأطول أعمارا ، وإنما ميز على الدواب والحيوانات بعلمه وبيانه ، فإذا عدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه وبين سائر الدواب وهى الحيوانية المحْضة ، فلا يبقى فيه فضل عليهم ، بل قد يبقي شرا منهم[112]» وحاجة الإنسان « إلى العلم ضرورية فوق حاجة الجسم إلى الغذاء لأن الجسم يحتاج إلي الغذاء فى اليوم مرة أو مرتين ، وحاجة الانسان إلى العلم بعدد الأنفاس لأن كل نفس من أنفاسه يحتاج إلى أن يكون مصاحبا لإيمان وحكمة فإن فارقه الإيمان أو الحكمة فى نفس من أنفاسه فقد عطب وقرب هلاكه وليس إلى حصول ذلك سبيل إلا بالعلم ، فالحاجة إليه فوق الطعام والشراب[113]» وإذا كانت « فضيلة الشىء وشرفه يظهر تارة من عموم منفعته وتارة من شدة الحاجة إليه ، وعدم الاستغناء عنه ، وتارة من ظهور النقص والشر بفقده وتارة بحصول اللذة والسرور والبهجة بوجوده لكونه محبوبا وملائما فإدراكه يعقب غاية اللذة ، وتارة من كمال الثمرة المترتبة عليه وشرف علته وإفضائه من أجل المطالب ... ومعلوم أن هذه الجهات بأسرها حاصلة للعلم[114] » .

والظاهر من أقوال المسلمين ، أن للعلم قيمة تثقيفية كبرى فى حياة الإنسان ، ولا يقصد به فقط ما يعطيه من نفع ، بل أيضا لما فيه من لذة وقيمة المادة التي تدرس وتختار إنما كانت تخضع لهذا المعيار .

٤ ــ **قيمة المادة النفعية** : وبقدر الاهتمام بالنواحي السابقة ، يهتم المربون المسلمون بالنواحي المادية النفعية فى مواد المنهج ، وتتوفر المناهج

(١١١) المرجع السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(١١٢) ابن قيم الجوزية : مفتاح دار السعادة (مرجع سابق) ، ص ٨٢ .

(١١٣) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(١١٤) المرجع السابق ، ص ٩٣

على تكوين وتنمية الإنسان من هذه الناحية ، إلا أنهم لم يهملوا أبدا الناحية الأخرى ، فهذا ابن خلدون يذكر أن « الصنائع أبدا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة ، فلهذا كانت الملكة فى التجربة تفيد عقلا ، والحضارة الكاملة تفيد عقلا ، لأنها مجتمعة من صنائع فى شأن تدبير المنزل ، ومعاشرة أبناء الجنس ، وتحصيل الآداب فى مخالطتهم ، ثم القيام بأمور الدين واعتبار آدابها وشرائطها ، وهذه كلها قوانين تنظم علوما فيحصل منها زيادة عقل[١١٥] » ويقول « اعلم أن الصناعة هى ملكة في أمر عمل فكرى ، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس ، والأصول الجسمانية فنقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل ، لأن المباشرة فى الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة » ، « ثم أن الصنائع منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذى يختص بالضروريات ، والمركب يكون للكماليات، والمتقدم منها فى التعليم هو البسيط لبساطته أولا ولأنه مختص بالضرورى الذى تتوفر الدواعي على نقله ، فيكون سابقا فى التعليم ، ويكون تعليمه لذلك فائضا ، ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى العقل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدرج حتى تكمل »[١١٦] .

يتضح من هذا النظرة النفعية التى نُظِرَ بها إلى المناهج ، فهي لابد أن تكسب الإنسان صنعة يعيش بها فى حياته ، وهذا يعكس التوازن الدقيق فى الأهداف التربوية التي دار المنهج حولها ، فليس الأمر قاصرا على المجردات والمعنويات فقط ، بل امتد إلى نشاط الإنسان المادى الذى يتعامل فيه مع الأشياء ، وهو ما يطلق عليه ابن خلدون الصنائع . وكل هذا مستمد أساسا من حقيقة الوحي ومن سلم القيم الإسلامية الأصلية ، فهو يعكس المبادىء والمعطيات الإسلامية الصحيحة فى هذا المجال ، فالآراء التربوية التى رأيناها ، والتى دارت حول المنهج ، إنما هي فكر تربوي إسلامى صحيح عكس الإسلام ومميزاته .

(١١٥) ابن خلدون (مرجع سابق) ، ص ٣٨٩ .
(١١٦) المرجع السابق ، ص ٣٦٠ .

خامسا ــ طريقة التدريس : تعتبر الطريقة جزءا من المنهج مكملة لوظيفته ، فهو الوسيلة التى يصبح بها التدريس فعالا ، ولم تكن طريقة التدريس واحدة فقد تنوعت ، فمنها الحفظ والتلقين ، ولا سيما فى تعليم القرآن . والحديث ، والشعر ، ومنها ما يتعلق بتعليم القراءة والكتابة ، وقد بين المسلمون موانع فهم الكلام والكتابة[١١٧]، وفى الحساب ، وفى جميع مناهج العلوم ، وجملة الأمر فى هذا أن طريقة التدريس تعتمد على ما يلى :

١ ــ **التدرج** : يقول ابن خلدون : « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا ، وقليلا قليلا ، يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هى أصول ذلك الباب ، ويقرب له فى شرحها على سبيل الإجمال ويُراعيَ فى ذلك مدة عقله واستعداده لقبول مايرد عليه ، حتى ينتهي إلى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة فى ذلك العلم . إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله . ثم يرجع إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرغبة إلى أعلى منها ويستوفى الشرح والبيان ، ويخرج عن الإجمال ، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته . ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا معلقا إلا وضحه وفتح له مقفله ، فيخلص من الفن وقد استولي على ملكته ، هذا وجه التعليم المفيد[١١٨]» ومعنى هذا أنه لا بد من توافر شروط معينة :

١ ــ ألّا يقدم للمتعلم المسائل الصعبة فى بداية عهده بالعلم ، بل يلقى إليه فى إجمال .

٢ ــ تعليم البسيط أولا ، ثم التدرج ، فالتكرار يسير المتعلم نحو المعقد ، وبالتكرار يفهم .

---

(١١٧) انظر : أدب الدنيا والدين (مرجع سابق) ، ص ٣٣ ــ ٣٥ .

(١١٨) ابن خلدون (مرجع سابق) ، ص ٥٠٢ .

٣ ــ لابد من التشويق إلى الدرس والعلم .
٤ ــ توفير شروط معينة ليتم التعليم على أتم وجه .

« وأما الشروط التى يتوفر بها علم الطالب وينتهي معها كمال الراغب مع ما يلاحظ من التوفيق ، ويمد به من المعونة فتسعة شروط :

الأول : العقل الذى يدرك به حقائق الأمور ، **والثاني** : الفطنة التى يتصور بها غوامض العلوم ، **الثالث** : الذكاء الذى يستقر به حفظ ما تصوره وفهم ما علمه . **الرابع** : الشهوة التى يدوم بها الطلب ولا يسرع إليه الملل. **الخامس** : الاكتفاء بمادة تغنيه عن كلف الطلب . **السادس** :الفراغ الذى يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار . **السابع** : عدم القواطع المذهلة من هموم وأشغال وأمراض . **الثامن** : طول العمر واتساع المدة لينتهى بالاستكثار إلى مراتب الكمال . **التاسع** : الظفر بعالم سمح بعلمه مشتاق فى تعليمه . فإذا استكمل هذه الشروط التسعة فهو أسعد طالب وأنجح متعلم[(١١٩)] » .

وواضح أن المفكرين المسلمين اشترطوا شروطا ، ليس لها بالضرورة أن تتحقق كلها دفعة واحدة ، بل يمكن أن تكتمل واحدة بعد الأخرى وذلك تطورا وتدرجا مع حال المتعلم ، مما يجعلنا ندرك بطريقة واضحة مبدأ التدرج فى التعليم ، فالعقل والنطق والذكاء والشوق والتشويق إلى المادة العلمية ، كلها شروط يكملها العالم السمح ، أما الاكتفاء بمادة ، والفراغ وعدم القواطع ، وطول العمر ، فهذه عوامل وشروط مساعدة لإحداث عملية التدرج فى التعليم .

---

(١١٩) الماوردي : (مرجع سابق) ، ص ٣٦ . وانظر : محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ابن جماعة) : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ــ نشر السيد محمد هاشم الندوي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٣٥٤ هـ ــ ص ٢٣ وما بعدها .

٢ ـــ **مراعاة الفروق الفردية** : يقول الماوردى : « اعلم أن المتعلم ضربان مستدعىً وطالب ، فأما المستدعى إلى العلم فهو من استدعاه العالم إلى التعليم ، لما ظهر له من جودة ذكائه وبان له من قوة خاطره ، فإذا وافق استدعاء العالم شهوة المتعلم ، كانت نتيجتها درك النجباء وظفر السعداء ، لأن العالم باستدعائه متوفر والمتعلم بشهوته وذكائه مستكثر ، وأما طالب العلم لداع يدعوه وباعث يحدوه فإن كان الداعى دينيا ، وكان المتعلم فَطِناً ذَكِيًّا وجب على العالم أن يكون عليه مقبلا وعلى تعليمه متوفرا ، لا يخفى عليه مكنونا ولا يطوي عنه مخزونا ، وإن كان بليدا بعيد الفطنة فيبغى ألا يمنع من العسير فيحرم ، ولا يحمل عليه بالكثير فيظلم ولا يجعل بلادته ذريعة لحرمانه ، فإن الشهوة باعثة والصبر مؤثر[١٢٠]» والملاحظ أن الماوردي فى نصه هذا يجعل هناك اعتبارين رئيسيين هما : (١) الدافعية للتعليم . (٢) القابلية للتعليم : فإذا ما وجدت الدافعية يجب أن يرعاها المعلم ، ذلك كي يشبع شوق المتعلم للعلم ، وفى كل الأحوال لابد من إثارة الدافعية لكي تحدث القابلية للتعليم . ومن أجل هذا فهو يقرر أنه لابد أن يكون للعالم فراسة يتوسم بها المتعلم ، « ليعرف مبلغ طاقته وقدر استحقاقه ليعطيه ما يتحمله بذكائه ، أو يضعف عنه ببلادته ، فإنه أروح للعالم وأنجح للمتعلم » .. « وإذا كان العالم فى توسم المتعلمين بهذه الصفة ، وكان بقدر استحقاقهم خبيرا لم يضع له عناء ولم يخب على يديه صاحب ، وإن لم يتوسمهم وخفيت عليه أحوالهم ومبلغ استحقاقهم كانوا وإياه فى عناء مكد وتعب غير مجد لأنه لا يعدم أن يكون فيهم ذكى محتاج إلى الزيادة ، وبليد يكتفى بالقليل ، فيعجز الذكى منه

---

(١٢٠) الماوردي : (مرجع سابق) ، ص ٤٥ ، وانظر ابن جماعة (مرجع سابق) ، ص ٨٧ ، وانظر : الزرنوجي : تعليم المتعلم ، استانبول ، ١٢٩٢ هـ ، ص ١٥ .

ويعجز البليد عنه ومن تردد أصحابه بين عجز وضجر ملوه وملهم[١٢١]» .

وعلى هذا الأساس يرى ابن خلدون أنه « لا ينبغى للمعلم أن يزيد متعلمه عن فهم كتابه الذى أكب على التعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئا كان أو منتهيا ، ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعين من أوله إلى آخره ، ويحصل أغراضه ويستولى منه على ملكة بها ينفذ فى غيره[١٢٢]» ولا ينبغى للمعلم أن يطول « على المتعلم فى الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها ، لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره ، وإذا تنوسى الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه » ... وينبغى على المعلم ألاَّ يخلط « على المتعلم علمين معا ، فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما ، لما فيه من تقسيم البال ، والغرامة على كل واحد منهما إلى تفهم الآخر فيستغلقان معا ويستصعبان ، ويعود منهما بالخيبة ، وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصرا عليه ، فربما كان ذلك أجدر بتحصيله[١٢٣]» .

والغزالي أيضا يدعو إلى نفس الفكرة ، فيذكر فى بيان وظائف المرشد المعلم :

١ ــ الشفقة على المتعلمين ، وأن يجريهم مجرى بنيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده[١٢٤]» .

٢ ــ « أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا ، وذلك بأن يمنعه من التصدي

---

(١٢١) ابن خلدون (مرجع سابق) ، ص ٥٠٢ ــ ٥٠٣ .

(١٢٢) المرجع السابق ، ص ٥٠٣ .

(١٢٣) المرجع السابق ، ص ٥٠٣ .

(١٢٤) الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ، حـ ١ ، ص ٩٣ .

لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاكل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلي[١٢٥] » .

٣ ــ « أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه »[١٢٦] .

٤ ــ « أن يقتصر بالمتعلم على قدر نهجه ، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله ، فينفره أو يخبط عليه عقله ، اقتداء فى ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم ، حيث قال « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم » فليبث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم[١٢٧] » .

٥ ــ « أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلى اللائق به ، ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه ، فإن ذلك يفتر رغبته فى الجلي ، ويشوش عليه قلبه ، ويوهم إليه البخل به عنه ، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق[١٢٨] » .

وقريب من هذا ما ذهب إليه ابن جماعة[١٢٩]. وهذه الآراء جميعا ، تراعى الفروق الفردية بين المتعلمين ، كما سبق أن رأينا ، وسند المربين فى هذا المجال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى منها إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم

(١٢٥) المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(١٢٦)،(١٢٧) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(١٢٨) المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(١٢٩) انظر : ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم (مرجع سابق) ، ص ٣٣ ــ ٣٨ ، ٥١ ــ ٦٠ .

ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به[١٣٠]» .

٣ ــ **استخدام الثواب والعقاب** : وقد اهتم المربون المسلمون بهذه القضية التى بنيت أساسا على الترغيب والترهيب ، وهذه القضية نجدها عند ابن خلدون وسواه من مفكرى المسلمين ، فابن خلدون يقول : إن « إرهاق الجسد فى التعليم مضر بالمتعلم سيما فى أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر ، وضيق علي النفس فى انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما فى ضميره خوفا من انبساط الأيدى بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك . وصارت له عادة وخلقا . وفسدت معانى الإنسانية التى له من حيث الاجتماع والتمرن وهى الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالا على غيره فى ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت من غايتها ومدى إنسانيتها ، فارتكس وعاد فى أسفل السافلين[١٣١]» . ويذهب ابن سحنون فى رسالته هذا المذهب ، ويعقد جزءا من رسالته عن « ما جاء في الأدب وما يجوز من ذلك وما لايجوز » يقول في هذا إن ضرب المعلم للمتعلم شر لأنه « يضربهم إذا غضب ، وليس على منافعهم » ولكن « لا بأس أن يضربهم على منافعهم » ، ويحدد حدود الضرب فيقول : « ولا يجاوز بالأدب ثلاثا إلا أن يأذن الأب فى أكثر من ذلك إذا آذى أحدا ، ويؤدبهم علي اللعب والبطالة ، ولا يجاوز بالأدب عشرة[١٣٢]» وهذا ما ذهب إليه ابن الأخوة[١٣٣]، والغزالي حين يقول فى

(١٣٠) رواه البخارى ومسلم : الترغيب والترهيب (مرجع سابق) جـ ١ ، ص ٥٧ .

(١٣١) ابن خلدون (مرجع سابق) ، ص ٥٠٨ .

(١٣٢) محمد بن سحنون : كتاب آداب المعلمين ــ رقم (١) من تحقيقات حسن حسنى عبد الوهاب ــ مراجعة وتعليقات محمد العروسى المطوبى ــ تونس ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢م ، ص ٨٩ .

(١٣٣) راجع (ابن الأخوة) محمد بن محمد القرشي : معالم القربة فى أحكام الحسبة ــ (تحقيق محمد محمود شعبان ، صديق أحمد عيسى المطيعى) ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ ، ص ٢٦١ .

وظيفة المعلم « أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهموم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار[١٣٤] » .

ومعنى هذا أن مبدأ العقوبة مقرر ، ولكن لا بد أن يكون المعلم سمحا ، ورفيقا ورحيما « فإنما هو لهم عوض عن آبائهم ، فكونه عَبُوسا أبدا من الفظاظة الممقوتة ، ويستأنس الصبية بها فيجرءون عليه ، ولكنه إذا استعملها عند استئهالهم الأدب ، صارت دلالة على وقوع الأدب بهم ، فلم يأنسوا إليها ، فيكون فيها إذا استعملت أدبا لهم فى بعض الأحيان ، دون الضرب ، وفى بعض الأحايين ، يوقع الضرب معها ، بقدر الاستئهال الواجب فى ذلك الجرم[١٣٥] » .

وبناء على ما سبق ، تبدأ العقوبة من الوعظ أو الكلمة الحسنة ، التى يمكن أن تُصْلِحَ حال المتعلم ، فإذا لم يجد هذا الأسلوب استخدم الأسلوب الثاني وهو الهجران أو الإخافة الأدبية ، وتتمثل في التقريع والعزل والتهديد ، فإذا لم تفلح هذه الوسيلة ، لجأ المعلم إلى الوسيلة الأخيرة وهي الضرب ، باعتبارها ليست مُصْلحة فحسب ، بل باعتبارها عقوبة رادعة زاجرة ، بشرط أن يكون هذا الضرب غير مبرح لمصلحة المتعلم وسياسة ورياضة .

أما الثواب فمنه ما هو مادي ، ومنه ما هو معنوي ، وقد وجد الأسلوبان فى التربية الإسلامية ، حيث نجد منها جزاءات مادية وأخرى معنوية ، وبهذه الطريقة ، كان للمربين المسلمين فلسفة فى الثواب والعقاب ، تستخدم مع طرق التربية ، بل طريقة من الطرق لتقويم

(١٣٤) الغزالي (مرجع سابق) ، مجلد جـ ١ ، ص ٩٥ .

(١٣٥) (القابسي) أبو الحسن بن محمد بن خلف : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين (ملحقة بكتاب التربية فى الاسلام لأحمد فؤاد الأهواني) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٨ ، ص ٣١٣ .

المتعلمين ، وتكاملت مع بقية الطرق الأخري فى سبيل تحقيق الهدف التربوي .

وفى ضوء هذا استخدمت كافة الأساليب التربوية ، والطرق التدريسية ، كالمناظرة والمناقشة والحوار والموعظة والقصص ، وضرب الأمثال ، والترغيب والترهيب ، وغرس العادات أو إزالتها ، وإفراغ الطاقة والجهد ، واستخدام الأحداث الجارية ، ولكن فى تكامل ، وصولا للهدف العام والخاص من التربية الإسلامية ، كل ذلك فى إطار القرآن والسنة الشريفة اللذين حويا المبادىء الأولية فقط ، وكان الاجتهاد هو المكمل .

سادسا : سمات الفكر التربوى الإسلامى :

رأينا كيف أن الفكر التربوي العربي الإسلامي كانت له تجلياته الواضحة والمميزة والدقيقة ، وكانت له ابتكاراته وتجديداته ، وهو امتداد للفكر الإسلامى فى عمومه ، مما جعل له سمات وخصائص بارزة مميزة ، ويمكن ملاحظة هذه السمات فيما يلى :

١ ــ **الشمول والتكامل** : يتسع الفكر التربوى الإسلامى ، ليشمل كل جوانب الإنسان ، حيث استوعب حياة الإنسان ، فى علاقاته الممكنة بين الإنسان وغيره من الأشياء والإنسان ، بل وفى علاقته بنفسه من أدقها وأضخمها ، ثم فى كل لحظة من لحظات حياته ، ويتناول إعداده للحياة ، مثلما يعده لما بعد الموت ، فهو لا يتناول مجموعة عناصر منعزلة عن بعضها البعض ، أو منفصلة ، بل يتناولها فى شمول دقيق ، ليربط بين الإنسان ومحيطه المادي والمعنوي ، « وهذا الترابط ينتج عنه تكامل وتفاعل بين عناصر الوجود ، وهو من أعظم أسرار الخليقة »[١٣٦] ثم هو يتناول الإنسان فردا وجماعة .

(١٣٦)د . محمد فاضل الجمال : نحو تربية مؤمنة (مرجع سابق) ، ص ٢٥ .

وهذه النظرة تتضح من النظر إلى العلوم الدينية والعلوم العقلية ، والصنائع نظرة شاملة فهم ينظرون إليها على أنها تتكامل فى سبيل تربية وتنمية الإنسان ، وإن كان البعض ينظر إلى الصنائع على أنها أدنأ الأشياء ، فهى نظرة لا إسلامية ، فهذا الماوردي يقرر أن الصناعة ثلاثة أقسام : صناعة فكر ، وصناعة عمل ، وصناعة مشتركة بين فكر وعمل ، ويصل إلى أن صناعة الفكر أعلاها وصناعة العمل أرذلها(١٣٧)، وهى نظرة لم تستمد من النصوص الإسلامية الأساسية ، وواضح أن الماوردي « يتابع من ناحية المثال اليوناني الأرسطي خاصة للعلم والوجود ، وهو المثال الذى يعتبر أن شرف العلم يأتي من شرف موضوعه فكلما كان موضوعه أشرف كان هو أشرف ، فالفلسفة الأولي مثلا التى موضوعها الله هي لهذا السبب أشرف العلوم بينما الطبيعيات التى موضوعها المادة هى أرذل العلوم وأدناها كما يجارى — من ناحية التيار الاجتماعي الثقافي العام الذى ميز بين حرف شريفة وأخرى صغيرة مرذولة ، متبعا فى هذا التمييز التنظيم الاجتماعي الطبقي منذ العصر الأموي »(١٣٨).

ونجد هذا لدى المقريزى في (إغاثة الأمة بكشف الغمة) ولدى السبكي في (مفيد النعم ومبيد النقم) وابن خلدون فى (المقدمة) ، وكلهم يضعون الصنائع أو الفئات المنتجة اقتصاديا أسفل السلم القيمى ، وهذه النظرة ليس لها ما يسندها إطلاقا فى « الحقيقة — الوحي »(١٣٩) وذلك يعني أن هؤلاء المفكرين ، كانوا يسايرون اتجاه الفلسفة اليونانية من ناحية ، ومن ناحية أخري لم يقاوموا ضغط الثقل الاجتماعي الثقافي لعصرهم ، بل هم كانوا ينتمون إلى هذا الاتجاه الاجتماعي نفسه . والمهم هنا هو جمعهم

(١٣٧) انظر الماوردى (مرجع سابق) ، ص ٣٨ .

(١٣٨) د . فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ٦٢ .

(١٣٩) المرجع السابق ، ص ٦٢ ، وانظر حسين مؤنس : عالم الاسلام — دار المعارف — القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢٧٥ .

بين مطالب الدين ومطالب الدنيا ، أو بالأصح بين مطالب الدنيا والآخرة ، والتى تمثل الشمولية ، فى الحقيقة ــ الوحي .

أما التكامل ، فمعناه ، أنه لايتناول أحد الجوانب دون الآخر ، فهو يتناول الإنسان متكاملا من جميع جوانبه ، بحيث لا يستغنى بجانب عن جانب ، وهو يتناول الإنسان كلا متكاملا مع المجتمع الذى يعيش فيه ، بل يمكن القول أن التكامل هو أبرز سمات الفكر التربوي الإسلامي ، فهنالك تكامل بين الوسائل والأهداف ، وبين النظرية والتطبيق ، وبين العلم والعمل ، وبين مؤسسات التربية النظامية وغير النظامية ، وإلى جانب هذا نجد تكاملا بين الفرد المسلم ، الذى هو مسئول عن الكل ، والتربية فى الإسلام عطاء ، ومن ثم فكل قادر على العطاء ، معلم »[١٤٠].

وبهذا الشمول والتكامل راعى الفكر التربوي ، كما راعى الإسلام فطرة الإنسان ، التي جبله الله عليها ، لأنه واجهها بمثل طبيعتها الموحدة ، ولا يرهقها ، بل يأخذها فى يسر ، وهو فى نفس الوقت حاول تحقيق رسالة الإسلام فى تحرير الإنسان من كل عبودية وسيطرة إلا عبودية الله وسيطرته وفى حدود شريعته .

وبالرغم من أن هذا الفكر قد تخطيّ هذه الشمولية التكاملية فى بعض الأحيان ، إلا أنه لعب دورا بارزا ورئيسيا فى تكوين الثقافة الإسلامية الشعبية ، وكان له دوره البارز فى تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة والشمولية .

٢ ــ **التوازن** : تعامل الفكر التربوي الإسلامى مع الواقع « وليس مع

---

(١٤٠)د . عبد الغنى عبود : « الأيديولوجيا والتربية فى الاسلام » ــ **الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس** ــ بأقلام نخبة من أساتذه التربية وعلم النفس ــ الكتاب الثالث ــ دار الثقافة للطباعة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٧٦ ، ص ٤٠ .

التصورات العقلية ، ولا مع المثاليات التى لا مقابل لها فى عالم الواقع »[١٤١] ولكن فى إطار من التوازن والوسطية ، لا إفراط ولا تفريط ، فالإنسان ليس مفردا ، بل هو فى جماعة ، وهو ليس فى أصله خيرا مطلقا ، أو شرا مطلقا ، بل خلق سويا محايدا ، جبلت نفسه على بعض نواحي الضعف التى تظهر بين الحين والحين ، ومعنيّ ذلك قابليته للشر ، وفى المنهج والأهداف التى ينبثق عنها ، فهناك توازن وثيق ، بين الجسم والعقل والروح ، وهذا ما نلاحظه عند المفكرين المسلمين ، مثل الجاحظ ، والغزالي ، وابن مسكويه ، وابن خلدون وغيرهم .

ومن مظاهر الاهتمام بالعقل يوصى الجاحظ بتعلم « الكتاب والحساب ، والنحو والفرائض والعروض وما فى السماء من نجوم للاهتداء والأنواء والسعود ، وأسماء الأيام والشهور والمناقلات » ويوصى المعلم بأخذ التلاميذ « بالصلاة فى الجماعة ويدرسهم القرآن ويمرن ألسنتهم برواية القصيد والأرجاز ويعاقب على التهاون ، ويضرب على الفرار ويأخذهم بالمناقلة »[١٤٢] ومن كلامه أيضا ما يوحى بالاهتمام بالناحية الجسدية ، والناحية العملية والفنية يقول « وجدنا الأوائل كانوا يتخذون لأبنائهم من يعلمهم الكتاب والحساب ، ثم لعب الصوالجة والرمي فى التنبوك والمجثمة ، والطير الخاطف ورمي البنجكاز والبنادق ، وقبل ذلك الدبوق والنفخ فى الشيطار وبعد ذلك الفروسية واللعب بالرماح والسيوف والمشاولة والمنازلة والمطاردة »[١٤٣] .

والغزالي يقول « فيتعلم القرآن وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار

(١٤١) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته — دار الشروق — بيروت (بدون تاريخ) ، ص ١٩٠ .

(١٤٢) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : كتاب المعلمين (مطبوع بهامش كتاب الكامل فى اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد) — ط ١ — مطبعة التقدم العلمية — القاهرة — ١٣٢٣هـ — جـ ١ ، ص ٢٥ .

(١٤٣) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢ .

وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ، ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ، ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة للطبع فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذور الفساد »[١٤٤] وفي مجال التربية البدنية الجسمية « ويعود في بعض النهار المشي والحركة ، حتى لا يغلب عليه الكسل[١٤٥] » ويؤكد على قيمة اللعب ، ويربطه بالقدرات العقلية للطفل ، ويؤكد دوره في النشاط العقلي ، يقول « إن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه[١٤٦] » .

أما ابن مسكويه ، فيذهب أيضا إلى مثل هذا ، فيذكر أنه يجب أن يُربَّي الإنسان « على أدب الشريعة ويوجه بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها ثم ينظر بعد ذلك في كتب الأخلاق حتى تتأكد تلك الآداب في نفسه بالبراهين ، ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان[١٤٧] » . ثم يتدرج في منازل العلوم . كما يوصي بالتربية الرياضية حيث إن الصبي يجب أن « يُعَوَّد المشي والركوب والرياضة » حتى لا يتعود أضدادها[١٤٨] » ، ويضيف ابن سينا نظرة خاصة إلى التربية المهنية ، إذ يقول « إذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة ، نظر بعد ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته فيوجه لطريقه » وعليه يجب « أن يعلم مدبر الصبي أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية ، ولكن ماشاكل طبعه وناسبه ، وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمراد دون المشاكلة والملاءمة ، إذن ما كان أحد غفلا من الآداب وعاريا من صناعة ، وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات ، ومن

---

(١٤٤) الغزالي (مرجع سابق) ، مجلد ٢ ــ جـ ٨ ، ص ١٤٦٩ .

(١٤٥) المرجع السابق ، ص ١٤٧٠ .

(١٤٦) المرجع السابق ، ص ١٤٦٩ .

(١٤٧) ابن مسكويه : تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق (مرجع سابق) ، ص ٦٠ .

(١٤٨) المرجع السابق ، ص ٧١ .

الدليل على ما قلنا ، سهولة بعض الآداب على قوم وصعوبته على الآخرين »
ولذلك « ينبغى لمدبر الصبى إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولا طبع الصبى ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه ، فيختار له الصناعات بحسب ذلك ، فإذا اختار له إحدى الصناعات تعرف قدر ميله إليها ورغبته فيها ونظر هل صرف منه على عرفان أم لا ، وهل أدواته مساعدة عليها أم خاذلة[١٤٩] » .

وكان الاهتمام بالناحية الجمالية والذوق الجمالى واضحا ، فابن مسكويه ينصح بضرورة نظر الصبى فى الموسيقى ، ويظهر هذا أيضا فى حفظ الشعر وفى الاهتمام بالخط ، وترتيل القرآن الذى يعتبر « حلية القرآن[١٥٠] » وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول « لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلى أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا[١٥١] » أما تحسين الصوت بالقرآن ، فقد اعتبره الغزالي سنة ، وسنده في ذلك ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أذن الله لشىء إذنه لحسن الصوت بالقرآن » و« ليس منا من لم يتغن بالقرآن » و « زينوا القرآن بأصواتكم[١٥٢] » .

وكان الخط هو أيضا من أدوات التعبير الجمالي والتذوق الجمالي أيضا ، يقول ابن خلدون « ونجد تعليم الخط فى الأمصار الخارج عمرانها عن الحد أبلغ وأحسن ، وأسهل طريقا لاستحكام الصنعة فيها » ويقول عن مصر « أن بها معلمين متصدين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاما فى وضع كل حرف ، ويزيدون إلى ذلك بالمباشرة تعليم وضعه ،

---

(١٤٩) ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله) : كتاب السياسة (التدبير) ـ نشرة الأب لويس معلوف ـ مجلة الشرق البيروتية ـ السنة التاسعة ، الأعداد (٢١ ـ ٢٣) ، ١٦٠٩م ، ص ١٠٧٥ ـ ١٠٧٦ .

(١٥٠) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) : الاتقان فى علوم القرآن ـ المطبعة الكستلية ـ القاهرة ، ١٢٧٩ هـ ـ جـ ١ ، ص ٥٠١ .

(١٥١) الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ، مجلد ١ ، جـ ١ ، ص ٥٠٢ .

(١٥٢) المرجع السابق ، ص ٧١ .

فتعضد لديه رتبة العلم والحس فى التعليم ، وتأتى ملكته على أتم الوجوه ، وإنما أتي هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانفساح الأعمال[١٥٣] » ويقول « وله بها معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين فى وضعها وأشكالها متعارفة بينهم ، فلا يلبث المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع وقد لقنها حسا ، وحذق فيها دربة وكتابا وأخذها قوانين علمية ، فتجيء أحسن ما يكون[١٥٤] » .

ولم يكن الاهتمام الجمالي ينصب على الحرف « الواحد وإعطائه حظا من التوفية والإتمام والإكمال والإشباع ، بل كانوا يهتمون أيضا بالجمالية الكلية مثل التسطير والتنصيل مما يمنح اللوحة تأثيرا ونظاما ، وقد اتخذ ابن مقلة (من أعلام الخط العربى) من الألف مقياسا بنسبة هندسية فالباء تتكون هندسيا من قائم ومنبسط طولها معا كطول الألف ، والجيم تتكون هندسيا من خط مائل ونصف دائرة قطرها بطول الألف ، وهكذا فى بقية الحروف[١٥٥] » .

وكل هذا يعكس التكامل والتوازن الذى اتسم به الإسلام ، فأعطاه للفكر الإسلامى ، ذلك التوازن الدقيق بين أهداف التربية المختلفة فلا إفراط ولا تفريط ، ولكن جميع الجوانب موجود ، لكن لا إفراط فيه .

(ج٣) الوظيفة : لم يكن الفكر التربوى ولا التربية فى عمومها منعزلة عن المجتمع وحاجاته ، وقد رأينا طرفا من هذا من قبل[١٥٦] ، وكان الفكر والتربية ، يلبيان حاجات المجتمع ، كلما جد جديد ، وكان المتعلمون هم

---

(١٥٣) ابن خلدون . (مرجع سابق) ، ٣٧٥ — ٣٧٦ .

(١٥٤) المرجع السابق ، ص ٣٧٩ .

(١٥٥) د . عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ٤٣٣ ، وانظر :

إبراهيم جمعة : قصة الكتابة العربية — سلسلة اقرأ ، دار المعارف بمصر ، ابريل ١٩٤٧ ، ص ٦٨ . على الجندى وآخرون : أطوار الثقافة والفكر — الأنجلو المصرية — ١٩٥٩ ، ص ٤٥٢ .

(١٥٦) أنظر ص ١٢١ من الكتاب

الذين صنعوا المجتمع وحضارته ، ويعكس هذا بوضوح وجلاء قول علي ابن أبي طالب رضى الله عنه « لا تقسروا أولادكم على آدابكم ، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم[١٥٧]» إن هذه الحكمة تراعى نسبية التطور ، وبخق كل جيل أن يفكر في حدود حاجاته وعصره وقيمه ، ومن هذا المنطلق ، لم يقف هؤلاء أنفسهم رقباء على التاريخ ، فيحذفوا ويضيفوا ما يريدون دون اختيار ، بل كان المجتمع هو الحكم ، ومن هنا كانت سنة التطور والاحتياجات هى الحكم الأساسى على أي فكر ، والفكر هو المستجيب للمجتمع ، يكون اتجاهات يريدها ويحتاجها ويعمل على خلق وتكوين كوادر عمله فى إطار المعطيات الثقافية الأصيلة .

ومما يبرز دور الفكر التربوى فى تلبية نداءات المجتمع ، أو بالأحرى عدم الفصل بين الوظيفة الفكرية والعملية ، أن معظم العلماء كانوا يحترفون حرفا ، ويطلبون العلم فى نفس الوقت ، وسما بعضهم إلى أسمى المراتب ، ومن هؤلاء : عبد الحميد الكاتب (١٣٢هـ) والضحاك بن مزاحم (١٠٥هـ) والكميت بن زيد (١٢٦ هـ) فقد بدأ هؤلاء حياتهم « معلمين للأطفال ثم خطت بهم مواهبهم فأصبحوا لامعين فى المجتمع الإسلامي ، وانتقلوا إلى مكانة جديدة ضمنت لأسمائهم الخلود . » ومن هذه الأمثلة ، أبو إسحاق الكازرونى الذى « كان يذهب عند الفجر ليتلقى الدروس ، فإذا أقبل النهار التحق بعمله التجارى ، وكان يختلس الوقت للنظر والاستذكار وأصبح بذلك عالما من خير العلماء[١٥٨]» . وكان أبو حنيفة النعمان خزازا ، تاجرا ، وكان برهان الدين بن رفاعة الغزى خياطا ، ثم أصبح « إماما بارعا فقيها فى علوم كثيرة ، لاسيما فى معرفة النبات والأعشاب ومنافعها وفى الرياضة وعلم التصوف[١٥٩]» .

---

(١٥٧) على الجندى ، ومحمد أبو الفضل ، ومحمد يوسف المحجوب (جمع وضبط وشرح) : سجع الحمام فى حكم الإمام على بن أبى طالب عليه السلام ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٣٠٩ .

(١٥٨) د أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ، (مرجع سابق) ، ص ٥٨ .

(١٥٩) المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

وهكذا نلاحظ أن التربية كانت تؤدى وظيفتها الاجتماعية ، وكان من أجل هذا وُقِّرَ العلماء واحترموا لأن إنتاجهم جميعه كان في وظيفة خدمة المجتمع ، ومن هذا المنطلق كان العالم قدوة ، لأن العلماء ورثة الأنبياء ، والنبي قدوة ، فالمعلم قدوة ، ولذا كان عليه « معاملة الناس بمكارم الأخلاق ، من طلاقة الوجه وإفشاء السلام وإطعام الطعام ، وكظم الغيظ ، وكف الأذى عن الناس واحتماله منهم ، والإيثار وترك الاستئثار ، والإنصاف ، وشكر التفضل ، والسعى فى قضاء الحاجات ، وبذل الحياة فى الشفاعات ، والتلطف بالفقراء ، والتحبب إلى الجيران والأقرباء ، والرفق بالطلبة وإعانتهم وبرهم »[١٦٠].

وبهذا كان الفكر الإسلامى التربوى فى شموليته وتكامله وتوازنه ووظيفيته قادرا على العطاء دائما ، مواجها لتغيرات العصور ، قادرا على التكيف معها ، وتلبية حاجاتها ، لأنه كان ملتحما بالواقع ، له شكله المميز والمنفرد ، وأنتج تربية متميزة متفردة استطاعت صبغ الأفراد بصبغة متميزة متفردة .

وبعد .. .

فقد تناولنا فى هذا الفصل دراسة للفكر التربوي الإسلامي ، فى عمومه ، ولا شك أن هذا ينطبق على مصر التى هى موضوع الدراسة ، وأوضحنا مصادر الفكر الإسلامى ووجدناها ترتكز على القرآن والسنة ، ثم تناولنا من خلال هذا المنطلقات الأساسية للفكر التربوي ، ورأينا :

١ ـــ أن القرآن والسنة قدما معطيات أساسية ارتكز عليها بناء الإنسان ، وخاصة فى الطبيعة الإنسانية ، سواء فيما يتصل بمكونات الذات الإنسانية أو بعلاقات هذه الذات فى المجتمع ، أى بغيرها ؛ ومن حيث إنها

(١٦٠) ابن تغريردى : المنهل الصافى والمستوفي بعد الوافى (تحقيق أحمد يوسف نجاتى) ـــ مطبعة دار الكتب المصرية ـــ القاهرة ـــ ١٩٥٦ ، جـ ١ ، ص ١٥٢ .

طبيعة محايدة ، ومن حيث قابليتها لفعل الخير والشر ، ومن حيث إنها مجبرة ومختارة . وقد امتاز التصور الإسلامى ، بالوسطية النابعة من ذاته ، حيث وازن بين المادى والمعنوي ، ووازن بين الخير والشر ، وله فلسفة خاصة بمصادر الشر ، ووازن بين الجبرية والاختيار فى حركة الإنسان ووجدنا أن هناك شروطا يجب أن تتوافر لممارسة الإنسان حريته ، وفى حركة الإنسان بين الفردية والاجتماعية ، وازن أيضا بينهما ، ووجه الفردية لتصبح اجتماعية وبهذا راعى التصور الإسلامى الفطرة الإنسانية ، وأضاف إليها وكملها .

٢ ــ وبناء على التصور الإسلامى للطبيعة البشرية ، حددنا أهداف التربية ، وقد وجدناها شاملة متكاملة متوازنه تراعي جميع جوانب الإنسان ، وكل أهدافها تعتمد على قيم معينة ، ترتكز على تصور الإسلام وفكرته ، ووجدنا أنها تمثل جميع جوانب الطبيعة الإنسانية ، فهناك أهداف مادية ، وأهداف فكرية ، وأهداف أخلاقية وأهداف جمالية ، وأهداف روحية وأهداف اجتماعية ، وبالتالي قامت التطبيقات التربوية على أساس علمى وعملى سليم ، فى سبيل إعداد الإنسان المتكامل المتوازن ، الذى تدور التربية حوله فى سبيل إعداده إعدادا سليما فى إطار العبودية لله ، ومن ثم كان الهدف الأعلى للتربية هو إعداد الإنسان العابد ، وقد ترجمت الإجراءات التى تكفل الوصول إلى هذا الهدف فى أهداف خاصة ، تتصل بجميع جوانب الإنسان .

٣ ــ وسائط التربية ومناهجها : وقد قامت مؤسسات مختلفة فى المجتمع الإسلامى بترجمة أهداف التربية إلى واقع ، ابتداء من دار الأرقم والمسجد والكتاب والمدرسة ، وغيرها ، وصاغت مناهجها علي ضوء هذه الأهداف . ومما يذكر أن التعليم كان متاحا لجميع طبقات المجتمع وقد وجدنا أن هناك مبادىء أساسية تعكس فلسفة المجتمع فى التربية وتتحكم فى المناهج التى تدرس ، سواء من ناحية قيمتها الدينية ، باعتبار أن الدين الإسلامى هو منهج حياة للأفراد والمجتمع ، ومن حيث قيمة المادة الدراسية

التدريبية ، وقيمتها النفعية ، فلم يكن العلم لمجرد العلم فقط ، بل كان العلم من أجل المجتمع ، ومن أجل نفع الأفراد ، ومن حيث قيمتها التثقيفية الذاتية ، التى كان عليها أن تشبع فهم الأفراد والمجتمع للعلم والمعرفة .

أما طرق التدريس فكان لها فلسفتها ، وكان الفكر التربوى واضحا فى هذا الجانب أيضا ، إذ أن هذه الطرق كانت متكاملة مع المنهج وقد عنى بها الفكر التربوى ، ورغم تنوعها حسب المواد الدراسية إلا أن الفكر راعى فيها التدرج ، ومراعاة الفروق الفردية ، واستخدام الثواب والعقاب ، وظهرت آراء مفيدة وواضحة ، كتبت بلغة عصرها ، إلا أنها رائعة ومتميزة .

٤ ــ وخلصنا إلى أهم خصائص الفكر التربوى ، وهى استمرار لخصائص الفكر الإسلامى عامة ، فهى تتلخص فى الشمول والتكامل والتوازن والوظيفية ، وهو فى هذا كان معبرا عن الحقيقة ــ الوحي ــ وإن كان قد خرج عنها ففى بعض الآراء ، إلا أنه فى مجمله كان فى ضوء هذه السمات مبتكرا مجددا ، لم يتخلف عن خدمة المجتمع الذى عاش فيه ، وكان قادرا على مواجهة كل جديد ، وإضافة ما يوافق الظروف المتغيرة ، وذلك راجع أساسا إلى :

١ ــ الدفعة القرآنية التى جعلت الفضائل الخلقية قوة جوهرية فى تكوين المجتمع الإسلامى الذى أنتج الحضارة الإسلامية ، بفضل التربية التى وجهتها هذه الدفعة الروحية العظيمة ، فكان لها فضل توجيه إشعاعات العقل والنفس ، وبفضلها أصبح الإنسان متعطشا للفهم والعمل ، بفضل قوة الإيمان ، وبفضل عقيدة الوسطية وبفضل الوسطية التى امتاز بها الفكر التربوى ، والحرية التى أتاحها الإسلام أمام الإنسان ، وكانت الصحوة بفضل آيات القرآن التى وجهت فكر الإنسان إلى نفسه وواقعه ومجتمعه وعالمه ، وكان « الفهم الإسلامى للتربية أنها الإعداد الروحي والنفسى للفرد بحيث يكون مؤهلا لتلقى التعليم والثقافة على نحو موجه فيأخذ ما هو أساسى وبناء بسبيل أن يمده بالقدرة على أداء

رسالة فى الحياة والمجتمع ، هذه الرسالة الجامعة بين هدفى الدنيا والآخرة ، من حيث البناء والعمل ، والسعي إلى آفاق التقدم ، دون أن يكون ذلك على حساب القيم الخلقية أو المسئولية الفردية ، بل لحسابها ودعما لها[١٦١]» .

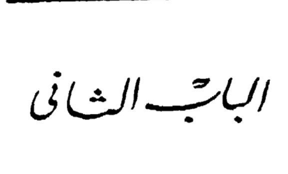
٢ ــ المرونة ، حيث اعتمد النص القرآني أصلا أو هيكلا للفكر يدور حوله ، ومن ثم لم يكن الانفتاح على الفكر التربوي العالمي فى ذلك الوقت مما يخيف المفكرين المسلمين ، بل وجدناهم يقبلون ويدرسون ويفحصون ويقوّمون ، ثم يقتبسون فى ضوء الحاجة الاجتماعية ، ومن ثم حدث الدمج بعد اختبار واختيار بين الطرق والأفكار المختلفة ، وبذلك اندمج الفكر المستعار بصورة طبيعية فى الفكر التربوى الإسلامى ، لأنه يحقق غايته ، ويتفق مع إمكانياته ، وبالتالى لم يكن الانفتاح على الفكر الأجنبي خطرا ، لأنه اعتمد على روحه الإسلامي الأصيل ، وبمساحة الاجتهاد الواسعة التى أتاحها الإسلام .

فلم يكن هذا الفكر انعزاليا أو جامدا ، بل دفعه الإسلام دفعا إلى مجالات كثيرة وواسعة فى ضوء معطيات الإسلام للإنسان والمجتمع والكون ، فاكتسب هذا الفكر قوة حضارية من النظرة الإسلامية الصحيحة ، وبالتالى كان مرنا ، لم يوصد بابه أمام أي اتجاه ولا رأي بل فتحه بقوة لأن لديه من المرونة الكافية ، ما يكفل له البقاء أمام هذه الآراء والأفكار .

وبهذا استطاع أن ينتج أفرادا إنسانيين حضاريين دفعوا الحضارة الإسلامية إلى الأمام بقوة ، وكان لها دورها فى قيادة الفكر والحضارة العالمية فترة ليست بالقليلة ، ومازال مكانها بارزا إلى اليوم .

* * *

(١٦١) أنور الجندى : التربية وبناء الأجيال فى ضوء الإسلام ــ رقم (١٦) من الموسوعة الاسلامية العربية ــ طبعة أولى ــ دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ١٥٣ .



الباب الثانى

اتجاهات الفلسفة التربوية
فى
مصر الحديثة



مقدمـــة :

خلصنا من الباب السابق ، بأن الفكرة الغربية لها أصولها ، المعتمدة على الفكرة الإغريقية الرومانية ، وبأن الفكرة الشرقية لها أصولها التي تعتمد على فكرة الوحى والنبى والحكمة ، وجاء الإسلام بوسطية التوازن المتفردة بين الفكرة الغربية والفكرة الشرقية ، فأنتج شخصية حضارية متميزة متفردة ، كانت لها فكرها وكانت لها تربيتها المتميزة بها ، وكانت لها تجلياتها الفكرية الفريدة فى أهدافها وفى مناهجها ومؤسساتها .

ولكن دورة التاريخ صارمة ، والله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وقد ظلت الحكمة الإسلامية العربية معطاءة ما تمسكت بروح الإسلام ووسطيته ، وسكنت حين تخلفت عن هذه الوسطية ، وحين دخلت الحكمة الإسلامية العصور الحديثة كانت ساكنة ، وتوافرت عوامل مختلفة أسهمت فى هذا السكون ، ولذا كان علينا أن نتناول هذا السكون والعوامل التى أدت إليه وكيف كان ؟ .

والاتصال بالحضارة الأخرى ، إذا كانت متفوقة ، دائما يخلق صدمة ينتج عنها وعي ثقافي وفكري ، وقد اتصلت واحتكت الحكمة العربية الإسلامية الساكنة بالحضارة الغربية الحديثة المتفوقة ، فأدت إلى نتائج ، أسهمت فيها عوامل ، منها الدولة العثمانية ، ذاتها ، التى كانت خطرا داهما على الغرب المسيحي ، الذى كان قد استعاد وعيه بنفسه بعد الحروب الصليبية فكانت الحضارة الحديثة ، التى قامت على الآلية الصناعية التى امتدت خارج أوربا تحاول فتح مجالات جديدة ، فكان الاحتكاك الفكري والحضاري ، الذي تجلّى فى الحملة الفرنسية على مصر ، التى فجَّرَت الإحساس بالهوة الثقافية ، بين الشرق والغرب ، بين الحكمة الساكنة ، والحضارة الفتية .

وهنا توفرت عدة عوامل أدت إلى إيقاظ الفكر الساكن ، ومع فعالية هذه العوامل ظهرت تيارات مختلفة فى الفكر الإسلامي والتربوي ، إذ كانت قد بدأت فعاليات الفكر بعد هذه الصدمة الحضارية ، وكان من أثر هذا ، تقليد للحضارة الغربية أو تجديد داخلى فى الثقافة والفكر الإسلامي .

وإذا كان المغلوب أخذ فى محاكاة الغالب ، كما هى القاعدة العامة ، وأن هذه المحاكاة بدأت بالتقليد الآلي الذى لاتمييز فيه ولااختيار ، ولكنها لم تنطلق فيه إلى نهاية الشوط ، بل تحولت عنه بعد قليل إلى المحاكاة المميزة المختارة ، ثم إلى الاستقلال المتعثر المضطرب فى أول الأمر ، ثم الاستقلال الناشط المسدد إلى الغاية من خطاه بعد حين .

إن حيوية التاريخ واللغة هي ''التى أوحت إلى عقول المتيقظين من أبناء الشرق أنهم يشبهون أنفسهم أيام مجدهم وازدهار لغتهم ولايشبهون الأوربيين فى حضارتهم الحديثة التى انتصروا بها على جيش المماليك الغرباء عن ذلك التاريخ وعن تلك اللغة عند سفح الأهرام .

فلم تمض سنوات على افتتان الشرقي المغلوب بمظاهر القوة فى الحضارة الأوربية الحديثة حتي سمعت فى مصر وفى العالم العربي صيحة الدعوة إلى إحياء التراث القديم ، ورد الأمانة إلي أهلها مرة أخرى قبل فوات الأوان ، لأن الحضارة الحديثة عند الأوربيين عارية مستعارة من هذا الشرق العربى ، أخذوها وأقاموا بنيانهم على أساسها الذي هو أولي بنا ونحن أولي به من أن نتركه للمستعمرين المتطفلين عليه ، وليس بالعسير علينا أن نقيم بناءنا الجديد على أساسنا القديم '' [1] .

ولاشك أن فعاليات وتجليات الفكر التربوى اختلفت وتنوعت ، فمن

---

(١) عباس محمود العقاد : دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ــ لبنان ــ (د.ت) ، ص ٨ .

تيار وافد مَغْرِب إلى تيار إسلامي عربي أصيل ، وكلها تعكس أن الفكر التربوي يحاول الاستقلال وصبغ الشخصية بالصبغة الإسلامية الأصيلة ، والاستقلال المتمكن الواعي العارف لخطاه وأهدافه . رغم الصدمات والانتكاسات إلا أنه ظل مفتح العينين ، وظل لهذه المتغيرات فضل دفع الفكر التربوى فى تياره الأصيل أو الوافد المقلد .

ومن هذا المنطلق نسير فى هذا الباب هدفنا إظهار الكيفية التى تجلى بها الفكر التربوى في كافة تياراته ، محللين جذور هذه التيارات وأصولها وأثر عطاءات هذا التيار وذاك فى التطبيقات التربوية ، فيتضمن هذا الباب :

١ ـــ الفكر التربوي الإسلامي ومتغيرات العصر الحديث .
٢ ـــ الاتجاه التغريبي .
٣ ـــ الاتجاه الإسلامي .

* * *

الفصل الرابع

الفكر التربوى الإسلامى ومتغيرات العصر الحديث

تمهيد

أولا : سكون الفكر التربوي الإسلامي وعوامل سكونه :

١ ــ عوامل داخلية ٢ــ عوامل خارجية .

ثانيا : الفكر التربوي الإسلامي ومتغيرات العصر الحديث .

١ ــ الدولة العثمانية .

٢ ــ بوادر اليقظة الفكرية .

٣ ــ أوربا والغزو الأوربى .

(ا) الاستعمار . (ب) التبشير . (ج) الاستشراق

٤ ــ يقظة الفكر الإسلامي وعوامله .

تمهيد :

رأينا كيف أنتجت الفكرة الإسلامية إنسانا ومجتمعا ، وكيف أنتجت فكرا ونظاما تربويا ، وكيف أنتجت فى النهاية حضارة ، ورأينا كيف كان هذا النظام ملبيا لحاجات الفكر والمجتمع الإسلامي ، عاكسا بوضوح للفكرة الإسلامية ومترجما لها ، وذلك بفضل التربية الإسلامية الوسطية المتوازنة الشاملة ، والتى سادها وسط ديني خلقي عقلي جسدي نفسي تمكن الإنسان بفضله أن يحقق ذاته .

وكانت علامة الصحة فى التربية الإسلامية ، ذلك التوازن الذى جمع بين قوي الإنسان المختلفة ، بحيث بدا واضحا أن العباقرة الذين أنتجتهم هذه التربية كانوا أفرادا موسوعيين ، انسجمت ملكاتهم وطاقاتهم وكفاياتهم ، قدموا فكرا فيه نبض الحياة وطراوة الأخلاق ورهافة الحس والوجدان ، فيه ثراء وصدق وعمق ، فيه الحركة لا الجمود والآلية ، ولا الخواء والبلاهة ، لأن فكرهم لم يكن مجرد انفعال طائش ، وإنما كان محققا لإنسانية الإنسان ، بالتوازن والعدل والوسطية والشمول ، وكلها خصائص لأزمت المسلم فى مسيرته الحضارية ، ومن ثم جمع الإنسان أطراف الحياة في داخله ، فكان الفيلسوف والعالم والشاعر والفقيه والفنان والمؤرخ ، المتأمل الواعي لحركة الحياة ومسيرتها في آن واحد .

ولا غرو فقد بلغ الفكر الإسلامي بالتربية الإسلامية شأوا بعيدا ، حتى أنتج حضارة إسلامية كانت ''خير الحضارات '' تزدهر بها مدن حوت شتى ألوان الحضارة ، حتى كان يرحل إليها الجميع للأخذ والاقتباس ، هذا إلى خرية فى العقيدة وحرية فى القول والعمل ، وهى حرية قلما يتمتع بها غيرهم من الأمم ، وكان ينعم بها كل من استظل بظلهم من نصاري ويهود

ومجوس ،، (٢)

وكان لها الفضل الأكبر فى قيام الحضارة الأوربية الحديثة ، وكان فكرها الأساس الأول الذى بنيت عليه هذه الحضارة ، سواء فى المحتوى أو فى منهج البحث ، وذلك بفضل إبداعه وابتكاره وحركته المتميزة بالوسطية والتوازن .

ويمكن القول أنه كان من الممكن أن « تستمر عملية التطور والنو ، وأن تحقق الحضارة الإسلامية التقدم التكنولوجى الذى حققته الحضارة الغربية المسيحية ... فإن بذور هذه النهضة الأوربية كانت موجودة بأكملها ... فى المجتمع الإسلامى » (٣) إلا أنه توافرت عوامل عديدة أدت إلى سكون الحضارة الإسلامية وسكون الفكر الإسلامي ، بحيث يمكن القول أنه دخل العصور الحديثة وهو واهن وضعيف ، وزاد من ضعفه هذا متغيرات العصر الحديث التى أخرت نهضة الفكر الإسلامي ، ومازالت تلك العوامل والمتغيرات مسئولة عن ضعف فعاليته حتى اليوم .

وفى دراسة هذه العوامل والمتغيرات وموقف الفكر الإسلامي تجاهها إدراك للأسباب التى أدت بالفكر التربوي الإسلامي إلى حالته التى يعيش عليها اليوم .

---

(٢) أحمد أمين : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٤٩ ، ص ٥ من المقدمة .

(٣) محمد جلال كشك : القومية والغزو الفكري ـ مكتبة الأمل ـ الكويت ـ ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م ، ص ١٢٤ .

أولا : سكون الفكر التربوي الإسلامي وعوامل سكونه :

كان الفكر الإسلامي عموما والفكر التربوي الإسلامي على وجه الخصوص متميزا بالحركة ، وكان لديه القدرة على مواجهة الثقافات والأفكار الأخرى ، بالحوار معها وامتصاص الصالح ، معتمدا فى حركته تلك على توكله على الله مما أكسبه طمأنينة وقلقا صحيا ، وقد حرص الفكر الإسلامي واتجاهه على هذه الحركة التى كانت تؤدى دورها وهى مجتهدة ، تجادل وتحاور فى أصالة واقتدار وثقة ، ممثلا روح الحضارة العربية الإسلامية ، ولكن لأسباب متنوعة ، سكن هذا الفكر وانتكس ، وأصبح بعيدا عن واقع الحياة ، نصوصا فى كتب ، يعتز بها الخلف ، مكررين فى شروح ومتون وحواشى . ويمكن رد عوامل سكون الفكر التربوي الإسلامي إلى عدة عوامل ، هى ـــ كما أراها ـــ سبب سكون الفكر الإسلامى عامة ، وانتكاس الحضارة العربية الإسلامية .وسوف أتناولها حسبما تُوَفِّى غرض الدراسة ، وهى كما يلي :

١ ـــ **عوامل داخلية** : وهى تتصل بالمجتمع الإسلامي وفكره ، لابفكرته التى انبثق منها ، وهذه تتمثل فيما يلى :

● **ا ـــ ضعف الدفعة القرآنية ، وانحراف فهم الإسلام والتخلي عن الوسطية الإسلامية وتتضح مظاهر هذا فيما يلى :**

١ ـــ إذ وهنت قوة الإيمان ، وأدي هذا بدوره إلى الخلود إلى الأرض شيئا ، فبدأ السكون '' بتغلب جاذبية الأرض ''[٤] بعد أن فقدت الروح تم العقل ، وفقد الفكر بهذا الوسطية الإسلامية وقد أعطى العقلَ المكانة الكبْرى ، وهذا مناف لطبيعة الإسلام والشخصية الإسلامية ، إذ الإسلام ''وحى وعمل بمقتضَى الوحى '' وهو ''طريقة معينة فى التفكير ، وطريقة

(٤) مالك بن نبي : شروط النهضة (مرجع سابق) ، ص ٥٣ .

معينة فى السلوك ،، وهو ''محتوى معين ، وهذا يعني أن الدين متداخل أو مندمج بالظواهر الثقافية الاجتماعية ، بحيث لايمكن وضع حد دقيق يفصل بينها وبينه ،، [٥] .

وقد أدي إعطاء العقل هذه المكانة الكبرى إلى الاهتمام الزائد بالفلسفة الإغريقية حيث '' ركز الفلاسفة الإسلاميون على العقل ،، [٦] وأخذوا فى تقليد الفلسفة اليونانية وأرسطو على وجه الخصوص [٧] ، وأصبح الفيلسوف فوق النبى ، بحيث أصبح ــ فى نظر هؤلاء ــ فى إمكان الإنسان أن يصل إلى مرتبة الوحي والإلهام من خلال '' الذهن الصافى والفهم الجيد ، وزكاء النفس ، وصفاء القلب ، وحدة الفؤاد وسرعة الخاطر ، وقوة التخيل ، وجودة التصور والفكر والروية ، والتأمل والاعتبار والنظر والاستبصار ، والحفظ والتذكار ، ومعرفة الروايات والأخبار ، ووضع القياسات واستخراج النتائج بالمقدمات ،، [٨] .

وظهرت موجة تنكر الدين والوحي ، كما عند ابن الراوندى والرازي [٩] ، وساد الاعتقاد بأن الإنسان قادر على فهم نفسه والكون وعلى تجديد مصيره ، اعتمادا على قدراته وإمكانياته ، دون حاجة إلى الوحي والرسالة ، وطبقا لهذا أنكروا المعجزات ''ولم يرتضوا من المعجزة إلا الأمور التى تتواءم مع تفكيرهم العقلى ، ومع فكرتهم عن الوحى

---

(٥) أدونيس : الثابت والمتحول :بحث فى الاتباع والابتداع عند العرب ــ ١ ــ الأصول ــ ط ١ ــ دار العودة ــ بيروت ــ ١٩٧٤ ، ص ٥٩ .

(٦) د. عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ٢٢٢ .

(٧) انظر : أبو بكر محمد بن زكريا الرازي :رسائل فلسفية ــ مطبوعات جامعة فؤاد ــ القاهرة ــ ١٩٣٩ ، ص ١٠،٩ .

(٨) رسائل اخوان الصفاء ــ تحقيق حير الدين الزركلي ــ المطبعة العربية ــ القاهرة ــ ١٩٢٨ ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

(٩) انظر :أدونيس (مرجع سابق) ، ص ٩٠،٨٨ .

والإلهام ‘‘ [١٠] وجاءت محاولات التوفيق المفتعل بين الدين والفلسفة ، ملفّقين بين تيارين مختلفين ، أحدهما يقف عند العقل ويضخمه وآخر يعترف بالعقل ويجعله مرحلة من المراحل ، وهذا التلفيق يسيء إلى التيار الدينى بنوع خاص ويفرغه من محتواه [١١] .

وقد أدى هذا بعد ذلك إلى سقوط العقل نفسه ، بعد أن فقد الإنسان قوته الروحية وتحول الفكر الإسلامي إلى إعجاب بنتاج العقل ، الذى أدى به إلى حالة التقوقع والسكون ، وأصبحت وظيفته تقتصر فى الشروح والمتون والتلخيصات والتعليقات دون أي إضافة ، ولم تعد وظيفة الفكر والعقل الابداع والابتكار ، بل الترديد والحفظ والاستظهار ، وأصبحت النصوص متعبَّداً ، وأدى هذا إلى انهيار البناء الاجتماعي ’’إذ هو لايقوى على البقاء بمقومات العلم والفن فحسب ، لأن الروح ، والروح وحدها ، هى التي تتيح للإنسان أن ينهض ويقوم ، فحيثما فقدت الروح سقطت الحضارة وانحطت ، لأن من يفقد القدرة على الصعود لايملك إلا أن يهوى بتأثير جاذبية الأرض ‘‘ [١٢] .ولأن إشعاع الروح قد توقف ، فقد سكن العقل ، وفقد الإنسان تعطشه إلى الفهم والإبداع ، وإرادته إلى العمل ، وفقد الهمة ، وانحرف الفهم ، فأصبحت الثقة زهوا ، والتوكل تواكلا ، وركن العقل إلى المعلوم وتشبث بالماديات والحسيات ’’بدلا من الركون إلى المطلق ــ الذى يمنح المرء قوة تجعله يقدم علي التجارب دون وجل إذا انهزم ، ودون غرور إذا انتصر ‘‘ [١٣] .

٢ ــ وأدى هذا إلى قفل باب الاجتهاد ، بعد أن كان الفكر الإسلامي

---

(١٠) د. عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ٢٢٣ .

(١١) د. عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ٢٢٤ .

(١٢) مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ــ ترجمة عبد الصبور شاهين ــ دار الفكر ــ دمشق ــ ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م ، ص ٢٦ .

(١٣) د. عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ٢٤٧ .

قادرا به على مواجهة المتغيرات ، فَسَادَ التقليد الذى قضى باتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقدا للحقيقة فيه من غير نظر إلى الدليل ، ''وكأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة فى عنقه ،، [١٤] وكان الباعث إليه رغبة فى عدم الاختلاف ، ولكنه قفل باب الاجتهاد ، فأصبح قول وفعل السلف ''هو آخر لبنة فى بناء العلم والتحقيق ، لايضاف ولايمكن أن يضاف إليه بعدها شيء أبدا ، وأن أعظم خدمة يمكن إسداؤها إلى الأمة هى أن يُذَيِّل ماكتبه الأولون بحواش وشروح ،، [١٥] ومن ثم ساد النقل علي العقل ، بعد انحراف العقل ، ووقف الفقه على المذاهب الأربعة ، ووقف علم الكلام عند أبي الحسن الأشعرى ''وكان من يحاول الخروج على مذهب الأشعري يعد خارجا عن مذهب أهل السنة ، يتلقي من الأذي والاضطهاد مالايطاق ، وكذلك من يحاول الخروج على أحكام المذاهب الأربعة ،، [١٦] .

وصرف العلماء جهودهم فى التأليف والتحرير على منحي من الاختصار ''وجمع الفروع الكثيرة فى عبارات ضيقة ، تشبه الألغاز ، وتتطلب الوقت الطويل لتفهمها وتعرف مغزاها ، حتى احتاجت إلى وضع كتب أخرى تشرح مبهمها وتحل عُقَدَها ، وتكشف عن غرض المؤلف من وضعها ، وكانت روح الإدماج والاختصار غالبة على أصحاب تلك الشروح أيضا ، فمست الحاجة إلى التعليق عليها ، وهكذا كانت التآليف ، فأصبح هَمُّ المطلع على هذه الكتب أن يتفهم الأساليب ، وانحصرت الجهود فى حل العبارات والتراكيب ، واشتغل الناس بالألفاظ عن لب العلم وجوهره وهو مايكد الأذهان ، ويفسد الاستعداد وَيجُبُّ المواهب والملكات ،

---

(١٤) أدونيس : الثابت والمتحول ، (مرجع سابق) ، ص ٥٩ .

(١٥) أبو الأعلى المودودي :موجز تاريخ الدين وإحيائه ، وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ــ نقله إلى العربية محمد عاصم الحداد ــ ط ٣ ــ دار الفكر الحديث ــ لبنان ــ ١٣٨٧هـ ــ ١٩٠٦٨م ، ص ٥٦ .

(١٦) عبد المتعال الصعيدي :المجددون فى الإسلام (مرجع سابق) ، ص ٢٤٥ .

ويحمل المُطَالِعَ — عند من يعوزه الفهم ويقف دون إدراك المرامي — على أن يحفظ تلك الألفاظ حفظا خاليا من الفهم الصحيح ،،[17] وهكذا كان هذا سببا في قلة الاجتهاد والإبداع والابتكار ، فأدى إلى ماأدي إليه من نضوب الفكر ، وغلبة التقليد .

وقد أدي إلى الاختلاف كثرة التصانيف في العلوم ، حيث احتاج المتعلم إلى ''ضبطها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ، ولايفئ عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها ، فيقع القصور ولابد ، دون رتبة التحصيل ،،[18] فنشأ الاختصار الذى أدي إلى تقهقر الاجتهاد وشيوع التقليد ، وَفَرَضَ أصحاب السلطان آراء معينة ، وسَخَّروا مؤسسات الدولة لفرض تلك الآراء ، وتزاحم العلماء لخدمة هذه الآراء ، وسخر العلم لخدمة السلطة ، بحيث أدى هذا إلى نقص في الفتاوي ، واعتماد على تصريحات المتقدمين ، فَهُمُ الأصل ولاداعى للاجتهاد ، ومن ثم لم يعد لأحد الحق في أن يجتهد ، وقفل باب الاجتهاد وأصيب الفكر الإسلامي بضعف عام في كافة مناشطه،،[19] .

وتبعا لهذا فسدت النظم التعليمية ، وضعفت برامج التعليم ، وطرق التدريس ، وانحصرت أهداف التعليم فى الحفظ والتلقين مما أدي إلى جمود عقلى ، ساعد عليه فقدان الثقة بالنفس ، وفتور الهمم وانحلال الأخلاق ، وشغف الناس بالمادة ، وتسلط عليهم فالتصقوا بها دون محاولة للخروج من أسرها والسمو فوقها ، هذا مع فساد فهم الإنسان ، وسوء استغلال قواه .

---

(١٧) عبد اللطيف محمد السبكي ،ومحمد علي السايس ، ومحمد يوسف البربري :تاريخ التشريع الإسلامي — المكتبة التجارية الكبرى — القاهرة ، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧ ، ص ٣٠١ .

(١٨) ابن خلدون : المقدمة (مرجع سابق) ، ص ٥٠٠ .

(١٩) راجع : أحمد شلبي : المجتمع الإسلامي ،(مرجع سابق) ، ص ١٧٠ .

٣ ـ انحراف الحياة الروحية عن مفهوم الإسلام ، وذلك بانحراف الصوفية عن جوهر الإسلام وتغليبها الروح على ماسواها [٢٠] . وخاصة أن التصوف منه ماهو سلفي ، سار واجتهد فى الطلب علماؤه وحصلوا العلم الغزير ولكن مالت نفوسهم إلى الزهد والمجاهدة ، وهذا لايتنافى مع روح الإسلام ، ومن التصوف أيضا مايميل إلى التبتل ، عن إخلاص وبدونه ، ومجرد الاصطلاحات ، وسعى الى كسب الجماهير بما يظهره أصحابه من القدرة على الإتيان بالخوارق والكرامات ، فالتَفَّ حولهم العوام وتمسكوا بهم تمسكا شديدا . إما عن جهل أو عن خُبْثٍ [٢١] .

وقد تطرق الانحراف إلي هذا النوع الأخير ، وظهرت الآراء تدعو إلى الانصراف عن الدنيا إلى الروح والآخرة ، وظهرت الشطحات تدمج بين الله والإنسان ، وفُقِدَ الخط الوسطي الذي يدعو إليه الإسلام ، ومن آثار تلك الشطحات دعوة الحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود ، وأدي هذا بدوره إلى ''إلغاء العقل والتكاليف ، والإيمان بأن الله يحل فى البشر والأشياء،، [٢٢] وكما جعل أصحاب العقلانية المفرطة الفيلسوف فوق النبي ، فقد جعل هؤلاء الصوفى ''فوق النبي ، لأنه من مرتبة الإلهية ، ومن هنا تسقط عنه التكاليف ، ولايسأل عما يفعل ولا عن تفسير شطحاته،، [٢٣] .

ونتج عن هذا خلط كبير ، فساد مفهوم الجبرية ، الذى يعتبر أخطر المفاهيم وأبعدها أثرا في سكون الفكر الإسلامي والتربية ، فأصحابه يَدْعُون إلى التسليم المطلق ، وتقبل الأوضاع السائدة ، باعتبار أنها إرادة الله ، وإلغاء

(٢٠) راجع : أنور الجندي : اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى ـ ط ١ ـ دار الاعتصام ، ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م ، ص ٤١ .

(٢١) د. حسين مؤنس : عالم الإسلام ، دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ ، ص ٢١٥،٢١٦ .

(٢٢) د. عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ٢٣٩ .

(٢٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

الاختيار ، ومن ثم استسلام للذل والظلم والانفصال عن المجتمع فى الخوانق والتكايا ، والاتصال بالأولياء على نحو قريب من الوثنية ، وقد أذاعت هذه الطائفة أن الزمان قد أربي على آخره ، وأوشكت الساعة أن تقوم ، ومن ثم فلا فائدة فى السعي ، ولاثمرة فى العمل ولاحركة إلا العدم (٢٤) .

وبهذا الفهم علا شأن الاستبداد وسيطر الأمراء ، وللخروج عليهم وعلى ظلمهم ساد الاعتقاد ''بقدرة الإنسان ــ لاكل إنسان ، بل المقربون منهم ــ على تعطيل قوانين الطبيعة كلما شاءوا ، على غرار مايستطيع القادرون الفائزون ــ على صعيد الدولة ــ أن يعطلوا قوانين الدولة فى أى وقت أرادت لهم أهواؤهم أن يعطلوها'' (٢٥) ومن هنا صار التعطل عن العمل باسم الدين مذهبا ، بل أصبح المثل الأعلي لكثير من الناس .

وقد يكون التصوف مقاومة سلبية لانحراف الحياة ، ولكن بتطور الحياة والزمن أصبح تقويما للانحراف بانحراف آخر ، قد يكون دفاعا عن النفس ''ولكنه دفاع العاجز الضعيف الذى لايري فضائله إلا فى أنه صاحب الحق الضائع'' (٢٦) وأدي إلى انتشاره وذيوعه اختلال ميزان الدولة ، وزيادة الضرائب على الجماهير مع العجز عن أدائها نتيجة الفقر وقلة الأمان واستشراء الفساد ، وضعف صوت الحق والقانون ، وكما اتجه العلماء إلى الله صلاة وقراءة قرآن ، اتجه العامة إلي الأثر الملموس المحسوس للإيمان من ضريح رجل من أهل البيت ، أو رجل من أهل الصلاح ، ومن هذا المنطلق انتشر أدعياء التصوف ، الذين أصبحوا فى عصور الضعف الفكرى والاجتماعى يمثلون أملا ، وحماية من شرور الدنيا وشرور الحكام ، وتعلقت بهم الجماهير ، لرفع مستواهم ومعنوياتهم ، وطرد اليأس من القلوب ، لأن

---

(٢٤) أنور الجندي : اليقظة الإسلامية (مرجع سابق) ، ص ٤٢ .

(٢٥) د. زكي نحيب محمود : تجديد الفكر العربي (مرجع سابق) ، ص ٢٧ .

(٢٦) د. حسن حنفى : التراث والتجديد (مرجع سابق) ، ص ١٤ .

العامة يميلون إلى التجسيد أكثر من ميلهم إلى التصور والإيمان الغيبى [٢٧] .

وانحرفت المفاهيم الإسلامية ، فالإيمان بالقضاء والقدر أصبح جبرية ، والتوكل أصبح تواكلا ، وعلى هذا دارت التربية والفكر الإسلامي ، لخدمة هذه الأفكار والدعوة إلى تمثلها ، ولكن رغم هذا ، تظهر معجزة الفكر الإسلامي ، فى أنه ''باتصاله وباستمراره أتاح دائما ، حتى فى أحلك عصور التخلف الفرصة للذين يعودون إليه لكى يتعرفوا على الموقف الأصيل من القشور الزائفة ، ولذلك يذهل المؤرخ عند ما يلمس وعيا متفوقا لأحد الشيوخ والعلماء ، أو حتي النخبة ، متفوقا على المستوي العام السائد فى عصره ...'' [٢٨] والعلماء بالرغم من حالة السكون العام لم يصوروا أنفسهم رجال كهنوت منعزلين عن الحياة العامة ، وحتى التصوف ــ وخاصة الصحيح منه ــ لعب دورا فى تربية الناس والشباب ، فقد حفظت الطرق الصوفية ''بعض جوانب المجتمع من التساقط ومكنت لجماعات كبيرة من الناس فى المدن والأرياف من أن تجد طريقها فى تلك العصور'' [٢٩] وفى مراكز هذه الطرق تعلم الشباب الفروسية والكتابة والقراءة ، والموسيقي والأناشيد ، وآوت هذه أيضا الطلاب من أهل العلم ، وعاشوا على مواردها [٣٠] .

ب ــ الخلافات السياسية والاستبداد السياسي :

تفجرت الخلافات السياسية منذ مقتل عثمان رضى الله عنه ــ ولكن

---

(٢٧) د. حسين مؤنس : عالم الإسلام (مرجع سابق) ، ص ٢٢٠ ــ ٢٢٤ .

(٢٨) محمد حلال كشك : ودخلت الخيل الأزهر ــ المكتبة السياسية ــ ط ١ ــ الدار العلمية ــ بيروت ــ ١٣٩١هـ ــ ١٩٧٢ ، ص ٤٨٦ .

(٢٩) د. حسين مؤنس : (مرجع سابق) ، ص ٢١٨ .

(٣٠) انظر : على المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة ١٧٩٨ ــ ١٩١٤ ــ ط ٢ ــ الأهلية للنشر والتوزيع ــ بيروت .

بعد وفاة علي ــ رضى الله عنه ــ اضطرمت هذه الخلافات ، ومثلتها فرق مختلفة مثل الشيعة والخوارج والأمويين ، وقد أوجد هذا نوعا من العصبية الحزبية ، وأثرت هذه تأثيرا إيجابيا في الفكر ، ولكن تطور الأحداث ، أوجد نوعا من العصبية القبلية التي كان الإسلام قد محاها ، كما حدث فى الدولة الأموية ، ثم العباسية ، وقد أدت إلى ثورات كثيرة ، كان نتاجها مذابح ، ''ودمرت مدن ، وأحرقت مكتبات ، وأقفلت كليات وجامعات ، وبعض هذه الحركات انتهي باستعباد السكان ، وبالتالى استعباد العقول ، فحرية الفكر لاتعيش فى أجواء العبودية ، ولاينشط العقل مادام الجسم مكبلا مغلوبا على أمره'' [٣١] . وأدت هذه الحركات إلى الاستعانة بالعسكريين الذين استطاعوا التسلط على الحكم بروحهم العسكرية ، مع الجهل بروح الإسلام ، وغلبة روح الاستبداد ، وكان هؤلاء ــ فى أحيان كثيرة ــ ''نكبة على النهضة العلمية'' [٣٢] نظرا لتشيعهم لأحد المذاهب ، أو اعتناقهم لرأي دون سواه ، مع انحراف فهمهم للإسلام عن وسطيته ، وَعدُّوا سواه من الفهم خروجا عن سلطان الدولة ، وانقسم العلماء على أنفسهم بين معارض وحاقد منعزل يائس من الإصلاح ، ومنتقد يتلهف ويتنفس الصعداء مما يرى ويسمع ، ولا يملك من الأمر شيئا ، ومتعاون مع الحكومة لمصلحة دينية أو شخصية ، ولكلٍّ مانوي ، وحينئذ انفصل الدين عن السياسة ، وأصبح الدين مقصوص الجناح مكتوف الأيدي ، وأصبحت السياسة مطلقة اليد ، حرة التصرف ، نافذة الحكم صاحبة الأمر والنهي ، ومن ثم أصبح رجال العلم والدين طبقة متميزة ، ورجال الدنيا طبقة متميزة ، والشقة بينهما شاسعة ، وفى بعض الأحيان عداء وتنافس'' [٣٣] .

---

(٣١) د. أحمد شلبي : الفكر الإسلامي (مرجع سابق) ، ص ٢٠٤ .

(٣٢) عبد المتعال الصعيدى (مرجع سابق) ، ص ١٦٠ .

(٣٣) أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (مرجع سابق) ، ص ١٤٨ .

ووقع الانقسام السياسي ، وتحول إلى صور ''من التآمر والتنافس على السلطان'' (٣٤) ومع فساد الحياة الاجتماعية لم يعد هناك فكر جاد ، وساد التفرق ، وانحدر الفكر الإسلامي من قمة عالية ليتردي فى قاع ، نظرا لانصراف العلماء المسلمين إلى جهد غير وظيفتهم وتفرق جهدهم ، وانحدر الفكر إلى السياسة بمتالبها يبحث عن حجج لتأييدها ، وتوقف الإبداع مما كان له أسوأ الأثر على الفكر .

وأدي هذا التعصب الذميم الذى أثر على الفكر الإسلامي والتربية تأثيرا سيئا ، وأدى هذا ''إلى الجدب العلمي وشبه شلل فكري ، فقد أخذه الإعياء والفتور ، واستولى عليه النعاس ، ولعل القرن التاسع إن لم نقل القرن الثامن آخر قرون النشاط والتوليد والابتكار فى الدين والعلم والأدب والشعر والحكمة ، والقرن العاشر أول قرون الحمود والتقليد والمحاكاة ، وتري هذا الجمود شاملا للعلوم العربية والفنون الأدبية والمعانى الشعرية والإنشاء والتاريخ ومناهج التعليم ، فلا تجد فى كتب التراجم التى ألفت للعصور الأخيرة من تطلق عليه لقب العبقري ، أو النابغة أو المحقق على الأقل ، أو من جاء فى فن بشيء طريف مبتكر أو زاد فى العلم زيادة حسنة إذا استثنينا بعض الأفراد'' (٣٥) .

وهكذا أصبح الجهل والعلم الناقص ، وفساد الأخلاق والمجتمع ، نتيجة من نتائج الصراعات السياسية التى نتجت عن ''فساد أخلاق الأمراء ، وجاء العلماء المتزلفون لأولئك الأمراء المتقلبون فى نعمائهم ، فسايروهم فى اتجاهاتهم ، وقصروا أنفسهم على هذا دون غيره ولكي يستقر السلطان للأمراء أكثروا من خدمة العلم'' ومع التدهور السياسي ، فقدت القدرة على

(٣٤) د. أحمد سويلم العمري : بحوث فى المجتمع العربي ـــ دراسات سياسية ـــ مكتبة الانجلو المصرية ـــ ١٩٦٠ ، ص ١١٥ .

(٣٥) أبو الحسن الندوي المرجع السابق ، ص ١٦٧، ١٦٨ .

ضبط الأمور فى البلاد ، وعجزت السياسة عن إقامة الحكم العادل ، وعجزت عن الدفاع عن البلاد ، وفقد الحكام فى كثير من الأحيان ''الحياء والشعور بالكرامة .. أو الحمية للدين ، فهم إلى جانب ماأنزلوه بالناس من ظلم ــ كان بعضهم يتآمرون على أوطانهم مع الأعداء'' وصاحب هذا فقر عام ، صاحبته النظرة التشاؤمية والجبرية ، '' وهبط المستوى العلمي فلم نعد نظفر بهذه الشخصيات البارزة التى عرفناها فى التاريخ الفكرى للإسلام ''(٣٦) .

جـ ــ الشعوبيـــــة :

وكانت تحاول ''النيل من العقيدة الإسلامية والقومية العربية ، ومن الحضارة العربية ، كما حاولت العبث بالمثل العليا ، والنظم الاجتماعية والآداب العامة'' وارتبطت تياراتها ''بعلاقات العناصر العربية بالعناصر الفارسية ، وموقف هذه العناصر من الخلافة والمجتمع والحضارة'' (٣٧) وقد برزت ''خطورتها حينما أعلنت التورة المسلحة ، ورفعت رايات العصيان المدني وبلبلت العقول ، وشوهت الأفكار ، وحاولت النيل من الإسلام ، دين الدولة الرسمي ، والعبث بنظم الدولة السياسية والاجتماعية ، ونتج عنها تيارات فكرية وثقافية مختلفة ومن آثارها « تزييف الأحاديث النبوية الشريفة ، والعبث بكتب الفقه وإنكار الأديان حميعا ، ومحاولة العبث بفلسفة الأخلاق الإسلامية ، وتشجيع عامة الناس على الإقبال على شرب الخمر وارتكاب المحرمات ، والعبث بالآداب العامة » (٣٨) .

---

(٣٦) د. حسين مؤنس : عالم الإسلام (مرجع سابق) ، ص ٥١٤ . وانظر : شكيب أرسلان : لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ــ مراجعة الشيخ حسن تميم ــ منشورات دار مكتبة الحياة ــ بيروت ــ ١٩٧٥ ، ص ٥٩ ومابعدها .

(٣٧) سميرة مختار الليثى : الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبةعليها ــ الأنحلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٦٨ ، ص ١٤ .

(٣٨) المرجع السابق ، ص ١٥

وقد هاجمت الشعوبية الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي ، وانتقلت من ''مجرد نقد العرب والتحدث عن مثالبهم إلى محاولة الحط من شأنهم والحديث عن جهالتهم ، وجلافتهم وسوء تدبيرهم ، وأخذت كتب الشعوبيين فى مثالب العرب ونقائصهم تبرز إلي الوجود ، ثم تطور الأمر إلى انتقال الشعوبية إلى مرحلة الزندقة والتطاول على الإسلام'' (٣٩) . وبذلت ''كل جهد للتصغير من شأن الثقافة العربية ، وإظهارها غير وافية بحاجات العصر الجديد أى العصر العباسي ، ولم يكن ذلك إلا رد فعل لتفوقها ، وخوفها من أن يزول التراث القديم . ولايخفي أن الثقافة الفارسية ترتبط ببيئة غير إسلامية ، وبفطرة تختلف بصورة أساسية عن النظرة العربية الإسلامية'' (٤٠) .

ورغم المحاولات السياسية للقضاء عليها ، ورغم أن الفكر الإسلامي قد وقف لها بالمرصاد وفضحها (٤١) ، إلا أنه مازال يكتوى بنارها من جراء الأحاديث الموضوعة والروايات المزيفة وتشويه التاريخ والإسرائيليات المدسوسة .

أثرت هذه العوامل جميعا فى الفكر الإسلامي عامة ، والتربية والفكر التربوي خاصة ، ولكن بالرغم من ذلك فقد ظل مطلا على الأصالة ولكن فى حياء ، فتارة نحد ومضة أو بريقا ، بفضل تلك الأصالة المحفوظة فى القرآن الذى لم تمسه يد التحريف .

---

(٣٩) د. عبد الشافي غنيم عبد القادر ، د. رأفت غنيمي الشيخ : قضايا إسلامية معاصرة ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ١٩٨٠ ، ص ٣٤ .

(٤٠) د. عبد العزيز الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ــ بيروت ــ ١٩٦٢ ، ص ٩٥ .

(٤١) راجع د. بركات عبد الفتاح دويدار : الحركة الفكرية ضد الإسلام أهدافها ومقوماتها ــ دار التراث العربى للطبع والنشر ــ (د.ت) ، ص ٧٠ ــ ٧٧ .

٢ ــ عوامل خارجية :

مهدت الأحوال الداخلية لتأثير عوامل خارجية كثيرة ، فقد كان المجتمع الإسلامي قد وصل إلي درجة كبيرة من الضعف ، فلما أتت العوامل الخارجية ، تضاعف التأثير على المجتمع وعلى الفكر ، وتتمثل هذه العوامل فيما يلى :

أ ــ الغزو الصليبى :

وقد ساعد على التخلف الفكري ، وإيقاف سير التطور التاريخي الطبيعي للجماعة الإسلامية ، بعد أن دب فيها دبيب الضعف ، فجاء هذا الغزو ليستنفد ''مابقى للوطن العربي (والاسلامي) من طاقة وجهد'' (٤٢) ، فقد كان عبارة عن ''حركة كبرى نبعت من الغرب الأوربى المسيحى ، في العصور الوسطى ، واتخذت شكل هجوم حربي استعماري على بلاد المسلمين وبخاصة الشرق الأدني بقصد امتلاكها ، وقد انبعثت هذه الحركة عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التى سادت غرب أوربا فى القرن الحادي عشر ، واتخذت من استغاثة المسيحيين فى الشرق ضد المسلمين ستارا دينيا للتعبير عن نفسها تعبيرا علميا واسع النطاق'' (٤٣) .

وقد تمخضت هذه الحروب عن نتائج وآثار ، فقد كانوا ''أشد من الوحوش حماقة ، فقد كانوا لايفرقون بين الحلفاء والأعداء والأهلين والعزل والمحاربين والنساء والشيوخ والأطفال ، وقد كانوا يقتلون وينهبون على غير

---

(٤٢) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ــ صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربي فى العصور الوسطى ــ الأنجلو المصرية ١٩٧٥ ، ج ١ ، ص ١٨ .

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٢٦ ، وانظر د. حسين مؤنس : عالم الإسلام ، (مرجع سابق) ، ص ٨٤،٨٥ .

هدَي'' (٤٤) وخربوا المدن وحرقوا المكتبات ''وفى إحراقهم دار الحكمة فى طرابلس ، وكان فيها نحو مائة ألف مجلد ، أكبر دليل على رعونتهم وخشونتهم'' (٤٥) ناهيك عن قتل العلماء ، وفقدان السلام والاستقرار اللازمين لأية تربية سليمة ، فقد انخرطت الجماهير الإسلامية فى الجهاد ، وارتبطت به ظاهرة أخرى هي اتساع حركة التصوف ، حيث كان المجاهدون يرابطون دائما فى سبيل الله ، مكتفين بالقليل من الزاد ملتجئين إلى الله ، وعاش المسلمون حياة كلها جهاد ومرابطة ، يولون اهتمامهم لها دون اهتمام بأمور الدنيا حتى تحقق النصر ، فلما توقف الغزو ترسخت فى عقول المسلمين وتركت آثارها على المجتمع الإسلامي ، والفكر الإسلامي ''وخلقت آثارا بعيدة المدي قوامها ذلك الطابع الجبرى من التسليم والرضا بالظلم ، ونشأ ذلك التصور البعيد كل البعد عن مفهوم الإسلام وهو : تقبل ذلك كله والاستسلام له بوصفه قدرا من عند الله لايرد'' (٤٦) وقد أضعف هذا الفكر الإسلامي وأصابه بعوامل الركود والضعف .

وانصرف المسلمون إلى ماكانوا عليه ''من انقسام وتنافس وتطاحن وغفلة'' وصار فكرهم ودينهم وتربيتهم ''إلى أقوال الفقهاء والمتكلمين ، وقد يناوىء بعضها بعضا ، وينزل بعضها عن مستوى الحياة الإنسانية حينا ، أو يحلق فوقها حينا آخر ، وبذلك لايتجاوب مع الطبيعة البشرية ، وبالتالى لايقدر على قيادتها ، وشاعت الخرافة ، كما كثرت الفرق وتضاربت الأقوال'' (٤٧) ونشطت الشعوبية والباطنية والزنادقة ، وعم فقر ، وقفل باب

---

(٤٤) جوستاف لوبون : حضارة العرب — ترجمة عادل زعيتر — القاهرة — ١٩٤٨ ، ص ٣٢٢ .

(٤٥) محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية — ط ٣ — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٦٨ ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .

(٤٦) أنور الجندي : مقدمات العلوم والمناهج — المجلد الثاني — التاريخ الإسلامي — دار الأنصار ص ٢٢٤

(٤٧) د. محمد البهي : الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٢،١٣ .

الاجتهاد وأصبح جهد العلماء يقتصر ''على حماية الشعلة الشاحبة ، والخافتة لمدنية عظيمة ، ولم يكن يخامرهم إلا أقل القليل من القدرة على تأجيجها من جديد أو الاضافة إلى لهيبها الساطع القديم ، ومن ثم فلم يجرءوا على التجربة أو التطوير خوفا من تبديد القليل الذى بقى'' (٤٨) .

ب ــ الغزو المغولى :

أحدق المغول بالأمة الإسلامية ، ودخلوا بغداد ، وأقاموا المذابح وعمليات النهب والدمار ، وقتلوا العلماء والفقهاء ، ولم تدع جحافلهم ''بناء قائما ، بعد أن أشعلوا النار فى كل شىء بما فى ذلك المكتبات والمدارس'' (٤٩) وألقَي ''هولاكو'' بالكتب التى حوت التراث العربي فى نهر دجلة حتى قيل أنه أقام بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة'' (٥٠) .

ولكن الإسلام انتصر ''بفضائله التى غزت قلوب المغول ، وبقوة شعوبه التى تمسكت به وحفزت السلاطين ورجال الدولة على الدفاع عن الإسلام الحنيف وبلاده'' (٥١) وبفضل جهاد أبنائه الذين قاموا بهذه المهمة بباعث من حب الدين والإخلاص له ، بعد أن ''أخذ العالم الإسلامي يهتز فرقا لتلك المأساة المروعة ويرقب شبح الخطر الداهم جزعا'' (٥٢) وخاصة بعد تحالف الصليبيين مع المغول .

---

(٤٨) محمد جلال كشك : ودخلت الخيل الأزهر (مرجع سابق) ، ص ١٢٧ .

(٤٩) أنتوني ناتنج : العرب تاريخ وحضارة ــ ترجمة محمد مسعود ــ العدد رقم (٣٥٠) من (كتاب الهلال) ــ القاهرة ــ ١٩٨٠ ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(٥٠) د. على حسني الخربوطلي : التاريخ الموحد للأمة العربية ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ١٩٧٠ ، ص ١١٢ .

(٥١) د. حسين مؤنس : عالم الإسلام (مرجع سابق) ، ص ٩٤ .

(٥٢) محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام ــ ط ١ ــ مؤسسة الخانجى ــ القاهرة ، ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٢م ، ص ١٦٢ .

وقد كان لهذا أثره الواضح على الفكر الإسلامي والتربوى ، فقد أتاح الانتصار الفرصة لظهور طبقة العسكريين ، الذين استطاعوا إنجاز عمل ضخم فى المقاومة ، وخاصة المماليك فى مصر ، ووجدوا أنفسهم أمام مسئولية ضخمة تتمثل فى إنهاض العلم وبعثه من جديد ، ومن هنا انتقلت القيادة العلمية للقاهرة ، وبلغت الحياة العلمية فيها ذروتها ، حيث تجمعت فيها ''أكبر جمهرة من العلماء والكتاب فى كل ضرب وفن ، وأصبحت القاهرة تختص بأكابر العلماء الوافدين عليها من المشرق والمغرب تجتذبهم نهضتها الفكرية وأزهرها العظيم وبلاطها المستنير'' (٥٣) حيث ''أصبح العلماء هم رجال الإدارة والكتابة والقضاء والحسبة وغيرها'' (٥٤) .

ونشطت الحركة العلمية فى مصر ، وشملت كافة أنواع وفروع العلوم ، لغة وتاريخا ، وجغرافيا وسياسة وإدارة ، شريعة وحديثا وفقها وتفسيرا ، وانتشرت المدارس انتشارا واسعا ، واتجهت العناية إلى إنشاء المؤسسات العلمية ، وزاد الاهتمام بها ، سواء فى الكتاتيب أو المساجد أو المدارس ، وكانت هذه الأخيرة بمثابة معاهد للتعليم العالي ، يخصص لكل مدرسة منها المدرسون ، وتلحق بها خزانة كتب كبيرة ، يَؤُمُّها الطلاب لتحصيل العلم والمعرفة ، وعين لها المدرسون والمعيدون ، والموظفون ، ووقفت عليها الأوقاف لتضمن لطلاب العلم والمدرسين قدرا من الحياة الهادئة (٥٥) .

---

(٥٣) محمد عبد الله عنان : ''أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى'' ــ الفصل الأول من ''أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى'' ــ مجموعة بحوث ألقاها نخبة من الأساتذة في ندوة أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ــ ابريل ١٩٦٨ ، رقم (٣٨) من (المكتبة العربية) ــ وزارة الثقافة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ١٩٧٣ ، ص ١٣ .

(٥٤) الشيخ أحمد الاسكندري والشيخ مصطفي عناني : الوسيط فى الأدب العربي وتاريخه ــ دار المعارف بمصر ــ ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ، ص ٢٩٠ .

(٥٥) راجع : د. سعيد عبد الفتاح عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ــ دار النهضة العربية ــ ١٩٦٥ ، ص ٣٥٩ ومابعدها .

ورغم هذه النهضة العلمية الفكرية ، إلا أنها لم تكن على المستوى الذى كان عليه الفكر الإسلامي قبل ذلك ، وكان لهذا أثره على الفكر الإسلامي والتربية ، ثم كان الحصار الاقتصادي والسياسي على دول المشرق الإسلامي ، والشرق الأدني بالذات ، وكانت الهجمات المتتالية للغرب والتى كان من نتاجها الضعف الشديد للاقتصاد الإسلامي والمصرى وموارده ، وقد امتد هذا الضعف حتى سقطت أسبانيا وكانت أوربا قد أخذت فى طريق النهضة أسبابها ، فى حين كان العالم الإسلامي قد تأخرت فيه الأفكار ، وانحدرت فيه التربية .

ثانيا : الفكر التربوي الإسلامي ومتغيرات العصر الحديث :

١ ــ الدولة العثمانية :

دخل الفكر التربوى الإسلامي العصر الحديث مع فتح الدولة العثمانية للقسطنطينية (٨٥٧ هـ) وظهورها كدولة إسلامية ، اتجهت إلى البلاد العربية ، لفتحها ، واستولت عليها ، وبذلك اصطبغت بصبغة ''عربية لم تكن لها من قبل ، وأصبح العرب يكونون نسبة كبيرة من سكان الدولة العثمانية ، كما تدعم مركز هذه الدولة كدولة إسلامية بعد ضم الأماكن المقدسة الإسلامية'' (٥٦) وقد أضفى هذا على الدولة العثمانية ''الطابع الديني الإسلامي الراسخ والمتميز'' إلى جانب أنها ''كانت حريصة الحرص كله على الالتزام بتطبيق مبادىء الشريعة الإسلامية تطبيقا دقيقا فى تصرفاتها وإقامة الشعائر الإسلامية واحترام التقاليد الدينية'' (٥٧) .

---

(٥٦) د. محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية فى الشرق الأسيوي ــ رقم (١) من دراسات فى تاريخ الشرق العربي الحديث ــ القاهرة ــ ١٩٧٢ ، ص ٢٨ .

(٥٧) د. عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ــ ج ١ ــ مكتبة الانجلو المصرية ــ ١٩٨٠م، ص ٢٣ .

وكما هي سنة التاريخ ، فقد بدأت الدولة العثمانية قوية ، واستطاعت تحقيق الوحدة الطبيعية بين الشعوب العربية والإسلامية ، ودفع غائلة الاستعمار الأوربي حتى أواخر القرن الثامن عشر ، وكل هذه محاسن للحكم العثمانى لاشك فيها .

إلا أنه كان له من الأخطاء ماأوقع فيه الفساد ، بحيث وصلت البلاد العربية الإسلامية ، إلى حالة من الفساد ''حكومة وأخلاقا ولغة وأدبا'' (٥٨) حيث أهملت الخدمات والإصلاحات إلا قليلا ، وسادت التركية ، وقل الإنتاج العلمي والفكري والفني ، وانكمش التعليم وأصبح قاصرا على الكتاتيب والمساجد وبعض المدارس القليلة ، ولم يصاحب القوة العسكرية نهضة وازدهارا علي جميع مستويات الأمة ، مما أدى إلى انقلاب الأوضاع وخسارة الأمة ، ولكن رغم هذا فإن الدولة العثمانية وفى ظلها ، ظل الإسلام بمقوماته موجودا ومحفوظا ، بفضل اشتراكهم مع العرب في الديانة ، واستطاع العرب أن يحتفظوا بلغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وساعد علي هذا تلك البقية الباقية من العلم ، فقد كانت الصلات العلمية بين العلماء موجودة وأدت دورها كاملا إلا أن هذا لم يحل دون الضعف العام دون مستوى العصر (٥٩) .

وبالرغم مما قيل عن الدولة العثمانية من أنها فرضت العزلة على العرب والولايات العربية ، فمنعتها من الاتصال بالفكر الحديث وبأوربا الحديثة ، مما أخر نهضة العرب فى العصر الحديث ، إلا أنه يمكن القول ، أن الدولة العثمانية لم تفرض هذا ، بل كان بينها وبين الدول الأوربية معاهدات تجارية وغيرها ، إلا أن العرب والفكر العربي كانوا يمثلون ''مجتمعات دينية إسلامية

---

(٥٨) الشيخ أحمد الاسكندري وآخر (مرجع سابق) ، ص ٣١٧ .

(٥٩) توفيق على برد : العرب والترك فى العهد الدستوري العثماني(١٩٠٨ــ ١٩١٤) ــ معهد الدراسات العربية العالمية ــ القاهرة ــ ١٩٦٠ ، ص ٣ .

مغلقة'' منحرفة فى فهمها للإسلام ، وكانوا ''لايعرفون وقتذاك عن أوربا إلا وجهها القبيح الذى كان يتمثل فى الحروب الصليبية التى تعرضت لها أقاليم الشرق الإسلامى ... وماتخلل هذه الحملات الصليبية من حملة قام بها لويس التاسع ملك فرنسا إلى تونس عام ١٢٧٠ م ابتغاء الاستيلاء عليها وتحويل أهلها إلى المسيحية ليغطى فشله الذريع فى دمياط والمنصورة'' (٦٠) كان كل هذا ماثلا فى الأذهان العربيه الإسلامية ، فانعكس فى عدة عوائق عاقت الاتصال بين أوربا والمسلمين العرب ، منها ماهو اجتماعي وماهو ثقافي ، وماهو اقتصادى وغيره (٦١) .

وقد أدي هذا إلى نوع من العزلة ، هذا إلى جانب ضعف الحكام العثمانيين ، الذي أدي إلي استشراء نفوذ الدول الأوربية ''وازداد تدخلها فى الشئون الخارجية والداخلية على السواء ..واتخذت هذه الدول من معاهدات الامتيازات سندا لها فى هذا التغلغل'' مما أدي فى النهاية إلي أن ''أصبحت الدولة عاجزة عن التدخل لحفظ حقوق رعاياها المقيمين فى الدولة أمام جشع الأجانب ، مما أدى إلى سيادة الفوضى البالغة فى الولايات العربية وابتعاد قطاعات من سكانها العرب عن الأوربيين خوفا من بطشهم وجبروتهم واستعلائهم'' (٦٢) .

والمهم أن الدولة العثمانية وعصرها لم يكن له تأثير يذكر فى تاريخ الفكر الإسلامي ولا التربية الإسلامية ، فقد ظل الوضع الفكري على ماكان عليه ، وإن ظهر فكر فإنه فكر الحفظ والتلقين والشروح والمتون ، لافكر الابتكار والإبداع ، وكانت مصر مثل كل الولايات العربية ، التي أدى

---

(٦٠) د. عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها (مرجع سابق) ، ج ٢ ، ص ٧٢٢ .

(٦١) راجع هذا فى المرجع السابق ، ص ٧٢٢ — ٧٢٨ .

(٦٢) المرجع السابق ، ص ٧٢٨ .

إهمالها إلى ضعف عام ، وكان هذا الضعف سببا فى أن أوربا رأت أنه قد آن الأوان ''لأن تجدد غاراتها عليها ففعلت ، ولكن لابشكل الحروب الصليبية الممقوتة ، بل بدعوي نشر متاجرها ، وبث علومها وآدابها ، وبمحاربة الواقفين لها فى طريقها'' [٦٣] وابتدأت ذلك أولا بالامتيازات ، ثم بحماية الأقليات المسيحية ، ثم التبشير ، ثم بعد ذلك بالغزو المسلح ، وقد كان لكل هذا أثره البالغ فى الفكر الإسلامي والتربوي كما سنراه فيما بعد .

٢ ــ بوادر اليقظة الفكرية :

ولكن الفكر الإسلامي لم يعدم حالات اليقظة الجزئية ، على يد رجال دعوا إلى استقاء الإسلام من منابعه الأولى وكانت دعوة ابن تيمية علامة إرهاص لليقظة الفكرية ، ثم كانت منها دعوة محمد بن عبد الوهاب وغيره ، ومن ثم يمكن القول بأن بوادر اليقظة الفكرية قد ظهرت قبل ''بوادر حركة النفوذ الأجنبي بوقت طويل ، وجاءت حركتها منبثقة من ضمير الفكر العربي الإسلامي'' [٦٤] ، وهى تمتد إلى الإسلام وكتابه ، والفكر الإسلامي المتوازن ، وكان أقرب العلماء إلى هذه الروح هو ابن تيمية ، الذى جاهد فى القضاء على الجمود الفكري الذى ساد فى اتجاه الصوفية والمتكلمين والفقهاء ، حيث قامت دعوته على :

١ ــ أن العقل وحده ليس مصدرا مستقلا للمعرفة ، ولابد من التكامل بين العقل والقلب ، وربط العقل بالنقل ، وخاصة أنهما لايتعارضان .

٢ ــ تنقية الدين مما شابه من خرافات ، ومن انحرافات المتصوفة ،

---

(٦٣) الشيخ أحمد الاسكندري وآخر (مرجع سابق) ، ص ٣١٧ .

(٦٤) أنور الجندي : اليقظة الإسلامية (مرجع سابق) ، ص ٣٥

من زيارة للقبور استغاثة بأصحابها فى قضاء الحاجات (٦٥) .

٣ ـــ تنقية العقائد الإسلامية من الانحرافات ، وفتح باب الاجتهاد فى الفقه (٦٦) .

٤ ـــ أهمية إصلاح أولى الأمر ، وذلك كضرورة لإصلاح الأمة والرعية (٦٧) .

ويمكن القول أن معظم المفكرين بعده أقاموا حركاتهم ودعواتهم على أساس نظرة ابن تيمية ودعوته ، والتى تعتبر تحقيقا علميا لهذه النظرة ، التى نقدت الأوضاع والبدع المستحدثة فى الفكر الديني والحياة الاجتماعية (٦٨) .

وإن كانت دعوة ابن تيمية قد امتدت إلى ابن القيم والشاطبى وغيرهما ، إلا أن محمد بن عبد الوهاب يعتبر أكبر ممثل لها فى العصور الحديثة ، فقد تأثر به وبتلميذه ابن قيم الجوزية ، ''كثيرا ، واستشهد بهما ، وبالإمام أحمد بن حنبل فى معظم رسائله وفتاويه'' (٦٩) وتُمَثِّل دعوته ''مدلولا جديدا هو أن الأمة العربية يجب أن تعود مرة أخرى إلى مكان الصدارة فى الفكر الإسلامى من خلال الثقافة العربية التى امتدت بعد بروز ثقافات الفرس والترك والهنود ، أصيلة متجددة ومتحررة مما أصابها من الجمود والجبرية ، سليمة الجذور لتستمد مقوماتها من القرآن والإسلام

---

(٦٥) راجع : ابن تيمية : حقيقة مذاهب الاتحاديين ، أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهن النقلية والعقلية ـــ تحقيق محمد رشيد رضا ـــ ط ١ ـــ مطبعة المنار ـــ القاهرة ـــ ١٣٤٩هـ ـــ ج ٤ ص ٤٥ .

(٦٦) راجع : عبد العال الصعيدي (مرجع سابق) ، ص ٢٦٢ ومابعدها .

(٦٧) راجع : ابن تيمية : السياسية الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية .ص ١٧٠ .

(٦٨) راجع : جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الإسلام ـــ ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ـــ دار الكاتب المصري ـــ القاهرة ـــ ١٩٤٦ ـــ ، ص ٢٣٨ .

(٦٩) على المحافظة (مرجع سابق) ، ص ٣٩ .

والفكر الإسلامي الأصيل'' (٧٠)

وتتلخص دعوة محمد بن عبد الوهاب فى حتمية الرجوع إلى الوحي باعتباره منبع وأساس الفكر الإسلامي ، وفى هذا تبدو أصالة الدعوة الوهابية والتى بنيت على أصول ''بعيدة الخطرفى أثرها النفسى والاجتماعى لدى المؤمن ، فالشهادة ... تبدو بالدرجة الأولى تحريرا للإنسان من سلسلة الأشباح وتحريرا للعقل من سلطة الخرافات والأوهام ، وهى تعنى أيضا استقلالا إنسانيا فريدا بإزاء كل ما هو مخلوق ، أى أنها تحرير للإنسان من سلطة الإنسان'' (٧١) وهذا بجوهره رجوع إلى الحقيقة،الوحى ، وتلخصت مبادىء الوهابية فيما يلى :ـــ

١ ـــ العودة بالإسلام إلى صفائه الأول ، واعتبار القرآن الكريم والسنة النبوية هما الحل لمشكلة المسلمين ، والتماس الإسلام ومفهومه من الإسلام ذاته ، وعلى أساس البساطة والنظرة المتوازنة .

٢ ـــ التوحيد ، وهذا يتمثل فى شهادة أن لا إله إلا الله ، معتمدا على وحدانية الربوبية ، ومن هذا المبدأ وجدت مبادىء لتخليص هذا المبدأ من الأكدار التى شابته ، وكلها تهدف التوحيد الحق ، وتخليص الإنسان من العبودية لغير الله ، فالتوسل والاستغاثة والشفاعة لا تكون لغير الله تعالى ، وبالتالى رفض إثارة قضايا الصفات والجبر والاختيار ، وبالتالى رفض الجبرية وتأكيد مسئولية الإنسان .

٣ ـــ فتح باب الاجتهاد والتماس الحلول لمختلف القضايا والمشاكل الاجتماعية من المصادر الأصيلة ، من قرآن وسنة وإجماع المسلمين على حكم معين إلى آخر القرن الثالث الهجرى ، ودعا إلى عدم التقيد بمذهب

(٧٠) أنور الجندى : اليقظة الإسلامية (مرجع سابق) ، ص ٣٤ .

(٧١) د. فهمى جدعان : (مرجع سابق) ، ص ١٩١ .

معين من المذاهب الأربعة ، ومن حق كل قاض أن يأخذ من أي مذهب بما يري وبما هو أقرب إلى القرآن والسنة (٧٢) .

٤ ـــ ضرورة استئناف العرب لدورهم الحضاري فى حمل لواء الدعوة إلى الإسلام وقيادة حركة اليقظة وتصحيح المفاهيم (٧٣) .

وكان من أهم أساليبه في تحقيق أهدافه ''التربية والتعليم ، فكان محمد بن عبد الوهاب يحارب الأمية فى سبيل نشر الدعوة ـــ ويلزم أتباعه بتعلم القراءة والكتابة مهما كانت سنه ومهما كانت منزلته حتى الأمراء كانوا يقرأون مثل بقية الناس .فصار منهم العلماء المعلمون أمثال الإمام الأمير سعود الكبير الذى كان يلقى دروسا فى التوحيد إلى جانب أعمال الإمارة'' (٧٤) .

وعلى نفس الطريق فى تأكيد دور الفكر الإسلامي المتحرر من ربقة التقليد والعبودية لغير الله ، يأتى فكر الإمام محمد بن على الشوكانى ، وتعتبر آراؤه صدى لآراء محمد بن الوهاب (٧٥) وألف فى هذا كتبا كثيرة ، وأهم هذه المبادىء ، وجوب الرجوع إلى القرآن والسنة ، وفتح باب الاجتهاد ، ونقد العادات الاجتماعية البالية ، ومناقشة أمور هامة تتصل بالمجتمع ، مثل شروط الإمامة ، وشروط الاجتهاد ، وغير ذلك (٧٦) .

(٧٢) أنور الجندى : اليقظة الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٤٦ .
(٧٣) راجع : محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد – ط ٢ – المكتب الإسلامى – بيروت ، ١٣٩٠ هـ .
عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد – تحقيق محمد حامد الفقى – ط٤ – مطبعة أنصار السنة المحمدية – القاهرة ، ١٣٦٢هـ ، ص ١١ ، ٩٣ ، ١٣٨ ، ١٤٧ .
حسين بن غنام : تاريخ نجد (تحقيق ناصر الدين الاسد) – ط ١ – مطبعة المدنى – القاهرة – ١٩٦١ ، ص ٢٥٠ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣، ٣٩٩
(٧٤) د . محمد منير مرسى : تاريخ التربية فى الشرق والغرب – عالم الكتب – ١٩٨٠ ، ص ٢٨٨ .
(٧٥) على المحافظة (مرجع سابق) ، ص ٤٥ .
(٧٦) انظر : محمد بن على الشوكانى : السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار – لجنة إحياء التراث الإسلامى – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة – ١٩٧٠ .
القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد : تحقيق إبراهيم حسن الانبابى الشافعى – البابى الحلبى – القاهرة – ١٣٤٧ هـ ، ص ١٦ .

وقد كان لهذا أثره فى الفكر الإسلامى الحديث كله ، وإن دَل هذا على شيء ، فإنما يدل على أن الفكر الإسلامى لم يحرم مفكرين مسلمين ، نادوا بالعودة بالإسلام إلى ماكان عليه ، والاعتماد على القرآن والسنة كأساس ، ومنطلقا للحركة الفكرية الإسلامية بفعاليتها وأفكارها أمام وضع السكون والجمود الفكرى ، كان لها الفضل فى إيقاظ الفكر ، حيث على أساسه ''أخذت اليقظة الإسلامية تنتشر انتشارا مزدادا ، ومبادىء التجدد والإصلاح الحقيقى تنمو نموا مطردا ، وكان مما لاشك فيه أمر طبيعى أن عادت إلى الظهور شيئا فشيئا'' (٧٧) .

ومن أهم ماتتميز به هذه الحركات والدعوات أنها ترتد إلي الجذور والمنابع ، وحاولت الاعتماد عليها ، بما يضمن لها البقاء والاستمرار والتأثير ، ومن هنا اكتسبت قوتها وأهميتها من وجهتين :

الأولي : تصحيح مسار الفكر الإسلامى ، ومحاولة رده إلى المنبع الرئيسي ، وتحريره من أسر التقليد والجمود والسكون والتقوقع .

الثانية : زلزلة الكيان الاجتماعى بجميع أبعاده ، من جموده وجبريته ، وخاصة مع ظهور خطر الغزو الأوربي الحديث .

٣ ـــ الغزو الأوربي :

كانت أوربا قد أخذت طريقها فى سبيل التقدم نحو العصور الحديثة بما تلقفته من المعارف الإسلامية ، والفلسفة اليونانية التى انتقلت إلي الأوربيين عبر المسلمين ، بعد تأثرهم بهؤلاء إثر اختلاطهم واحتكاكهم بهم إبان الحروب الصليبية ، فأخذوا ''من حضارة الإسلام مارأوه عناصر مفيدة

---

(٧٧) لوثروب استودارد : حاضر العالم الإسلامى – ترجمة عجاج نويهض ، تعليقات الأمير شكيب أرسلان – المجلد الأول – الجزء الأول – ط ٤ – دار الفكر – بيروت – (د .ت) ، ص ٢٦٥ .

لهم ، يتمكنون بها من تقوية أنفسهم ‘‘ [٧٨] ومعني هذا أنهم طوروا الثقافة الإنسانية ، ولكن حسبما يهوون ، وطبقا لبيئتهم .

وكانت الحضارة الأوربية ، حصيلة تطورات فكرية حدثت بعد ذلك ، حيث ظهرت الحركة الإنسانية ، والتى تمثلت أفكار اليونان والرومان والمسلمين ، وأحيا أصحاب هذا الاتجاه هذه الأفكار ، وأدخلوا عليها تعديلات على نحو يُعنَى ويهتم بإحياء الدراسات الإنسانية ، هادفة ’’تكوين وتشكيل الإنسان المتكامل الكامل خلقا ودينا من أجل سعادته ومن أجل المواطنة وخدمة الدولة‘‘ [٧٩] .

وظهرت النزعة الفردية ، والعقلية ، ضد النزعة الدينية المنحرفة ، كما ظهرت وتأكدت هذه النزعة ، وظهرت الأفكار تدعو وتؤمن باستقلال الإنسان عن الله ، وأن الإنسان باتباعه الثقافة القديمة ’’ليس بحاجة إلى سلطة خارجة ترسم له أخلاقه ونظام حياته .فالإنسان يستطيع أن يسير فى حياته بغير التوجيهات الإلّهية ‘‘ [٨٠] وساعد على تأصيل هذه النزعة ’’أن الكشوف التى وصل إليها ’’كولمبوس‘‘ و’’فاسكودى جاما‘‘ و ’’ماجلان‘‘ أتت بمعلومات تفيد بأنه يوجد أقوام لا يدينون بالدين المسيحى ، ومع ذلك لها أديان وأخلاق ، فظهرت على أثر ذلك الديانة الطبيعية والأخلاق الطبيعية ، وعلي هذا الأساس : تكونت نظرة إلى الإنسان مؤداها : الاكتفاء ـــ بالنسبة للإنسان ـــ بما فى الطبيعة والاستغناء عما وراءها‘‘ [٨١] وسميت هذه بالنزعة الانسانية ، وقد تأثرت المسيحية بالنزعة الإنسانية ، كما حدث ذلك على يد ’’لوثر‘‘ و ’’كالفن‘‘ ، ودعت هذه النزعة ، إلى أهمية الفرد وتحرير ضميره من ’’التقليد الأعمى والطقوس الدينية الحرفية ، والسيطرة

(٧٨) د . عبد الغنى عبود : الحضارة ، (مرجع سابق) ، ص ٦٧ .
(٧٩) د . محمد منير مرسى (مرجع سابق) ، ص ٢١١ .
(٨٠) د . محمود عثمان (مرجع سابق) ، ص ٣٠
(٨١) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

الكنسية وشجعت الفرد على استخدام عقله حتى فى تفسير الإنجيل ''[٨٢] ودعت إلى الاهتمام باللغة اللاتينية واليونانية والتفكير الناقد ، والاتصال بالماضي البعيد وإحياء تراثه واستلهام القوة منه [٨٣] .

ثم ظهرت الواقعية الحسية التى ''قامت على أساس إحياء فكرة الفنون الحرة لدى الإغريق والرومان والتى تتميز بطابعها العلماني'' [٨٤] ، وبهذا كانت تتباين مع النموذج الديني السابق ، وظهرت أفكار التنوير ، التى نادت بأهمية الفرد ، والعلوم والعقل الإنسانى .ثم جاءت الحركة الطبيعية فى القرن الثامن عشر ، وكانت تؤمن بالاتجاه ''إلى الطبيعة للاهتداء بها فى حل المشكلات الاجتماعية'' [٨٥] .

وقد أثمرت هذه الحركات كلها ، والتى كان لها أثرها التربوى ، بأن أكدت النزعة الفردية ، وطبعت الحياة بطابع العناية بالطبيعة والنزوع نزوعا واقعيا ، والذى غدا السمة الأولى للفكر الأوربي الحديث ، وقد نحا هذا الفكر الواقعي المادي إلى الطبيعة ، وانتهى شيئا بعد شيء إلى تغيير كلي فى الفكر ، واتصل مباشرة بأفكار بيكون وديكارت وبالأبحاث الفيزيائية والبيولوجية التى حققها العلم الجديد [٨٦] . ونتج عن هذا صراع بين الدين والعلم ، واهتمام شديد بالعلم الآلي وتطبيقاته لمعرفة أسرار الظواهر الطبيعية والسيطرة عليها ، حتى يستطيع الإنسان تحقيق سعادته ، وقد انعكس هذا على الفكر التربوى بحيث أصبح محققا لهذه النظرة ، ويمكن الخروج بخصائص الفكر الأوربى ، وهى خصائص الفكر التربوي :

---

(٨٢) د . عمر محمود التومى الشيبانى : تطور النظريات والأفكار التربوية - ط ٢ - دار الثقافة - بيروت - ١٩٧٥ ، ص ٧٤ .

(٨٣) المرجع السابق ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٨٤) د . محمد منير مرسى (مرجع سابق) ، ص ٣٢١ .

(٨٥) المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

(٨٦) د . عبد الله عبد الدائم : التربية عبر القرون ، (مرجع سابق) ، ص ٢٦٧ .

١ ــ النزاع بين الدين والفلسفة والعلم .
٢ ــ الإنجازات العلمية التى كان لها تأثيرها البالغ .
٣ ــ ظهور نظرية النشوء والارتقاء ، وقد تحدت الدين وأفكاره .
٤ ــ الثورة الصناعية ، وزيادة الإنتاج .
٥ ــ نمو الحركة القومية التى تعتمد على القول ''بأن النموذج للدولة ، هى التى تتكون من قومية واحدة ، وشهد القرن التاسع عشر كثيرا من الحروب بين الدول الأوربية من أجل تحقيق الوحدة القومية'' (٨٧) .

وقد أدى كل هذا إلى تعاظم القوة الأوربية التى سعت إلى فتح أسواق جديدة لتوزيع منتجاتها ، والحصول على المواد الخام ، وسعت الدول الأوربية إلي الحصول على معاهدات تنظم حياة الأوربيين فى الدولة العثمانية وولاياتها إبان فترة قوتها ، (٨٨) فلما ضعفت الدولة العثمانية ، أصبحت مجالا للتنافس بين الأوربيين من كافة الأجناس والألوان ، وظهرت اهتماماتهم بمناطق معينة من مناطق نفوذ الدولة العثمانية ، ومن هنا تدافعت دول أوربا لغزو الشرق العربي الإسلامي بدوافع اقتصادية وسياسية وغيرها وبوسائل مختلفة .

الحملة الفرنسية : وكانت طليعة الهجوم الغربي السافر على ممتلكات الدولة العثمانية ، وكان لها أثرها فى النواحى العسكرية والفكرية على السواء ، فقد كان نابليون يصحب معه جيشا من العلماء والفنيين والإداريين ، كله قد تسلح بالأفكار الجديدة فى أوربا ، والتى لعبت دورا بارزا فى إذكاء الروح الاسلامي مرة أخرى سواء على مستوي المقاومة ، أو مستوي الأفكار (٨٩) .

---

(٨٧) المرجع الأسبق ، ص ٢٥٤ ، وراجعه ،

(٨٨) د . محمد أنيس : الدولة العثمانية ، والشرق العربى - مكتبة سعيد رأفت - القاهرة ــ ١٩٧٧ ، ص ١٨٥ .

(٨٩) راجع : د . حلال يحيى ود . جاد طه : معالم التاريخ الأوربى الحديث - منشأة المعارف - =

وكان لهذه الحملة الأثر الكبير فى فتح مجال واسع للتنافس على ''ممتلكات الامبراطورية العثمانية الواسعة الأرجاء'' وساعد علي هذا ''تدهور أوضاع الامبراطورية وسيرها المطرد فى طريق الانحطاط والتفكك'' (٩٠) وعادت أوربا من جديد إلى الشرق بروح صليبية هي روح الاستعمار الحديث، وهي لم يبارحها فشلها الأول ''فى انتزاع القدس من أيدى المسلمين ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الإسلامى... والحروب الصليبية لم تكن لانقاذ هذه المدنية، بقدر ماكانت لتدميرالإسلام ''(٩١) .

وقد أحست الحملة الفرنسية والتى تنتمي إلى الروح الأوربي إلى التراث الإغريقى ،و''رمزها لايختلف عن رمز الحضارةالإغريقية، إلا فى تعميق هذا الرمز، والذهاب به كل مذهب من حيث الشغف بالعلم الطبيعى، والاكتشافات الجغرافية، والتفكير فيما هو مقدورللإنسان ،والانصراف عما وراء ذلك، حتى عد الكثير منهم دراسة الميتافيزيقا(ماوراء الطبيعة) شيئا غير مفيد'' وأصبح الدين فيها موقفاإنسانيا، حيث ''تقوم على ''الفحص الحر'' للدين، فكل إنسان يمكن أن يقدم فهما شخصيا للكتاب المقدس، وكل امرىء حُرٌّفى تفسير العقيدة المسيحية، حتى تحولت على أيديهم إلى عاطفة دينية خالية من كل مضمون'' (٩٢) وأحست الحملة الفرنسية بذكائها الأوربى العملى ''بأنها لم تأت إلى منطقة فراغ، فادعت فى منشوراتها والتى طبعت باللغة العربية بأنها ماجاءت إلا لحماية الإسلام والقرآن، وأن قادتها يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن مهمتهم الرئيسية هى تخليص المصريين من الحكام الظالمين وتسليمهم مقاليد الأمور'' (٩٣) إلا أن هذه الحيلة لم تنطل على

= بالاسكندرية - ١٩٧٤، ص ٣٢٢ .

(٩٠) جوزيف جماد: أوربا ومصير الشرق العربى - (ترجمة بطرس الحلاق، ماحد نعمه، مراجعة حسن فخر) المؤسسة العربية للدراسات - بيروت، ١٩٧٦، ص ٥، ٦ .

(٩١) د . مصطفى خالدى، د . عمر فروخ: التبشير والاستعمار - ط ٥ - المكتبة العصرية - بيروت - ١٩٧٣، ص ١١٥ .

(٩٢) د . عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق)، ص ٢٧٣ .

(٩٣) المرجع السابق ،ص ٢٥٦ .

المصريين ولا المسلمين فى المنطقة فحاربوها وقاوموها حتى جلت .

وانحسر المد الأوربى ممثلا فى الحملة الفرنسية ، ولكن نتائجها لم تنحسر ، فقد تمخضت عن :

١ ـــ تنبيه العالم الغربى إلى ''أهمية ماتحويه هذه المنطقة من تراث وحضارة ، فأخذوا يغيرون من أسلحتهم وطرقهم ، وعرفوا أن هذه المنطقة تنتمي إلى تراث ضارب في القدم ، وأنه يختلف عن التراث الغربي ، ولن تجدى المصالحة معه ، فعملوا على تحطيمه ومسخه ولكن بطريقة خفية ، فيها الكثير من المكروالالتواء ، وفيها التصميم والإلحاح'' (٩٤) .

٢ ـــ استنفار'' الإمكانية الذاتية فى العالم العربى ، وفتحت أعينهم على العالم الآخر ومافيه من تقدم وحضارة وفي الوقت نفسه من طمع وطموح ، فبدأ العالم العربى يشك فى كثير من المسلمات ولايرضي عن واقعه ، وبدأت الدعوة للعودة إلى الأصول وبعث الروح العربي وإزالة البدع والانحرافات'' (٩٥) .

إذن فقد تحولت الحرب إلى حرب فكرية وغزو فكري أوربي للفكر والتراث الإسلامى طريقا لاستغلال واستعمار شعوب العالم الإسلامى ، ووسائلهم فى ذلك البعثات العلمية والتربية ''كذريعة تتذرع بها لبسط سلطانها السياسى'' وتستروا وراء دعوى مؤداها أن الدولة صاحبة الشأن ''لها رسالة عالمية مقدسة ، لابد أن تنشرها ، ألا وهي رسالة المدنية والحضارة ، رسالة تقضي عليها بأن تبذل وتضحى لرفع مستوي الشعوب والأمم ، وليس الفتح والغزو غاية بل وسيلة لإعلاء البشرية والسمو بها إلى آفاق العزة والكرامة والحرية'' (٩٦) .

---

(٩٤) المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

(٩٥) المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

(٩٦) د . محمد عوض محمد : الاستعمار والمذاهب الاستعمارية - ط ٤ - دار المعارف بمصر - ١٩٥٧ ، ص ٤٩ .

وقد استخدم الغرب فى هذا السبيل وسائل مختلفة من أهمها :

أ ـ التبشير :

آمن الغرب منذ الحروب الصليبية بفعالية الحملات التبشيرية وجدواها ، وكان هذا إيذانا بالاتجاه إليها ، ولنشر مبادىء المسيحية بين المسلمين ، وتنفيذ سياستها عن طريق الإقناع ، ومن الواضح أن الكنيسة الغربية لم تلجأ إلى هذه الخطوة الجديدة إلا بعد أن رأت عبث الجهود التى بذلتها فى الحروب الصليبية ، وكيف أنها ضحت بالأرواح والأموال دون أن تحصل على نتيجة واضحة'' (٩٧) وخاصة أن الاصطدام فى الحروب الصليبية ، أنتج ''أذى عقليا نتج عنه تسمم العقل الغربى ضد العالم الإسلامى ، عن طريق تفسير التعاليم والمثل العليا الإسلامية تفسيرا خاطئا متعمدا ، لأنه إذا كان للدعوة إلى حملة صليبية أن تحتفظ بصحتها فقد كان من الواجب والضرورى أن يوسم نبي الإسلام بعدو المسيح وأن يصور دينه بأكلح العبارات كينبوع للفسق والفجور والانحراف عن الحق'' .

وعلى كل فقد ظهرت العداوة للإسلام منذ بزوغ المدنية الغربية الحديثة ، ''لأن خيال الحروب الصليبية لايزال يرفرف فوق الغرب حتى يومنا هذا ، كما أن جميع اتجاهاتها وأرجاعها نحو الإسلام والعالم الإسلامى لاتزال تحمل آثارا واضحة جلية من ذلك الشبح العنيد الخالد'' (٩٨) وقد إستغل الغرب ضعف المسلمين فى كافة البلاد الإسلامية ، وانقض بجيش هو جيش التبشير .

وهدف التبشير الأول هو الترويج للفكرة الغربية ، ولذا كان من ''أقوى العوامل التى مكنت للاستعمار فى بلادنا ، وجعلتنا فى الحال التى نحن عليها من الضعف والتفكك والجهل بالأسباب الصحيحة التى تهيىء لنا مستقبلا كريما شريفا فى هذا العالم'' (٩٩) وقد استخدم فى هذا وسائل معينة ، منها التبشير بالمسيحية ونشرها ،

---

(٩٧) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية (مرجع سابق) – جـ ٢ ، ص ١٢٧٨ .

(٩٨) محمد أسد : الطريق إلى الإسلام – ط ٥ – دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٧٧ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٩٩) محمود محمد شاكر : أباطيل وأسمار (مرجع سابق) ، ص ١٨٤ .

وإضعاف الفكر الإسلامى ، والحط من قيمة اللغة العربية ، والتدخل فى كثير من دعوات الإصلاح وتحويلها إلى معنى الهدم والتدمير والتحطيم ، وإضعاف الخصائص القومية للشعوب الإسلامية ، وإيجاد شعور بالنقص لدي المسلمين ، لحملهم على الخضوع للجنس الآري الأوربي المسيحى ، والرضا بالاستعمار الثقافى .والهدف من ذلك ضرب الوحدة الإسلامية ،إحساسا بخطرها على الغرب ، خاصة الدولة العثمانية، التى اصطدمت بها المسيحية ، وكانت موئل اتحاد المسلمين ، ولذا شوَّهُوا تاريخها ، عملا فى سلب الحركة الإسلامية عنصر القوة ، والتمركز اللذين هما ضد الوجود الغربي [١٠٠] .

وقد استطاع المبشرون تقديم الفكر الإسلامى من وجهة نظرهم وحسب مفهومهم ونظرتهم للحياة ، وهدفوا من ذلك ''زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل'' [١٠١] ومن هنا كانت سخريتهم بالإسلام والشخصية الإسلامية ، وتشكيكهم فى مصادر الفكر الإسلامى، وتنمية الخلافات المذهبية بين الطوائف .

وكانت أهم وسيلة لهم التعليم ، وكان أمضى طريق عرفه المبشرون ، وأقرته سياسات الدول الأوربية ، إذ أن ''حاجة الناس إلى التعليم لاتنقطع وبخاصة فى زمن اليقظة بعد الغفوة'' ولأن ''التعليم يضمن تنشئة أجيال قد صبغوا على أيدي معلميهم بالصبغة التي يريدها الدهاة من أساتذتهم ،وهو أخطر عامل فى توجيه أفكار الصغار إلى الجهة التى يريدها المعلم ، فينشأ الطفل ويكبر حتى يصير رجلا ، فلا يحس فى نفسه أنه قد طبع طبعا جديدا ، يراد به استبقاء سيطرة الغازى عليه وعلى بلاده ، وتدمير أمته بمسخه هو وأقرانه إلى عبيد يذللون الطريق لأقدام السادة الطغاة من حيث لا يدرى أنه عبد مسخر'' [١٠٢] .

---

(١٠٠) د . مصطفى خالدى ، عمر فروخ (مرجع سابق) ، ص ٣٧ .

(١٠١) المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(١٠٢) محمود محمد شاكر (مرجع سابق) ، ص ١٨٥ .

وباشرت مدارس التبشير ''التأثير على الطفولة البريئة والشبيبة الغضة .. من أبناء المسلمين ، وكانت لها نتائج إيجابية محدودة .. لكنها إن لم تمح في المجموع عقائد التلاميذ ، فيكفي أنها بذرت فيهم بذور الشك أو الانحراف'' (١٠٣) .

وتظهر هذه الأهداف من أقوال المسيو شاتليه : ''ولاشك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ، ولايتم ذلك إلا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوربية ، فبنشرها اللغات الإنكليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يحتك الإسلام بصحف أوربا وتتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي ، وتقضى إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التى لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها'' (١٠٤) . ويقول ''ولاينبغى أن نتوقع من جمهور العالم الإسلامى أن يتخذ له أوضاعا وخصائص أخرى إذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية ، إذ الضعف التدريجي فى الاعتقاد بالفكرة الإسلامية ومايتبع هذا الضعف من الانتقاض والاضمحلال الملازم له سوف يقضى ـــ بعد انتشاره فى كل الجهات ـــ إلي انحلال الروح الدينية من أساسها لا إلى نشأتها بشكل آخر'' (١٠٥) .

فهذا كلام الدارس الخبير والمخطط القدير ، ويتضح هذا أكثر فى قوله ''فإن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائما للمجهودات التي تبذل فى سبيل التربية النصرانية . والتقسيم السياسي الذى طرأ على الإسلام سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوربية ، إذ من المحقق أن الإسلام يضمحل من

(١٠٣) د . على جريشة ، ومحمد شريف الزيبق : أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى – ط ١ – دار الاعتصام ١٣٩٧ – ١٩٧٧ ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(١٠٤) أ . ل . شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى – (لخصها ونقلها إلى العربية : مساعد اليافى ومحب الدين الخطيب) – المطبعة السلفية – القاهرة – ١٣٥٠ ، ص ١٢ .

(١٠٥) المرجع السابق ، ص ١٣ .

الوجهة السياسية ، وسوف لايمضى غير زمن قصير حتى يكون الإسلام فى حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوربية'' [١٠٦] .

ويؤكد تضافر أعمال المبشرين مع الحكومات الاستعمارية ، قول اللورد بلفور ''إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات فى أمور هامة ، ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيرا من العقبات ، وعلى هذا فنحن فى حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل بما فيه مصلحة المبشرين'' [١٠٧] .

ومن هنا اهتم التبشير بالتعليم والمدارس عناية بالغة ، واشترط فى المدرس أن يكون أجنبيا علىّ الأقل ، وإلا فوطني مسيحي ، واعتمدوا أساس تعليمهم التوراة والإنجيل ، ثم تأتى بقية المناهج متسقة معهما ، وأضافوا إلى ذلك موضوعات للطعن فى الإسلام ، مع الاهتمام بتدريس كتب الخلافات التى تتضمن ردودا على الإسلام واعتراضات على عقائده وتاريخه ، مع مايعتمد عليه من خطب ومناظرات ومحاورات ، واهتموا بإنشاء كنيسة بجوار كل مدرسة ، والتظاهر بالعناية بمشاكل الشباب للنفاذ إلى نفوسهم ، وتوجيههم توجيها غربيا ، وتشكيكهم فى الفكر الإسلامى ومقومات الشخصية الإسلامية ، والحضارة الإسلامية ، وتيسر التأثير أكثر فى ظل حكومات الاستعمار والحكومات الموالية لهم والتى تدخلت فى التعليم ووجهته الوجهة التى يريدها الاستعمار وتخدمه وتجعله موجودا بلا وجود [١٠٨] . عملت على ذلك سياسات الاحتلال الإنجليزى لمصر ووضع هذا فى لب نظام التعليم العام ساسته .

وتنوعت أساليب التبشير وتعددت ، وكان هدفها الأساسي هو مسخ

---

(١٠٦) المرجع السابق ، ص ١٣ .

(١٠٧) المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(١٠٨) راجع : د . محمد البهى : الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٤ . د . خالدى ، ود . فروخ (مرجع سابق) ، ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٢١٥ – ٢٣٢ .

الشخصية الإسلامية ، ومسخ الحضارة الإسلامية ، وتفريغ عقول المسلمين منها ، وكان منها البعثات وكان المبشرون يريدون أن يعود هؤلاء المبعوثون إلى بلادهم ''ببضعة أفكار يرددونها ترديد البغاوات ، تتضمن الإعجاب المزهو ببعض مظاهر الحياة الأوربية ، مقرونا بفقد بعض مظاهر الحياة فى بلادهم ، وبأن يكاشفوا أمتهم بأن ماأعجبوا به هو سر قوة الغزاة وغلبتهم ، وأن الذى عندنا هو سر ضعفنا وانهيارنا'' (١٠٩) .

وكان هؤلاء التلاميذ المخلصون هم عماد التغريب فى مصر فى العصور الحديثة ، وارتبط بهم وروجوا له دعوات للقوميات المحلية ، كالفرعونية ، وذلك بقصد تفريغ الأجيال من ماضيها المرتبط بالعربية وبالإسلام ، وملء هذا الفراغ بماض بائد قديم .

وهكذا كان التبشير من أهم عوامل إضعاف الفكر الإسلامى والتربوى الحديث ، وكان متغيرا من أشد المتغيرات خطورة على هذا الفكر وعلى التربية ، وقد ساعده فى هذا وأعانه عليه عامل آخر هو الاستشراق .

ب ــ الاستشراق :

كانت العناية بالشرق قديمة ، وكانت دراسات الاستشراق منظمة تدور تحت رعاية وعناية الكنيسة (١١٠) ، فالاستشراق يمثل ''حركة متواصلة الحلقات يحاول فيها الغرب التعرف على الشرق علميا وفكريا وأدبيا ، ثم استقلاله اقتصاديا وثقافيا واستراتيجيا وجعله منطقة نفوذ له يسيطر بها علي العالم بأسره'' (١١١) .

---

(١٠٩) محمود محمد شاكر : المتنبى – السفر الأول – مطبعة المدنى – القاهرة – ١٩٧٦ ، ص ٢٨ .

(١١٠) راجع : نجيب العقيقي : المستشرقون – ط ٣ – دار المعارف بمصر – ١٩٦٤ ، حـ ١ ، ص ١٤ وما بعدها ، ص ١١٣ .

(١١١) د . أحمد سمايلوفتش : فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر – دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٠ ، ص ٣٩ .

واختلفت دوافع الاستشراق وتنوعت ، ومع ظهور الاستعمار الحديث لم ''تعد الدراسات الشرقية الكلاسيكية هى الشغل الشاغل للمستشرقين المحدثين ، أو لمختلف الجمعيات والمعاهد وأقسام الدراسات الشرقية فى الجامعات الأمريكية والأوربية ، بل انتقلت العناية إلى دراسة الأمم الإسلامية فى نهضاتها الحديثة وإلى ماينشأ فيها من حركات تجديدية وإصلاحية ، وإلى مقدار تأثير التعاليم الإسلامية الأصيلة فى تفكير الشعوب الإسلامية المعاصرة ، وماذا بين تلك الشعور من مظاهر الاتفاق أو الاختلاف فى النزعات وألوان التفكير'' (١١٢) .

وقد استغلت الدوائر الاستعمارية هذه الدراسات استغلالا سيئا ، ووجد مبشرون ومستشرقون يعملون كمستشارين لهذه الدوائر ، ويهمنا هنا بوجه خاص استشراق القرن التاسع عشر والعشرين ، والذى تضمن نوعا من الاستعلاء من جانب الغرب والتخاذل من جانب الشرق ، والذى كان تعبيرا عن هذا الاستعلاء وتعميقا للإحساس به (١١٣) .

وقد حاولت أبحاث كثير من المستشرقين ، التشكيك فى الإسلام بادعائها ''أن الإسلام دين مخترع ملفق'' (١١٤) وتشويه العقلية العربية الإسلامية ، والتشكيك فى قدرتها ، و''حرص كثير من دعاة التغريب على اتهام العقلية العربية ، جريا وراء رينان وغيره'' حتى وصفت الأمة العربية بأنها أمة لايعرف لها تاريخ وأدبها أدب صحراوى جاف مليء بالمبالغات وهو أدب التكلف والزخرف ، كما وصفت العقلية العربية بأنها عقلية سامية قاصرة عن الخلق عاجزة عن استنتاج المعانى المجردة ، وأن العرب استمدوا

---

(١١٢) زكريا هاشم زكريا : المستشرقون والإسلام – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م ، ١٦٨ .

(١١٣) أحمد أبو زيد : '' الاستشراق والمستشرقون'' – عالم الفكر – المجلد العاشر – العدد الثانى – وزارة الاعلام – الكويت – ١٩٧٩ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٨ .

(١١٤) د . أحمد سمايلوفتش (مرجع سابق) ، ص ١٢٠ .

علومهم وفلسفتهم من فلسفة اليونان ولافضل لهم فيها وكل شيء عندهم زخرف،، (١١٥) .

وشككوا فى الروح العربية الإسلامية ، التى وحد بها الإسلام بين شعوب المنطقة الإسلامية ، وحاولوا عزل الشعوب فى قومياتها القديمة ، فى محاولة لضرب الوحدة الإسلامية وتبعهم فى ذلك كثير .

وحملوا على اللغة العربية التى هى حياة المسلم والعربى ، إذ بها يتفاهم وبها وجوده ، وهى ''حملة على كل شيء يعنينا وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية ، وعلى اللسان والفكر والضمير فى ضربة واحدة ، لأن زوال اللغة فى أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها ، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقى للعربى أو المسلم قواما يميزه عن سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب فى غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان ،، (١١٦) . وقد لعب تلاميذ الاستشراق هذا الدور وأكثر ، والهدف من ذلك كله هو التمكين للنفوذ الأجنبى ، ولا شك أن دور التلاميذ أخطر من دور الأساتذة .. فقد افتعلوا معارك حول عقائد الإسلام وآراء المفكرين ، وبين القديم والجديد ، لتعميق الشك فى الإسلام ومعطياته ، وترسيخ المفاهيم التى يدعون إليها وتوسيع دائرتها ، وقد وجد ذلك طريقه إلى مناهج التعليم فى المدارس .

وكان هؤلاء أكبر دعاة التغريب ، والأخذ بالحياة الغربية ، وقد أحدث هذا اضطرابا فى الفكر الإسلامى ، الذى يعتبر المادة الخام التى يجب أن يتلقاها التلاميذ فى المدارس حفاظا علي شخصيتهم الإسلامية ، ولتكوين

---

(١١٥) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى مرحلة ما بين الحربين ــ مطبعة زهران ــ ١٩٧٢ م ، ص ١٧٦ .

(١١٦) عباس محمود العقاد : أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب – دار المعارف بمصر – ١٩٦٣ ، ص ١٢٧ .

الشخصية الإسلامية ، وقد أدى هذا إلى بلبلة واضطراب فى الفكر التربوى ، ومن هنا تأخر ظهور الفكر التربوى الإسلامى على أيدى المفكرين المسلمين ، إذ قيل أنه لاتربية فى الإسلام ، وأن لافكر تربوى فيه .

والمهم أن جانبا كبيرا من دراسات الاستشراق ــ وليس كله ــ كان عامل إضعاف للفكر الإسلامى ، مما يدل دلالة واضحة على أن الاستشراق والتبشير والاستعمار وملحقاته ومؤسساته "عدو واحد له هدف واحد ، يسعى ليدركه وهو تشويه الإسلام .. ليصل من وراء ذلك إلى تمزيق المسلمين وإشاعة البلبلة فى أفكارهم ، وبين صفوفهم لئلا يلتقوا فيراجعوا من عزتهم ماكان ، ولكى يتم له الإمساك بزمام الرأى العام الإسلامى فتراه يتقن الظهور بوجهين اثنين ، فهو أمام المسلمين باحث لوجه العلم وحده ، فإذا خلا إلى نفسه انقلب فاجرا كفارا ، وهدفه الحيوى فى كلا الحالتين القضاء على الإسلام ، ووقف توسعه" (١١٧) .

وبالجملة فإن الاستعمار الغربى كان يسعى إلى خلق جو ثقافي وفكرى ملائم لتقبله فى البلاد المفتوحة ، واتخذ من أجل ذلك أدواته من التبشير والاستشراق لترويج الفكرة الغربية وفرضها ، والحط من فكر وثقافة المسلمين التى أدت فى النهاية إلى التشكك ، بل وإبعاد الفكر والثقافة الإسلامية من المناهج الدراسية ، اللهم إلا لمحات من تاريخ المسلمين ، والتربية الدينية بالمفهوم الغربى من حيث فهم الدين على أنه علاقة بين الإنسان وربه فقط لاتتعداها إلى جوانب الحياة ، ومن هنا تلقى المتعلمون الفكر الإسلامى مشوها ، وفى بعض الأحيان لايعرفون عنه شيئا .

إلا أنه كما قلنا ــ أن الاتصال بالغرب ــ مهما كان نوعه ــ قد أثار الإمكانية الذاتية لدى المسلمين ، وذلك أمام تلك الحضارة الفتية التى

---

(١١٧) د . أحمد سمايلوفتش (مرجع سابق) ، ص ١٢٨ .

وقف أمامها المسلم مشدوها ، إلا أنه أفاق من الصدمة فاستيقظ ، وأسهمت عوامل مختلفة فى هذا الإيقاظ .

٤ ـــ يقظة الفكر الإسلامى :

أنتج الاحتكاك بالحملة الفرنسية أفكارا وصحوة عقل ، لدى بعض العلماء أمثال الشيخ حسن العطار ، الذى تنبه إلى ''ماعند الفرنسيين من علم وحياة تخالف ماعرفته مصر ، ورأى ضرورة معرفة ماعندهم أملا فى مستقبل أفضل'' (١١٨) وقد دعا إلى الانفتاح الفكرى والثقافى ، ولذا لم ير ''بأسا من أخذ العلم من غير المسلمين'' . وذلك فى محاولة للتغلب على الركود الفكرى ، وهو فى ذلك أصيل يدعو إلى الأصالة ، إذ أنه كان مطلعا على ذخائر التراث العربى ، وهو فى منهج تحقيقه كان يقابل بين النسخ المختلفة من كتب التراث ، وهذا لايصدر إلا عن قدرة وأصالة ووعى بالفكر العربي (١١٩) ، ومع هذه الأصالة وتمثل الروح الإسلامى ، كان يدعو إلى الابتكار ، الذى لابد منه لتحقيق الإصلاح ، فهو يقول : ''إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها ويتجدد مابها من المعارف ماليس فيها'' (١٢٠) . ولعل هذا كان إحساسا بتلك الفجوة القائمة بين الفكر فى مصر ، وبين الحضارة الغربية ، فكان لابد من الدعوة لاختصار هذه الفجوة بأخذ علوم جديدة ليست موجودة .

كانت هذه الدعوة مع بداية الاحتكاك مع الإحساس بالفجوة ، ومن

(١١٨) د . محمود فهمى حجازى : أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى – الهيئة المصرية العامةللكتاب – ١٩٧٤ ، ص ١٠ .

(١١٩) السابق ، ص ١٠ ، ١١ وراجع ، محمد عبد الغنى حسن : حسن العطار – رقم (٤٠) – نوابغ الفكر العربى – دار المعارف بمصر – ١٩٦٨ ، ص ٧٢ ، ٨٠ .

(١٢٠) على مبارك : الخطط التوفيقة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة – بولاق – مصر – ١٣٠٦ ، حـ ٤ ، ص ٣٨ .

هنا كان استيقاظ الفكر الإسلامى فى العودة إلى ذاته ، وذلك بفضل تأثير دعوة محمد بن عبد الوهاب ، وضرورة سد الفجوة الحضارية ، وأتت عوامل أخرى كانت مساعدة على هذه اليقظة ، تمثلت فيما يلى :

١ ــ البعثات العلمية

وخاصة منها ماتتجه نحو فرنسا : لتعليم الصناعات ، واللغات وغيرها ، مما كانت تدعو إليه الحاجة فى البلاد فى ذلك الحين[١٢١] . ورغم مالهذه البعثات من آثار مختلفة ومتنوعة ، إلا أنها فتحت عيون المصريين فى أول نهضتهم على الغرب ومافيه ، مما أنتج فعالية فكرية عظيمة الشأن ، وكان من هؤلاء الطهطاوى وعلى مبارك وغيرهم . وقد اطلعوا على فكر الغربيين ، وقد أثروا الفكر التربوى فى مصر فى بداية القرن التاسع عشر . وتركوا تلاميذ أسهموا فى إذكاء الفكر الإسلامى فى هذه الفترة .

٢ ــ الترجمة :

وقد مكنت حركة الترجمة من الاطلاع على ثقافة وفكر الغرب وعلومه ، وماتوصل إليه فكره ، وقد بدأت الترجمة فى لبنان ، ولكنها ازدهرت أكثر فى مصر فى عهد محمد على ، لاعتماده عليها فى نقل ''علوم الغرب وفنونه إلى لغات يفهمها تلاميذ المدارس المصرية أى العربية والتركية بنوع خاص ، لذلك شرع محمد على فى جمع الكتب من مختلف البلدان ، وأخذ يوزع منها مايصلح للتدريس فى مدارسه على المترجمين لترجمته ، حتى يكون بأيدى التلاميذ والأساتذة على السواء طائفة من الكتب التى لم

---

(١٢١) راجع : د . محمد فؤاد شكرى ، عبد المقصود العنانى ، سيد محمد خليل : بناء دولة مصر محمد على – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٤٩ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ عبد الرحمن الرافعى: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر – ط ١ – جـ ٣ – (عصر محمد على) – مطبعة النهضة المصرية – ١٩٣٠ ، ص ٤٥٢ .

يكن لهم غنى عنها» [١٢٢] وقد أسهمت حركة الترجمة فى إثراء الفكر التربوى الإسلامى عن طريق :

أ ــ الاطلاع على ثقافات العالم الآخر ، وهذا الاحتكاك الفكرى ولد ثراء ، واستثار أذهانا ، وأنتج أفكارا .

ب ــ التعرف على مدى التقدم الحضاري والمدني الذى تعيشه أوربا ، مما أدي إلى إدراك الفرق القائم بين حياة المسلمين وحياة الغربيين والبحث عن أسباب الضعف وعلاجها للوقوف من الغرب موقف الند .

٣ ــ الطباعة : وقد عرفتها مصر في القرن التاسع عشر ، وقد « بات إنشاء المطابع ضروريا حتى يمكن توزيع الكتب على التلاميذ »[١٢٣] ولذا أنشِئَت المطابع ، وأخذت فى طبع الكتب المختلفة ، فقد « أخذت فى طبع نحو ثلاثمائة كتاب من الكتب المترجمة عن اللغات الأجنبية فى العلوم الحديثة ، كالرياضيات والطبيعيات والطب والجراحة »[١٢٤] ثم أخرجت كتبا فى اللغة والأدب ومختلف الفنون ، منها ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ، وإنشاء الشيخ العطار ، والأجرومية ، والألفية الأزهرية ، وخزانة الأدب الكبري ، ومقدمة ابن خلدون ومقامات الحريرى وتفسير الرازي ، والقاموس ، والأغاني[١٢٥] . وقد أسهمت هذه المطابع فى « نشر العديد من المؤلفات والكتب العربية القديمة ، وإحياء التراث العربى وإيصال المؤلفات الحديثة والكتب المترجمة إلى أيدي الناشئة والمثقفين ... فكان لها دور كبير فى النهضة الفكرية العربية الحديثة »[١٢٦] وقد كان لكل هذا أثره فى الفكر التربوي ، وخاصة أن هذه المطابع طبعت الكتب المترجمة فى التربية

(١٢٢) د . محمد فؤاد شكرى (مرجع سابق) ، ص ١٠٦ .
(١٢٣) المرجع السابق ، ص ١٢٠ .
(١٢٤) الشيخ أحمد الاسكندرى وآخر . (مرجع سابق) ، ص ٣٢٣ .
(١٢٥) راجع : المرجع السابق ، ص ٣٢٣ ، والأسبق ، ١٢١ .
(١٢٦) على المحافظة (مرجع سابق) ، ص ٢٨ .

ووزعتها وأذاعتها ، فكان لها فضل إيقاظ الفكر التربوى .

٤ ـــ **الصحافة** : كانت الصحافة ذات دور بارز فى هذا المجال ، وأهم الصحف المؤثرة هى « صحيفة الوقائع »[١٢٧] وروضة المدارس[١٢٨] وغيرها من الصحف وقد ساعدت فى إذكاء الفكر ، وإيقاظ الأذهان ، وحملت إلى قرائها معارف ومعلومات ، ساعدت وسهلت « نشر التعليم بين الناشئين ، ونشرت التوسع فى العلم والأدب لجميع طبقات الراغبين ، وضبطت أعمال المصالح والدواوين ، وقربت مسافة الخلف بين أصناف الناس فى الأفكار والعادات والأخلاق ومسائل الاجتماع »[١٢٩] .

كان لهذه العوامل أثرها فى الفكر التربوي الإسلامي العربي ، هذا إلى جانب العوامل الإيجابية فى الاستشراق والتبشير ، فقد أيقظت الفكر التربوي الإسلامي ونبهته ، وظهرت آراء واتجاهات فكرية تمثل تيارات فى فكر المسلمين عاكسة حيوية الفكر التربوي ، وكانت الصدمة الحضارية والمواجهة العسكرية ، صاحبة الفضل فى الإحساس بالهوة الحضارية المادية والفكرية بين الشرق والغرب ، مما كان له أثره الكبير فى الفكر التربوي والفكر الإسلامي كله ، إذ استيقظ بنشاط جارف وتعددت تياراته لمواجهة الغزو الفكري والعسكري ، وانفتح على مسافة التخلف التى تفصله عن العالم الحديث ، وانفتح أيضا علي محاولات السيطرة الأجنبية ، وعلى الجمود الذى يعيشه الفكر والمجتمع الإسلامى ، ومن ثم بدأ صلاته « بحضارة عصره ، حين جاءته هذه الحضارة غازية غالبة متسلطه ، فما هى إلا أن زالت عنه الدهشة حتى أخذ يحاول الخلاص »[١٣٠] من جموده وتخلفه ومن

---

(١٢٧) راجع : د . محمد فؤاد شكرى : (مرجع سابق) ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .

(١٢٨) راجع : محمد عبد الغنى حسن ، عبد العزيز الدسوقى : روضة المدارس نشأتها واتجاهاتها الادبية والعلمية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢١ ـــ ٤٢ .

(١٢٩) الشيخ أحمد الاسكندرى ، وآخر (مرجع سابق) ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(١٣٠) ـــ د . زكى نجيب محمود : ثقافتنا فى مواجهة العصر ـــ ط ١ ـــ دار الشروق ـــ بيروت ، ١٩٧٦ ، ص ٢٠ .

الاستعمار والتسلط ، ومن الغزو الفكري من قبل أوربا والذى استمر حتى اليوم ، رغم تبلور الحضارة الغربية فى تيارين رئيسيين : الرأسمالية ، والاشتراكية ، ورغم عدائهما « إلا أنهما فى النهاية يعبران عن روح تلك الحضارة ولا يتمردان عليها ، فهما تياران يحصران الإنسان فى حياته المادية الواقعية ، ويخضعان كل شيء ، حتى الدين للمفهوم الإنسانى »[١٣١] .

ومازال هذان التياران يحاولان بكافة الوسائل استقطاب الدول الإسلامية ومنها مصر ، بل غزوها غزوا فكريا عقائديا وأيديولوجيا ومازال الفكر الإسلامي يصارع ويغالب .

وتظهر فعاليات الفكر التربوي فى تجليات مفكريه، الذين انقسموا إلى اتجاهات وتيارات تجاه المشكلة الحضارية الكبرى التى يقفون إزاءها رغم الاتفاق على أهمية التربية والتعليم كأداة وكضمان أساسى ، وسبيل رئيسى لتحقيق الأماني الحضارية .

ـــ فطائفة قبلت العصر بحذافيره ، لا يهمهم إلا العصر ، ومتطلبات العصر ، وهؤلاء ذابوا فى الحضارة الأوربية الحديثة ، وارتموا « فى أحضان العلم الوارد » مغلقين نوافذهم دون التراث بمفهومه الشامل ، حتى كان الواحد منهم « لا يكاد يحسن قراءة العربية نفسها »[١٣٢] وقد وقع هذا الفريق ، فى دائرة « الغزو الفكرى الغربى الذى استهدف » محو الشخصية القومية للأمة ، وتعطيل مصادر الثورة والفعالية فى كيانها ببترها عن تراثها وصدها عن منابع الأصالة فى أعماقها ، وتحويل وجهتها تحويلا شاملا تتعطا فيه الإرادة ، وينشل التفكير ، ولا يبقى إلا الفرض والإملاء من جانب المستبد الحاكم ، والتقليد الأعمى والقبول من جانب الشعب الجاهل الذى تجمدت حضارته منذ قرون ، وجفت ثقافته .. ولم يبق له من أمجاد ماضيه

(١٣١) د . عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ٢٧٤ .

(١٣٢) د . زكى نجيب محمود : تحديد الفكر العربى (مرجع سابق) ، ص ٢٧٠ .

ومفتاح شخصيته سوى الأشكال يتمسك بها فى رتابة وآلية دون أن يحس بأثرها فى سلوكه ، أو يشعر بقيمتها فى حياته(١٣٣) .

وقد أدار ظهره نهائيا للتراث التربوى الإسلامى ، وأهمل '' المؤسسات التربوية الإسلامية '' التى كانت لا تقدم المعرفة العلمية فحسب ، وإنما تبنى المواطن المتفاعل مع مجتمعه و '' وأقاموا مكانها المؤسسات التربوية الحديثة التى تحشو أذهان المتلقين بالمعلومات ، وتوجه عقولهم الوجهة التى تصلهم بثقافة الغرب وقيمها ، وإن تعارضت مع قيم حضارتهم القومية وثقافتهم الوطنية '' (١٣٤) .

وقد جعل هذا الفريق من نفسه نسخة مكررة من التربية الغربية ، ليجعل من نفسه معاصرا ، ليس بالعربى وليس بالإسلامى .

وطائفة ثانية ، بدأت بالبحث عن الجذور فى التراث ، وتفاعلت مع الفكر الغربى واستعارت وأضافت ، وجددت ، لأن إيمانها بالتراث كان قويا ، وإيمانها ــ أيضا ــ بالتجدد الداخلي للتراث كان لايشوبه شك . فقد ارتكز أساسا على المنابع الأصيلة لمقومات الشخصية الإسلامية ، التى ترسى عليها دعائمها الاجتماعية والسياسية والثقافية والتعليمية ، وأدرك هؤلاء تماما أنه ''كلما ارتكزنا على هذه المقومات الأساسية لشخصيتنا نشطت هذه الشخصية وازدهرت وتطورت ، وبنشاطها تنشط صلتها بالماضي ويزداد التصاقها بالحاضر فى آن واحد فتعدل صلتها بالماضى من موقف الاجترار السالب والتقليد الجامد إلى موقف المعايشة الفاعلة التى تأخذ من الماضى خير مافيه ، وتنفى عن وجودها كل مالايقوى على الحياة منه ، وتتعدل صلتها بالحاضر من موقف التلقى لكل ماتطفح به الحياة من حولنا صالحا أم طالحا ، إلى موقف المتفحص الناقد ، وعرض الأمور على مقومات ذاتنا

(١٣٣) د . عون الشريف قاسم :الإسلام والثورة الحضارية (مرجع سابق) ، ص ٣٤ .
(١٣٤) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

الحضارية والثقافية ، فما استقام معها وأخصبها وأثراها أخذناه ، وماتعارض معها وأضر بها رفضناه'' (١٣٥) .

وهؤلاء آمنوا بالتجديد من داخل التراث ، فاعتمدوا على نظرة صحيحة للتراث ، ونظرة سليمة لكل ما وصل إليه الفكر الحديث ، (١٣٦) وظهرت أصالتهم المبتكرة ، التى تعبر عن الخصائص الجوهرية الضاربة بجذورها في أعماق السنين باعتبارها أهم مايميز الفكر الإسلامى وتعطيه خصائصه المتميزة ، وهكذا فإن هؤلاء يحتفظون بالطابع الأصيل ، ولكن في حركة ابتكار ، وتجنب للتقليد (١٣٧) وتخلص منه ، بحيث لايصبح الفكر نموذجا لفكر آخر ، ولا الإنسان نموذجا لإنسان آخر ، بل يعتمد على مقومات أساسية أصيلة ، تكون هى الأساس للابتكار والإبداع ، ولعل هذا الفريق هو الذي أعطى تربيتنا شكلها المتميز ، وإن كان ضئيلا .

لهذا الفريق يعتمد الوحي كأساس للفكرة الإسلامية ، والشخصية الإسلامية ثابتة متحركة في آن واحد ، ففيها ثبات وفيها مرونة (١٣٨) . وقد أنتج هذا الفريق فكرا فى كافة المجالات وفى كافة جوانب الفكر التربوي ، معتمدا على :

١ — تطهير مجرى التراث العربي الإسلامى ، والفكر العربى الإسلامي ، من الأدران التى علقت به نتيجة الزمن ، ورد الفكر إلى أصوله ومنابعه الأولى .

---

(١٣٥) د. عون الشريف قاسم (مرجع سابق) ، ص ٢٨ .

(١٣٦) راجع : كامل سعفان : أمين الخولى في مناهج تجديده – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية – القاهرة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٥٨ .

(١٣٧) راجع : توفيق الحكيم : قالبنا المسرحى – مكتبة الآداب – القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٠ .

(١٣٨) راجع : د . يوسف القرضاوى : (المجتمع المسلم بين الثبات والتطور) — الدوحة — السنة الخامسة — العدد (٥٥) شعبان ١٤٠٠ هـ — يوليو ١٩٨٠ م ، ص ١٩ .

٢ ـــ إضافة روافد جديدة للفكر الإسلامي التربوي ، والتي جدت كنتاج لخبرة الاحتكاك بالثقافات الخارجية ، وقد أثرت الفكر التربوى وأغنته ، وزادت من سرعة جريانه ، وقد أدى هذا إلى ظهور اتجاهات إصلاحية سوف نتناولها فى حينها .

ونخلص بعد هذا بما يلى :

١ ـــ أن الفكر التربوى الإسلامى دخل العصور الحديثة ، مع دخول العالم كله هذا العصر ، ولكنه دخلها على استحياء ، لأنه كان متخلفا ساكنا . وقد ساهمت فى سكونه وجموده عدة عوامل ، هى عوامل من داخل المجتمع الإسلامى :

أ ـــ ضعف الدفعة القرآنية ، والتخلى عن الوسطية الإسلامية المتوازنة ، وانحراف الحياة الروحية عن مفهوم الإسلام .

ب ـــ الخلافات السياسية والاستبداد السياسى ، الذى أدى إلى دوران التعليم والفكر فى فلكهما .

ج ـــ الشعوبية التى دست على الإسلام الكثير من التفسيرات الضالة ، والأحاديث الموضوعة ، مما كان له أثره الهدام .

وهناك عوامل خارجية أسهمت فى هذا الضعف ، تتمثل فى :

أ ـــ الغزو الصليبي .　　　　ب ـــ الغزو المغولي .

٢ ـــ دخل الفكر الإسلامى مع الدولة العثمانية فى العصور الحديثة ، ورغم ماللدولة العثمانية من فضائل سياسية ، وصفات إسلامية ، إلا أن الفكر الإسلامى والتربية فى الغالب كانا ساكنين وخامدين إلى درجة الجمود .

٣ ـــ أن أوربا كانت قد دخلت عصر النهضة ، وتوافرت عوامل فكرية واجتماعية وسياسية ، أدت فى النهاية إلى ازدهارها ، وتولد النزعة الاستعمارية فيها ، ومن ثم عادت إلى الشرق من جديد لاستعماره ، وكانت

الحملة الفرنسية على مصر أولى طلائع الغزو العسكري على البلاد الإسلامية ، فى ظل الدولة العثمانية .

إلا أن الاستعمار بروحه الصليبية الجديدة ، جاء ومعه أدوات الغزو الفكرى ، لتشويه الشخصية العربية الإسلامية ، متمثلة فى الاستشراق والتبشير ، اللذين خلقا أسوأ الآثار فى التربية والفكر التربوى الإسلامى .

٤ ـــ ورغم هذا فإن الفكر الإسلامى لم يعدم مفكرين مجددين ، دعوا إلى العودة الى الأصول ، وطرح البدع والأهواء ، أمثال الشيخ محمد ابن عبد الوهاب والإمام الشوكاني ، وامتد هذا إلى الروح الجهادية فى سبيل رد الغزو الأوربي ، ثم الفكر الأوربى بعد ذلك .

٥ ـــ ومع اتصال الفكر الإسلامي بالغرب ، ومع ظهور الطباعة والصحافة ، والبعثات العلمية ، نشط الفكر التربوى الإسلامي من حديد ، وانقسم انقساما واضحا إزاء الفجوة الحضارية ، ففريق مؤمن بالغرب ، مهتم به ، متبنٍّ فكرته ، مُديرا ظهره للتراث وخصائص أمته ، بل ويعتبر دائرة من دوائر الغزو الفكري ، وفريق آخر ، نبع من ذاته جمع بين التراث وجدد منه ومن داخله ، وتزود بنظرة صحيحة وبفكرة سليمة نظر بها إلى الفكر الوافد . فأخذ مايوافقه ، أو استعار بعد إجراء عملية موافقة .

* * *

الفصــل الخامس
الاتجاه التغريبى

* تمهيـد
* أولا : مفهوم التغريـب .
* ثانيا : نشأتــه .
* ثالثا : ركائز الفكر التغريبي .

١ ــ الفكرة الغربية الليبرالية الحديثة وأثرها فى المفكرين المصريين .

* الانعكاسات التربوية .
* تأثر المفكرين المصريين بهذه الأفكار .
* انعكاسات وآثار الفكر التغريبي الليبرالى على التربية فى مصر .

١ ــ ازدواجية النظام التعليمي .
٢ ــ ترديد أفكار الغرب واعتماد الدراسات التربوية على الفكر الغربي .
٣ ــ محاولة إقصاء اللغة العربية عن التعليم .
٤ ــ عزلة التعليم والتربية عن المجتمع .

٢ ــ الفكرة الاشتراكية وأثرها فى المفكرين المصريين .

* انعكاسات وآثار الفكر التغريبى الاشتراكى على التربية فى مصر .




تمهيد :

كانت أوربا قد وصلت الى بلورة نظرتها وفكرتها الغربية ، واندفعت للاستعمار ، ولكنها واجهت الدولة العثمانية ، فأخذت بوسائل مختلفة تتدخل فى أمورها حتى تمت لها السيطرة بشكل أو بآخر على مقدرات كثيرة فى الدولة ، وأخذت تغزو ولاياتها وتحتلها فكانت مصر ثم كان غيرها ، وبالتالى استطاعت تطويقَ العالم الإسلامى ، وسلطت أساليبها وألاعيبها ودسائسها على بقية التجمعات الإسلامية الأخرى ، فوهنت وانحل عقدها وسقطت بعضها إثر بعض فى قبضة المستعمر ونفوذه .

وقد كان لدي الأوربيين صورة كاملة واضحة عما كان لدي المسلمين من تراث وحضارة ، وعما كانوا عليه من ضعف ، ومن هنا زاد اهتمام المستعمر بالتراث ونقده وتحليله بروح الغرب وفلسفتة وفكرته ، وذلك لفهم طبيعة هذه الشعوب ، وكانت لهم أدواتهم فى هذا ، وكانوا يهدفون فى الحقيقة غزو هذه البلاد فكريا ، وحتى تُهَيَّأ العقول والقلوب لتقبل المستعمر ، بحيث تبقى هذه الشعوب فى دائرة النفوذ الإستعماري ، ولما كانت أزِمَّة التوجيه فى أيدى المستعمر ، فإنه وعى أن هناك انفصالا بين هذه الشعوب وتراثها الأصيل ، إلا فى دوائر محدودة ، ولكى تظل هذه الشعوب فى قبضته قدم لمفكريها تراث أمتهم مهتما ''بإبراز الخلافات المذهبية ، وتأكيد الفجوات والتغيرات بين طوائف المسلمين وشعوبهم ، من الوجهة الشعوبية أو الجغرافية أو نظام الحكم ، مع شرح الإسلام شرحا يشوهها وينحرف بها عن أهدافها الأصلية ، وذلك كله بالإضافة إلى تمجيد القيم المسيحية والحضارة الغربية والنظام السياسى ، والسلوك للشعوب الغربية '' وفى نفس الوقت اقتنع بعض المفكرين المسلمين بالفكر الذى قدمه الاستعمار ، وقاموا '' بحركة تقدمية فى الإسلام تبغى تقرير سلطة المستعمر وتثبيت ولايته على المسلمين من الوجهة الإسلامية أو بعبارة أخرى تبغي

عدم تحديه ومعارضته ، سواء فى مباشرة سلطته على المسلمين ، او إدخاله ما يسميه بنظم الإصلاح الحديثة بينهم ''[1] .

ولعل الدافع وراء هذا أن المفكرين المسلمين ، طرحوا سؤالا وحاولوا الإجابة عليه : كيف تسنى لأوربا أن تسبقنا فى كافة الميادين ، فى التنظيمات والعلم ، وقوة الاختراع ، وكافة العوامل التى تحفظ تماسك الأمة ومقوماتها '' وحسبوا أنه ربما يكون فى الأنظمة السياسية والحديثة للغرب ، وفى تنظيم التعليم '' واعتقدوا أنه من الممكن التخلى عن الفكرة الإسلامية والأخذ بهذه النظم الغربية ، فى البلاد الإسلامية ، '' حتى تتلاءم مع تقاليد وحاجات العصر الحديث ''[2] فكان هدفهم هو الأخذ بمظاهر المدنية الأوربية وتفسير الإسلام بما يوافق هذه المدنية .

وكان لهذا الاتجاه آثاره المختلفة فى التربية ، والفكر التربوي ، بحيث ترتبت عليه نتائج واضحة وبينة سوف نراها من خلال دراستنا فى هذا الفصل .

---

(١) د . محمد البهي : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ــ ط ٨ ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥ م ، ص ٣٣ .

(٢) هـ . أ . ر . جب وآخرون : وجهة الإسلام ــ (ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة) ــ المكتبة التجارية الكبرى ــ القاهرة (د . ت) ، ص ٣٣ .

أولا : مفهوم التغريب :

لظروف سياسية وفكرية واجتماعية ضعفت الدولة العثمانية وأتاح هذا الضعف لدول أوربا ـــ خاصة فرنسا وإنجلترا ـــ تقاسم الجزء العربي منها ، وتفرض عليه '' تجزئة جذرية منظمة ، سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية ، ولتخضعاه لصورة جديدة من '' الاستبداد '' هـي '' الاستعمار ''المباشر أولا بالاحتلال ، ثم غير المباشر ، بزرع '' الأعوان '' أو '' العملاء '' لقد حرمت إنجلترا وفرنسا على العالم العربي الحرية '' ولم تكتفيا بتقطيع أوصاله ، بل أدخلوه '' فى دوامة الأفكار الغربية نفسها '' وخاصة '' فى البلد الذى كان أكثر الأقطار الإسلامية جذبا وتأثيرا : مصر ''[٣] .

ومع الحضور الفكري الأوربي الذي متلته إدارة الاستعمار ، وكذلك وجود العناصر التى تلقت العلم فى الغرب ، وفى فرنسا وبريطانيا خاصة ، ومع وجود الكتاب المسيحيين الذين كانوا أقدر على تمثل روح الحضارة الغربية ، وإدارة الاحتلال التى لم تكبت حرية هؤلاء ، بل '' وقفت وراءها وشجعتها ، وحمت دعاتها من ردود الفعل الشعبية التى تجلت خاصة فى حملة '' التغريبيين'' على القواعد الإسلامية ، والمعطيات الدينية ، ليس بقصد إصلاحها ، وإنما بقصد نبذها نهائيا من أجل إحلال الثقافة الغربية محلها '' [٤] .

وحتى تتضح الصورة ، يمكن القول أن مفهوم التغريب يعني '' خلق عقلية جديدة تعتمد علي تصورات الفكر الغربي ومقاييسه ، ثم تحاكم الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية ،

---

(٣) د . فهمي حدعان (مرجع سابق) ، ص ٣٢٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .

وتسييدها على حضارات الأمم ولا سيما الحضارة الإسلامية ''[٥] وإذا كان المستشرقون والمبشرون قد ذكروا أهدافا لهم فى خلق أجيال جديدة من العرب والمسلمين '' تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية ، بل الشرقية ، وإبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه ، فقد عملت حركة التغريب فى موالاة عجيبة ودأب بالغ على تدمير الشخصيات العربية الإسلامية الباهرة ، والتشكيك فى عظمتها ''[٦] وذلك على أسس ثلاثة :

١ ــ نبذ الشرق والعرب والإسلام واللحاق بالغرب والمدنية الغربية ، والفكرة الغربية بكل حسناتها وسيئاتها .

٢ ــ تحرير العقول من كل سلطة عقلية سابقة ، والنظر إلى موضوعات المعرفة والمجتمع الإنساني نظرة غربية ، على أساس النظرة العقلية المتفردة ، المدعومة بالفكر الوضعي الخالص ، وهنا يجدر ذكر أن هذه النزعة تبنت الفكرة الديكارتية ، والليبرالية العلمية .

٣ ــ تأسيس الدول وكافة تنظيمات المجتمع ، على أساس علمانى ، أي على قواعد وأسس غربية لا دينية ، ليس للإسلام فيها أى توجيه أو دور ، وبمعنى آخر فصل الدين عن الدولة ، والسياسة والمجتمع ، وحصره فى دائرة شخصية جدا[٧] .

ثانيا : نشأته :

كانت آمال المفكرين المسلمين فى مصر تتلخص فى اللحاق بالغرب، بعد الإحساس بالفجوة الحضارية التى تفصلهم عنها بعد

(٥) أنور الجندي : شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامي (مرجع سابق) ، ص ١٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٣ ، ١٤ ،

(٧) د . فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ٣٢٣ ــ ٣٢٤ .

الاتصال بالحضارة الغربية ، والاطلاع على تقدمها المذهل ، فتولد فى أنفسهم شعور حاد « بالنقص أدي إلى إحساسهم بضرورة اللحاق بها ، والتساؤل عن سر قوتها ، مما أدي بهم إلي الاقتباس من مادياتها ، واقتباس نظم تعليمها ، وقد ولد هذا قوة فى داخل المجتمع الإسلامى نفسه ، إذ أنه رغم اهتمام المصلحين بالنواحى المادية والعملية من التعليم الأوربى ، فإنهم مع إقدامهم هذا لم يكن فى طوقهم وضع حد لما قد ينجم من النتائج ، فكيف يمكن تموين هذه المدارس بالأساتذة ؟ بديهي أن تمون بالأساتذة الأوربيين أو بالمتعلمين فى أوربا ، ورغبوا بطبيعة الحال فى أن يدربوا أساتذة من عندهم ، وبهذا أوسعوا المجال للمؤثرات التى كانوا يرجون تجنبها وزادوا فى قوتها ، فليس هناك طالب ذكى يقضي ثلاث أو أربع سنين فى عاصمة أوربية مختلطا بأهلها كل يوم ، وقارئا ما يكتبونه من خيره وشره ، من غير أن يشرب فى نفسه شيئا أكثر من قشور المدنية الغربية ، ثم عاد الطلبة أفرادا وبعوثا لا بدراسات فنية فحسب ، ولكن بجراثيم الأفكار السياسية ، بل بجراثيم العادات الاجتماعية أحيانا . مما كان متضاربا مع تقاليدهم الموروثة ، وقد كان الأثر فى مجموعه ضعيفا فى الجيل الأول ولكنه تضاعف فى الجيل الثانى ، وظل يتضاعف باطراد » [٨] .

ولم يدرك هؤلاء أن الأنظمة الغربية إنما هى « تعبير عن فلسفة خاصة تقوم على عادات قومية فى التفكير نضجت ببطء خلال القرون لتواتي حاجات وغايات نظام اجتماعى متباين النواحي » علما بأن هذه « الأنظمة لن تؤدي عملها إلا إذا كان اتخاذها مؤيدا برغبة الأمة وأن هذه الإرادة الاجماعية ثمرة لتربية وطنية بأوسع معني لهذين اللفظين » [٩] .

إذن كانت البداية مع الاقتباس والأخذ بالنظم الغربية ، ثم إرسال

---

(٨) هـ . أ .ر. جب (مرجع سابق) ، ص ٣٥ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

البعثات إلى أوربا ، وخاصة فى عهد محمد علي ، إذ أن المبعوثين عادوا من أوربا ليكونوا قادة التحول الاجتماعى في عهده الذى أراد فيه أن يستقل بمصر ، وأغراه طموحه أن يجعلها تنافس دار الخلافة فى تركيا « وانثال عليه قناصل الدول ليشدوا أزره ، وليخطموا بمعاول جيشه صرح الخلافة العثمانية ،. فعاونوه على إنشاء المدارس ، واستقدم المعلمين لها ، وأرسل البعثات إلى أوربا » وجاءت البعثات والعائد منها « يحسن لغة البلاد التى تعلم بها ، ويحسن التعبير بها فى العلم الذى درسه ، ثم لا يحسن مثله فى لغته التى ينتمى إليها »[10] وقد عبر هؤلاء عن أفكارهم داعين إلى التبنى الكامل للفكرة الغربية بقيمها ، والدعوة صراحة إلى الانتماء والارتباط بها والتبعية لها ، وقد كان هذا راجعا ، فيما يبدو إلى :

١ ــ ارتباط هؤلاء بفكر الغرب وسياسته الاستعمارية ، وفهم الإسلام وثقافة البلاد الأساسية فهما غربيا .

٢ ــ التتلمذ على الغربيين ، مع إشراف إدارة الاحتلال على تربية أجيال تحللت من الفكرة الإسلامية ، ويؤكد هذا ، ذلك « الانقياد الكامل والاستسلام العجيب للقيم الغربية ، وهذا الغياب المطلق لكل روح نقدية بإزاء هذه القيم ، فلقد اشتعلت رءوسهم ذكاء ونقدا للمدنية العربية الإسلامية ، بينما تقلص هذا الذكاء تقلصا كاملا بإزاء المدنية الغربية التى كانت تلاقى فى عقر دارها ، فى نفس الفترة ، انتقادات لا ترحم »[11] .

٣ ــ الإحساس بالهزيمة الثقافية والفكرية والمدنية ، التى ولدتها الهزيمة السياسية ، والمغلوب دائما يقلد الغالب ، ومن هنا انخرطوا فى تقليد الأوربيين الغالبين فكرا وسلوكا وتربية ، وحاولوا صبغ الحياة كلها بهذه الصبغة ، صبغة التقليد .

---

(١٠) محمود محمد شاكر : أباطيل وأسمار (مرجع سابق) ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .
(١١) د . فهمي جدعان (مرجع سابق) ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

٤ ـــ وأمام السكون والجمود من بعض أصحاب الثقافة الأصيلة ، ومع تربية أولئك المتغربين ، ومع ضعف نفوسهم وقلة ذكائهم الاجتماعي ، وضحالة بصيرتهم ، كان موقف العداء من الثقافة الوطنية ، ومناصبة أهلها العداء ، ورميهم بالجمود ، وقد يكون « لهجوم طه حسين على الأزهر والأزهريين مايبرره ، وقد يجوز لواحد كعلي عبد الرازق أن يقف على « أطلال الأزهر » ويرثيه ويرثى أهله ، ولكن الأزهر والأزهريين لم يكونوا سوي « قرويين » و « فلاحين » و « فقراء » قصيرى الباع ضعافِ القوة ، لم ترسلهم البورجوازية المصرية وإدارة الاحتلال إلى باريس ولا إلى لندن ليحصلوا العلم « المتقدم » ويقرأوا مونتسكيو وهوبز وروسو وداروين ، بحيث يتقبلون بصدر رحب دعاوى كل « تغريبى » عائد ، ليس له من رغبة سوى نقض البيت وإسقاطه على رؤوسهم ، ومن أين للأزهريين التقليديين أن يمتلكوا الأسلحة التى تذرع بها التغريبيون من منطق سليم وسفسطائى على حد سواء »[١٢] .

مما سبق يتبين أن التغريب قد مر بأطوار عديدة يلخصها (جب) فى طورين هما :

الطور الأول : طور الأخذ والاقتناع بالأخذ بقشور الحياة الغربية ، والأصل فى ذلك هو اتخاذ العدد والآلات الحربية ، والأخذ بالتعليم العسكرى الغربي ، وتلا هذا عادة ـــ وإن لم يكن دائما ـــ اتخاذ الملابس الغربية ، والمساكن والأثاث ، والعادات والأخلاق ، وصيغ الكلام ، وتفاصيل أخري وثيقة الصلة بالسلوك ، فكان الأمر هنا مجرد تقليد[١٣] .

الطور الثانى : الأنتقال من مرحلة التقليد إلى مرحلة تكييف مظاهر

---

(١٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

(١٣) هـ . أ . جب (مرجع سابق) ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

المدنية الغربية ــ بما يلائم الحياة الشرقية ، ونتج عن نقل الآلة ــ نقل الفكر الكامن وراء الآلة ، وتحويل الفكر إلى عدم الاكتراث بالأوضاع الدينية والعادات والتقاليد الاجتماعية ، وإلى هذا ينتمي التعليم الذى كان أكبر عامل على إحداث التغريب ، « والحق أنه العامل الوحيد ، إن فهمنا من كلمة التعليم كل ما تدل عليه »[١٤] وكان انتشاره بالصورة والروح الغربية باعثا على الأخذ بأساليب الغرب وفكره واتساع رقعة هذا[١٥] .

وقد استغلت كافة الوسائل الحديثة ، من دراسات ووسائل إعلام ، وتحت رعاية سلطات الاحتلال وتوجيهها ، بهدف إضعاف الشخصية الإسلامية ، وإضعاف ثقة المسلمين فى دينهم وفى نظامهم الاجتماعي والاقتصادي .

ثالثا : ركائز الفكر التغريبي :

لم يأت هذا الاتجاه من فراغ ، وإنما اعتمد أصحابه على أفكار استقوها وعلموها ، إما فى مدارس المبشرين والمستشرقين ، وإما فى المدارس الأجنبية ، وإما فى الغرب ذاته ، وإما فى نظام التعليم القومى ــ الأجنبى حقيقة حيث فرغت عقولهم بهدف « وضع البديل فى مواجهة الأصيل ، والعمل علي تقديم بدائل سريعة ذات مظهر لامع ، وتحوطها هالة من الضجيج لكل فكرة أصيلة فى محاولة لخنقها ولتحويل الرأي العام عنها ، فى ظل طوابع من الإغراء والتزييف ، وتحت اسم البحث العلمي والعبارات البارقة الخادعة »[١٦] . ويمكن إدراك تلك التحولات التى تمت فى الفكرة الغربية ، والتى اعتنقها مفكرون مصريون مسلمون ، مذهبا فى حياتهم ،

---

(١٤) المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(١٥) المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(١٦) أنور الجندي : شبهات التغريب (مرجع سبق) ، ص ١٤ .

وعملوا علي إذاعتها ونشرها ، مما كان له أثره فى الفكر العام والفكر التربوي ، إن لم نقل إنه وضع الأسس التى قام عليها فكر تربوي كامل .

١ ـــ الفكرة الغربية الليبرالية الحديثة وأثرها فى المفكرين المصريين :

كان التفكير الغربي فى القرن التاسع عشر ، هو « التفكير المادي الطبيعي الذى انتهي بالأوربيين إلى ذروة الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية ، ولبلاد المواد الأولية فى أفريقيا ، وآسيا ، للصناعة الأوربية ، ثم إلى قيام الشيوعية الروسية ، فى أعقاب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧ ، وهذا التفكير المادى يقوم جملة على تمجيد القوة المادية والمظاهر الحضارية الآليَّة والتفسير الاقتصادي للتاريخ البشرى ، كما يقوم على التقليل من شأن الروحية الدينية والمثالية الإنسانية أو الدينية الأخلاقية » وإذا أدركنا هذا يمكن أن نلمس تأثر الفكر المصري المتغرب « حيث أخذ نفس الطابع واحتكم إلى نفس المقاييس التى يحتكم إليها تفكير (القرن التاسع عشر) وهو ما يسمى باتجاه الماديين العلميين ، أو التفكير المادي الطبيعي ».وانزلق هذا الفكر « فى مصر ، بشعور أو بدون شعور ، إلى نفس الهدف الذي يرمى إليه هذا التفكير ... وهو تمجيد القوة المادية ، والتقليل من شأن الروحية أو المثالية الإنسانية »[١٧] ويمكن أن نلمح تطور هذه الفكرة كما يلي :

أ ـــ وهى حصيلة الفكرة الغربية القديمة ، وإن أضيفت إليها أفكار مسيحية ،[١٨] إلا أنه فى القرن التاسع عشر ، أصبحت مادية بحتة ، إذ كان الدين ـــ قبله ـــ سائدا كمصدر من مصادر المعرفة ، باعتباره الأساس فى توجيه الإنسان ، سواء فى سلوكه أو فى تنظيم جماعته ، أو فهمه للطبيعة ،

---

(١٧) د. محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث (مرجع سابق) ، ص ١٨٦ .

(١٨) أنظر ص ٤٠ من الكتاب

كما كان عند « الكاثوليك ، وعند البروتستانت ، والفلاسفة الذين تأثروا بالوحي ، كانوا يعتبرون الألوهية هى المصدر الأخير للوجود والمعرفة »[١٩] وكان يقصد بالدين « المسيحية »[٢٠] وظل هذا الوضع حتى نهاية العقد الخامس من القرن التاسع عشر .

وتغيَّر الوضع عما كان عليه حين أطل عصر التنوير ، الذى كان نتاج تطورات فكرية وتربوية ، حيث « يعتبر الباحثون القرن التاسع عشر أكثر القرون استنارة وتقدما ، بفضل سيادة النزعة العقلية من جهة ، والإنجازات فى مجال العلوم الطبيعية عن كل قرن سبقه »[٢١] وحيث ساد الايمان بالعقل ، والتجريب المادى الرافض لما وراء المادة والدين ، ويخضعه للتحليل العقلي ، وأعجب « كثير من المفكرين بالمذهب الحسي ، وبعلم « نيوتن » الخالص من الميتافيزيقا ، واتخذوا منهما أساسين أقاموا عليهما المادية »[٢٢] . وكان هذا نتاج الاصلاح الديني الذي نادى به لوثر وكالفن ،[٢٣] وحركة التطهير ومذهب التقوى ، والنهضة العلمية ، وظهور المذهب الحسي الواقعي[٢٤] والتى ظهرت كنتيجة للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكلها كانت توحى بضرورة إعطاء الإنسان الفرد كرامته ، واحترام العقل وإعطاء الإنسان حقوقه وحريته ، ومن ثم ظهرت الاتجاهات الفلسفية تعبر عن سيادة العقل ، واعتباره مصدرا أساسيا للمعرفة الإنسانية ، وأكدت جميعا على مباديء أعطت هذا العصر طابعه الفكرى

---

(١٩)د . محمود عثمان (مرجع سابق) ، ص ٥٩ .

(٢٠)د . محمد البهي (مرجع سابق) ، ص ٢٧٩ .

(٢١)د . أحمد محمد صبحى : فى فلسفة التاريخ ــ مؤسسة الثقافة الجامعية ــ الاسكندرية ــ ١٩٧٥ ، ص ١٨٥ .

(٢٢)د . محمود عثمان (مرجع سابق) ، ص ٥٩ .

(٢٣)راجع : د . محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث ، (مرجع سابق) ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٢٤)راجع : د . يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٦٩ ، ص ٤١ .

الذى تميز بما يأتي :

١ ــ نمو الشعور العقلي ، وإحساس العقل بنفسه وقدرته على أنه يأخذ مصير مستقبل الإنسانية فى يده ، بعد أن يزيل كل عبودية ورثها من قبل ــ وهى عبودية الكنيسة وتعليمها ــ حتى لا تحجبه عن التخطيط الواضح لهذا المصير .

٢ ــ الشجاعة والجرأة فى إخضاع كل حدث لامتحان العقل ، وكذلك تكوين الدولة والتنظيمات الاقتصادية والقانونية والدين والتربية تكوينا جديدا على الأسس العقلية السليمة لكل واحد منها .

٣ ــ الإيمان بأن أساس التعامل الإنسانى هو المصلحة والمنفعة ، وبالتعاون والأخوة الإنسانية على أساس العقل وحده[٢٥] . وأصبح العقل وحده صاحب الحق الكامل فى الإشراف على اتجاهات الحياة ، حيث هو قادر على فهم الكون ، وتلبية الحاجات الإنسانية وإخضاع كل شيء ، وهو إله جميع الاتجاهات الفكرية التى كان هدفها الإنسانية وليس الله أو المجتمع ، ولذا استغل العقل فى اكتشاف القوانين الطبيعية والعلمية وتطبيقها ، وحاول الفلاسفة خلق عالم جديد مؤسس علي العقل والحقيقة ، ومن هنا أصبحت هذه الحقيقة هى الهدف الرئيسي لفلسفة هذا العصر[٢٦] .

ونتج عن هذا أن أُبعِد الدين عن الحياة ، وأصبح معني الإنسانية بديلا عن معني التقرب إلى الله ، كهدف للإنسان فى سلوكه وحياته ، والإله لا وحي له ، ولا رسل ، ولا أخلاق تتفق مع تحكيم العقل وحده ، وطلب

---

(٢٥)د . محمد البهي (المرجع الأسبق) ، ص ٢٨٢ .

(26) Irving . M Zeitlin : Ideology and Development of Sociological Theory - Prentia - Hall - I. N. C, Englewood cliffs. N. Y., 1968, P.3.

سيادته على إحداث الحياة ، وتولدت خصومة حادة بين الدين والعقل ، وأخضع الدين للعقل[٢٧] ، وكثرت الكتب التى تبحث فى الدين الطبيعي ، وعلى كل فقد « ساد العقل كمصدر للمعرفة ، وحل محل الدين أو الوحي »[٢٨] .

ب ـــ وانتهى عصر التنوير ، وجاء عصر يتميز بفلسفة معينة ، لأن الفكر مال « إلي سيادة (الطبيعة) على الدين والعقل ، معا ، وإلى استقلال (الواقع) كمصدر للمعرفة اليقينية مقابل الدين والعقل »[٢٩] وجاء هذا نتيجة رغبة الفلاسفة فى معارضة الوحي ، والميتافيزيقا ، ومعارضة المعرفة العقلية باسم العلم ، ومن هنا تولد الإيمان بالطبيعة كمصدر أساسي للمعرفة اليقينية الحقة ، فهى « التى تنقش الحقيقة فى عقل الإنسان ، وهى التى توحى بها وترسم معالمها الواضحة ، هى التي تكون عقل الإنسان ، والإنسان لهذا لا يملى عليه من خارج الطبيعة ، أى لا يملي عليه مما وراءها ، كما لا يملى عليه من ذاته الخاصة ، إذ ما يأتى من (ما وراء الطبيعة) خداع للحقيقة ، وليس حقيقة ! ! وكذا ما تصوره العقل من نفسه وهم وتخيل للحقيقة ، وليس حقيقة أيضا »[٣٠] .

وعلى هذا يعتبر الدين « وهو وحي (أى ما بعد الطبيعة) خداع » إذ « هو وحى ذلك الموجود الذى لا يحدده ولا يمثله كائن من كائنات الطبيعة ، وهو وحى (الله) الخارج عن هذه الطبيعة كلية ... »[٣١] والعقل فى منطق هذه الفلسفة « وليد الطبيعة ، التى تتمثل فى الوراثة والبيئة ، والحياة الاقتصادية والاجتماعية ... إنه مخلوق .. ولكن خالقه الوجود الحسى ،

(٢٧) د . محمد البهي (مرجع سابق) ، ص ٢٨٣ .

(٢٨) د . محمود عثمان (مرجع سابق) ، ص ٦٠ .

(٢٩) د . محمد البهي (مرجع سابق) ، ص ٢٩٧ .

(٣٠) المرجع السابق ، ص ٢٩٨

(٣١) المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

إنه يفكر ولكن عن تفاعل مع الوجود المحيط به .. إنه مقيد مجبر ، وصانع القيد والجبر هو حياته المادية ... ليس هناك عقل سابق على الوجود المادي ، كما أنه ليست هناك معرفة سابقة للإنسان عن طريق الوحي .. عقل الإنسان ومعرفته يوجدان تبعا لوجود الإنسان المادي ... هما انطباع لحياته الحسية المادية التى يتنفسها »(٣٢) .

وترتب على هذا ظهور الدين الإنسانى أو الدين الطبيعي على يد (كومت) ، الذى أحل العلم الواقعي محل اللاهوت ، سواء في حياة الفرد أو في حياة الجماعة ، وظهرت الاشتراكية الجماعية على يد ماركس ثم ظهرت الوجودية بعد ذلك .

وعلى كل حال ، فقد « شكلت أوربا والغرب منطلقها الفكري على أساس أن الدين « لاهوت » أو عبادة أو علاقة بين الله والبشر فقط ، أما ما يتعلق بالنظام الاجتماعى فإنه لا صلة له بالدين »(٣٣) والدين « محصول للعقل الإنسانى ، وليس بوحي من خارج الإنسان ، والطبيعة الإلهية كذلك هي طبيعة الإنسان نفسه التى تجردت من قيود الفردية والشخصية ، أى قيود الإنسان الواقعى الجسمي .. هى الإنسانية ، هذه الطبيعة الإنسانية المتجردة ينظر إليها فى احترام وخشية وقدسية ، على أنها شيء آخر ـــ مقابل لطبيعة الإنسان الفردية ، والله بالنسبة للإنسان ، هو كتاب جامع لإحساسات الإنسان العالية ، وأفكاره وآماله »(٣٤) . والحياة الآخرة « ليست شيئا آخر غير هذه الحياة الإنسانية ، على اعتبار أن الله ليس شيئا آخر غير الإنسان إذا كان حكيما عدلا خيرا » ولذا فالفجوة بين الحياة الدنيا والآخرة « يجب أن تزول ، كى تركز الإنسانية نفسها ، بنفس غير مشتتة ، وقلب موحد ،

---

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .

(٣٣) أنور الجندي : الاسلام والعرب ـــ دار الاعتصام ـــ القاهرة ـــ (د . ت) ، ص ١٢٠ .

(٣٤) المرجع الأسبق ، ص ٣٠٥ .

فى عالمها المشاهد ، وفى حاضرها القائم ، وعن طريق هذا التركيز غير الموزع ، وفى العالم الواقعى فقط ، تقوم حياة جديدة للإنسان ، وتنتج أعمالا وتأملات كبيرة ، وينشأ عظماء من الناس »[٣٥] .

وولد هذا نزوعا نحو إيجاد حياة أفضل ، ووضع الفلاسفة محبة الإنسان مكان محبة الله ، والإيمان بالإنسان مكان الإيمان بالله ، مع الإيمان بأن تقرير المصير للإنسان ليس من طبيعة خارجة عنها وإنما يرتبط بها تمام الارتباط[٣٦] ، ومن هنا ينزع الإنسان الغربى نحو الإيمان بالحس والواقع ، وهو مجبر لمسايرة النظام الاجتماعى الذي « يميل فى ميدان السياسة والثقافة الرفيعة إلى تضييق الخناق على المعارضة (الفرق النوعى) بل إلى امتصاصها ، بل إن تأثره وفعاليته يتجاوزان ذلك إلى ميدان الغرائز ، وعلى ذلك فإن الأجهزة العقلية الكفيلة بالتقاط المتناقضات وإيجاد الحلول تتعرض للهزال والضمور ، إن الضمير السعيد يكاد يكون وحده المهيمن فى هذا العالم الذى ليس له من بعد غير العقلانية التكنولوجية »[٣٧] .

والجدير بالتنبيه أن هذا الفكر ذو نزعة إغريقية ، فى اهتمامه بالحس والمادة والإنسان ، وهو ليس شرا كله ، بل إنه استطاع إنتاج حضارة مادية جبارة ، ولكنه أنتج إنسانا « معصب العينين بالإدراك المباشر » إنسانا « بلا دين ، وبلا وجدانية الإحساس بالمعنى ، وقد أكد العلم هذا » إن الإنسان « عارض فى كون لا مغزى له »[٣٨] .

---

(٣٥) نفس المرجع ، ص ٣٠٥ .

(٣٦) نفس المرجع ، ص ٣٠٦ .

(٣٧) هربرت ماركيوز : الانسان ذو البعد الواحد — (ترجمة جورج طرابيشى) — دار الآداب — بيروت — ١٩٦٩ ، ص ١١٥ .

(٣٨) كولن ولسن : ما بعد اللامنتمي (فلسفة المستقبل) — (نقلها إلى العربية يوسف سرور وعمر عق) — الطبعة الأولى — دار الآداب — بيروت — ١٩٦٥ ، ص ٢٠٨ .

الانعكاسات التربوية :

وقد كان لهذه الفلسفة والاتجاهات الفكرية ظلالها على التربية ، فظهرت اتجاهات تربوية مختلفة ، نعرض لبعض منها ، وخاصة ما كان له تأثير فى الفكر التربوى فى مصر ، ومن هذه الاتجاهات :

١ ــ **الاتجاه النفسى** : وقد ركز على أن« التربية عملية نمو طبيعية تنبع من الباطن وتتضمن الإفراج عن الاستعدادات والقدرات المختلفة فى طبيعة الفرد ونظرته ، وحاول أصحابها « التوفيق بين مبادىء التربية القديمة ومبادىء التربية الحديثة ، والتوفيق بين النظريات المختلفة التى كانت سائدة » ومن ثم أتي « تأكيدها للمبدأ الذى يقول : إن التربية هى عملية نمو لشخصية الفرد »(٣٩) وقد تأثر هذا الاتجاه بالحركة الطبيعية فى التربية ، وفلاسفة هذا الاتجاه كثيرون منهم بستالوتزى ، وهربارت وفروبل ، ويمكن أن نلمح فى هذا الأخير تأثير الأفكار الأوربية فى هذه الفترة . فهو يؤمن :

أ ــ بمبدأ وحدة الوجود ، ويربط فهمه هذا بمفهومه عن الله ، حيث يعتبره مصدر الوحدة ومصدر كل وجود .

ب ــ بمبدأ التطور العضوي ، ويشمل النواحى العقلية والانفعالية ، فجميع أعضاء الانسان ووظائفه النفسية وقدراته العقلية تنبع من الوحدة العضوية وقوانين النمو العضوي كما تعمل فى العالم الحسى ، فإنها تعمل بنفس الطريقة فى المظاهر المعنوية(٤٠) .

---

(٣٩) د . عمر محمد التومي الشيبانى : تطور النظريات والأفكار التربوية ــ (مرجع سابق) ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ وراجع :

Poul Monoro ; Abrief Course in the history of Education, Thmacmillan Co . N .Y . 1918, P. P. 303—307—

(٤٠) د . عمر محمد التومى الشيبانى (مرجع سابق) ، ص ٢٦٥ . ٢٦٦ . وراجع :

William Boyed : The Histroy of Western Education - Seventh Ed., Adams & Charles , Londom 1964, P.P. 353 — 354.

جـ ــ بأن الفرد يعيد تطور الجنس ، ويلخص المراحل التى مر بها الجنس البشرى فى تطوره الحضاري والثقافى .

د ــ بأن النمو البشرى يتم فى مراحل وبالتدريج ، وكل مرحلة تتوقف على المرحلة السابقة لها .

هـ ــ بالطبيعة الخلاقة للإنسان . إذ أنه ينظر للإنسان على أنه بالضرورة منتج ، وليس مستهلكا ، ومتقبلا لكل ما يأتيه من الخارج .

و ــ بأن الإنسان حر الاختيار والإرادة ، فهو حر فى اختيار غاياته ووسائل تحقيقها وطرق التعبير عن ذاته .

ز ــ بأن الطبيعة البشرية خيرة ، بحسب فطرتها ، وأن أى انحراف عن هذا الأصل أمر طارىء ، ناشىء عن الإهمال فى تنمية بعض مظاهر الحياة الإنسانية أو عن انحراف القوي والاتجاهات الإنسانية الحسنة والخيرة ، بسبب التدخل الخاطىء فى سير النمو البشري[٤١] .

هذه هى أهم معالم فكر فرويل التربوى ، وهى تعكس مدى الإيمان بالإنسان وقواه وطاقاته وتأكيد النشاط الذاتى للإنسان ، وأهمية عمل التربية فى إدراك الوحدة العضوية للعالم المحيط بالإنسان .

٢ ــ **الاتجاه العلمي** : وهو ينطلق من أن التربية علم له أصوله ومبادئه وطرقه المستمدة من الملاحظة والتجريب ، واستخدام الطريقة العلمية ، وركز على الحس والواقع ، وأولى العلوم الطبيعية والبيولوجية اهتماما بالغا ، وكذلك نتائج العلوم والاكتشافات العلمية ، ولا غرو ، فهو امتداد للفلسفة الحسية الواقعة ، التى اهتمت بالعلوم ، والطرق الاستقرائية وأعلت من قيمة المعرفة العلمية ، وذلك إلى جانب ازدهار العلوم والنهضة العلمية ، سواء فى النظر أو التطبيق ، وتأثرت كثيرا بأفكار هيجل ودارون وغيرهما ، وقد آمن هذا الاتجاه :

---

(٤١)د . عمر محمد التومى الشيبانى (مرجع سابق) ، ص ٢٦٩ .

أ ـــ بأن العلوم الحديثة ، ذات أهمية لا تقارن فى تحقيق الحياة الكاملة للفرد ، وحياة الفرد تتوقف على مدى إلمامه بمبادىء هذه العلوم .

ب ـــ بعدم جدوي العلوم القديمة التى تعتمد على المعرفة الإيمانية والعقلية .

جـ ـــ بضرورة إعطاء المركز اللائق للعلوم الطبيعية والبيولوجية فى فكر الإنسان وتربيته .

د ـــ بالاعلاء من شأن الطريقة التجريبية والملاحظة العلمية ومن شأن الطريقة الاستقرائية التجريبية .

هـ ـــ بأهمية المادة الدراسية ، سواء فى الشكل أو الطريقة(٤٢) .

وكان من أعلام هذا الاتجاه ، سبنسر ، وألكسندربين ، وفى آرائهما يؤكدان على النزعة العلمية وطرح المفاهيم الدينية والوحي(٤٣) .

٣ ـــ **الاتجاه الاجتماعي** : وهو يركز على المجتمع ووضع حاجات المجتمع الحاضرة والمستقبلة فى المقام الأول ، والتربية عملية توحيد للأفراد والمجتمع ، والمدرسة مؤسسة اجتماعية وظيفتها الأساسية إعداد الفرد للحياة الاجتماعية .

وفى هذا يكمن الهدف التربوى ، إذ أن هذا الاتجاه يركز على النمو الاجتماعى والأخلاقى ، والمهارات الاجتماعية التى من شأنها أن تجعل منه عضوا اجتماعيا نافعا ، محبا لوطنه ، ومضحيا فى سبيله ومقدرا لتراث بلده ، ومقدرا لمسئولياته ومدركا لحقوقه وواجباته ، سديدا فى حكمه ، حكيما فى اختياراته ، متكيفا مع المجتمع الذى يعيش فيه ، مكتسبا للكفاية المهنية والمرونة الكافية التى تجعله قادرا على التكيف مع المتغيرات الجديدة التى

---

(42) Poul Monro : Op. Cit., P. P. 350 — 351.

(٤٣) راجع : د . عبد الله عبد الدالم : التربية عبر القرون (مرجع سابق) ، ص ٤٨٠ ـــ ٤٩٨ .

تَجدُّ فى مجتمعه ،[٤٤] ومن أعلام هذا الاتجاه جيمس كارتر ، وهوارس مان ، وهنرى برناردو[٤٥] ، وقد ظهر الكثير من المترجمات لأصحاب هذا الاتجاه فى مصر وتأثر العديدون بها .

٤ ــ **الاتجاه البراجماتي** : أدت التطورات العالمية إلى ظهور هذا الاتجاه فى أمريكا فى القرن العشرين ، وهى من أهم الفلسفات التي ظهرت في هذا القرن ، فهى تعتمد على الفلسفة العلمية أو النفعية ، ومن أعلامها بيرس ،وجيمس، وديوى، وريد، وبود ، وكلباتريك ، وكاونتس[٤٦] . وأهم معالم هذه الفلسفة :

أ ــ الإيمان بالتطور المنستمر فى جميع مظاهر الحياة ، فالعالم غير ثابت ، وهناك عالم طبيعى مستقل عن الكائن الحي ، ولكنه يدخل فى وظائف الحياة . ولكن ليس هناك مبدأ واحد لتفسير الأشياء ، بل هناك مبادىء عديدة .

ب ــ الإيمان بالتجربة والخبرة الحسية المباشرة كأساس للوصول إلى الحقيقة . ومن هنا فلا قيمة لوضع هدف نهائي بل العبرة للأهداف الجزئية والفرعية ، والطريقة هي محور التربية .

جـ ــ لا وجود للحقيقة المطلقة ، ولكن العبرة للحقيقة الجزئية التى هي مفتاح الخبرة والتجربة الناجحة ، فى تفاعل الإنسان الكامل مع بيئته أثناء قيامه بنشاطاته الواسعة الشاملة .

د ــ والإنسان متكامل ، على أساس الفردية ، والإنسان الفرد هو الذى يحقق لنفسه دورا كاملا مهما كان متواضعا ، ويقرر مصيره فى

---

(٤٤) راجع : د . ابراهيم عصمت مطاوع : أصول التربية ــ ط ١ ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٧٩ ، ص ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٠ .

(٤٥) راجع : د . عمر محمد التومى الشيبانى : تطور الأفكار والنظريات التربوية (مرجع سابق) ، ص ٣٠١ ــ ٣١٥ .

(٤٦) المرجع السابق ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

الكون ، كما يحقق لنفسه الحرية . ووظيفة المجتمع حفظ التراث الإنسانى وتنميته .

هـ ـــ ولا تؤمن البراجماتية ، بوجود قوانين أخلاقية مطلقة ، والإيمان بالأشياء من جهة نفعها ، فهى لا تعنى بالعلم لذاته ، ولا بالأخلاق لذاتها ، بل تعنى بها جميعا لمنفعتها ، ولا تعتقد بالله لذات الله ، ولكن لما يجلبه هذا الإيمان من نفع(٤٧) .

تأثر المفكرين المصريين بهذه الأفكار :

وبعد الاتصال بهذه الأفكار اصطبغت أفكار البعض من المفكرين المصريين بها وآمنوا بها وروجوا لها . مع تشجيع سلطات الاحتلال هذا الاتجاه ، والحجر على أصحاب الثقافة الأصيلة من إظهار فكرهم أو الظهور بمظهر جاد ، وأدى هذا إلى مشكلاتٍ وأوضاع مازال الفكر العام يعانى منها ، فضلا عن معاناة التربية .

إذ منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وبعد احتلال مصر ، لم تصمد المدرسة الإسلامية التى قادها رفاعة الطهطاوى ، ومحمد عبده وأستاذه جمال الدين ، أمام التحدى الحضاري الغربي ، إذ منذ ١٨٨٢ الى ١٩٢٤ ، استطاع الغرب أن يصفى الكيان الإسلامى الموحد ونهائيا ولأول مرة فى

---

(٤٧) راجع : د . هاني عبد الرحمن صالح : فلسفة التربية ـــ مطبعة الجيش ـــ عمان ـــ الأردن ـــ ١٩٦٧ ، ص ٧٦ .

Kennneth H. Hansen: Philosphy For American Education, Englewood Cliffs, Prentica Hall, inc, N. Y, 1960, P. 11

، صالح عبد العزيز (مرجع سابق) ، ص ٧٧ .

، د . محمد فاضل الجمالي : تربية الانسان الجديد (مرجع سابق) ، ص ٢٠٤ .

، جيمس . س . روس : الأسس العامة لنظريات التربية ـــ (ترجمة صالح عبد العزيز ، محمد السيد غلاب) ـــ النهضة المصرية ـــ القاهرة (د . ت) ص ١١٧ .

التاريخ ، واستطاع « أن يفرض أسلوبه فى الإدارة والتشريع ، ومنهجه فى التربية ، ونمطه فى الاقتصاد » وأن يلحق مصر بدورته الرأسمالية الليبرالية كمصدر « للمواد الخام ، وسوقا استهلاكية لمنتوجاته ، وممرا استراتيجيا لطرق تجارته »[٤٨] وأصبحت مؤثراته الحضارية تنفذ للمجتمع المصري ، بقوة واندفاع دون أن يكون له « حرية الاختيار أو الرفض فى ظل شخصية اجتماعية مشتركة متماسكة ، ونتج عن هذا سوء استيعاب وهضم للمؤثرات الغربية ، أدى إلي ارتباك واضطراب فى ذلك المجتمع ، واختل التوازن إلى حد كبير بين جديدها وموروثها »[٤٩] .

وقد كانت هناك عناصر غربية انتقلت إلى الفكر الإسلامى فى مصر ، إلى أن ظهرت كتابات كرومر التى تدعو إلى التغريب ـ تغريب الإسلام والمسلمين ـ بأن زعم أن الإسلام فى طور الاحتضار اجتماعيا وسياسيا ، وتدهوره لا يمكن إيقافه مهما أدخلت عليه من إصلاحات ، لأن التدهور كان فى نظامه الاجتماعى ، ورغم مهادنة القطاع الإسلامى لهذا الفكر فى بعض قطاعاته ، إلا أن هذه المهادنة أصبحت قبولا شبه مطلق للفكر الغربى والسياسة الأوربية ونظمها لدي الفرع العلمانى من الفكر المصرى ، كلطفى السيد وقاسم أمين ، وطه حسين ، وإسماعيل مظهر ، ومحمد حسين هيكل وغيرهم ، وقد تأكد هذا الاتجاه بعد الحرب الأولى ، بعد أن لاح منذ وفاة الشيخ محمد عبده ، اتجاه هؤلاء إلى صيغة التغريب المطلقة ، وتقريب الإسلام من الوجهة الغربية ، ويمكن تناول فكر هؤلاء ـ وكأمثلة لهذا الفكر ـ كما يلى :

---

(٤٨) د . محمد جابر الأنصاري : تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربي ١٩٣٠ ـ ١٩٧٠ ـ رقم (٣٥) من عالم المعرفة ـ سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ، ص ١٧ .

(٤٩) المرجع السابق ، ص ١٨ .

١ ـــ بدأ هؤلاء بالتبني الكامل للفكرة الغربية وظهرت تجلياتهم الفكرية فى هذا المجال على يد أحمد لطفى السيد الذى آمن بالفكرة اليونانية ، وخاصة لدى أرسطو ودافع عنها ، واعتماد الترجمة قبل التأليف ، يقول إن الذى لفت نظره فى أرسطو « أنه أول من ابتدع علم المنطق وأكبر مؤلف له أثر خالد فى العلوم والآداب ، فلما كنت مديرا لدار الكتب المصرية ، تحدثت مع بعض أصدقائي فى وحوب تأسيس نهضتنا العلمية على الترجمة قبل التأليف كما حدث فى النهضة الأوربية ، فقد عمد رجال النهضة إلى درس فلسفة أرسطو على نصوصها الأصلية ، فكانت مفتاحا للتفكير العصري الذى أخرج كثيرا من المذاهب الفلسفية الحديثة » و « لما كانت الفلسفة العربية قد قامت على فلسفة أرسطو ، فلا جرم أن آراءه ومذهبه أشد المذاهب اتفاقا مع مألوفاتنا الحالية ، والطريق الأقرب إلى نقل العلم فى بلادنا وتأقلمه رجاء أن ينتج فى النهضة الشرقية مثل ما أنتج فى النهضة الغربية »[٥٠] فهو إذن من دعاة التغريب أو التجديد الغربى ، وقد هادن سلطة الاحتلال وعلى رأسها كرومر ، ويظهر هذا جليا فى سياسة الجريدة التى كان رئيسا لتحريرها ، وقد استطاع أن يتخذ منها منبرا لأفكاره وتعاليمه ، التى حمل فيها ومعها أفكارا جديدة على بيئته « والتى حملت أوربا من قبل هذا ، على الازدهار الذى بلغته الدولة القومية الحديثة ، وحملت الحضارة الأوربية والتمدن الغربي إلى هذا التفوق الذى تدِلُّ به على أمم الشرق ، والذي يبهر أبصار النابهين من أبنائها ، وتغشي منه أبصار الجامدين فلا يرون من فضائله ما يحملهم علي التحرر والانطلاق »[٥١]

وكان متأثراً بفلسفة الغرب السياسية ، فقد « بهرته الحياة السياسية

---

(٥٠) د . حسين فوزي النجار : أحمد لطفى السيد أستاذ الجيل ـــ رقم (٣٩) من سلسلة أعلام العرب ـــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ـــ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـــ القاهرة ـــ ١٩٦٥ ، ص ٨٣ ، ٨٤ ، نقله عن : أحمد لطفى السيد ـــ قصة حياتى ـــ سلسلة كتاب الهلال ـــ ١٩٦٢ ، ص ١٦٨ .

(٥١) المرجع السابق ، ص ١٧٣ ـــ ١٧٤ .

للدولة القومية فى الغرب ، فكانت وحيا لفلسفته السياسية التي أخذ يبشر بها بين المصريين ، كما بهرته الحياة الاجتماعية والعلمية ، فرد أسباب تفوقها إلى التربية والتعليم ، فأخذ يدعو إلى تعليم الأمة تعليما يصل بها إلى الارتقاء والكمال »[٥٢] وهو فى هذا كله يصدر عن الفكر الغربى : والفلسفة اليونانية ، وخاصة أرسطو ، والفلسفة الغربية الحديثة ، وخاصة كانت، وفولتير ، وروسو ، وجون ستيوارت مل ، وداروِن، وتولستوى ، وسبنسر ، وتركت « تلك المؤثرات الفكرية أثرها البين فى تفكير لطفى ، ولذا من النادر أن تقرأ له مقالا لا تلمس فيه تأثير هؤلاء المفكرين عليه ولا يستشهد فيه بأحدهم » « إلا أن أعظم ما تأثر به ـــ كما ترى ـــ من هؤلاء الفلاسفة والمفكرين ، هو تأثره بجون ستيوارت مل فى مذهب المنفعة ونظريته فى الحرية وتأثيره بأرسطو فى السياسة والأخلاق »

وفقد الفكر المصرى وسطيته على يد لطفى السيد ، حيث غلب العقل وفكره وفلسفته وآمن بقدرته ورفعها على كافة النواحي ، ويبدو هذا تماما فى إعجابه بالفيلسوف أرسطو ، الذى كان يدعوه « سيدنا أرسطو رضي الله عنه »[٥٤] ، وأيضا فى اعتماده الحرية الليبرالية ، أساسا للنظام الاجتماعي ، فكان أول الدعاة لهذا المذهب فى مصر[٥٥]..

وفكرته هى « الحرية ، الحرية ، فى كل صورها ومعانيها ، والعقيدة هي القومية والديموقراطية والتمدين »[٥٦] ويتضح مما عرضناه أنه متأثر تأثرا كبيرا بالفكرة الغربية التى قامت عليها عقيدته وتصوراته وتأثرت بها نظرته إلى التربية والتعليم ، من إعلاء للعقل ، وصبغ لحياة الإنسان بصبغته ، ويحدوه فى كل ذلك حرية ، ومنفعة ، وهو وإن لم « يعالج قضايا الفكر

(٥٢) المرجع السابق ، ص ١٧٤ (٥٣) المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٥٤) المرجع السابق ، ص ١٨٢ وراجع : عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم ـــ كتاب الهلال ـــ ١٩٦٣ ، ص ٢٥٠ .

(٥٥) المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٥٦) المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

الديني مباشرة ، فإن طريقة معالجته للمسألة الوطنية المصرية ، ومطالبته انتهاج النظام الحرى ، أي الليبرالى ، حسب ترجمته له بما يستند إليه من قيم وأسس فلسفية وحضارية كلها أمور يستشف منها اتجاهه بشأن قضية «الإسلام والعصر» [٥٧] .

وها هو مثلا يقرر أن الانسان له تقرير أموره الدنيوية ، أما الدين فلله الواحد القهار [٥٨] . وفى هذا نلمح تأثره بالفكر الغربي ، فليس للدين سلطان على النواحي الدنيوية ، فهذه مرجعها إلى العقل والإنسان وحده ، أما الدين فهو علاقة بين الإنسان والله ، لا علاقة له بشئون النظام الاجتماعي .

ويعكس موقفه من التراث هذه النظرة ، يقول « إننا مهما كان مقدار حبنا للصفات التى ورثناها من الماضى ، يستحيل علينا أن نظن أن علة تأخرنا هى شىء آخر غير تلك الصفات » [٥٩] ويقرر ضرورة الأخذ بالتمدين المادى « تمدين المنافع والمبالغة فى حُبِّ الكسب واستخدام العقل البشرى والعلوم المختلفة فى تحصيل اللذائذ الشخصية » ويرد الاعتراض الموجه إليه عن الأثر السيء الذى يمكن أن ينتج عنه التغير والتبدل فى الأوضاع المادية ، فيقول « نعم ، فإننا جربنا أفكار سلفنا الصالح فى هذا الماضى القريب ، فما كانت النتيجة إلا ما نحن فيه . فلم يبق إلا أن ننزل عن الأفكار والصفات التي كانت سببا فى تأخرنا ونأخذ فى التغير والتطور حتي نستطيع المزاحمة فى معترك هذه الحياة المدنية » [٦٠] .

فهو إذن أول من جاهر بالمذهب الليبرالى فى مصر ، وآمن به إيمانا مطلقا ، بالحرية الكاملة عقلية واجتماعية وغيرها ، كل ذلك بالمفهوم الغربي

---

(٥٧) د . محمد جابر الأنصارى (مرجع سابق) ، ص ١٩ .

(٥٨) راجع : أحمد لطفى السيد : تأملات فى الفلسفة والأدب والاجتماع ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٤٦ ، ص ٣١ .

(٥٩) المرجع السابق ، ص ٧٤ . (٦٠) المرجع السابق ، ص ٧٥ .

الذى تدعو إليه وتصوغه العلمانية ، وكانت الجامعة المصرية ـــ وقد تولى رئاستها ـــ قد أنشئت لتقليل الاعتماد على السلطة البريطانية ، ولكنها تطورت تطورا ملحوظا ، فهى إنما أنشئت « لترتفع بالشباب المصري عن ذلك التعليم الآلي الذى فرضته عليهم الظروف ، ولترتقى بهم إلى تعليم حر مستقل بهيئتهم ، أو يهيىء بعضهم على الأقل ليكونوا علماء أحرارا مستقلين ، والظاهر أن مصر لا تريد أن تعبث ولا أن تهزل حين تقرر أنها تريد أن تُكوِّن من شبابها علماء أحرارا مستقلين ، يشبهون أمثالهم فى الأمم الأخري ويثبتون لهم ، ويشاركونهم فى الإنتاج العلمي الحر المستقل الذى لا تقوم الحضارة بدونه ، ولا تستطيع أن تثبت ولا أن تنمو إلا إذا اتخذ منه لها أساسا » ومن ثم أرسلت البعثات إلى أوربا لهذا الغرض ، فالجامعة إذن قامت على أساس علماني ، وكان منصور فهمي ـــ وهو من نتاج الجامعة ـــ هو الذي بدأ علميا تأييد العلمانية ورفع شأن العقلانية ، فى رسالته « حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطوراتها » باشراف المستشرق اليهودي « ليفى برول » و « نهج فيها منهج النقد التاريخي العلمي المتحرر من الالتزام بحقيقة الوحي، فى تفسير سلوك النبى وعلاقاته وتشريعاته »[٦١] .

وهكذا كانت نظرة أحمد لطفى السيد فى التعليم والتربية ، متأثرة بالليبرالية ، وكان إطلاق دراسات الفكر الغربي بالجامعة ، دون أى قيد يربطها بالأمة أو عقائدها أو قيمها من ثمرات هذا الاتجاه ، وكانت حرية الفكر فى الجامعة ، منفذا ووسيلة لتقديم كل نقاط الضعف فى « الفكر الغربي وفلسفاته المادية والملحدَة والإباحية إلَي الطلاب دون رقيب ، وكذلك تقرير الكتب الشهيرة لأمثال برناردشو وغيره وفيها نقد للإسلام ورسوله »[٦٢] . فى حين أن الجامعة فى الحقيقة أنشئت لا لتكون « داعية

(٦١) د . محمد جابر الانصارى (مرجع سابق) ، ص ٢١ .

(٦٢) أنور الجندى : التربية وبناء الأجيال فى الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٢٠٦ .

أو مسخرة لإحدى مدارس الفكر الغربي سواء الليبرالي أو الماركسي . ولا يجوز أن تكون كذلك ، وإنما هى مسخرة لفكر أمتها أساسا تقف على قاعدته الأساسية وتدرس كل المذاهب والنظريات ، فتأخذ منها وترفض فى استقلالية وأصالة »[٦٣] .

٢ ـــ وتأثر بالعلمانية أيضا الشيخ على عبد الرازق فى كتاب (الإسلام وأصول الحكم) ، وهو يعتمد على الاستشراق ويستشهد بأحداث تركيا التى أدت إلى إلغاء الخلافة الإسلامية ، فى ٢٣ مارس ١٩٢٢ ، وبرر فيه العلمانية باسم الدين الإسلامى ـــ فاستند « لأول مرة فى تاريخ الفكر الإسلامى إلى حجج ومبررات دينية شرعية مستمدة من القرآن والسنة والتاريخ الإسلامى لتبرير العلمانية ضمن إطار الإيمان الديني ذاته ، وليس من منطلق العلمانية الخالصة المنافية للدين »[٦٤]

ويدور الكتاب حول « هدم فكرة الخلافة ، كنظام إسلامي فى الحكم ليصل من ذلك إلى النتيجة التى ختم بها كتابه حين أنكر أن تكون الخلافة أو القضاء أو وظائف الحكم ومراكز الدولة جميعا من الدين فى شىء »[٦٥] وإنما هى خطط دنيوية . ويهدف إلى تناول الإسلام تناولا عقليا علمانيا ، سالكا فى هذا تشنيعا على الخلفاء ، ومؤكدا عدم ضرورة قيام الحكومة الإسلامية ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان رسولا فقط لا حاكما ، وليس هناك ضرورة لقيام وحدة عربية أو إسلامية ، يقول « والحق أن الدين الإسلامى برىء من تلك الخلافة التى يتعارفها المسلمون ، وبرىء من كل ما هيأوا حولها من رغبة ورهبة ، ومن عز وقوة ، والخلافة ليست فى شيء من الخطط الدينية ، كلا ولا القضاء ، ولا غيرها من وظائف الحكم ومراكز

---

(٦٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٦٤) د . محمد جابر الأنصارى (مرجع سابق) ، ص ٢٢ .

(٦٥) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية (مرجع سابق) ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

الدولة ، وإنما تلك كلها خطط معاشية سياسية صرفة ، لا شأن للدين بها .. كما أن تدبير الجيوش الإسلامية ، وعمارة المدن والثغور ، ونظام الدواوين لا شأن للدين بها ، وإنما يرجع الأمر فيها إلى العقل والتجريب ، أو إلى قواعد الحروب ، أو هندسة المباني وآراء العارفين » و « لا شيء فى الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى ، فى علوم الاجتماع والسياسة كلها ، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذى ذلوا له ، واستكانوا إليه ، وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجت العقول البشرية ، وأبين ما دلت تجارب الأمم على أنه خير أصول الحكم »[٦٦] . وبهذا أرسى مبدأ آخر من أخطر المباديء ، وهو فصل الدين عن الدولة باعتبار أن الأول مرجعه الوحي والروح وسيلة ، والثانى مرجعه العقل ووسيلته التجربة ، ولا لقاء بين الاثنين .

٣ — وفى نفس السبيل التقط د . شبلى شميل نظرية التطور لدارون ، وبدأ فى التبشير بها فى صورتها المادية النظرية منذ سنة ١٨٧٦ باللغة العربية »[٦٧] . ويدعو إلى اعتناق مذهب النشوء والارتقاء ، نظرا لأن سعادة البشر لا تتحصل إلا عن طريق تحصيل العلوم الطبيعية التى تهدف إلي السيطرة على ظواهر الطبيعة ، وبالتالى فعلي الناس أن يتمسكوا بالعلوم الطبيعية وحدها ، ويتركوا الفلسفة وعلوم الدين والقوانين ، وكل النظم التى تهدف إلى الإبقاء على نظم اجتماعية ثابتة ، نظرا لأن هذه العلوم تقوم على الظن والتخمين ، أما العلوم الطبيعية فتقوم على اليقين ، وهذه العلوم النظرية إنما تحصر الفكر فيها باعتبارها حقيقة كاملة ، ووضعت العقبات أمام الفكر الإنساني مدة طويلة ، فانشغل بما وراء الطبيعة ، ومن ثم لابد من تركها ، وتوجيه الجهد « إلى البحث الحر الذى يضمن له ذلك ، ألا وهو : العلوم

(٦٦) على عبد الرازق : الاسلام وأصول الحكم ، بحث فى الخلافة والحكومة فى الاسلام — (نقد وتعليق د . ممدوح حق) — دار مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٧٨ ، ص ٢٠١ .

(٦٧) د . محمود عثمان (مرجع سابق) ، ص ١٨٨ .

الطبيعية بما فيها من فلسفة اختبارية متينة واسعة ، التى هى المعول الوحيد. كما تقوم لهدم تلك العلوم السخافية ، وما بني عليها من النظامات الاجتماعية الفاسدة والأساس المتين الذى ينشأ عليه بنيان الاجتماع الباسق فى المستقبل »[٦٨] .

وقد رد عليه الشيخ جمال الدين الأفغانى ، إلا أن مدرسته امتدت على يد إسماعيل مظهر ، وقد ردد فكره ، وألف كتاب « ملقى السبيل » يبين فيه كيف عرف فلسفة النشوء والارتقاء على يد الدكتور شبلى شميل ،[٦٩] وكذلك سلامة موسي ، وغيرهما ، والمهم أن هذا الفكر أقر النظرة العقلية والمادية ، مكان الوحى ، إلا أنه — للحق — يجب أن نذكر أن إسماعيل مظهر رجع عن آرائه ، وأقر بوجود الإله ، وبوجود عالم آخر غير العالم الذى نعيشه ، ووجود الإنسان فوق هذه الأرض ، راجع إلى قوانين وسنن[٧٠] .

٤ — أما سلامة موسى فقد ألف كتاب (العقل الباطن) ، مترجما فيه النشوء والارتقاء فى علم النفس ، وردد فكرة فرويد فى هذا المجال ، ويطرح كتابه (اليوم والغد) أيضا نفس الفكرة ، وفى كل مؤلفاته يصدر عن فكر علمانى غربى ، مؤمنا بنظرية التطور ، ومؤمنا بالفكرة الغربية تماما .

وفى كتابه (دراسات سيكولوجية) ، يصدر عن فكر علماني غربى أمريكى مستشهدا بهم ومدللا لرأيه ، ويقترح ترجمة الموسوعة البريطانية إلى اللغة العربية « حتى تحدث نهضة أصيلة » ، وحتى يستحيل« الشرق العربي »

---

(٦٨) شبلى شميل : مجموعة الدكتور شبلى شميل — جـ ١ — مطبعة .. المقتطف بمصر — ١٩١٠ ، ص ١٤ ، وراجع ، ص ٢٣ — ٢٦ .

(٦٩) إسماعيل مظهر : ملقى السبيل فى مذهب النشوء والارتقاء — المطبعة العصرية — ١٩٢٤ ، ص ٥ .

(٧٠) المرجع السابق ، ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .

إلى « الغرب العربي »[71] ويسخر من المعتقدات الدينية ، ويزعم أنها تفضى إلى الجمود ، ويستشهد على ذلك بالموت[72] .

أما فى مجال القيم ، فله موقف يبين وجهة نظره فى القيم كلها ، ومثال ذلك فى شرب الخمر ، فشربها فى حال الاعتدال لا يؤذي « بل الأرجح أنه ينفعُ شارب الخمر وخاصة بعد سن الخمسين والستين ، لأن الخمر تبسط الشرايين فى حين أن القهوة والشاى والدخان تقبضها »[73] ويشرح الأمر شرحا عقليا ، قائلا ، إن حياتنا مليئة بالقلق ، ونحن فى حاجة إلى ما يرفه عنا ، فإذا كان القلق ضعيفا كانت القهوة والشاي والدخان ، أما فى حالة القلق الشديد ، فالخمر « هى خير المخدرات » ، ويقول « وأنا أكتب هذه الكلمات بعقلية مدنية لا شأن لها بالأديان ، وقارىء كلماتي إذا كان متدينا متحمسا لدينه يستطيع أن يهملها ، ولكني أحب مع ذلك أن أنبه إلى أن كثيرين من رجال الدين يستطيعون ـــ كما هو شأنهم على الدوام ـــ إيجاد مخرج بالتأويل الحسن لمصلحة العامة »[74] هذا إلي جانب ما يدعو إليه من ضرورة مزاولة الرقص وإباحته بطريقة واسعة بين الجنسين حتى لا يحدث الشذوذ الجنسي .

ويقول فى كتابه (اليوم والغد) : « كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي فى الأدب كما أزاوله ، فهي تتلخص فى أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا ، وأن نلتحق بأوربا ، فإني كلما زادت معرفتى بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني ، وكلما زادت معرفتى بأوربا زاد حبي لها ، وتعلقي بها ، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها ، هذا

---

(٧١) سلامة موسى : دراسات سيكولوجية ـــ الشركة العربية للطباعة والنشر ـــ القاهرة ـــ ١٩٦٢ ، ص ٦١ .

(٧٢) المرجع السابق ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٧٣) المرجع السابق ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٧٤) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

هو مذهبي الذى أعمل له طول حياتي سرا وجهرة ، فأنا كافر بالشرق ، مؤمن بالغرب »[٧٥] ولذا نراه يرى رؤية الأوربيين في كل شيء ، فى حرية المرأة ، واتجاهات الأدب والثقافة ، ويريد من التعليم أن يكون تعليما علمانيا أوربيا لا سلطان للدين عليه ، ولا تدخل له فيه ، وأن يبطل شريعة الإسلام فى تعدد الأزواج ، ومنعه بقوة القانون[٧٦] .

فهو بهذا يريد أن يقطع ما بيننا وبين ماضينا ، بل ويهدمه هدما ، ومن ثم لا يري إصلاح التعليم إلا عن طريق إخراج الشيوخ منه ، وتسليمه للأفندية الذين ساروا شوطا بعيدا فى الثقافة الحديثة ، ولذا نجده يقول « إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة ، لأنها تقوم على أصل كاذب ، فإن الرابطة الدينية وقاحة ، فإننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا »[٧٧] وهو بهذا يذهب مذهب الفكر الوضعي الغربي ، من وضع العقلنة محل الإيمان بالعقيدة الإلهية ، وحاول أن يصبغ حياة المجتمع المصري بهذه الفكرة ، بعقلية أوربية ارتقائية »[٧٨] .

٥ ــ أما طه حسين ، فله كتابان ، خرج بهما عن الأصول المقررة فى الثقافة الإسلامية ، هما : (الشعر الجاهلى ، ومستقبل الثقافة فى مصر) يهمنا الأخير منهما لاتصاله اتصالا وثيقا بالتربية ، ونلمح فيه أسسا بني عليها الكتاب :

أ ــ لا صلة بين العقل المصري والعقل الشرقي ، فالعقل « المصرى

---

(٧٥) سلامة موسى : اليوم والغد ــ المطبعة العصرية ــ القاهرة ــ ١٩٢٨ ، نقلا عن د . محمد محمد حسين : (مرجع سابق) ، جـ ٢ ، ص ٢١٢ .

(٧٦) د . محمد محمد حسين (مرجع سابق) جـ ٢ ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٧٧) المرجع السابق ، ص ٢١٨ . وراجع ص ٢١٢ .

(٧٨) راجع : سلامة موسى : أحلام الفلاسفة ــ الشركة التونسية للنشر والتوزيع ــ تونس ــ ١٩٦١ ، ص ١٠٧ وما بعدها .

لم يتصل بعقل الشرق الأقصى اتصالا ذا خطر ، ولم يعش عيشة سلم وتعاون مع الفارسى ، وإنما عاش عيشة حرب وخصام » بينما اتصل « بأقطار الشرق القريب اتصالا منظما مؤثرا فى حياته ومتأثرا بها ، واتصل من جهة أخري ، بالعقل اليوناني منذ عصوره الأولي اتصال تعاون وتوافق ، وتبادل مستمر منظم للمنافع ، فى الفنون والسياسة والاقتصاد »(٧٩) وينطلق من هذا إلى تأكيد أن مصر فى قوميتها وشخصيتها ، لم تنس الشخصية القديمة لها ، ويدلل على هذا بأن « رضاها عن السلطان العربى بعد الفتح لم يبرأ من السخط ، ولم يخلص من المقاومة والثورة ، وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن إلا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة »(٨٠) .

ومعني هذا قطع صلة العقل المصري بالعقل الشرقي ، بل وبالعقل الإسلامى ، وربطه بالمصرية وباليونانية والعقل اليونانى ، وإنما ساق ما ساق للتدليل على أن العقل المصري عقل أوربي ، وأن « مصر دائما » كانت « جزءا من أوربا ، فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافة ، على اختلاف فروعها وألوانها »(٨١) .

ب ــ والعقلية الإسلامية عقلية أوربية ــ هى الأخري ــ ويستشهد بما قاله بول فاليرى من تحليله للعقل الأوربى فى نشأته إلى ثلاثة عناصر : حضارة اليونان ، وحضارة الرومان والمسيحية ، « فلو أردنا أن نحلل العقل الإسلامى فى مصر وفى الشرق القريب أنراه ينحل إلى شىء آخر غير هذه العناصر »(٨٢) ليخلص إلى نتيجة « وإذاً مهما نبحث ومهما نستقصى فلن نجد ما يحملنا على أن نقبل أن بين العقل الأوربي والعقل المصري فرقا جوهريا »(٨٣) .

---

(٧٩) د . طه حسين : مستقبل الثقافة ــ المجلد التاسع من المجموعة الكاملة ــ علم التربية ــ دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٠ .

(٨٠) المرجع السابق ، ص ٢٧ . (٨١) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٨٢) المرجع السابق ، ص ٣٩ . (٨٣) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

وعلى هذا أتت دعوته إلى « إقامة الوطنية وشئون الحكم على أساس مدني لا دخل فيه للدين ، أو بعبارة أصرح ، دفع مصر إلي طريق ينتهى بها إلى أن تصبح حكومة لادينية »[٨٤] وصبغ الحياة المصرية بالصبغة الأوربية ، باعتبارها سبيل النهضة التى تعتبر « واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء ، وهى أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها وحلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب »[٨٥] ويرد علي خصوم الحضارة الغربية الأوربية ممن يشفقون على الكيان الدينى ، فالحياة الأوربية ليست إثما كلها ، ففيها خير كثير ، إذ أنها حققت للأوربيين خيرا ورقيا لا شك فيه ، وإذا كانت « الحضارة الإسلامية الرائعة لم يأت بها المسلمون من بلاد العرب ، وإنما أتوا ببعضها من هذه البلاد ، وبعضها الآخر من مجوس الفرس ، وبعضها الآخر من نصاري الروم »[٨٦] فإنه من الواجب أن نتلمس الحضارة الغربية بما فيها من خير وشر ، مثلما ورثنا عن المسلمين ميراثا فيه الفلسفة والزندقة والمجون .

جـ — والتعليم يجب أن يقوم على أساس دعم الوطنية المصرية ، خاصة ومصر على أبواب الاستقلال ، فهي وسيلة أولي وأخيرة « تنشيء الطفل المصرى والفتي المصرى على أن يحب مواطنيه ويؤثرهم بالخير ، ويضحي بنفسه فى سبيل حمايتهم من الشر ، وحياطتهم من الظلم ، ويشعر بأن عليه واجبات قبل أن تكون له حقوق »[٨٧] والأفراد لا يستطيعون القيام بهذا ، ولا المدارس والمعاهد الأجنبية ، ومع أنه لا يميل إلى إغلاقها ، لأن الحاجة الوطنية تدعو إلى وجودها ، ومع هذا فهى متفوقة فى فنون

---

(٨٤) د . محمد محمد حسين : (المرجع السابق) جـ ٢ ، ص ٢١٩ .

(٨٥) د . طه حسين (مرجع سابق) ، ص ٥٤ .

(٨٦) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٨٧) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

بتعليم[٨٨] ، ومن ثم يجب علي الدولة أن تشرف على التعليم وكافة مؤسساته ، بحيث يصبح تعليما وطنيا قوميا بالمفهوم الحديث ، بمعني أن تصبح « المسئول الأول ، والمسئول الأخير ، والمسئول قبل الأفراد والجماعات ، وبعد الأفراد والجماعات ، عن تكوين العقلية المصرية تكوينا يلائم الحاجة الوطنية الجديدة »[٨٩] وعلى الدولة أن ترعى كافة جوانب الصبي ، عقلا وقلبا وجسما وروحا .

د — وتظهر النزعة نحو إقامة التربية على أساس علماني ، إذ يصرح أنه « من الحق أن تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ، ووحدة اللغة ، لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الدول »[٩٠] .. « وما أظن أحدا يجادل فى أن المسلمين قد أقاموا سياستهم على المنافع العميقة ، وعدلوا عن إقامتها على الوحدة الدينية واللغوية والجنسية أيضا ، قبل أن ينقضى القرن الثانى للهجرة ، حين كانت الدولة الأموية فى الأندلس تخاصم الدولة العباسية فى العراق » و « قد مضى المسلمون بعد ذلك فى إقامة سياستهم على المنافع والمنافع وحدها ، إلى أبعد حد ممكن ، فلم يأت القرن الرابع للهجرة حتى قام العالم الإسلامى مقام الدولة الإسلامية ، وحتى ظهرت القوميات »[٩١] وفطن المسلمون منذ « عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة ، أن السياسة شيء والدين شيء آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على أى شيء آخر »[٩٢] .

وعلى هذا تأتي دعوته إلي جعل الدين ضمن المواد القومية ، مادامت الدولة لم تذهب مذهب الذين يؤثرون التعليم المدنى الخالص ، وخاصة أنه

---

(٨٨) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٨٩) المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٩٠) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٩١) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٩٢) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

« من غير المعقول أن يطلب إلي المصريين الآن أن يقيموا التعليم العام فى بلادهم على أساس مدني خالص ، وأن يترك تعليم الدين للأسر »[٩٣] ويكرر هذا فى أكثر من موضع ، يقول « وواضح أن أمر الدين هنا كأمره في التعليم الماضي ، يختلف باختلاف النظرة التي تنظرها إليه الدولة ، فإن رأت إقامة التعليم على الفكرة المدنية الخالصة ، تركت أمر الدين إلى الأسرة ، ولم تقم فى سبيل تعليمه المصاعب والعقبات ، وإن رأت إقامته على الفكرة المدنية الدينية ، قسمت للتعليم الدينى مكانا من هذا البرنامج »[٩٤] .

وهكذا يمكن أن نلمح مدي تأثر الدكتور طه حسين بالفكر الغربي العلماني ومدى إعجابه بحضارة اليونان ، إذ هو يميل إلى بناء الحضارة المصرية الحديثة ، على أساس الحضارة اليونانية ، وصب الثقافة الإسلامية فى قوالب غربية .

ونلمح تأكيد هذا فى كتاب (الشعر الجاهلى) ، الذى أخضع فيه الأدب العربى لمنهج الشك الديكارتى ، ثم خلص بنتائج خطيرة للغاية ، فهو « يتنكر للثقافة التاريخية » لا من أجل أن ينهج نهجا ديكارتيا فيوجه فكره نحو المعطيات المباشرة للفكر يتأملها نقديا ويستنبط منها مقترحات تستجيب استجابة أفضل للواقع المُعْطَى ، ولكن من أجل أن يستبدل بها مرة واحدة وبلا فحص معطيات الغرب التى لا حضور لها مباشرة أمام الوجدان والفكر المصريين »[٩٥] .

ولا تهمنا قصة كتاب الشعر الجاهلى ، [٩٦] بقدر ما يهمنا الأثر الذى

---

(٩٣) المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٩٤) د . طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر ـ مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ـ ١٩٣٨ ، ص ٨٣ ، وراجع أيضا ص ٨٧ .

(٩٥) د . فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ٣٢٥ .

(٩٦) محمود محمد شاكر : المتنبي ـ السفر الأول ـ (مرجع سابق) ، ص ١٦ .

ترتب عن مثل هذه الدراسة وأشباهها ، وقد ذكر الأستاذ محمود محمد شاكر نتائج مثل هذه الدراسات على اللغة والفكر لدي الناشئة ، [٩٧] إذ يصور الحالة الفكرية ، على أنها مجرد عملية تعليم على السطو على المسرح الأوربى ، دون إشارة إلى هذا السطو ، وصار الأمر إلى « ميل ظاهر إلى رفض القديم والاستهانة به ، دون أن يكون الرافض ملما إلماما ما بحقيقة القديم ، وميل سافر إلى الغلو فى شأن الجديد ، دون أن يكون صاحبه متميزا فى نفسه تميزا صحيحا بأنه جدد تجديدا نابعا من نفسه ، وصادرا عن ثقافة متكاملة متماسكة ، بل كل مايميزه أن الله قد يسر له الاطلاع على آداب وفنون وأفكار تعب أصحابها فى الوصول إليها من خلال ثقافتهم المتماسكة المتكاملة ! ! وكفى الله المؤمنين القتال »[٩٨] .

وهكذا كانت دعوة طه حسين — فى هذه الفترة — دعوة إلى اقتداء بالأوربي ، تأثرا بدراسات المستشرقين ، واقتناعا بالفكرة الغربية ، وحتمية الحل الأوربي لمشكلة مصر ، وقد قامت معظم دراسات هذا الفترة على مثل هذا ، كما نجده لدى جورجى زيدان ، وغيره ، وقد رُدِّدَت أفكار الاستشراق ، واستخدمت مناهجه ، وكان لهذا أثره فى الناشئة ، فقد فتح الباب أمام التقليد دون الإبداع ، وردد هؤلاء أن هذا تجديد ومتابعة لثقافة العصر ومناهج تفكيره حتى يمكن اللحاق به ، وتبع هؤلاء مدرسة كاملة ، تخرجت من الجامعة ، وحملت المشعل بعدهم ، ورغم رجوع الدكتور طه حسين عن معظم ما قاله ، [٩٩] إلا أنه مع ولع الإنسان بالجديد دائما ، فقد كسب الجديد المعركة .

وعلى هذا المنوال نسج الدكتور زكي نجيب محمود فترة طويلة ،

---

(٩٧) المرجع السابق ، ص ٢٧ . (٩٨) المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٩٩) المرجع السابق ، ص ٤٢ . وراجع : د . طه حسين : حديث الاربعاء — جـ ١ — ط ١٢ — دار المعارف بمصر — ١٩٧٦ ، ص ٩ .

قبل العدول ، حيث أعلى شأن العقل ، وحط من شأن الدين وأكبر من شأن الحس ، وحط من شأن المعنى [١٠٠] ،، .

انعكاسات وآثار الفكر التغريبي الليبرالي على التربية فى مصر :

كانت آثار الفكر المتغرب على التربية بالغا منذ بداية العصور الحديثة ، ومنذ كرومر بنزعته الاستعمارية واتجاهه التغريبي ، وتشكيكه فى الإسلام والمجتمع الإسلامى وقدرته على مواجهة التغيير الاجتماعى ، وأمام دعوته هذه ، ومع اقتناع قطاع من المفكرين بأسلوبه واتخاذه مثله الأعلى من الحضارة الغربية ، وأسلوبها ومنهجها فى التربية ، ومع وجود فريق جامد يقف عند القديم وحده – وإن كان موقفه رغما عنه – كان أن تأثرت التربية فكرا ونظاما بهذا ، فأصبحنا نرى :

١ ـــ **ازدواجية فى النظام التعليمي** : وهى قائمة منذ عهد محمد على ، إلا أن الاستعمار حرص على بقائها وتعميقها ، ،، وذلك حتى يقع المجتمع الإسلامى فى هوة الصراع الدائم ،،[١٠١] فقد وجدت ،، مدارس عصرية تأخذ بأساليب الدراسة الأوروبية ، ومدارس أوروبية للجاليات الأجنبية ، أقبل عليها أبناء الأغنياء من المصريين ، وكان إلى جانبها معاهد دينية تقتصر على العلوم الشرعية الإسلامية وما يتصل بها،،[١٠٢] ونشأ عن هذا تناقض ،، فى الحياة المصرية ، التى جمعت بين المحافظة المتزمتة ، وبين التطرف فى الأخذ بأسباب المدنية الغربية ،، [١٠٣] وكان أن أصبح خريجو المدارس الأجنبية ومن تلقوا دراساتهم فى أوروبا وخريجو الإرساليات الدينية وهم فى

---

(١٠٠) راجع : د . زكي نجيب محمود: خرافة الميتافيزيقا ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٥٣ ، ص ١١ .

(١٠١) أنور الجندى : التربية وبناء الأجيال فى الإسلام (مرجع سابق) ، ص ١٩٦ .

(١٠٢) د . محمد محمد حسين (مرجع سابق) جـ ١ ، ص ٢٣٥ .

(١٠٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .

ازدياد مطردٍ هم أصحاب وقوام الدعوة إلي الأخذ بأساليب الحضارة الحديثة[104].

ويعرض الدكتور طه حسين لهذا الوضع التعليمى ، فيذكر أنه كان هناك " التعليم الرسمي المدني الذى تنشئه الدولة وتقوم عليه ، وقد كان إلى الآن متواضعا هين الأمر ، يُعْتَد به إلَي أغراض متواضعة هينة ، وقد رسم له الإنجليز طريقةً محدودةً ضيقةً ، فأفسدوه وأفسدوا نتائجه وآثاره أشد الإفساد "[105] . . " وهناك التعليم الأجنبي ، غير حافل بالدولة ، ولا خاضع لسلطانها ، ولا ملتفت إلى حاجات الشعب وأغراضه ، ولا يُعْنَى إلا بنشر ثقافة البلاد التى جاء منها ، والدعوة لهذه البلاد ، وتكوين التلاميذ المصريين على نحو أجنبي خالص ، خليق أن يبغض إليهم بيئتهم المصرية ، وأن يهون فى نفوسهم قدر وطنهم المصرى " ، فهناك تعليم فرنسى ديني ، وهناك تعليم فرنسى مدني ، وهناك تعليم إيطالي وآخر يوناني ، وآخر أمريكي ، وآخر ألماني"[106] وهى أنواع من التعليم « تفكر فى فرنسا وإيطاليا ، وفي إنجلترا وأمريكا ، وفى اليونان وألمانيا » وهناك " التعليم المصرى الحر الذى يزعم المحافظة على المناهج والبرامج الرسمية " " وكان يمتاز بخصال أقل ما توصف به أنها مصدر فساد التفكير ، ومصدر فساد الخلق ، ومصدر فساد للسيرة العامة والخاصة "[107] . هذا إلى جانب ازدواجات وثنائيات أخرى كثيرة ، سواء منها الفرعية أو الرئيسية ، تولدت منذ عهد الاستعمار وبعده[108] . وقد أدَّي فى النهاية إلى خلق ازدواج فى شخصية الأمة ، وشخصية الأفراد ، فأصبحت الأمة تعانى من

---

(١٠٤) راجع : أحمد عزت عبد الكريم ــ تاريخ التعليم فى مصر ــ ط ١ ــ مطبعة النصر ــ القاهره ــ ١٩٤٥ ، ص ٨٢١ ، ٨٧٥ .

(١٠٥) د . طه حسين : مستقبل الثقافة (مرجع سابق) ، ص ٨٢ .

(١٠٦) المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(١٠٧) المرجع السابق ، ص ٨٤ .

(١٠٨) راجع فى هذا د . ابراهيم عصمت مطاوع : أصول التربية (مرجع سابق) ص ١٩٩ ــ ٢١٠ .

الفصام الاجتماعي والفصام الشخصي ، وحالت هذه'' الثنائية دون واحدة الأمة ، وأصبحت خطرا على وحدة الفكر '' [109] .

٢ ــ ترديد أفكار الغرب ، واعتماد الدراسات التربوية على الفكر الغربي اعتمادا كاملا : ولم يستطع المنهج التغريبي وفكره فهم الفكرة الغربية ، ولا الغوص في أعماقها ، ومن ثم تأثر بالقشور ،وقلدها تقليدا أعمَي ، ولما كانت أهداف المستعمِر تتمثل في محاولة إضعاف ثقة الشعوب بنفسها ، فهذا ما حدث ، فقد هدف المغربون إضْعَافَ ثقة الطلاب بثقافتهم وإضعاف ثقتهم في الفكر الإسلامي ، وذلك عن طريق عرض التاريخ الإسلامى والفكر الإسلامي بمنظور غير استشراقى ، ويتناول قضايا تدعم هذا ، مثل : فكرة الثبات والتغير ، بحيث يعطى التغير صفة الشمولية ، وأن العنصر الإنساني هو مصدر تغيير الإنسان وتحويله وبنائه وإعطاء العقل المنزلة الكبرى دون الإيمان والوحي وتغليب النزعة المادية على التعليم ، مما أدّي في النهاية إلى تعارض مع طبيعة الإنسان العربي المسلم .

هذا مع تأكيد حرية الإنسان المطلقة ، وبأن لكل إنسان كيانه الخاص ، في فكره وتصرفه وعمله منفصلا عن القيم الاجتماعية الأساسية ، والهدف هو '' القضاء على القيم الأساسية للأمة ، وإثارة الشبهات في حقائق العقيدة ، والفكر الإسلامي ''[110].

واعتمادا على حسية الإنسان ، قدمت الدراسات الطبيعية وعلومها بدلا عن المفاهيم الدينية وخالية منها ، إذ جرى هذا الفكر وراء الفهم بأن الطبيعة تعمل تلقائيا ، وأن العالم وجد صدفة ، وأن المادة خالدة ، وبالتالي ركز المنهج العلماني '' على إنكار مقومات التوحيد ، وأصول العقائد التى إن

---

(١٠٩) أنور الجندي : التربية وبناء الأجيال في الإسلام (مرجع سابق) ، ص ١٩٧ .

(١١٠) أنور الجندي : شبهات التغريب (مرجع سابق) ، ص ٢٤٦ وراجع ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٥ .

درست فى مادة الدين فهى تدرس على نحو لا يملأ بها النفس ولا يحل الإشكال بينها وبين ما تقدمه علوم الطبيعة ""[111].

ودراسات علم النفس والاجتماع والعلوم الإنسانية ، والقانون والاقتصاد وغيرها من العلوم النظرية تقدم للطالب فى كافة مراحل التعليم ، على أساس غربي علماني وضعي مادي ، وهى تلقى شعورا لدى الطالب المسلم بأنه لا قوانين تضبط المجتمع إلا التغير ، وإلا القوانين الوضعية ،وهي مخالفة لطبيعة الشخصية المسلمة ، ولمصدر بنائها وهو القرآن ، وبالتالي ينحرف الشباب المسلم عن المقومات الأساسية لعقيدته ونظامه الإسلامي . وأصبح لا يعرف الدين الإسلامي إلا على أنه عبادة وصلاة ومسجد ، وليس له أى صلة بالحياة والمجتمعات ، وليس له نظامه الاقتصادي والقانوني والتربوي .

وهذه الدراسات كلها مؤسسة على الفكرة الغربية بحذافيرها ، ويذكر المؤلفون دائما عن تطورات هذا العلم أو ذاك أنه بدأ منذ العالم أو المفكر الأوروبى (الفلانى) حتى إذا جاء دور الفكر الإسلامي يغفل أو يتناسى ، وهذه لا شك كان لها أثرها الواضح فى الدراسات التربوية ، ومن ثم نشأت الدراسات التربوية الحديثة بعيدا عن الفكر الإسلامى ، ولما كان التراث الإسلامي غير متناول ولا متداول فى كتابات الغربيين كان — ولا بد — أن يكون الاتجاه إلى منحنى الدراسات الغربية ، وهذا ما حدث ، فقد أخذ التربويون المصريون الفكرة الأوروبية والفكرة الأمريكية رغم أنها وضعت لتكوين شخصية غير الشخصية المسلمة ، مما أدى فى النهاية إلى تناقض واضح فى تكوين الشخصية المصرية المسلمة ، والتى غدت متوزعة بين العصرية والثقافة المحلية الإسلامية ، والتي لا تعارض الانفتاح الثقافى

---

(١١١) أنور الجندى (المرجع السابق) ، ص ١٩٣ .

والاستفادة من الخبرات الأخري في المجالات المختلفة ، ولكن بشرط أن تندمج فى الجسم الثقافى للأمة .

ومع الانبهار العقلى بالفكر التربوي الأجنبى ، حاول التربويون المصريون تطبيق هذا الفكر ووسائله ، وساعدهم على هذا أن التعليم الرسمي فى مصر أساسه أجنبى ، وكانت القناعة الفكرية بأن هذا الفكر هو الحل للخروج من أزمة الفكر التربوي فى مصر ، واعتمد هذا على أن مصر كانت دائما جزءا " من أوروبا فيما يتصل بالحياة العقلية والثقافية ، على اختلاف فروعها وألوانها "(112).

ومع الاعتقاد بأن الفكر التربوى فى أوروبا وأمريكا متقدم على سواه ، تأثروا به . ثم تبنوه كاملا ، بعد البعثات والزيارات العلمية للخارج (113)، وزيارة الأجانب لمصر والقيام بدراسات حول النظام التعليمي ، ومشاركة المصريين إياهم فى هذه الدراسات ، هذا إلى جانب نشاط حركة الترجمة ، التى ترجمت الكثير من الكتب التربوية ، والاطلاع على الفكر التربوى فى لغته الأصلية ، وقد تأثر التربويون كثيرا بهذا الفكر وخاصة فيما يتعلق بالفكر التربوي الأمريكى متمثلا فى الفكر البراجماتى الذى قدمه جون ديوي (114).

وعلى هذا انتشر الاهتمام بالتربية الحديثة ، ويظهر هذا جيدا بعد رفع الاحتلال يده عن مصر ، كما نراه لدى نجيب الهلالي ، وطه حسين ، واسماعيل القبانىوغيرهم كثير ، وقد آمنت هذه المدرسه بالحركة التقدمية

---

(112) د . طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر — طبعة المعارف — (مرجع سابق) ، ص ٢٧ .

(113) راجع : حسان محمد حسان : اتجاهات الفكر التربوى فى مصر من ١٩٢٣ الى ١٩٥٢ — رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية جامعة عين شمس — قسم أصول التربية — (غير منشورة) ١٩٧١ ، ص ١١٨ .

(114) أنظر ص ٢٢٦ من الكتاب

فى التعليم الأمريكى بصفة عامة ، وفلسفة جون ديوي البراجماتية بصفة خاصة ، وقد ساعد على نشر آراء هذه الفلسفة التقدمية مؤسسات عديدة ، منها :

١ ــ رابطة التربية الحديثة ، وخريجو المعاهد التربوية ، وكان هدفها '' تقديم التربية الحديثة للمدارس المصرية ، ومنذ تأسيسها قامت الرابطة بتنظيم عدة مؤتمرات وحلقات لهذا الغرض ، وكان من أهمها المؤتمر الذى عقد سنة ١٩٤٥ ، لمناقشة'' تطبيق أساليب التربية الحديثة فى المدارس المصرية '' وهو عنوان له مغزاه ، وتقوم الرابطة أيضا بطبع صحيفة خاصة تصدر كل ثلاثة أشهر تعرف باسم '' صحيفة التربية '' وفيها تنشر المقالات والبحوث التربوية الحديثة ''[١١٥].

٢ ــ معهد التربية ، وقد أنشىء سنة ١٩٢٩ ليحل محل مدرسة المعلمين العليا ، بناء على توجيه الخبير السويسرى كلاباريد الذى كان عندئذ أستاذ علم النفس وعميد معهد وارسو بجنيف ، وكان الغرض من إنشائه تحقيق الأغراض الآتية :

أ ــ أن يعد المعلمين للتعليم العام (الابتدائية والثانوية) .

ب ــ أن يكون مركزا للبحث العلمى في مسائل التربية والتعليم ، والدراسة النفسية للأطفال .

ج ــ أن يكون أداة لنشر الأفكار الحديثة عن التربية بين رجال التعليم وتزويدهم بالإرشاد اللازم لتطبيق أساليبها فى المدارس المصرية[١١٦].

وتولى المعهد تخريج القيادات التربوية فى مصر ، على أساس سيطرة

---

(١١٥) د . محمد مير مرسي : تاريخ التربية فى الشرق والغرب (مرجع سابق) ، ص ٣١٣ .

(١١٦) المرجع السابق ، ص ٣١٣

الغرب ومناهجه ،وأصبحت تدرس فيه مناهج سبنسر البريطاني ، وديوى الأمريكي ، وإن كانت مدرسة المعلمين قد بذرت هذه البذور سابقا ، فلما تولى معهد التربية أمر تخريج القيادات التربوية سيطرت عليه الفلسفة الديوية (البرجماتية) .

والمهم أن الطالب المعلم ، تعلم حجج سبنسر وديوي '' ضد الدين ، ومقصود سبنسر وديوي من الدين وهو المسيحية ، وعلى الأخص الكثلكة '' وأصبح هؤلاء يطبقون حجج ديوي أو ينقلونها '' إلى مجال الدين الإسلامي ، إذ اعتقدوا أن ما يوجه إلى أى دين يصح أن يوجه إلى دين آخر ،وبالأخص وهم خلو منذ نشأتهم التعليمية الأولي فى مدارس التقدم المدنى ــ وهى المدارس الحكومية ــ من أية صورة عن الإسلام كدين وثقافة ، إذ ذاك ، وهى حياة تبعد كثيرا أو قليلا عن أن تمثل الإسلام تمثيلا صحيحا ''[١١٧].

وتولّي هؤلاء إبعاد الدين عن مجال التربية ، إلا كمادة من مواد الدراسات القومية ، وبعد ظهور دور أمريكا فى مصر وتبنى الفكر البراجماتى فى التربية ، حرص خريجو معهد التربية على أن يحققوا هذه الأفكار فى التعليم ، ونقلوا نظم مراحل التعليم المختلفة فى أمريكا إلى التعليم المصرى ، '' كما حرصوا على إبعاد الأزهر الشريف والاستخفاف بأبناء دار العلوم وعلى التخلص منهم ومن إشرافهم : والسبب أنهم حملة الإسلام ولغته ''[١١٨].

٣ ــ الزيارات العلمية ، حيث قام معهد التربية ، بدعوة عدد من رجال التربية المشهورين فى أمريكا وأوربا ومن بينهم كان بودى Bode

---

(١١٧) أنور الجندى : التربية وبناء الأجيال فى الإسلام (مرجع سابق) ، ص ١٩٩ .

(١١٨) د . محمد البهى : مستوى الكفاية الفنية للتعليم فى مصر ، نقلا عن السابق ، ص ٢٠١ .

أمريكا (١٩٤٤ – ١٩٤٥) ، وكرتشر Kirtcher (١٩٤٥ – ١٩٤٦) الذى كان آنذاك أستاذا بجامعة أوهايو بأمريكا ، ومارتز Martz (١٩٤٧ – ١٩٤٨) الذي كان أستاذا بجامعة انديانا ، والسير كلارك Clark (١٩٤٩) الذى كان أستاذا بمعهد التربية بجامعة لندن ، ورج Rugg (١٩٥١ – ١٩٥٢) الأستاذ السابق بجامعة كولومبيا ''[١١٩].

وقد قام العديد منهم بإلقاء المحاضرات ، أو بدراسات حول نظام التعليم ، ومن أشهر التقارير ، تقرير كلاباريد ، وتقرير مان ، وقد قام الأول بزيارة المدارس ، وطبق اختبارات سيكولوجية ، '' مشبعة بالثقافة الأوروبية على التلاميذ المصريين ، ولم يكن غريبا إذن ما توصل إليه من انخفاض مستوى ذكاء التلاميذ المصريين ''[١٢٠]ومن هنا جاء تقريره وفقا لهذه النظرة ، وإن جاء التقرير كله انعكاسا لثقافة الخبير ، فإن بعض مقترحاته ضرورية .

أما(مان) فقد قدم تقريره متأثرا بنظام التعليم فى بلاده ، وكان انعكاسا لثقافته أيضا ، وإن قدم مقترحات لا تتنافى مع مقترحات كلاباريد[١٢١]، وقد ركز الاثنان على التعليم المدني دون التعليم الديني ، ومن هنا لقي التعليم المدنى اهتماما وحظا كبيرا من العناية ، أما التعليم الدينى (إن صح التعبير) فلم يلق حظ التعليم المدنى من الاهتمامات ، مما زاد من الفجوة الثقافية والثنائية .

والحق أن كثيرا من '' أفكار جون ديوي التربوية وتلاميذه فى مصر ، وصل الينا وتدارسناه وطبقناه دون فهم حقيقي ووعي دقيق بأسسه

---

(١١٩) د . محمد منير مرسى : (مرجع سابق) ، ٣١٣ .

(١٢٠) المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

(١٢١)المرجع السابق ، ص ٣١٧ .

الفلسفية وأصوله المنطقية مما ساعد على كثير من الانحراف فى التطبيق والتنفيذ وصعوبة تكييف هذه الآراء مع ظروف مجتمعنا وقيمه وتقاليده ''[١٢٢] وهكذا مع بقية الأفكار التربوية الانجليزية وغيرها ، هذا إلى جانب عدم التعمق فى دراسة ثقافة وأصول ثقافة الشعب المصرى ، فلا تعمق ، لما هنا ولا لما هناك ، ومن ثم أصبحت التربية سطحية والدراسات التربوية سطحية إلى حد بعيد ، فلا هى بالمصرية ولا هى بالغربية ، وإنما قشور من هناك ، تطردها النواة هنا .

وبنفس القدر غلبت على الدراسات النفسية أيضا الناحية المادية ، فقد رددت المدرسة النفسية المصرية وعلماؤها نفس أقوال الغرب ومدارسه النفسية ، دون أى محاولة للتمصير أو التعريب إلا في القليل ، وعلى أيدى أفراد قلائل ، وليس العيب هنا ـــ أيضا ـــ متعلقا بالاستفادة من دراسات علم النفس الأوروبي الحديث ، ولكن العيب فى التبنى الكامل لأفكار علم النفس الأوروبي الحديث الذي ينظر إلى الإنسان على أنه (حيوان) ثم يجرى على هذه النظرة تجارب ، ويقيم عليها نظريات '' ونحن '' لا يمكن أن نغفل الجانب الحيواني من الإنسان . ولكننا يجب ـــ أيضا ـــ ألا نغفل لحظة ، عن أن هذا الجانب الحيواني مجرد جانب واحد من جوانب عديدة '' والتركيز على '' الجانب الحيواني فى الإنسان وحده ـــ من الناحية العلمية ـــ خطأ ، لأنه تنقصه الشمولية ، التى من أجل الافتقار إليها ، هوجم علم النفس الإغريقى ، وعلم النفس المسيحي '' لأن الأول ركز علي العقل وحده ، ولأن الثاني ركز على الروح وحدها''[١٢٣]. فالشمولية غير موجودة . وهى سمة الفكر الغربى [١٢٤].

(١٢٢) د . سعيد إسماعيل على : دراسات فى التربية والفلسفة ـــ عالم الكتب ـــ ١٩٧٢ ، ص ى .

(١٢٣) د . عبد الغنى عبود : الانسان فى الإسلام والإنسان المعاصر ـــ الكتاب الرابع من سلسلة الإسلام وتحديات العصر ـــ ط ١ دار الفكر العربى ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٨ ، ص ٥١ .

(١٢٤) راجع : أنور الجندى : أخطاء المنهج الغربى الوافد فى العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب =

ويتبين الخطأ إذا أدركنا أن علماء النفس الغربيين قدموا نظريات حول شخصية الإنسان ودوافعه وسلوكه ، تتعارض مع معطيات الإسلام ، لأن منطلق هذه النظريات الحياة الغربية والحضارة الغربية قديما وحديثا[125]. وقد وقع العلماء المسلمون فى خطأ حين انطلقوا فى دراساتهم من نظريات الغربيين إذ قلدوهم عن وعي أو بغير وعي ، سواء فى النظرية أو فى التطبيق ، وأقل ما يمكن القول فيها '' أنها غير ملائمة لتطبيقها فى بلدانهم الإسلامية ''[126].

ويمكن تتبع المناطق التى اتبع فيها العلماء المسلمون هذه الدراسات النفسية ، وهى مليئة بالتناقض والمناقشات المتضاربة ، للمدارس المتنافسة ، التى تبدى اختلافات حادة فيما بينها حول كل ظاهرة سيكولوجية ، كالسوية واللاسوية[127]، والنظرة للإنسان [128] والنظرة إلى الدين ، والموقف الوالدي ، والنظرة للعائلة[129].

وقد نقل هؤلاء إلى المكتبة العربية كتبا كثيرة يدينون فيها بالولاء لتلك العبارات الغامضة مثل الثقافة الجنسية والروح الصحيحة للحياة الجامعية وكأننا خلونا من معالجة الأمور التربوية والنفسية ، ولم يبق أمامنا إلا هذه المشكلات ، وتلك العبارات ، ونظرتها للإنسان كلها مادية صرف [130]،

= والاجتماع — رقم (٦) من الموسوعة العربية الاسلامية — ط ١ — دار الكتب اللبنانى — بيروت — ١٩٧٤ ص ٤٢٣ — ٤٣٥ .

(١٢٥) راجع ص ٢٤ ، ص ١٦٣ من الرسالة .

(١٢٦) د . مالك بدرى : '' علماء النفس المسلمون فى جحر ضب '' — ٢ — **المسلم المعاصر** — العدد الخامس عشر — رمضان ١٣٩٨هـ ، سبتمبر ١٩٧٨ ، ص ١٠٦ .

(١٢٧) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(١٢٨) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(١٢٩) راجع المرجع السابق ، ص ١١٠ ، ١١١ .

(١٣٠) راجع د . محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها — ط ٤ — المكتب الإسلامي — بيروت — دمشق — ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م — ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ .

ويمكن تتبع مثل هذه الدراسات والمترجمات وتوضيح ما كان لها من أثر عميق فى توجيه العملية التربوية الوجهة الغربية ذاتها ، ويمكن القول ، بأن هؤلاء فقدوا النظرة الشمولية المتوازنة ، التى امتازت بها ثقافة البلاد الإسلامية الصحيحة ، وأسسوا التربية والتعليم والموقف التعليمي على قواعد السلوك والتربية والأخلاق الغربية ، التى تدل الدراسات الغربية الكثيرة والواعية إلى أنها ستودى بحضارة الغرب وتقضى عليها .

وهكذا ننتهى هنا إلى أن ترديد أفكار الغرب ، واعتماد نظرته للإنسان والمجتمع ، واعتماد الدراسات التربوية الحديثة على الفكر الغربي ، كل هذا كان له أثره البالغ ، فقد أقام التعليم المصرى على أساس غربى ، وعامل الشخصية المصرية المسلمة على أنها شخصية غربية تماما ، مما كان له أبعد الأثر فى كافة المشكلات القائمة فى التربية المصرية اليوم . وعلى هذا فإن التعليم فى مصر ــ والبلاد العربية عموما ــ '' هو فى الأصل مستورد ، وعلى الرغم مما بذل ويبذل فيه من جهود ، من أجل تكييفه وتطويعه ، ليكون أنسب إلى الحياة العربية ، فإنه ما زال بتنظيمه وفلسفته ومحتواه ، على درجة من الغربة عن واقع الحياة ،''[131].

ولا شك أن من '' أسوأ العلامات فى نهضتنا الحديثة ، أن نقلد التربية الأوروبية تقليدا أعْمَي ، وأن نسرف فى التقليد ، حتى نأنف من الإقرار لثقافتنا القومية ، بحق مجاراة الثقافة العالمية في الابتكار والأصالة ''[132].

٣ ــ محاولة إقصاء اللغة العربية : وإذا كانت لغة التعليم من أهم

---

(١٣١) د محمد الهادى عفيفى ، د . سعد مرسى أحمد : قراءات فى التربية المعاصرة ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ص ٣٢ .

(١٣٢) د . جميل صليبا : '' التربية العربية بين الأصالة والاقتباس '' ــ **أسس التربية فى العالم العربى** ــ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ــ ج . ع . م ــ لجنة التربية وعلم النفس ــ الحلقة الدراسية الأولى ــ القاهرة ــ ١٩٦١ ، ص ٨٥٧ .

الوسائل التى تؤكد وحدة الأمة ، فإنه قد قامت العملية التعليمية كلها منذ بداية النهضة على أساس اعتماد اللغة العربية لغة للتعليم ، بما فى ذلك الدراسات النظرية والدراسات العملية كالطب والهندسة والرياضيات والكيمياء ، والتاريخ الطبيعي ، والتاريخ العام والجغرافيا ، وكانت الكتب تؤلف باللغة العربية ، أو تترجم بها .

ولما أتي الاحتلال ، حاول المستعمر ضرب لغة التعليم " وأول ما بدأ التفكير فى إلغاء التعليم باللغة العربية وجعله بالإنجليزية أو الفرنسية ، كان فى سنة ١٨٨٨ ، ففى التقرير الرابع الذى قدمه على مبارك إلى الخديوى عن أحوال التعليم نجده يقول (١٣٣) . . . " أما تعليم اللغات الأجنبية التى لها فى هذا العصر من الأهمية بمصر خاصة ما لا يخفى ، فإنه لم يأت إلي الآن في مدارسنا بالنتائج المطلوبة ، وليس ذلك لتقصير من المعلمين أو فتور فى همتهم ، فإنهم فى الواقع أهل لما عهد إليهم به من الوظائف ، غير أن الوقت المخصص لتعليم هذه اللغات غير كاف حتّي يكتسب التلاميذ ملكة استعمال اللغة ، ويسهل عليهم التكلم بها ، وهو أمر لا يمكن الحصول عليه إلا بعد تمرين طويل مستمر ، فلإزالة هذا المحظور بقدر الإمكان تقرر أن مواد التعليم الجاري تدريسها للآن باللغة العربية يصير تعليمها من الآن فصاعدا بمعرفة مدرسي اللغات الأجنبية إما باللغة الفرنساوى ، أو الإنجليزية ، وبذلك إذا درس التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية بلغات أجنبية وضم هذا على تعليم اللغة المقصودة بالذات لكمل بذلك تعليم هذه " (١٣٣) ثم جاءت بعد ذلك محاولات :

أولا : حاول دنلوب أن يسوغ هذه القاعدة طبقا لمبررات ذكرها فى تقرير له :

(١٣٣) د . سعيد اسماعيل على : قضايا التعليم فى عهد الاحتلال ــ عالم الكتب ــ ١٩٧٤ ؛ ص ٢٩٣ .

(١٣٤) التقرير المرفوع من نظارة المعارف عن حالة التعليم سنة ١٨٨٨ ، ص ٢٠١ .

أ ـــ تعذر ايجاد الكتب الفنية العصرية فى اللغة العربية ، هذا فى الوقت الذى تنمو فيه العلوم فى أوروبا بسرعة تعتبر معها الكتب الفنية بعد إنجاز طبعها بقليل من الزمن قديمة ، مهما بلغت هذه الكتب من الكمال ، والتراجم مهما بلغت من الإتقان لا يمكن أن تكون مطابقة للأصل تماما ، هذا مع فقر اللغة العربية فى المصطلحات وجمود تراكيبها[١٣٥].

٢ ـــ أنه '' يحتاج فى تأليف الكتب المقررة الاطلاع على غيرها ، ويجب على الطالب إذا تخرج أن يكون دائما على بينة بما يستجد من الأعمال والأفكار التي تنشر فى الجرائد والكتب العلمية الحديثة ، ولا يسهل الاطلاع عليها إلا فى الكتب الأوروبية ، ومن هنا ، يتضح أنه لكى يكون التعليم فى مدارس الطب والحقوق والمهندسين والمعلمين جيدا '' تحتم على الطالب الذى يصل إلى درجة التعليم العالى أن يكون له إلمام كاف باحدي اللغتين الانجليزية أو الفرنسية ، فإذا أضعفنا من أهمية التعليم باللغة الأوروبية فى المدارس الثانوية تسرب الفساد إلى المدارس العليا وقلت مكانة التعليم فيها ''[١٣٦].

٣ ـــ ونظرا للتقدم المادي فى مصر فإن الكثير من الآباء يتجهون إلى إرسال أبنائهم إلى المدارس الجامعية والكليات الفنية فى أوروبا ، وهذا يستدعي تحصيل إحدى اللغتين الانجليزية أو الفرنسية بدرجة عالية من الكفاءة ،هذا إلى جانب احتياج إحدى اللغتين فى المصالح الحكومية والوظائف '' وإذا أريد تمهيد السبيل لتحقيق الرغبة فى إسناد الوظائف العالية بالحكومة إلى المصريين على طريق أوسع مما هو حاصل الآن ، فلا سبيل

---

(١٣٥) تقرير دانلوب عن '' الاساس اللغوى للتعليم '' مرفق بتقرير كرومر عن سنة ١٩٠٦ ، ص ١٧٧ . عن الأسبق ، ص ٢٩٠

(١٣٦) المرجع السابق ، ص ١٧٨ ، عن الأسبق أيضا ، ص ٢٩٦ .

لذلك إلا نشر التعليم الأوروبي العالي بين الطبقات العليا من الأهالي ''[١٣٧].

٤ ــ ومع دلالة الإحصاءات على أن مبلغ نجاح الطلاب المتخرجين فى مستقبل حياتهم يتناسب مع مبلغ ما حصلوا عليه من اللغات الأوروبية وأجادوه منها أثناء الدراسة الثانوية ، وقد قرر دنلوب تدريس اللغة الانجليزية للسنة الأولي من المدارس الابتدائية ، معتمدا على أن اللغتين الانجليزية والفرنسية لغتان حيتان تستخدمان للتخاطب ومن هنا وجهت العناية بهما على أن تتخذا وسيلة للتفكير والتعبير[١٣٨].

ثانيا : ثم تعرضت اللغة العربية لهجوم سافر ، بهدف إحلال العامية محلها ، وإذا كان علماء العربية الفصحى قد تناولوا العامية دراسة ، فقد كان الهدف خدمة العربية الفصحى ، عن طريق تقويم ألسنة العامة ، وتصحيح أخطائهم ، لأن هؤلاء العلماء '' كانوا فى ذلك الوقت يعتبرون العامية تحريفا للعربية الفصحي ، لا لغة جديدة ، تختلف عن الفصحى اختلافا جوهريا ، ولذلك كانت مؤلفاتهم فرعا من دراستهم للفصحى ومن خدمتهم لها ومحافظتهم عليها سالمة من التحريف واللحن الدخيل ''[١٣٩].

ولكن فى هذه الفترة الحديثة ، بذلت الجهود من أجل إحلال العامية مكان الفصحي ، جاءت دراسات المستشرقين مؤكدة لهذه الدعوة حيث '' أدخلوا تدريس اللهجات العربية المحلية فى مدارسهم ، وجامعاتهم ، بل وانشأوا مدارس خاصة لدراسة هذه اللهجات مستعينين فى ذلك بالشرقيين الذين كانو يعملون فى بلادهم ، وبالمستشرقين الذين كانت لهم معرفة

(١٣٧) المرجع السابق ، ص ١٧٨ عن السابق أيضا ، ص ٢٩٦ .

(١٣٨) د . سعيد إسماعيل على : قضايا التعليم (مرجع سابق) ، ص ٢٩٨ .

(١٣٩) د . نفوسة زكريا سعيد : تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها فى مصر ــ ط ١ دار المعارف بمصر ــ ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٤ م ، ص ٧ .

باللهجات العربية المحلية ودراسات فيها "[140] وكانت الدراسات التى قدمها المستشرقون أساس هذه الدعوة ، كما حملها ، ودعا اليها دكتور ولهلم سبيتا الألمانى ، والدكتور كارل فولرس الألمانى ، وسلدن ولمور الانجليزى ، ووليم ولكوكس مهندس الرى . وقد صدرت لهم كتب تدعو إلى العامية ، واتخاذها لغة الأدب والفن والتعليم[141] .

وأشهر من قاد هذه الدعوة من الأجانب هو وليم ولكوكس فى محاضرة له بعنوان " لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن " ونشرها فى مجلة الأزهر ، وفيها زعم أن " أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع هو أنهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى ، وأنهم لو ألفوا وكتبوا بالعامية لأعان ذلك على إيجاد ملكة الابتكار وتنميتها[142] " ويدعو المصريين إلى اتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبى اقتداء باللغة الإنجليزية التى أفادت إفادة كبيرة منذ هجرت اللاتينية التى كانت لغة الكتابة والعلم يوما ما قائلا " وأنتم أيها المصريون لن تزالوا قادرين على إيجاد قوة الاختراع لديكم كما فعلت إنجلترا ، فإنه يوجد فيكم أناس كثيرون توفرت فيهم الشروط المارة ، ولكن بسبب عدم وجود لسان علمي مشهور فيما بينكم لم تتحصلوا على شيء وأضعتم أعمالكم سدى ، والسبب فى ذلك أن الكتب العلمية الدنيوية تؤلفها بكلام مثل الجبال ، وفى آخر الأمر لا يلد هذا الكلام الصعب إلا فأرا صغيرا " لأن " اللسان العلمى غير مشهور فيها بين العامة ، فبمجرد وضع الأفكار فى الكتب تموت ولم تعد تحيا ، فكأنهم يكفنونها فى الورق ويدفنونها فى جلود الكتب[143] " .

---

(١٤٠) المرجع السابق ، ص ٩ .

(١٤١) المرجع السابق ، ص ١٧ – ٤٢ .

(١٤٢) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(١٤٣) المرجع السابق ، ص ٣٦ . وراجع نص المحاضرة فى مجلة الأزهر – المجلد الأول من السنة السادسة سنة ١٨٩٣ ، ص ١ – ١٠ .

واللغة العربية أصبحت فى نظره لغة ضعيفة لأنها لغة مصطنعة يتعلمها المصري كلغة أجنبية ثقيلة فى كل شىء ، إن وصلت إلى الرأس ، فهى لا تصل أبدا إلى القلب ، تقف عقبة فى سبيل تقدم المصريين ودراستها نوع من السخرية العقلية ، حالت بين المصريين وبين الابتكار ، قضت على الطلبة النابهين من المصريين والذين كان يرحى منهم نفع كثير ، وأدت صعوبة فهمها إلى حدوث بعض الكوارث التى شاهدها أثناء إقامته فى مصر ، ودراستها مضيعة للوقت ، وموتها محقق كما ماتت اللاتينية [١٤٤] وتأتى نصيحته للمصريين باتخاذ اللغة الدارجة لغة للعلم والأدب والفن .

ثالثا : وتطور الأمر باقتناع البعض من المفكرين المصريين بهذه الدعوة ، وأصبحت قضية وطنية عامة لها مؤيدوها ومعارضوها ، واستمر الصراع يشتد ويهدأ حينا . وقد سجلت مجلة الهلال وقتها المعركة .

ومن المؤيدين لهذه الدعوة سلامة موسى ، فى مقال له فى الهلال ، يثنى فيه على ولكوكس " كمهندس وكأديب وكواحد من الإنجليز المخلصين لمصر ، شغل بها كثيرا حتى أصبحت همومه مصرية ، أكثر مما هى إنجليزية ، والهم الكبير الذي يشغل باله بل يقلقه هو هذه اللغة التى نكتبها ولا نتكلمها ، فهو يرغب فى أن نهجرها وتعود إلى لغتنا العامية فنؤلف فيها ، وندون بها آدابنا وعلومنا "[١٤٥] ويذكر أن قاسم أمين نعى على اللغة الفصحَي صعوبتها ، واقترح إلغاء الإعراب ، فنسكن أواخر الكلمات ، ويذكر أن لطفى السيد قام على أثر قاسم أمين بالإشارة إلى استعمال العامية ، ويبرز تأنفه من العربية الفصحى ومبرراته فى استعمال العامية ، صعوبة اللغة العربية ، وصعوبة تعلمها ، وعجزها عن تأدية الأغراض التعليمية والأدبية والعلمية ، وأنها تبعثر وطنيتنا المصرية ، وتجعلها شائعة فى القومية

---

(١٤٤) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(١٤٥) المرجع السابق ، ص ١١٨ .

العربية[١٤٦]. ومن ثم يجب طريقة ولكوكس ويسوى بين الفصحى والعامية ، التى يسميها تطورا يجب أن تمرن اللغة العربية الفصحى عليه ، وأن " اللغة التى لا نزال نرطنها رطانة ، ولم تشعر بها بعد نفوسنا ، ولا أمل فى أن نشربها لأنها غريبة عن مزاجنا ، وذلك لأن هذه اللغة الفصحى هى لغة بدوية . والثقافة هى بنت الحضارة وليست بنت البداوة ، ولذلك فإنه يشق علينا جدا أن نضع معانى الثقافة فى هذه اللغة سواء بالترجمة أم بالتأليف "[١٤٧].

ومع ارتباط هذه الدعوة بحركة التجديد أو التحديث التى قادها التغريبيون، كانت الدعوة إلى القومية المصرية ، والتى قادها أحمد لطفى السيد ، وقد دعا إلى تمصير اللغة من هذا المنطلق ، وكتب عن تطوير اللغة العربية ، وضرورة تمصيرها ، وترقية العامية ، وغير ذلك من المبادىء التى تعتبر فى جوهرها هدما للغة العربية ، لغة التعليم [١٤٨] .

وقدم أحمد لطفى السيد مشروعا بهدف تيسير الكتابة العربية ، يقترح فيه أن يدل على الحركات بالحروف ، على أن تدخل هذه الحروف فى بنية الكلمة ، واقترح على الجارم استعمال شكلات جديدة تكون متصلة بالكلمات ذاتها ، وتقدم سلامة موسى باقتراح يتلخص فى ضرورة كتابة الحروف العربية بحروف لاتينية ، وهى الدعوة التى رددها وليم سبيتا سنة ١٨٨٠ .

ومن هذه الدعوات دعوة طه حسين أيضا ، والتى دعا فيها إلى تيسير

---

(١٤٦) المرجع السابق ، ص ١١٩ ، ١٢٠ وراجع : سلامة موسى : " اللغة الفصحى واللغة العامية ورأى السير ولكوكس " — **الهلال** — الجزء العاشر — السنة ٣٤ — أول يوليو ١٩٢٦ — ص ١٠٧٣ — ١٠٧٧ .

(١٤٧) المرجع السابق، ص ١٢١ .

(١٤٨) راجع : أحمد لطفى السيد ؛ المنتخبات — حـ ٢ — الأنجلو المصرية — ١٩٤٥ ، ص ١٢٣ — ١٤٦ .

اللغة العربية دراسة وكتابة ، فهو يقول " إن اللغة العربية عسيرة لأن نموها مازال قديما عسيرا ، ولأن كتابتها مازالت قديمة عسيرة "[149] ويذهب إلى أن إصلاح اللغة " أعمق من هذا الإصلاح ، بتناول الكتابة والقراءة ، ويعصم الناس إلى حد كبير من الخطأ ، حين يكتبون وحين يقرأون " ..... ويقول «ولكن هذا لا يمنعني ولن يمنعني من أن أقرر أن إصلاح الكتابة حاجة ماسة ، وضرورة ملحة ، وشرط أساسى لنشر التعليم الأولى على وجه نافع مفيد "[150].

وهكذا دارت المحاولات لإبعاد اللغة العربية عن التعليم ، وناصر هذه الدعوة يعقوب أرتين ، ومجلة المقتطف وسعد زغلول (باشا) الذى دافع عن التعليم باللغة الأجنبية ، محتجابالحجج التقليدية ، وقد اعترض على جعل التعليم بالمدارس باللغة العربية[151].

وترجع خطورة هذه الدعوة إلى :

١ ــ أن الدراسة باللغة الأجنبية تعتبر ولاء فكريا للدولة صاحبة اللغة ، ومن هنا " كانت تلك المحاولات إلى انتزاع الدراسة العربية من حضارة العربية والقرآن ، وذلك بمحاولة انتزاع حرمة اللغة العربية وعزلها تماما ووصفها بأنها لغة أمة من حقها أن تتصرف فيها "[152].

٢ ــ وليس من اليسير الفصل بين دراسة الإسلام ودراسات اللغة أو التاريخ والعلوم ، ومن هنا فإن الدعوة إلى اتخاذ اللغة الأجنبية ، أو اللغة العامية إبعاد للناشئة عن الإسلام كأساس للتربية وكموجه للتعليم فى مجال الدنيا والآخرة .

---

(١٤٩) طه حسين : مستقبل الثقافة ــ طبعة المعارف ــ (مرجع سابق) ، ص ١٩٥ .

(١٥٠) المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .

(١٥١) د . سعيد إسماعيل على : قضايا التعليم (مرجع سابق) ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(١٥٢) أنور الجندى : التربية وبناء الأجيال (المرجع السابق) ، ص ٢٠٨ .

ورغم جهود المناضلين من أمثال مصطفى كامل وعبد العزيز جاويش ومحب الدين الخطيب وعبد الله نديم ، ومحمد حسين هيكل والخضرى بك وغيرهم ، ورغم عودة اللغة العربية لغة للتعليم ، إلا أن الآثار التى أنتجتها هذه الدعوات مازالت موجودة ، إلى اليوم إذ مازالت دعوى أن اللغة العربية لا تصلح لغة للتعليم الجامعى ، وخاصة فى المواد التجريبية ، كالطب والهندسة والبيولوجى ، والكيمياء ، وكافة التخصصات التجريبية ، قائمة إلى اليوم .

ومازالت الفجوة والاختلاف قائما فى مؤسسات التعليم ، وبين التربويين ، وفى المجتمع نفسه ، نظرا لعدم إجماعه على لغة التعليم وهى الوسيلة التى يتم بها توحيد الأمة ، وهى وسيلة الاتصال ، وأداة الفكر ، وبها تستمر شخصية الأمة الحضارية والتاريخية مع قدرتها على إثراء الفكر الإنساني .

والوضع اليوم ، وبعد هذه الحملات ، ورغم عودة اللغة العربية إلى بعض مكانتها ، فإن أفراد المتعلمين من الأمة نجدهم فرقا وشيعا ، فمنهم من يجيد العربية ، ويحسن الحديث والكتابة والقراءة بها ، عن طريق المجهود الشخصي لا عن طريق التربية والتعليم ، ومنهم من يستطيع الكتابة ولا يستطيع الحديث بها بطلاقة وصحة ، ومنهم من لا يحسن الحديث ولا الكتابة أو القراءة ، ولكنه يفهم ما يقال فى حدود ضيقة ، ومنهم من لايستطيع القراءة ولا الكتابة ولا الحديث بها .

هذا إلى جانب الأخطاء المتعددة التى يرتكبها الناشئة ، والقصور فى التعبير اللغوي ، وازدواجية اللغة من عامية وفصحي ، بحيث أصبحت العامية ذات أثر سلبي على الفصحي ، وأصبحت استعمالات العامية تتسرب إلى اللغة الفصحي فى أغلب الأحيان من غير أن يكون ثمة صقل وتشذيب للغة

المتعلمين غالبا .[153]

٤ ـ عزلة التعليم والتربية عن المجتمع :

سواء فى التعليم الأولى أو الثانوى أو الجامعة بعد إنشائها ، فأحمد لطفي السيد يؤكد أن غرض الجامعة الهام هو مساعدة الطالب على الوصول إلى كماله الخاص بتزويده بالوسائل ، وكما يقول (د . سعيد إسماعيل علي) أن أسلوبه هنا أرسطو طاليسى ،[154] فكماله الخاص هذا يعنى أن " يبلغ طالب الجامعة متي صدقت رغبته فى تحصيله أما ماذا يصنع بعد الجامعة وكيف يكسب قوته ، فهو وإن لم يكن من فلسفة الجامعة إلا أنه سيأتى حتما نتيجة لذلك الإعداد بطريقة غير مباشرة "[155] ويحرص على تأكيد استقلال الجامعة وعزلتها ، لا عن الحكومة بل عن كافة التأثيرات .

وقد اصطبغ التعليم كله بهذا ، ومازال إلي اليوم يحاول الخروج من هذه العزلة ، وخاصة أنه فى أول تأسيسه كان مرتبطا بالجيش والحكومة ، وهكذا " ولد التعليم المصرى الحديث ميتا ، فكان عبئا على نهضة مصر الحديثة ، أكثر مما كان عونا لها وذلك لأن فلسفته قامت على فرضية خاطئة من أساسها ، وهى أن النهضة يمكن أن تتحقق على يد (قلة) تتلقى هذا التعليم الحديث ، وتدير مرافق البلاد ، بينما الكثرة الغالبة تتلقى التعليم القديم فى الأزهر ، أو لا تتلقى تعليما على الإطلاق " ... " ثم إن هذا التعليم الحديث ارتبط بالجيش والحكومة ولم يرتبط بالهدف الأكبر الذى كان لابد أن يرتبط به ، وهو (التشكيل الأيديولوجى) لنفوس المصريين "[156].

---

(١٥٣) راجع : د . محمود السيد : فى قضايا اللغة التربوية ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت ، (د .ت) ١٧ ـ ٢٢ .

(١٥٤) د . سعيد إسماعيل علي : قضايا التعليم فى عهد الاحتلال (مرجع سابق) ، صـ ٢٦٩ .

(١٥٥) أحمد لطفى السيد : المنتخبات ـ ج ٢ ـ (مرجع سابق) ، صـ ٣٧ .

(١٥٦) د . عبد الغنى النورى ، د . عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية (مرجع سابق) ، صـ ٣٠٥ .

وهكذا عاش التعليم المصرى الحديث " معلقا فى الهواء ، لم تمتد جذوره إلى باطن التربة المصرية ، فكان ذلك ما نعرفه مما أصابه من الاستقرار حينا ، والترنح حينا ، ومن التوسع حينا ، والانكماش حينا "[157].

وليس أدل على ذلك من ازدواجية التعليم — التى سبق أن ناقشناها ، وقد وقف الإنجليز إلي جانب التعليم المدني ، لتخريج موظفين حكوميين ، وضرب التعليم الدينى ، يقول لورد لويد المندوب السامي فى مصر " إن أهمية الأزهر — بوصفه مركزا من مراكز الدعاية لبريطانيا — كبيرة متعددة الإمكانيات ... وقد أدرك الوطنيون ذلك فحاولوا استغلاله لتأييد مآربهم ، وترتب على هذا نمو روح المعارضة الشديدة لسيطرة الانكليز على التعليم "[158] ومن ثم أصرَّ الإنجليز على ضرب الأزهر بالوقوف إلى جانب التعليم المدني ، فى محاولة لمنافسته وإماتته وحصره فى حدود ضيقة ، وبالتالى يفقد نفوذه الروحى ويموت أو يتطور ويختفى التعصب الديني بالتدريج[159].

فكان أن عزل التعليم عن المجتمع وقواه ، وانتشرت الأمية وعجزت النظم التعليمية عن مواجهتها[160]؛ ونشأ نوع من انعدام التوازن بين مراحل

---

(١٥٧) د . أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر — من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق — جـ ١ — وزارة المعارف العمومية — القاهرة — ١٩٤٥ ، صـ د نقلا عن السابق ، صـ ٣٠٥ .

(١٥٨)د . محمد البهي : الإسلام فى الواقع الأيديولوجى المعاصر — ط ١ — دار الفكر — بيروت — ١٩٧٠ ، ص ١٣٦ .

(١٥٩) المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(١٦٠) راجع : د . عبد الغنى عبود : التربية ومحو الأمية الأيديولوجية " — المقولة الأولى من كتاب فى التربية المعاصرة (مرجع سابق) ، صـ ٣٥ .

التعليم وأنواعه[١٦١]. وغلب الطابع النظرى على التعليم[١٦٢]، إلى جانب القصور فى التخطيط للتعليم .

٢ ــ الفكرة الاشتراكية وأثرها فى المفكرين المصريين :

والفكرة الاشتراكية ابنة شرعية للفكرة الغربية ، نبعت من داخلها وعلى أسسها ومبادئها ، وإن أخذت شكل الثورة على الرأسمالية الليبرالية ، ويمكن إدراك ملامحها كمايلى :

١ ــ وضع الأشياء مكان الأفكار أي جعلها أهم منها والمادة تسبق الفكر ، ومن هنا كان إيمانها بالمادية الجدلية .

٢ ــ رفع '' عنصر المال فى تقييم الإنسان والتمييز بين فرد آخر ، أو بين مجموعة وأخرى فى المجتمع '' وتعتبر '' الذاتية الإنسانية فوق المقياس بالمال والملك ، وفوق المفاضلة عن مستوي الثراء والدخل ''[١٦٣].

٣ ــ التبشير بالمجتمع العمالى ، '' والعمل على تحقيقه بوسائل شتي ولو بوسائل العنف والقهر وإراقة الدماء ''[١٦٤]، إذ المجتمع العمالي هو أفضل المجتمعات وديكتاتورية الطبقة العاملة هى أفضل نظم الحكم . وذلك تأسيسا '' على قانوني التطور والتقدم ، وهما قانونان استخدمتهما الماركسية فى '' حتمية '' المجتمع العملي وفى '' أفضليته '' '' معا '' .

---

(١٦١) د . إبراهيم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العالى ــ ط ١ ــ مكتبة النهضة المصرية ــ ١٩٧٣ ، صـ ٤١٨ ــ ٤٢٠ .

(١٦٢) د . محمد البهى : الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر (مرجع سابق) ، صـ ١٨٩ .

(١٦٣) د . محمد البهي : الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٨٩ .

(١٦٤) المرجع السابق ، ص ١٩١ .

وهو مجتمع لا محلي ولا قومي ووطني ، '' وإنما هو المجتمع العمالي العالمي . فإذا لم يصل المجتمع إلى '' عالميته '' فالصراع بين الطبقة العمالية والرأسمالية لم ينته بعد فى أى مكان ، وفي أى وقت ''[١٦٥].

٤ ــ والدين لا محل له ، فالدين هو علم المجتمع ، وقوانينه واجبة الطاعة ، وعلى الفرد أن يندمج بالمجتمع ويفنى فيه ، وإذا كان دين الله يصرف عن المادية ، ودين الماركسية هو المجتمع والجماهير فلابد من القضاء على دين الله .

٥ ــ وتركز على الاقتصاد فى المقام الأول وتقوم على أساس التنمية المادية ، بتنمية أدوات الإنتاج وتطويرها ، على أنه إذا تغيرت أدوات الإنتاج المادية '' فإن كل ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية سوف تتغير بالضرورة ''[١٦٦].

وفى مصر وأمام الاتجاهات الفكرية المرتبطة بالاستعمار ، فإن هذا أحدث اتجاها مضادا ، فقد آمن البعض بالفكر الشيوعى بعد ظهوره ، ووجد مؤيدين وداعين له فى مصر بعد سنة ١٩١٧ ، وإن كان لطفى السيد قد كرره فى كتاباته ، إلا أنه لم تكن فعالية إلا بعد تكوين الحزب الشيوعى ، حيث عمل على نشر هذا الفكر بكل ما يستطيع من وسائل[١٦٧]. حتى كانت سنة ١٩٥٥ حين أعلنت مصر قيام علاقات تجارية بينها وبين الاتحاد السوفيتى ، ومن هنا أخذ هذا الاتجاه حريته فى العمل ، وحتى أعلن جمال عبد الناصر اعتناق الاشتراكية العربية ، فكانت اتجاها نحو الفكر الماركسي مع بعض التحفظات .

---

(١٦٥) المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(166) HANS , NlcHOlAS . Comparative Education , Astudy OF EducationL Factors and Troditions , Routledge and Kegan pauL , Limited , 1958 , p 202 .

(١٦٧) طارق البشري: الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢ ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ــ ١٩٧٢ ، ص ٤١٦ وما بعدها .

وإن كان الفكر المصرى قد انفعل بها قبل ذلك ، وحاول المفكرون من هذه الشعبة صبغ فكرهم بالصبغة المحلية ، كى تروج دعوتهم ويكسبوا أنصارا '' فى المجتمع الإسلامي ، على أنها منبثقة من واقع البيئة الإسلامية أو لكي تبدو فى نظر العامة والجماهير (الجموع) منسجمة مع خصائص الجماعة الإسلامية ! ! ''[(١٦٨)] وقد أتى هذا فى صورة هجوم على علماء الدين ، واستخدام بعض الأحاديث والآيات وفسروها علي أنها تحبذ الاشتراكية والاتجاه الاشتراكي وتلائم عناصر الأتجاه الماركسى . وقد ظهر أمثال خالد محمد خالد ، ومصطفى محمود ورشدى صالح وغيرهم كثير[(١٦٩)]. وقد رجعوا عن هذا التيار إلى الفكر الإسلامي ، بعد اعتناقهم مبادىء الاتجاه الماركسى ، وظهرت لهم كتابات فيه .

وكان المدي الأوسع لهذا التيار حين اتجهت الدولة اتجاها اشتراكيا ، وأنشيء الاتحاد الاشتراكى العربى والمعاهد الاشتراكية ومنظمة الشباب الاشتراكى ، وكانت كتبها من أهم مجالات تنشئة الشباب على المباديء الاشتراكية ، وصبغت التربية بهذه الصبغة ، بعد أن سيطر خريجو المعاهد الاشتراكية على وظائف التوجيه الهامة ، سواء فى الإعلام أو فى التربية والتعليم أو غيرها ، وفى هذه المعاهد لقنوا مباديء الاشتراكية العلمية أو كما سميت '' الاشتراكية العربية '' . وكان برنامج التأهيل فى هذه المعاهد يعتمد على مؤلفات معينة ألفت خصيصا لها ، منها كتاب للمرحلة الأولي والمرحلة الثانية ، وكتاب للمرحلة الثالثة ، وبعد الانتهاء من هذه المراحل يتخرج الموجه السياسى[(١٧٠)].

وكانت الاشتراكية العربية هى '' تلك الأسس التى صاغتها قوانين

---

(١٦٨) د . محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (مرجع سابق) ، صـ ٣٢٨ .

(١٦٩) راجع : المرجع السابق ، صـ ٣٣٨ ـ ٣٥٤ .

(١٧٠) راجع د . محمود عثمان (مرجع سابق) ، صـ ٣١٤ ، ٣١٥ .

يوليو سنه ١٩٦١ الاشتراكية '' و '' التى اقتضتها ضرورة الظروف التى هيأت لقيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وما أعقبها من تشريعات تنظيمية ، انتهت بقوانين يوليو سنة ١٩٦١ ''.[١٧١]

وبتحليل هذه الكتب ، نجدها تدعو إلى توفيقية تلفيقية غربية بين الإسلام والعروبة والاشتراكية ظاهرا ، وهى لا تتفق وطبيعة الشعب المصرى وثقافته ، إذ نلاحظ فيها ما يلى :

١ ـــ الحط من شأن النظر العقلى التأملى ، ورفع شأن الأسلوب العلمى التجريبى المرتبط بالحس والواقع المحسوس الملموس ، والتى يمكن تطبيقها على المحسوسات . وتحدد طريقا للوصول إلى الحقيقة ، هى نفس خطوات المنهج العلمى ، وتدعو إلى تطبيقها على دارسة القوانين الاجتماعية وظواهر الاجتماع[١٧٢].

وتقرر أن العلوم الاجتماعية متأخرة كثيرا عن العلوم الطبيعية ، وسبب تأخرها عائق رئيسى ذو جانبين مترابطين هما : الجانب الأول : العلة الغائية أو مبدأ الغاية ، الجانب الثانى : العقدة السببية أو الواحدية الاتجاه[١٧٣]، وتنتهى إلى إدانة الأسلوب الميتافيزيقى وتراه ضربا من الشعوذة والضلالة لا يفيد شيئا . ومن ثم توجب اللجوء إلى الأسلوب العلمى الذى يحصر البحث فى الحقائق الملموسة ، ويجب أن تكون الحقيقة مرتبطة بالواقع الملموس[١٧٤]، وهذا يعنى حصر الإنسان فى الواقع المادى المحسوس ومنعه من ارتياد آفاق أخرى غير المادية لأنه لن يفيده شيئا ولن يحل مشاكله ، وحصر كل القوانين والأنشطة فى إطار المادية الجدلية ، طبقا للقوانين التالية :

(١٧١) د . محمد البهي : الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر (مرجع سابق) ، صـ ٣٠٨ .
(١٧٢) المرجع الأسبق ، صـ ٣١٦ ، ٣١٧ .
(١٧٣) المرجع السابق ، صـ ٣١٩ .
(١٧٤) المرجع السابق ، صـ ٣١٩

١ ـــ ترابط عناصر الحياة ، سواء الطبيعية والمجتمع .
٢ ـــ الجديد ينبت من قلب القديم .
٣ ـــ التغيرات الكمية والتغيرات الكيفية .
٤ ـــ صراع الأضداد والمتناقضات[١٧٥].

٢ ـــ وليس سببا من أسباب الوجود ، فالدين الواحد أو الغالب بين مجموعة من الناس لا يستطيع أن يجعل هذه المجموعة قومية واحدة ، ولكنه داخل المجموعة يعتبر سببا من أسباب قوة الكيان وتماسكه ، " وهنا الفرق بين سبب الوجود وسبب القوة . الدين الواحد أو الغالب ليس سببا أو أساسيا للوجود القومي ، وإن كان سببا لقوة هذا الوجود "[١٧٦] والعناصر الأساسية لتكوين الوجود القومى تتمثل فى وحدة اللغة ، والتراث المشترك أو وحدة التاريخ ، والمصير المشترك أو وحدة الهدف .

٣ ـــ تقديم الإسلام بمفهوم وبنظرة خاصة ومعينة ، استنادا إلى ما جاء فى الميثاق الذى " تبنّي النظرية الماركسية كأساس ومنهج للتقدم "[١٧٧]. فالاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لإيجاد المنهج الصحيح للتقدم[١٧٨]، والصراع بين الطبقات حتمى ، والمجتمع الذى تصوغه الاشتراكية العلمية قادر على صياغة قيمه الأخلاقية الجديدة ، ولا تؤثر عليه القوي الضاغطة من العلل التى عانى منها مجتمعنا ردحا طويلا[١٧٩].

---

(١٧٥) المرجع السابق ، صـ ٣١٩ .
(١٧٦) منظمة الشباب بالإتحاد الإشتراكى : محاضرات المرحلة الثالثة ـــ مطابع التعاون ، صـ ١١٥ .
(١٧٧) منظمة الشباب بالاتحاد الاشتراكى: محاضرات المرحلة ح مطابع التعاون ، صـ ٦٢ .
(١٧٨) الميثاق قدمه الرئيس حمال عبد الناصر للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ١٩٦٢ ـــ مصلحة الاستعلامات (د . ت) ، صـ ٧٢ وراجع ، صـ ٧٤ ، ٧٥ .
(١٧٩) السابق ، صـ ١٠٨ .

٤ ـــ الإيمان بالتطور الاجتماعى ، وهذا التطور تحكمه قوانين علمية معينة يمكن استخلاصها من دراسة تطور النظم الاجتماعية وهذا التطور داخلى ينبع من ظروف المجتمع ، لأن المجتمع ونظامه القائم (الاشتراكي) يقدر على مواجهة التحديات .

والحركة الجماهيرية هي الوسيلة التى يتم بها هذا التغيير وتبرزها التناقضات ، وحلها لا يتم إلا بانبثاق النقيض ، فالمجتمع الرأسمالى لا تحل تناقضاته إلا عن طريق الملكية العامة لأدوات الإنتاج والتوزيع على أساس من المشاركة فى الإنتاج والتخطيط الشامل والسيطرة السياسة لأصحاب المصلحة فى التغير الاجتماعى"(١٨٠) .

وقد درس الدين وفسر طبقاً لهذه النظرة لدى كثير من المؤلفين والمفكرين ، فالإسلام لا يعارض الاشتراكية ، كما كتب بعضهم ، فى حين أن الاشتراكية بما تنطوى عليه من مبادىء ليست هى الإسلام ، بل تتناقض مع مبادئه الأساسية فالاشتراكية مادية ، تؤمن بالمادة ، وبقدرات الانسان ، ولا تؤمن بغيب ولا بدين ، فالدين أفيون الشعوب ، والإسلام فيه الإيمان بالغيب ، وله منهجه الكامل فى بناء الفرد والمجتمع وتوزيع الثروة ، وقد انتهت تجربة الاشتراكية بمآسيها وآلامها ورهبتها وقسوتها ، وإرهابها ، حتى

انتهى هذا كله بمأساة ١٩٦٧ واحتلت أراضى مصر ، وتحطم صنم الاشتراكية الذى صنعه عبد الناصر ونظامه ومراكز القوي التى التفت حوله ، وقد انعكس هذا كله بوضوح على المفكرين التربويين .

لقد " شرفت السجون والمعتقلات ومعسكرات التعذيب ، بعدد غير قليل من أساتذة الجامعات . ونشرت السلطات جو الارهاب والخوف فى داخل الجامعة كما نشرته خارجها "(١٨١) .

---

(١٨٠) محاضرات المرحلة الأولى ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

(١٨١) د . أحمد حسن عبيد : فلسفة النظام التعليمى ، وبنية السياسة تربوية ـــ الأنجلو المصرية ـــ ١٩٧٦ ، ص ٢٦١ ـــ ٢٦٤ .

انعكاسات وآثار الفكر التغريبي الاشتراكي على التربية في مصر :

نظر التربويون للاشتراكية على أنها صيغة جديدة للمجتمع المصري ، فهي " محاولة لإقامة مجتمع ينظر فيه الناس بعضهم إلى بعض كإخوة ويؤثرون التعاون على التنافس والتطاحن بمعناهما البغيض " وهي أكثر التنظيمات الاجتماعية احتكاما إلى العقل " و " أكثرها عدالة وكفاءة ، وذلك لضمانها استخدام الموارد الإنسانية والمادية على أساس من العقل ، وأنها السبيل الممكن والمنطقى لتقديم البشرية ، ثم إنها فى النهاية السبيل إلى إيجاد الحلول السريعة الفعالة لمشكلات الفقر والجهل والمرض التى قاسى ولا يزال يقاسى منها الملايين فى بقاع العالم " (١٨١) .

والاشتراكية العربية " بالذات ليست مجرد تصور يمكن أن تكون عليه الحياة فى مجتمع يحتكم إلى العقل والمنطق ، وإنما هى أسلوب سياسى واجتماعى واقتصادى يهدف إلى تحسين الأحوال المعنوية والمادية للجماهير وإلى تحقيق رخاء الجماهير ، وتوفير فرص متكافئة للناس جميعا فى الحياة "(١٨٣) فقد وجدوا أنها أنسب حل للمشكلات وآمنوا بها سواء عن قناعة شخصية ، أو لأن السلطة آمنت بها واتخذتها طريقا لها .

وكثيرهم الذين كتبوا فى هذا المجال ، ويهمنا أن نتناول دراستين هما دراسة الدكتور محمد الهادي عفيفى فى كتابه (التربية والتغير الثقافى) ودراسة الدكتور محمد جمال صقر (الاشتراكية والتربية) . فالدكتور محمد الهادي ، يتولى توضيح المبررات التى بها كان من الضرورى اتخاذ هذه

---

(١٨٢) د . محمد جمال صقر : الاشتراكية والتربية ــ مطابع دار الكتاب العربى بمصر (د . ت) ، صـ ١١ .

(١٨٣) المرجع السابق ، صـ ١٢ .

الفلسفة ، إذ أن فلسفتنا القومية نشأت " بفعل الثورة الشاملة التى أخذنا بها حياتنا ، ونعيش فيها " (١٨٤) .

وثم كان الأخذ بالتفكير الفلسفي الواسع المعتمد على الخبرة الأجتماعية . والواقع الاجتماعي ، والذى تصدى " إلى صياغة المجتمع على نحو جديد ، فكان تفكيرا متكاملا لأنه نظر إلى جميع جوانب الحياة فى تشابكها وتكاملهاوكان جذريا لأنه سبر غور المشكلات من أجل اقتلاع جذورها وعدم الاكتفاء بمعالجة أغراضها ، وكان تفكيرا إيجابيا لأنه سعى من وراء تحليله لأوضاع هذه الخبرة إلى رسم صورة واضحة لمجتمع جديد ، وكان تفكيرا سريعا لأنه قام على أسس ملاحقة عوامل التغير الثقافى الذى يحرك الأوضاع داخل المجتمع وخارجه ، وكان تفكيرا شعبيا ، لأنه نبع من حاجات الجماهير ومطالبهم ، من أجل الوصول إلى مستويات أفضل لها فى الحياة والمعيشة " (١٨٥) .

ويذكر أن بناء الفلسفة الأجتماعية الجديدة ، أعتمد على تحليل واسع للأوضاع الثقافية كلها ، يكشف عيوب المجتمع ونقائصه ومعوقاته ، ومتناقضاته وانفصالياته وثنائياته الاجتماعية والفكرية ، وأثر الماضى فى التضارب والتناقض ، ووضحت القيم الهابطة التى تعوق حركة المجتمع من أجل التغيير والبناء ، ويوضح السلبيات فى المجتمع (١٨٦) ، ويذكر بعد ذلك ، أن التفكير خرج " من هذا التحليل بأن مواجهة هذه الأوضاع من أجل تغييرها لا يمكن أن يتم بالمنطق التقليدى الشكلى أو بالحلول التى أثقلت كاهله ، وهى الوسيلة الوحيدة أيضا لمغالبةالتخلف الذى أرغم عليه نتيجة للاستغلال وعوامل القهر ، وهى الوسيلة الوحيدة كذلك لمقابلة التحدى الكبير الذى فرضته الكشوف العلمية الهائلة والتى ساعدت على مضاعفة الفوارق بين المجتمعات المختلفة ، وقامت هذه الفلسفة على أساس

(١٨٤) د . محمد الهادي عفيفى : التربية والتغير الثقافى — ط ٣ — الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٧٠ ، ص ٢٥٢ .

(١٨٥) المرجع السابق ، صـ ٢٥٢ .

(١٨٦) المرجع السابق ، صـ ٢٥٣ — ٢٥٦ .

أن الثورة هى الجسر الوحيد الذى يتمكن به المجتمع من الانتقال بين ما كان فيه وبين ما يتطلع إليه ، وتعويض ما فاته من تخلف طويل فى وقت قصير ،، [١٨٦] . فكان أن صاغ هذا التفكير صورة جديدة للمجتمع تدفع الحاجز للوصول إلى مستقبل أفضل ، ويتبني المؤلف فكرة الثورة الاشتراكية ودعوتها للحرية والاشتراكية والوحدة ، باعتبارها تغييرات جذرية للوصول '' إلى الاشتراكية كفلسفة وأسلوب حياة باعتبار أن الاشتراكية بما تستهدفه من كفاية فى الإنتاج وعدالة فى التوزيع [١٨٨] تكفل تحقيق الرخاء فى المجتمع ، بتلبيتها الحاجات الملحة للجماهير ، وتكفل القضاء على الثنائيات والتناقضات فى المجتمع .

ويعرض المؤلف لمميزات هذه الفلسفة ، من وجهة نظره ، بها تلتحم الوسائل بالغايات [١٨٩] ، وتأخذ بمبدأ التخطيط وتجعله اتجاها عقليا [١٩٠] ، ويعبر عن هذه الفلسفة التربوية الميثاق الوطنى ، ولذا فتوجيه '' التربية فى إطار هذه النظرة الفلسفية الاشتراكية الديموقراطية يجعلها السبيل إلى القضاء على جميع الثنائيات والمتناقضات والانفصاليات الاجتماعية التى تعالجها القومية .

فهى السبيل إلى '' تنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة ، عميقة فى إحساسها بالإنسان ، هادفة فى تعبيرها عنه ، قادرة بعد ذلك كله على إضاءة جوانب فكره وحسه وتحريك طاقات كامنة فى أعماقه ، خلاقة ومبدعة ، فينعكس أثرها بدورها على ممارسته للديموقراطية وفهمه لأصولها وكشفه لجوهرها الصافى النقى .

---

(١٨٧) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(١٨٨) المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

(١٨٩) المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

(١٩٠) المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

وهى السبيل إلى النضج الثقافى والوضوح الفكرى ، قضاء على عوامل الرجعية والجمود وتخلصا من مظاهر وأخطار المراهقة الفكرية ...

وهى السبيل إلى صنع المستقبل على النحو يرجوه أبناء المجتمع فى ضوء مطالب التغير والتجديد ، فإن صناعة المستقبل تعنى فى الدرجة الأولى تربية " هدفها تمكين الإنسان الفرد من القدرة على إعادة تشكيل الحياة " فالتربية مطالبة بأن تكون ثورية ، تستوعب المفاهيم الثورية الجديدة للديموقراطية والاشتراكية ، وتختار من الوسائل السليمة التي تؤثر بها فى تكوين المواطن[١٩١]. والقيم التى يجب على التربية أن تحققها فى المواطن ، هى :

" الإيمان بالتفكير العلمي . كسبيل لدفع الشك والسلبية والجمود ، وكطريقة لتمكين الفرد من إعادة صياغة حياته من جديد وفق أمانيه الاجتماعية .

ــ الإيمان بالعقل والإنتاج .
ــ المبادرة الفردية التى ينبغى أن تقوم على العمل لا الانتهاز وعلى المخاطرة لا الاحتكارات .
ــ الإيمان بالحرية .
ــ الإيمان بالتخطيط كاتجاه عقلى .
ــ الإيمان بالتاريخ وأثره على الإنسان فى تحريكه وتوجيهه .
ــ الإيمان بوحدة الحياة وبعضوية العلاقات بين الأفراد وارتباط مصلحة الفرد بمصلحة المجموع "[١٩٢].

فوظيفة التربية فى نظره ترجمة هذه الفلسفة إلى واقع ، باعتبارها إطارا

(١٩١) المرجع السابق ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .
(١٩٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

عاما للحياة والتربية ، وهو فى هذا يعتبر فلسفة مجتمعنا هى الفلسفة الاشتراكية التى نادى بها الميثاق . وإن كان قد صبها فى قالب الفلسفة التجديدية . ومن هنا تأتي دعوته إلى مجتمع عصرى عن طريق التربية ، وإلى تربية عصرية عن طريق دراسة خصائص المجتمع العصري ، وإن كان قد ذكر في بعض الأحيان ، أنه لابد من الدراسة الواعية للخصائص الجوهرية الأصيلة للمجتمع المصرى ومحاولة إستغلالها استغلالا حسنا ، إلا أنه لم يأخذ الخطوة الفعالة فى هذا الطريق .

أما الدكتور محمد جمال صقر ، فيعلق الآمال على المنهج الاشتراكى ، لأن الاشتراكية تفتح الآمال الكبيرة أمام الإمكانيات الفردية وتحمل الإنسان المسئولية أمام نفسه وأمام الجماعة ، تجاه مستقبله وحياته ، وتفتح الباب أمام الذكاء لخلق قيم وحقائق جديدة ومتجددة دائما [١٩٣]، ومن الذين تتكون منهم الجماعة الإنسانية [١٩٤] . " ويرى أن التربية فى المجتمع الاشتراكى " ينبغى أن تحقق هدفا مزدوجا .

أ ــ العمل على إعداد الإنسان إعدادا يمكنه من التلاؤم السريع والمؤكد مع الحياة الجديدة ، وذلك عن طريق تنمية الدوافع وتكوين الاتجاهات اللازمة لهذا النوع من التكيف ، وسيكون إدماج الفرد فى الحياة الاجتماعية ومشاركته فيها مشاركة فعالة ، هو الوسيلة التي تكشف للفرد عن القيم التي تعمل على بناء شخصيته ، وسوف تعمل التربية الاشتراكية علي إتاحة الفرصة للطفل والتلميذ لكى يعتاد الاستقلال فى الرأي والتفكير وأن يتمكن من التكيف دائما مع الحياة فى مجتمع دائم التطور . .

ب ــ خلق الوعي الاجتماعي لدى الأفراد وتنمية الشعور بالمسئولية نحو الغير ونحو المجتمع ، وكلاهما يعتبر أساسا للتضامن المقصود الذى

(١٩٣) د . محمد جمال صقر (مرجع سابق) ، ص ٢٠ ــ ٢١ .
(١٩٤) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

هو أساس التقدم الاجتماعى وكلاهما أيضا لازم لتقبل الأفراد لواجباتهم ، ولاكتساب العادات الاجتماعية عن طريق تكوين ذاتية الفرد وإحلال هذا الأسلوب محل تعلم الحياة الاجتماعية عن طريق التدريب كما تفعل التربية التقليدية[١٩٥]

وهذه التربية الاشتراكية تعبر عن الحركة التربوية التى تتلاءم بفلسفتها وروحها وأساليبها وأهدافها ومناهجها وطرقها مع مطالب المجتمع الجديد وحاجاته ، وهى حركة علمية وعملية '' تقطع كل صلة لها بالروتين القديم وتجعل التربية والتعليم عملية إنسانية واجتماعية معا ''[١٩٦].

ويعرض لأهم خصائصها ومميزاتها ، فالمدرسة طبقا لهذه التربية ، تعتبر مركزا للحياة الاجتماعية بكل ما فيها من مظاهر يكتسب فيها الطفل روح التضامن والشعور بالمسئولية المتبادلة ، على أساس الاحترام والمنفعة المتبادلة بين أفراد الجماعات التى تعمل لتحقيق أهداف مشتركة . إذ هى تعمل على خلق جيل جديد أكثر تعاطفا من الجيل الجديد ، وأكثر ميلا إلى التعاون وأكثر تفكيرا فى المشاكل الاجتماعية '' ولكي تحقق التربية أهدافها ينبغى أن تستبدل الطاعة والخضوع فى أسلوب المعاملة وتنظيم العلاقات الإنسانية بين الأفراد بما يمكن أن نسميه '' '' السلوك المسئول ''[١٩٧]وهى محاولة لمد النشاط التربوي إلى ميادين كانت تعتبر حتي الآن على هامش الثقافة الحقيقية ، كالعمل اليدوى ، والمهارات الفنية ، وإزالة الفوارق بين العمليات العقلية والعمليات اليدوية '' وفقا لما قرره أصحاب النظريات الحديثة فى التربية ''[١٩٨].

---

(١٩٥) المرجع السابق ، صـ ٢٩ ، ٣٠ .

(١٩٦) المرجع السابق ، صـ ٣١ .

(١٩٧) المرجع السابق ، صـ ٣٢ .

(١٩٨) المرجع السابق ، صـ ٣٣ .

وهى تأكيد للعمل اليدوي والذكاء العملي أكثر من العمل والذكاء النظري ، وعلى هذه الأسس يجب أن تستجيب نظم التعليم لمطالب مجتمعنا الذي هو فى حالة تغير جذري ، والذى حل فيه " التضامن العضوي " عن طريق الكفاية والتنوع محل " التضامن الآلى "[199].

والثقافة فى المجتمع الاشتراكي تعني " اتجاهات عقلية واستعدادات ذهنية أو قدرات على الفهم تعمل التربية على تحقيقها لدي الأفراد لكى توصلهم عن طريقها إلى التفكير السليم الواضح المنظم والذي يتيح الفرصة لصاحبه للحصول على مزيد من المعلومات والمعارف التى تمكنه من مواجهة المواقف المتعددة التى تعترضه فى الحياة ، وإذا كانت الثقافة التقليدية هى التى تلاءمت مع مجتمع كان يظن أنه مستقر إلي حد ما فقد أصبحت لا تتلاءم مع مجتمع يتطور مع التقدم الحديث فى مجالات المعرفة "[200].

ومن هذا المنظور يتناول بناء المناهج فى المدرسة الاشتراكية ، والتى تقوم على أساس العمل الإنتاجي ، باعتباره مركز الاهتمام الذى تنظم حوله المناهج الاشتراكية فى التربية ، فالعمل والإنتاج هما مصدر اكتساب المعرفة الحية ووسيلة لإعداد الفرد للحياة الجماعية ، فالعمل هو أساس العلاقات الاجتماعية وتكمله دراسة القوانين الطبيعية التى تسيطر أو تنظم هذه العلاقات ، وكذلك التركيبات العليا الاجتماعية التى تنظم كل واحد من صور وأشكال هذه العلاقات فالمناهج تقوم إذن على فكرة أساسية هى أن الحياة عملية تفاعل مستمر ومتطور عن الفرد والبيئة التى يعيش فيها ، وهذه البيئة مادية طبيعية أولا ، ثم تأتى البيئة الاجتماعية المكونة من مادة ملموسة محسوسة ،أو مجردة تتكون من الأيديولوجيا والأمانى التى يدرك المجتمع

---

(199) المرجع السابق ، صـ ٣٥ .

(200) المرجع السابق ، صـ ٤٧ .

عن طريقها أن له ثقافة معينة[٢٠١].

وللمناهج وجهان : وجه عقلي ووجه اجتماعى ، والعقلى ، وهو بعيد الغور يصل إلى الأعماق ، يهتم بالجانب الذاتي دون إهمال للجانب الموضوعي ، وهو ما يتصل بحياة المجتمع من قيم ومعايير يتحتم أن يشترك الطفل فى التعرف عليها ، ومعرفة تطورها وأسرارها ، وبذلك يمكن أن تتلاءم المدرسة ومناهجها مع حاجات الطفل ومطالب المجتمع .

فهى تقدم المعرفة على أساس ميول الطفل وذكائه ، وتعريفه بأحسن الوسائل لإيجاد الحلول للمشكلات والصعاب التى تواجهه فى حياته ، وتهيىء له الفرصة للتدرب على الاستجابة ببراعة ومهارة إلى مثيرات البيئة الطبيعية والاجتماعية على أساس علمي متين ،وصولاإلى فهم دقيق للعالم ، والتعرف على القوانين التي تحكم الأشياء والكائنات لكى يدرك وضعه فى الطبيعة والمجتمع ، الذى يقوم على قوانين تنظمه مثلما تقوم الطبيعة على قوانين تنظمها ، باعتبار أن الإنسان أرقي الكائنات الحية التي تعيش فى الطبيعة ، ويكون المجتمع البشري ويتفاعل مع البيئة عن طريق السيطرة على الطبيعة والتعرف عليها بدراسته[٢٠٢].

ويظهر الهدف الأساسي للمدرسة الاشتراكية والتربية الاشتراكية ، من قوله إنه '' إعداد المواطن الذى يكافح من أجل بناء وحماية النظام الاشتراكي '' وذلك لأن '' الجماعة البشرية لا تعيش فى الفضاء ولكنها تعيش وتنمو فى بيئة ، وهذه البيئة هى الطبيعة . والإنسان كائن ضعيف لا يستطيع أن يستخلص من نفسه ما يحتاج إليه لبناء كيانه وتوفير رفاهيته ، ولن يستطيع إشباع المطالب الضرورية لحياته إلا بالبحث عن الموارد الطبيعية

(٢٠١) المرجع السابق ، صـ ٩٨ .
(٢٠٢) المرجع السابق ، صـ ١٠٣ .

في الكون من حوله . والمجتمع الذى لا يتكيف مع الطبيعة ولايتلاءم مع البيئة التى تحيط به لا يلبث أن يفني ويموت . والمقصود بالتكيف هو استغلال البيئة بقصد استخراج كل ما يستهلكه الفرد . والعمل هو الوسيلة والسبيل للربط بين المجتمع والكون والطبيعة ، وعن طريق العمل يستطيع أفراد المجتمع استخلاص الطاقات الطبيعية وتسخيرها لخدمة الإنسان ، والعمل يمثل التكيف الفاعل للإنسان مع البيئة الطبيعية التى يعيش فيها ''[٢٠٣].

والتربية الأخلاقية ينبغي أن تتم فى إطار العقلية الاشتراكية ، وهى لا تعترف '' بالمبادىء الأخلاقية البعيدة عن المجتمع الإنساني ، بل لا وجود لها فى نظر الاشتراكية ، وتعتبرها لونا من ألوان الافتراء ، وأخلاق الاشتراكية تخضع دائما لمصالح ومطالب المجتمع الجديد . وأدب الأخلاق بالنسبة للاشتراكية ينحصر فى كل ما يستخدم لهدم مجتمع الاستغلال وتوحيد الجهود من أجل بناء المجتمع الجديد . والمقصود بالأخلاقية الاشتراكية هو مساعدة الطفل علي أن يتكون لديه الوعي عن طريق التجارب والخبرة ، وعن طريق ملاحظة الآثار التى تثيرها فى حياته وحياة غيره بعض الأفعال والأعمال ، وبعض الانفعالات وبعض العادات ، لكي يدرك التفرقة بين الخير والشر ويتجه بطريقة محسوسة نحو التعاون والتضحية من أجل الصالح العام ''[٢٠٤].

وينتهى بالتوصية بإدخال '' الأيدلوجية الاشتراكية '' ضمن المناهج حتى تتحول المفاهيم إلي عقيدة وتتحول العقيدة إلي سلوك ، وبذلك تتحول الشعارات إلي أعمال وبضرورة أن تكون '' المناهج فى خدمة المذهب الاشتراكي وعليها أن تجعل العقيدة جزءا من تفكير الشباب وأن تدربهم علي ألوان النشاط الذي يحقق الإيمان بالاشتراكية فى أعمالهم . والإيمان شيء

(٢٠٣) المرجع السابق ، صـ ١٠٥ .

(٢٠٤) المرجع السابق ، صـ ١٢٢ ـــ ١٢٣ .

أكثر من المعرفة حتي القائمة علي الذكاء . فالإيمان ينبثق من القلب بل من جميع حواس ومشاعر الفرد ، وقد يصل الإيمان أحيانا إلي حد التضحية وبذل الذات ، ويبدأ بتوصيل الحقائق التي يصمم الفرد على خدمتها لأن ذلك يشرفه ويرفع من شأنه ''[(٢٠٥)].

وبهذه الطريقة '' يتشرب التلميذ والمواطن المبادىء ويمارسها عمليا بحيث تصبح جزءا من تكوينه النفسى ، وبذلك ينشأ الجيل الجديد مشبعا بالاتجاهات الاشتراكية والإيمان بالمبادىء الاشتراكية هو أهم ما ينبغى أن تبني عليه المدرسة رسالتها ولا بد أن تعمل المدرسة على غرس هذه المبادىء فى نفوس الناشئة وعلى تحويل المبادىء الاشتراكية إلى سلوك عملي فى الجو المدرسى العام وفى حياة التلاميذ اليومية وفى كل نشاط تعليمي داخل الفصل وخارجه ''[(٢٠٦)].

أما طرق التدريس فيحبذ الكاتب الطرق الجماعية ، ويجىء إعداد المعلم طبقا لهذه المبادىء أيضا ، باعتبار أن المعلم رسول الاشتراكية . وينتهى إلي أن الاشتراكية كطريقة شاملة للحياة ، ينبغي أن تكون ثقافتنا وإطار حياتنا ومؤسساتنا التعليمية والتربوية مترجمة ومعبرة عنها ، وتستلزم إعادة النظر فى القيم التي لا تزال يرزح تحت وطأتها المجتمع المصرى[(٢٠٧)].

ولم يكن هذان الاثنان فقط هما اللذان تناولا التربية الاشتراكية ، بل هناك كثير من الأستاتذة التربويين تناولوا الاشتراكية والتربية الاشتراكية للمجتمع المصري ، وهذا نموذج يعبر تعبيرا صادقا عما دار بخلد التربويين

---

(٢٠٥) المرجع السابق ، صـ ١٢٨ .

(٢٠٦) المرجع السابق ، صـ ١٢٩ .

(٢٠٧) المرجع السابق ، صـ ٢١١ .

الاشتراكيين المصريين ، إما مسايرة لاتجاه الدولة ، وإما قناعة شخصية ، وإما اعتقادا كاملا بها .

وقد أثمر هذا الاتجاه ثمراته بعد أن خرج الشباب المصرى فى بعثات علمية للاتحاد السوفيتى ، وجاءوا يحملون شهادات مختلفة واحتلوا مراكز قيادية فى توجيه العملية التربوية ، وكان أن وجهت التربية وجهة اشتراكية سوفيتية فترة من الزمن ، ساعدت وعمقت الخلافات الثقافية بين فئات الشعب المختلفة .

وبعد ..... هكذا نلاحظ تأثير الفكر التربوي العام فى الغرب على الفكر التربوى فى مصر ، ويمكن القول أن هذا الفكر التربوي اعتمد على الفكر التربوي الفرنسي مرة ، والإنجليزي تارة ، والألماني تارة ، والأمريكى تارة أخرى ثم كانت الاشتراكية ، وقد أثر هذا الفكر وذاك ، والتأثير الجزئي محمود إن كان فى نقل بعض الاتجاهات والتطبيقات العملية النافعة المفيدة ، ولكن التبني الكامل هو المشكلة الكبيرة التى مازلنا نعاني منها ، ورغم فشل التجربة الليبرالية فإن المفكرين التربويين في مصر لم يأخذوا العبرة منه ، واعتنقوا الاشتراكية وطبقوها فى التربية .

ولكنها مشكلة الاجتهاد المبتور ، والانبهار المستلب الذات ، فكما انبهر الرعيل الأول حين اتصل بالغرب وفكرته انبهر الخلف بالفكرة الاشتراكية وبالتربية الاشتراكية ، والاجتهاد هنا مرتبط بالتبعية السياسية ، وهذا ما نلاحظه فى حلقات تطور الفكر التربوي في مصر ، فهو تابع لأوربا ولفكرتها ولغرب أوربا وفكرتها وتربيتها أيام الاحتلال ثم هو تابع للفكر الأمريكي وقت نفوذ أمريكا فى الشرق وقصة المساعدات الأمريكية معروفة ، ووقت تحول الاتجاه السياسى إلى الاتجاه السوفيتى وتبني الفكرة الإشتراكية ، تبنت التربية فى مصر الفكرة الاشتراكية ، والتربية الاشتراكية . دون أدني محاولة من القائمين على هذه الاتجاهات لتأصيل الشخصية

المصرية استقاء من المنابع الأصيلة ، وهذا ما قام به فريق آخر من المفكرين .

ولا نحط من شأن الفكرة الغربية ولا الفكرة الشرقية ، فهى نافعة لأبنائها ، ولمواطنيها ، حققت أقصى فائدة ممكنة لهم ، ولا نحط أيضا من شأن المفكرين المصريين ، الذين نقلوا هذا الفكر أو ذاك إلى البيئة المصرية ، ولاشك أن لهذا فوائد لا تنكر ، ولكن نأخذ عليهم التبني الكامل دون التاصيل ، والاعتماد المباشر على معطيات الفكرة الغربية ، دون النظر إلى معطيات الثقافة المحلية .

وعموما يمكن الخروج من هذا الفصل بمايلى :

١ — أن التغريب نشأ فى أحضان دوائر الاستشراق والتبشير والاستعمار وهيئاته ، وهذه لا تخفى أهدافها التى حاولت بها طمس معالم الشخصية الإسلامية وتغييرها ، والتشكيك فى قدرتها وتخليتها عن مصادرها الأصيلة التى تستقى منها أصالتها وملامحها .

٢ — وكان معني التغريب :

— نبذ الشرق والعرب والإسلام . — تأسيس الدولة على أساس علماني .

— تأسيس المجتمع على أساس ليبرالي .

٣ — ورغم اعتماد الفكرة الغربية على عناصر تختلف عن عناصر وأسس الفكرة الإسلامية ، فإن هناك فريقا من المصريين اعتقدوا أن قطع مسافة التخلف إنما يكون باعتقاد واعتماد فكرة الغرب ، وهؤلاء إما تتلمذوا على الغربيين ، وإما أحسوا بالهزيمة الثقافية ، فتبنوا فكرة الغرب كاملة غير منقوصة . من أمثال لطفي السيد وطه حسين وسلامه موسي وغيرهم .

٤ ــ وكان لهذا الاتجاه آثاره على الفكر التربوى ، فقد حاول :

أ ــ إضعاف الشخصية المصرية الإسلامية ، وردها إلى قومية فرعونية .

ب ــ التشكيك فى ثقافة المجتمع الإسلامي .

ج ــ إبعاد اللغة العربية عن التعليم .

وقد ساعد علي هذا كله تأثر الدراسات التربوية الحديثة بالفكر الغربي والاتجاهات التربوية الغربية الحديثة .

أما الاتجاه الاشتراكي فقد تجسد فى مصر منذ إعلان القوانين الاشتراكية وظهرت آثاره التربوية بعد تناول التربويين له ، واعتناقهم التربية الاشتراكية القائمة على الفكرة الاشتراكية .

وفى كلتا الحالتين نلاحظ اعتماد الفكر المصري التربوي على الغرب وتربيته، والعجيب أن الفرصة أتيحت لهؤلاء جميعا وكاملة فأثروا فى النظام التعليمي ، فأصبح غريبا عن مشكلات المجتمع وثقافته . وبالرغم من هذا فإن هذا الاتجاه يتميز بالسطحية لأنه لم يغص وراء أصول وجذور التربية الغربية ، ولا وراء جذور الشخصية العربية ، ومهما يكن من أمر فإنه وقع فى أخطاء غريبه ، بالرغم من الاستفادة بالفكر الغربي فى بعض الاتجاهات التى تلائم الفكرة الإسلامية .

ويمكن أن نخرج من دراستنا بمايلى :

١ ــ أن اقتباس الفكر التربوي والتربية الغربية بدون ربط كاف بالقواعد القومية التى تشمل الدين واللغةوالتاريخ ، والفنون والآداب ، أوجد انشطاراً وثنائية فى الكيان الاجتماعي والفكري للشعب المصرى .

٢ ــ أن دوائر التغريب أهملت اللغة العربية ، ونتج عن هذا أن الطبقة

المتعلمة تميل فيما بينها إلي استخدام اللغة الأجنبية مع إهمال اللغة القومية والتشكيك فى قدرتها .

٣ ـــ أن العناية وجهت فى الغالب إلى المظهر أكثر من الجوهر ، ومن ثم فالطالب اليوم يعنى أشد العناية بالحصول على اللقب العلمي أكثر من اهتمامه وعنايته بالتحصيل والعمل الشاق فى البحث وراء الحقيقة .

٤ ـــ كان التركيز على الحفظ والاستظهار أكثر من التركيز على التفكير والفعالية والإبداع والبحث .

٥ ـــ وكان التأكيد على المباحث النظرية الأكاديمية دون المناشط العلمية والتكنولوجية ، وقد أوجد هذا اتجاها لدي الشباب فى أملهم فى أن يكونوا من أصحاب الياقات البيضاء . والتعالى عن المجتمع والغرور والافتقار إلى التكيف الاجتماعي .

٦ ـــ وأنتج جو مثل هذا فئات لا تعرف كثيرا ولا قليلا عن دينها ولا عن حضارة أمتها ، ومن يعرف شيئا عن هذا يعرفه بمفهوم غربي مشوه ، إذ أن جذورهم الروحية قد قلعت من تربة بلادهم ، وأصبحوا لا يقيمون وزنا للعادات ولا للآداب والقيم الإسلامية والقومية ، فأصبحوا ينغمسون فى التمتع بالشهوات ، ويمنون بالتحلل الخلقى ، وذلك راجع لعدم شمولية تربيتهم .

والحق يقال أن هناك فئات من هؤلاء قد رجعوا عن أفكارهم بعد أن تبين لهم الحق من الضلال ، وبعد أن درسوا مقومات ثقافتهم وعرفوا أصالة شخصيتهم .

* * *

الفصل السادس

الاتجاه الإسلامى

(*) تمهيد

(*) أولا : معني الاتجاه الاسلامي .

(*) ثانيا : أصوله ونشأته فى العصر الحديث .

(*) ثالثا : ملامح الفكر العام لهذا الاتجاه .

أ ــ الجانب العقائدى .

ب ــ الجانب الإنساني والاجتماعي .

(*) رابعا : ملامح الفكر التربوى :

أ ــ الرواد .

ب ــ مرحلة المجاهدين .

ج ــ الأبحاث التربوية المعاصرة .

تمهيـــد :

كانت الدعوة إلى تغريب الفكر الإسلامى والتربية المصرية على يد فئة عرفت الغرب وبهرها تقدمه ، وحاولوا صبغ الإسلام بالصبغة الغربية ، وذلك من خلال فهمهم الإسلام فهما غربيا ، وإلى جانب هؤلاء وجدت فئة لم تعرف إلا الثقافة الأصيلة فى صورها العتيقة ، ووقفوا موقفا جامدا ، وإن كان لهم فضل الدفاع عن هذه الثقافة والفكر الإسلامي .

وأمام إشكالية التقدم الغربى الحديث وجدت فئة دعت إلى إحياء مفاهيم الإسلام وتجديدها والرجوع إلى المصادر الأولى ، مع الاستفادة من الحضارة الغربية ، ويمكن القول أن هذه الدعوة وجدت الطريق على يد رواد الفكر الإسلامي فى العصر الحديث ، وكانت الحملة الفرنسية عاملا منشطا لها ، بعد أن جاءت بحضارة ومدنية أحدثت لدى المفكرين المسلمين ، إحساسا بالفجوة المدنية والحضارية ، فدرسوا العوامل والأسباب ، ورجعوا إلى الإسلام لاستلهام أصوله ، وإن استفادوا بخير ما فى الحضارة الغربية .

وكانت الدعوة فى أول أمرها قوية " تناقش وتجاهر برأيها ولا تنكمش[1] " ، تقاتل فى سبيل البقاء وإثبات وجودها ، وجاهد أقطابها طوال القرن التاسع عشر بأكمله والقرن العشرين وإلى اليوم ، رغم اختلاف صور الجهاد فى سبيل إرساء قواعد الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر ، عبر تجليات إسلامية صريحة .

ولكي تستبين الصورة ، نتناول هذا الفكر بالدراسة ، محاولين تجلية موقف المفكرين المسلمين فى الفكر العام ، وتجلية انعكاسات هذا الفكر الإسلامي الحديث على الفكر التربوى ...

---

(١) د. عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ،ص ٢٥٨ .

أولا : معني الاتجاه الاسلامي :

هو ذلك الاتجاه الفكرى الذى رأى أن تقدم الأمة إنما يتأتي عن طريق الاسلام الصحيح النقي من الشوائب والانحرافات ، والذى لايتعارض مع الأصول الأساسية من قرآن وسنة ، وفكر إسلامي صحيح ، ولايتعارض مع الفطرة . بمعنى أن هذا الفكر رأى أن التقدم الصحيح لايعني الانتماء الإرثي أو الجغرافي بل يرى أن الإسلام ''من حيث هو دين وثقافة وحضارة ، ينبغى أن يقوم بدور فعال فى توجيه الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية للفرد في مجتمع محدد أو للأمة في مجمل التجمعات البشرية على الأرض'' (٢) . وهو فى نفس الوقت يؤمن بدراسة فكر الغير ، والعلوم الحديثة والاتصال بالأمم المتقدمة للأخذ عنها ، وهو مايسمىَّ فى بعض الأحيان بحركة الإصلاح التوفيقي ، إذ هو ''لقاء آخر يتجدد بين تراث الشرق الأدني والعقل الأوربي'' (٣) باعتبار أن الصحيح والسليم من الحضارة الأوربية لايتعارض مع الإسلام فى شىء .

ثانيا : أصوله ونشأته :

وجد هذا الاتجاه قديما ، فى الفكر الإسلامي (٤) ، وفى العصر الحديث ، حاول الاستمداد من الفكر القديم ، وأصبح ذا ميزات واضحة ، مستمدا أصوله من منطلق معين هو أن الإسلام يمثل موقفا في قلب حركة التاريخ والحياة ''لأنه دعوة لاكتشاف قوانين الحركة والتوافق معها'' (٥) .

---

(٢) د . فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ١٠ .

(٣) د . محمد جابر الأنصارى : تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى (مرجع سابق) ، ص ٩ .

(٤) أنظر ص ٧٢ من الكتاب

(٥) د . عماد الدين خليل : ''الإنسان المسلم هو التقدمى '' ـــ الدوحة ـــ العدد (٥٨) ، أكتوبر ١٩٨٠ ، ص ٢٧.

بمعني أن الإسلام يُعْتَبَرُ دافعا لدراسة قضايا الحياة ، وكتاب الإسلام مستوعب لرءوس أقضية الحياة ، مادام الإسلام ''دينا شاملا'' ، دينا خالدا مستوعبا للزمان ، مستوعبا للمكان[٦] ومن ثم توجد فيه الإمكانيات لمواجهة التغيرات المختلفة والمحتملة ، وهو ملائم لمواجهة التغيرات والتطورات ، بدلالة أنه مازال موجودا فى حياة الناس ومعاملاتهم برغم مرور الزمن وتغير الحياة[٧] .

وأمام وضع الإسلام الإنسان فى قلب الطبيعة والحياة ، منفعلا بها ومتفاعلا معها ، وأمام تلازم العقل والبصيرة ، وتكامل العقل والوجدان ، بحيث لايحكم الإنسان بأحكام قطعية إلا بعد طول فكر ونفاذ رؤية وبصيرة ، وتمكن من المعرفة وأدواتها فإن الإنسان المسلم تلتقى ''حركته مع هدفه ، فإذا لم تلتق الحركة مع الهدف ، كان لابد أن يوجد القلق والاضطراب ، والحركة والهدف أمران يُحَتِّمان وجودهما على تصرف المفكرين ، فكل حركة فى الحياة لابد أن يكون لها هدف'' بمعنى أن ''يخرج عن أن يكون تقليدا ، ويخرج عن أن يكون جهلا ، ويخرج عن أن يكون شكا ، ويخرج عن أن يكون ظنا ، ويخرج عن أن يكون وَهْماً'' [٨] ومعني هذا أن حركة الإنسان أمام الظواهر الطبيعية والاجتماعية والحضارية لابد أن تكون عن علم يقينى ، ومن هنا كان أساس انفتاح المسلمين علي غيرهم ، فالمسلم لايقلد غيره دون أن يقتنع ، وبعد الاقتناع له أن يتبنى مايراه موافقا لتراثه ، ومفيداً له ومن إطاره الأصيل الذى زوده به الإسلام ، وذلك تجنيبا له وحماية من الاضطراب وضمانا للاستقرار ، ولذا كانت الثوابت والمعطيات الإسلامية هى المنطلق أمام المتغيرات الحياتية المختلفة .

(٦) الشيخ محمد متولى الشعراوى : الطريق إلى الله ــ ط ١ المكتب المصرى الحديث ــ رمضان ١٤٠٠ هـ ، ص ٢٦ .

(٧) أمين الحولى : المجددون فى الإسلام ــ ج ١ ــ ط ١ دار المعرفة ــ القاهرة ــ ١٩٦٥ ، ص ٣٨ .

(٨) الشيخ محمد متولى الشعراوى (المرجع السابق) ، ص ٩ .

فالإسلام يعتمد على ثوابت ، مع إتاحة الفرصة للفكر الإنساني ليعمل وينتج ويستفيد من خبرات الآخرين ، ولهذا وظيفته الحضارية تتمثل فى عدم فقدان التوازن الحضارى . فيميل تجاه الروح أو الأخلاق ، ويهمل ''التكييف والتطوير الماديين اللازمين لأية حضارة متوازنة''(٩) .

وعلى هذا يمكن القول بأن هذا الاتجاه نشأ فى أحضان الإسلام ، ويظهر فى العصر الحديث بعد الاحتكاك بالحضارة الغربية الحديثة ، وقد حاول قدر الإمكان أن يجد فى الإسلام مايرد به على هذه الحضارة ، بل وصياغة المؤثرات الوافدة صياغة إسلامية فى بعض الأحيان ، معتمدا على السلفية الأصيلة ، ويستند فى مجموعه على مجموعة من الركائز الأساسية هى :

١ ـــ نظرة صحيحة وسليمة للتراث وتقييمه فى ضوء الحاجات النفسية أو الاجتماعية أو العملية ، وعلى أساس منهجى سليم ، مدعم بكل ماوصل إليه العلم الحديث ، وتخلية التراث من كل دخيل ، بحيث يبين الجوهر الإسلامي الخالص ، وتتجلى الروح الإسلامية ، كما عاش بها أهلها الأولون ، قبل أن يضاف جديد ، على أن يكون الجديد نماء سليما للقديم ، وثمرة لقدرته على التطور ، ''لا أن يكون رقعة فى ثوب ، أو قلادة فى عنق ، قد تشوه أو تزين ، لكنها لاتذوب فى الكيان ، بل تظل بوجودها الخاص ، وحدودها المنفصلة(١٠)'' بمعني أن هؤلاء آمنوا بالتراث والتجديد ، ذلك التجديد الذى يتصل بالتراث فى إطلاقه ، كطاقة ''مختزنة عند الجماهير بدلا من وجود التراث كمصدر لطاقة مختزنة ، لاتستعمل أو تصرف بطريقة غير سوية على دفعات عشوائية في سلوك قائم على التعصب

(٩) د . عماد الدين خليل : الانسان المسلم هو التقدمى (مرجع سابق) ، ص ٢٨ .

(١٠) د . كامل سعفان : أمين الخولى فى مناهج تجديده ، (مرجع سابق) ، ص ٥٨ .

أو الجهل .. أو يستعملها أصحاب أفكار تثبيت الأوضاع القائمة لحسابهم الخاص'' (١١) .

٢ ـــ احتواؤه على عنصرين أساسيين هما : الأصالة والتجديد ، حيث تعني الأصالة ، الذاتية والابتكار والتخلص من التقليد الضار ، معبرة عن الخصائص الجوهرية التى تضرب بجذورها فى أعماق السنين ، باعتبارها خصائص تميز الفكر عن غيره ، وهكذا فمعناها يدور حول الطابع المميز المحفوظ المنحدر من بعيد عبر السنين .

فهو فكر أصيل معبر عن الروح التى تميز الإسلام والتراث الإسلامي الصحيح ، كما تعبر عن ذاتية الإنسان باعتباره مبتكرا مبدعا لأشياء جديدة ، وبهذا المعني لايكون اتجاه هذا الفكر هدما للقديم كله بمعني ''أن التطور لايمكن أن يبدأ من فراغ مع الجهل بتجارب الماضى ، فيخبط الإنسان فى متاهة عمياء ليس فيها أثر من معالم الخطوات السابقة على الدرب'' فهذا ''ضد طبيعة الأشياء ، وسنة النمو الحيوى ، إذ ليس الحاضر إلا ابنا شرعيا للماضي ، بقدر ماهو أب شرعى للمستقبل'' (١٢) وطبقا لهذا لاتعارض بين المحافظة والتطور أو بين التجديد والأصالة (١٣) .

٣ ـــ عدم النظر إلى التراث نظرة فوقية خارجية ، ليكون التجديد من خارج ، وذلك ''عن طريق انتقاء مذهب أوربي حديث أو معاصر ثم يقاس التراث عليه ، ورؤية هذا المذهب المنقول في تراثنا القديم وقد تحقق من قبل ، ومن ثم نفخر بأننا وصلنا إلى ماوصل إليه الأوربيون المعاصرون'' (١٤) ''ولكن النظر الصحيح ، الذى يتمسك به هذا الاتجاه ،

(١١) د . حسن حنفى : (مرجع سابق) ، ص ١٦ .
(١٢) د . عائشة عبد الرحمن : الشخصية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٦٨ .
(١٣) (المرجع السابق) ، ص ١٦٩ .
(١٤) د . حسن حنفى (مرجع سابق) ، ص ٣١ .

هو النظر الداخلي الذاتى عن طريق إبراز أهم الاتجاهات والجوانب التقدمية فى التراث ، والمستمدة من الأصول والمتوافقة مع الحقيقة الوحي ، سواء فى نظريات الإسلام فى الشوري أو فى الاقتصاد أو التشريع أو التربية ، ولكن فى تكامل وترابط فى نظرة كلية عامة للتراث فى محاولة لتنظير الواقع وتقديم حلول لمكونات مشكلاته أو تقديم النظرية المفسرة والتى تفسر الواقع من التراث أو من الواقع ، فكلاهما يحيل للآخر ويفتح طريق الإصلاح .

٤ ــ والفكر الإسلامي يحمل معنى التجدد الذاتي ، يقوم على الأصول الذاتية ، محافظا علي القديم ، ومضيفا ، وهو فى كل الأحوال ليس مقلدا ، لأنه ''ليس كل محافظة على القديم تقليدا ، ولا كل إضافة إلى القديم تجديدا'' (١٥) .

وقد كانت هذه مهمه صعبة أمام الاتجاه الإسلامي ، إذ أنه أدرك الصعوبة ، فاتخذ الواقع أساسا من حيث إن الثقافة الإسلامية والتصور الإسلامي قادر ''على تمثل ثقافات الشعوب المجاورة ، ووضعها فى قالبها لأنه القالب الأوسع شمولا ، والأكثر عقلانية ، ومن ثم لايؤثر الجزء على الكل ، بل يدخل الجزء ضمن الكل ، ويصبح متضمنا فيه'' (١٦) ومن هنا كانت نظرته التي انطلق منها ، فالإسلام نظام ملائم لكافة متطلبات الحياة ، حامل لأسس المواءمة بين الأصول وظروف أي عصر من العصور .

وكانت البداية على يد رفاعة الطهطاوى ، الذى اتصل بالحضارة الغربية ، ورأى التقدم الغربي فى العمران والعلوم ، إلا أن ذلك ''لم يبهره ولم يفقده شخصيته ، ولم يطمس فيه ملكة النقد والتحليل'' (١٧) . فقد حلل الحضارة الغربية ، وكشف منابعها الأولى ، وحدد خصائصها ، على

(١٥) د . طه حسين : تقليد وتجديد ــ ط ١ ــ دار الملايين ــ بيروت ــ ١٩٧٨ ، ص ٢١ .

(١٦) د . حسن حنفى (مرجع سابق) ، ص ١٠٨ .

(١٧) د . عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ٢٥٩ .

أساس ثقافته العربية الأصيلة ، فالحضارة الغربية ترتد إلى حضارة الإغريق ، لأنها ''مبنية علي عادة جاهلية اليونان وتأليههم مايستحسنون ، فيقولون مثلا : إله الجمال ، وإله العشق ، وإله كذا ، فألفاظهم فى بعض الأحيان كُفْرِيَّةٌ صريحة'' (١٨) .

ويقرر أن الحضارة الغربية تقوم على العقل ، وتعلى من قدر الفلاسفة فوق قدر الأنبياء (١٩) ، وفى الناحية الأخرى يؤكد دور الدين فى بناء الحضارة الإسلامية (٢٠) ، مدركا الفارق بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية (٢١) . وفهمه لدور الدين فى بناء الحضارة الإسلامية ، يدل على فهم رفاعة للإسلام فهما دقيقا ، وهو لايقف من الحضارة الغربية موقف العداء ، ''بل يدعو إلى أخذ أفضل ماعندها'' (٢٢) ويسجل ما استحسنه من عوائد الفرنسيين فى إطار العقيدة الإسلامية ، يقول ''وقد أشهدت الله سبحانه وتعالى على ألا أحيد فى جميع ماأقوله عن طريق الحق وأن أفشي ماسمح به خاطري من الحكم على استحسان لبعض أمور هذه البلاد وعوائدها علي حسب مايقتضيه الحال ، ومن المعلوم أني لاأستحسن إلا مالم يخالف نص الشريعة المحمدية ، علي صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التحية'' (٢٣) ، وبهذا يبرهن رفاعة علي أن ''اصطدامه بالحضارة الغربية لم يُذْهِب لُبَّه ، أو ينحرف به'' وقد حاول أن يثري الروافد ويوائم بين الفكر الإسلامي وبين

(١٨) رفاعة الطهطاوى : تخليص الابريز فى تلخيص باريز ــ ضمن الجزء الثانى من الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى ــ (دراسة وتحقيق محمد عمارة) ــ ط ١ ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ أكتوبر ــ ١٩٧٣، ص ٨٩ .

(١٩) راجع : (المرجع السابق) ، ص ٧٩ .

(٢٠) راجع : رفاعة الطهطاوى : مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية ــ ضمن الجزء الأول من الأعمال الكاملة ــ ط ١ ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢٥٠ .

(٢١) راجع : (المرجع السابق) ، ص ٣٣ .

(٢٢) د . عبد الحميد إبراهيم (مرجع سابق) ، ص ٢٦٠ .

(٢٣) رفاعة رافع الطهطاوى : تخليص الابريز . (مرجع سابق) ، ص ١١ .

''روح العصر على نحو كان أرضية وقاعدة لكل من جاء بعده من المفكرين والمجددين'' وأولى اهتمامه ''بالعمران وتجديد المجتمع والتربية ، ونقل المؤلفات الغربية ، التي تحتاج إليها نهضة الفكر الإسلامي ، كما انتفت إلى جانب هام جعله أكبر همومه ، فقد رأى أن يسهم في العمل على تعميق اليقظة عن طريق العلم والمعرفة ... وقد حرص في كل آثاره وإنتاجه بين عناصر الفكر العربي الإسلامي وبين عصارات من الثقافة الغربية وأن يمزج بينهما مزجا دقيقا إيجابيا'' (٢٤) .

ومن هنا فإنه يدعو إلى الأخذ عن الإفرنج والمتأخرين ، ويسند هذه المهمة للعلماء ، لأن تلقى العلم ''من أفواههم أتم وأنظم ، لاسيما وأن هذه العلوم الحكمية العملية التى يظهر الآن أنها أجنبية ، هى علوم إسلامية ، نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية ولم تزل كتبها إلى الآن فى خزائن ملوك الإسلام كالذخيرة ، بل مازال يتشبث بقراءتها ودراستها من أهل أوربا حكماء الأزمنة الأخيرة'' (٢٥) .

فهو يدعو صراحة إلى الأخذ بما عند الغير من علوم نافعة لتقدم العباد والبلاد ، وهي رؤية جديدة تعود إلى أصول إسلامية يقصد بها بناء قاعدة فكرية أساسية تتناول القديم والمستحدث ، والهدف هو بعث الأمة ، وإيقاظ العقول لاتباع الحق ، وإيقاظ ديار الإسلام ، فهو يهدف من كتابه تخليص الإبريز حث ديار الإسلام على البحث عن العلوم ''والفنون والصنائع ، فإن كمال ذلك ببلاد الإفرنج أمر شائع والحق أحق أن يتبع'' ويقصد إلى أن ''يوقظ من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم'' (٢٦) لأنه أحس بحاجة ''أمته إلى نقلها إلى الفكر الإسلامي والثقافة العربية رغبة فى القضاء

(٢٤) أنور الجندى : اليقظة الإسلامية (مرجع سابق) ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢٥) رفاعة رافع الطهطاوى : مناهج الألباب المصرية (مرجع سابق) ، ص ٥٣٣ ــ ٥٣٤ ، وراجع ص ٥٨٢ ــ ٥٨٣ .

(٢٦) د . محمود فهمى حجازى (مرجع سابق) ، ص ١٤١ .

على مرحلة الضعف والجمود ، وقد التمسها وفق فلسفة أساسية هى أن هذه المبادىء فى الحرية السياسية والاجتماعية هي ذات جذور أصيلة فى الفكر الإسلامي'' [٢٧] .

ويتبين من كل ماسبق أن الفكر الإسلامي ، إنما يعود فى العصر الحديث بداية على يد محمد بن عبد الوهاب والشوكاني ، ثم بعد ذلك فى رفاعة الذى دعا إلى تمثل الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ، واستطاع أن يعطى نظرة متكاملة لهذا الاتجاه فى الفكر الإسلامي الحديث ، ثم أتت الجهود بعد ذلك على هذا الدرب .

ثالثا : الملامح العامة للفكر الإسلامي فى العصر الحديث :

هناك ملامح عامة للفكر الإسلامي فى العصر الحديث فى مصر يمكن أن نلخصها فيما يلى :

١ ــ الجانب العقائدي :

قام أصحاب الاتجاه الإسلامي فى العصر الحديث بدور بالغ الأهمية فى القضاء على الشوائب التى شابت العقيدة الإسلامية حيث عنوا ''بتخليص التوحيد من الكدر الحسي الشخصي الذى أغرقه فيه جهل عامة المسلمين'' [٢٨] وقدموا مفهوما للتوحيد يتلاءم مع الحقيقة الوحي ، حيث أصبح ذا مضمون ''نفسى اجتماعى عميق ، فهو فى الحقيقة توحيد''محرر''بكل معنى الكلمة ، فهو محرر من الخرافات والأوهام أي من سلطة اللاموجود ، وأخطر من ذلك أنه محرر للإنسان من سلطة الإنسان نفسه ، وهذا تحرير لايعدله ــ اجتماعيا ــ أي تحرير آخر'' [٢٩] .

---

(٢٧) أنور الجندى : اليقظة الإسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٥٦ .

(٢٨) د . فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ١٩١ .

(٢٩) المرجع السابق ــ ، ص ١٩٢ .

وهذا ماقام به جمال الدين ومحمد عبده وغيرهما ، ممن قاموا بإجلاء الجانب العقدي للإسلام بعد أن ''غشيته غاشية سوداء ، فالتبست الوحدانية التى علمها صاحب الرسالة الناس ، سجفا من الخرافات ، وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين ، يخرجون من مكان إلي مكان يحملون فى أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات'' (٣٠) . وقد كان هذا العمل تطهيرا للمجري وتخليصا من الشوائب ، وهذا ماقام به محمد بن عبد الوهاب وجاء بعده من أضاف وزاد :

أ ـ فجمال الدين الأفغانى يدلل علي '' أن الفاعلية لعقيده التوحيد هي فاعلية اجتماعية تمدنية'' إدراكا منه لدور التوحيد فى تحقيق الدور الحضاري ، فهو يقف على عيوب المجتمع الإسلامي ، ويعدد أشكال الضعف فيه ، ويقترح العلاج فيقول : ''فلا يحتاج القائم بإحياء الأمة إلا إلى نفخة واحدة يسرى نفسها فى جميع الأرواح لأقرب وقت ، فإذا قاموا لشؤونهم وضعوا أقدامهم على طريق نجاحهم ، وجعلوا أصول دينهم البحتة نصب أعينهم ، فلا يعجزهم أن يبلغوا فى سيرهم منتهي الكمال الإنساني'' (٣١) ورأى أن أكبر خطر يهدد المجتمع الإسلامي ، هو الخطر الآتى من قبل الدهرية والمادية ، ولذا رد عليها وألف رسالة الرد علي الدهريين (٣٢) ، ومع اهتمامه بإرساء قواعد الدين ، فإنه رأى أن ''أسلوب الاستعمار الغربى فى البلاد الإسلامية ، يتخذ صورا مختلفة للقضاء على

---

(٣٠) الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الدر النضيد على كتاب التوحيد ـ (شرح وتعليق سعيد الجندول) ـ ط ٤ ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م ، ص ٢١ .

(٣١) جمال الدين الأفغانى : الأعمال الكاملة ـ (تحقيق محمد عمارة). المؤسسة المصرية العامة ـ القاهرة ـ (د . ت) ص ٤٤٨ .

(٣٢) راجع : المرجع السابق ، رسالة الرد على الدهريين ، ص ١٧٠ .

الشخصية الإسلامية التى مصدرها القرآن ، والتى تجمع بين المسلمين فى رباط واحد ، وأخطر صورة رآها بين الصور ، تلك الصورة التى تسعى لإفساد عقيدة المسلم ، إما بتشكيكه فيها ، أو بمحاولة صرفه عنها ، وعني بذلك المذهب الطبيعي ـــ وهو ماسماه بمذهب الدهريين فى الهند ـــ وهو سلاح ضد المسلمين ، ضد قوتهم في وحدتهم ، وهو مصدر هذه القوة ، وهو الإسلام ، وخطورة هذا المذهب على الإسلام فى نظر جمال الدين ـــ وإن كان تحديا للدين من حيث هو دين ـــ أن الذين يدعون إليه ... لبسوا ثوب المسلم وتصدوا إلى إضعاف المسلم بالذات فى عقيدته'' [٣٣] .
ومن هنا كانت رسالته ، وتحذيره من العقيدة المشبوهة ، التي تؤدي إلى نتيجة عكسية تماما لقصد الدين الحقيقى [٣٤] ، ومن ثم قصد إلي تعديل المفاهيم فيما يتعلق بعقيدة القضاء والقدر ، وتعديل مفاهيم التقليد إلي التقليد الواعى ، وعاب علي المقلدين وأنكر أحوالهم .

ب ـــ أما الإمام محمد عبده فقد ألف ''رسالة التوحيد'' والتى تعتبر استئنافا كليا لنشاط الفكر الإسلامي ، ورغم إلحاحه علي العقل ودوره فى العقيدة والحياة ، إلا أنه يجعله مرحلة من مراحل المعرفة ، حين يقرر أن العقل ''البشرى ليس فى استطاعته أن يبلغ بصاحبه سعادته فى هذه الحياة'' [٣٥] ، وقد استطاع الإمام أن يجمع خلاصة الآراء والأفكار السابقة وترجم عنها فى رسالته ، بحيث يمكن القول بأن تحرير العقيدة لديه يتمثل فى أنه طاقة محررة ، تنعكس فى : أولا : معنى الرد المستمر إلى ''الله'' وحده ، ومعنى الشهادة بالذات ، اجتثاث جذور الفتن بكل صورها

(٣٣) د . محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعماز الغربى (مرجع سابق) ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٣٤) راجع : جمال الدين الأفغانى : الأعمال الكاملة ـــ القضاء والقدر ، ص ١٨٤ .

(٣٥) د . محمد عماره : رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ـــ كتاب الهلال ـــ رقم (٣٥٥) ـــ يولية ١٩٨٠ ، ص ٧٢ .

وأشكالها ، أى تطهير العقول من الأوهام الفاسدة والعقائد الخرافية ، والارتفاع بالإنسان إلى أسمى مراتب الكرامة ، وثانيا : رد الحرية إلى الإنسان وإطلاق إرادته من القيود التى تكبلها ، وهذا يعنى تساوى الناس ، ورد التفاوت إل العقول والمعارف والفضائل والعمل العقلى .وثالثا : حرب على التقليد وخلع لأصوله الراسخة فى المدارك ونسف لما كان له من دعائم وأركان فى عقائد الأمم ، ويعنى هذا إيقاظ العقل من سباته ، وتخليصه من هيمنة سدنة هياكل الوهم ، والجهر بأن الإنسان لم يخلق ليقاد بالزمام ، ولكن ليهتدى بالعلم . ورابعا : رد الكثرة إلى الوحدة ، والتنابذ والتخالف إلى الاتحاد والألفة والتجمع ، وهذا يصح فى رد العقائد إلى دين الله الواحد ، كما يصح فى رد مظاهر الفرقة الاجتماعية إلى الوحدة والتضامن .وبهذا يكمل للإنسان بمقتضى التوحيد وبمقتضى دينه أمران عظيمان هما استقلال الإرادة واستقلال الرأى والفكر [٣٦] .

ج ــ وقد توالت الجهود بعد الإمام ، كما نرى لدى طنطاوي جوهري [٣٧] ، أو محمد فريد وجدي [٣٨] ، وحسن البنا وسيد قطب وغيرهم ، وحتي اليوم ، وقد هدفت هذه الجهود إلى تحرير مفهوم العقيدة من الشوائب التى علقت بها ، وتحريرها من الجبرية المفرطة التى اتسمت بها ، وكان لهؤلاء فضل تفتح العقلية الإسلامية على عناصر ذاتيتها المتأصلة ، وعلى معطيات العصر ، ومعطيات التقدم فى الإسلام ردا على الهجمات الشرسة من جانب المستشرقين والمبشرين على الإسلام وعقيدته ، وقد أعطت هذه الجهود ذاتية مؤكدة للفكر الإسلامي ، ورغم ماقد يشوب

---

(٣٦) د . فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ٧٢ .

(٣٧) راجع : طنطاوى جوهرى : نهضة الأمة وحياتها ــ مطبعة اللواء ــ القاهرة ــ ١٣٢٦ هـ ــ ١٩٠٨ م ، ص ٥٨ .

(٣٨) راجع : محمد فريد وجدى : الإسلام فى عصر العلم ــ ط ٣ ــ دار الكتاب العربى ــ بيروت ، ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٧م ، ص ٢٢٠ ــ ٢٦٩ .

هذه الجهود من نقاط ضعف ، فإنها ساعدت على تحرير الفكر الإسلامي ''من قيود وتصورات كثيرة تكبله وتمنعه من أن يقوم بدور فعال وحيوى فى الحياة النفسية والاجتماعية والأخلاقية للمؤمنين ، وأنه قد انتقل من حالة التجريد والسكون والفقر إلى حالة من التنوع والحركة والثراء لم يعد من السهل إطلاقا رده عنها'' (٣٩) .

٢ ــ الجانب الإنساني والاجتماعي :

ومع إصلاح المفاهيم العقائدية ، كان لابد من التركيز على وظيفة الإنسان وتجديد المفاهيم المتعلقة به ، وقد أسهم الفكر الإسلامي الحديث فى هذا ، وأبرز الكثير من القضايا المتعلقة بطبيعة الإنسان ودوره وقيمه الاجتماعية ، حيث ''تتداخل القيم الإخلاقية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية لتُكَوِّنَ (منظومة قيمية) خالصة لابد منها من أجل تحقيق التقدم ، أو بتعبير آخر ، إن موضوعات المجتمع والتربية الفردية والاجتماعية وقضايا الاقتصاد لاتباشر إلا من خلال منظور أخلاقى لايلغى من حسابه ، مع ذلك ، الاعتبارات العلمية'' المتصلة بطبيعة الإنسان أو بماهية العمران أو بحقيقة الهيئة الاجتماعية ، لقد كانت القيم دوما آمرا مطلقا فى كل سلوك فردي أو مجتمعي (٤٠) .

وقد عُنِيَ المفكرون المسلمون فى العصر الحديث بهذه الجوانب ، وفى إطار قيمي أخلاقي ، بحيث أصبح هذا الإطار القيمي ''لايقل خطورة عن القوانين والتشريعات القضائية التى تتحكم أو ينبغى أن تتحكم فى أمور التربية الفردية والمجتمعية ، وفى قضايا المجتمع وإجراءات الاقتصاد ، كما يمكن القول أيضا أن هذه القطاعات قد اصطبغت لديهم بصبغة''إنشائية ''متفاوتة العمق ، حرصوا أن يتميزوا بها عما أصاب الفعاليات المختلفة فى

(٣٩) د . فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ٢٥١ .

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٣٨٦ .

التمدن الغربى الذى بدالهم فى نهاية المطاف عقيما من حيث إنه يهدد كرامة الإنسان ويلغى كمالاته الخاصة .ولم تكن (مادية) الغرب تعنى فى نهاية الأمر سوى هذا'' (٤١) .

وكان تناول هذا الجانب من قبل هؤلاء المفكرين يستهدف :

أ ـــ **استنهاض الهمم** وترك الكسل والقعود ، ومن ثم محاربة الاستعباد والاستغلال ، واسترداد الحرية ، إذ ''الأصول الدينية الحقة المبرأة عن محدثات البدع تنشىء للأمم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل ، ... وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع المعارف ، وتنتهى إلى أقصى غاية فى المدنية'' (٤٢) والأصول الدينية المبرأة متمثلة فى القرآن ، ومن هنا يقول جمال الدين الأفغانى ''إن القرآن حي لايموت ، ومن أصابه نصيب من حمده فهو محمود ، ومن أصيب من مقته فهو ممقوت ، كتاب الله لم ينسخ ، فارجعوا إليه ، وحكموه فى أحوالكم وطباعكم ، ومالله بغافل عما تعملون'' (٤٣) .

وجملة الأمر هنا أن المفكرين المسلمين فى حركتهم الأولى ، كانوا مهتمين بقطع مارسخ فى عقول الناس من فهم خاطىء عن النصوص هادفين إلى ''بعث القرآن ، وبعث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور ، وشرحها على وجهها الثابت من حيث تأخذهم إلى مافيه سعادتهم دنيا وأخرى ومن هنا كان لابد'' من تهذيب علومنا ، وتلقيح مكتبتنا ، ووضع مصنفات فيها قريبة سهلة الفهم ، فنستعين بتلك الكتب والعلوم التى تضمنتها على الوصول إلى الرقي والنجاح ، (٤٤) واستخدمت وسيلتان من أجل ذلك هما : التحرر

(٤١) المرجع السابق : ، ص ٣٨٦ .

(٤٢) جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده : العروة الوثقى ـــ ط ١ ـــ دار الكتاب العربى ـــ بيروت ، ١٣٨٩ هـ ـــ ١٩٧٠ م ، ص ٦٢.

(٤٣) المرجع السابق : ، ص ١٤٤ .

(٤٤)عبد القادر المغربى : جمال الدين الأفغانى . ذكريات وأحاديث ـــ العدد (١٨) من سلسلة اقرأ ـــ دار المعارف ـــ القاهرة ـــ ١٩٤٨ ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

السياسى من ربقة الاستعمار الغربي ، وبعث القرآن في النفوس ، مع ''محاولة تقريب مبادىء الإسلام من العقلية الإسلامية الحديثة ، وتوضيح أن هذه المبادىء هي لتوجيه الإنسان توجيها سليما سواء فى عصر الإبل أو فى عصر الحضارة القديمة ... أو فى عصر البخار والآلة ، أو فى عصر الذرة والإنسان الآلى ... وتوضيح ذلك كله ليس من الوجهة النظرية فحسب ، بل من الوجهة العملية أيضا'' (٤٥) .

ويبرز هذا فى تناولهم مجموعة من القضايا التى حاولوا بها استنهاض الهمم وأهمها : تحرير عقيدة المسلم من عقيدة الجبر ، مع الإبقاء على عقيدة القدر ، وتقوية الروح الجماعية فى الأمة ، وما يتطلب هذا من نقد لعيوب المجتمع .

ويقرر الإمام محمد عبده فى الناحية الأولى أن الايمان بوحدانية الله ، يحرر الإنسان من القهر فى العمل ، فالإنسان بإيمانه لايقهر فى عمله من أى قوة إلا قوة الله تعالى (٤٦) ، ولم يرض عقيدة الجبر للمسلم ، لأنها تضعف الإنسان وتحد من إرادته وتفقده الإيجابية فى الحياة ، وفى نفس الوقت يدعو إلى اعتقاد القضاء والقدر ، ويفرق بينه وبين الجبرية ، ويري أن الاعتقاد بالقضاء والقدر ''إذا تحرر من شناعة الجبر ، تتبعه صفة الجرأة والإقدام ، وتبعث على اقتحام المهالك ، ومقارعة الأهوال ، وعلى الجود والسخاء ، وذلك لأن الذي يعتقد أن الأجل محدود ، والرزق مكفول ، وأن الأشياء بيد الله يصرفها كيف يشاء ، كيف يرهب الموت في الدفاع عن حقه ، وإعلاء كلمة أمته وملته؟ وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله فى سبيل تقرير الحق وتشييد المجد ؟ (٤٧)'' .

(٤٥) د . محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث (مرجع سابق) ، ص ١٠٤ .

(٤٦) راجع محمد عبده : رسالة التوحيد — ضمن المجلد الثالث من الأعمال الكاملة — (تحقيق محمد عماره) — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٢ ، ص ٣٨٨ — ٣٨٩ .

(٤٧) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية — ج ١ — (مرجع سابق) ، ص ٢١٠ .

وكان منطلقه فى تقوية الروح الجماعية يقوم علي أساس التربية الصحيحة النابعة من التعاليم الإسلامية الصحيحة إذ أن الإنسان لايكون إنسانا إلا بالتربية ، و''إذا تربَّى الإنسان أحس '' فى نفسه أنه سعيد بوجود الآخر معه ، ولكن نحن فى وسط لايحس فيه أحدنا إلا أنه شقى بوجود غيره ، وقد ذهبت الثقة فينا أدراج الرياح ، وخلفتها الشكوك والريب والظنون الأثيمة ، المولدة للوساوس والأوهام ، ولاشقاء للمرء أعظم من وجود ضميره فى هذا الشقاء .

ولوكنا متربين لانبث فينا إحساس واحد ، يؤلف بين شعورنا وحاجتنا ، وحينئذ يحس كل فرد بأن عليه وظيفة يؤديها لنفسه وغيره .. إن التعليم الحقيقى هو الذى يعلم ــ الإنسان ــ العلاقة الموجودة بينه وبين غيره من الأفراد فى جامعته ، فهو إذن يعلم الإنسان من هو؟ ومن معه؟ فيتكون بذلك شعور واحد وروابط واحدة ، هى مايسمونه بالاتحاد ... إلا أن الاتحاد ثمرة لشجرة ذات فروع وأوراق وجذوع وجذور هى الأخلاق الفاضلة بمراتبها ، فعلى المسلمين أن يربوا أنفسهم تربية سليمة إسلامية حقيقية ليجنوا تلك الثمرة ... وبغير ذلك كل أمر باطل ، وكل الأمانى أحلام وأوهام ، وكل اجتماع بغير سعي عجز!! ... الناس فى كل الأمم أكفاء فى التمثيل ، ولانقص فى الدنيا إلا من جهة العقول والأخلاق ، وهى لاتكمل إلا بالتربية وما وراء ذلك من العلوم لايثبت فيها غير القلق والهذيان [٤٨] .

ويرجع السبب فى فقر البلاد إلى ''عدم سريان روح التربية الشرعية العقلية التى تجعل إحساس الإنسان بمنافع بلاده كإحساسه بمنافع نفسه ، وشعوره بأضرار وطنه كشعوره بأضرار ذاته ، إن لم نقل : تجعل الإحساس الأول أقوى من الثاني ، وتزيد فى إحساس الإنسان بمنافعه ومضاره'' [٤٩] .

---

(٤٨) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام ــ ج ١ ــ ج ٢ ــ مطبعة المنار ــ القاهرة ــ ١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٥ م ، ص ٤٦٩ .

(٤٩) المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

وقد استطاع المفكرون المسلمون فى هذا الاتجاه أن يوقظوا الفكر ويوجهوا الناس توجيها سليما ، وأن يثبتوا أن الإسلام ليس مناهضا ولاضد الأخذ بأسباب القوة ، وأن يردوا على الدعاوى الباطلة التى رددها المستشرقون والاستعمار ، ورغم أنهم كانوا مسلمين لهم بالمعطيات الأساسية التى أقاموا عليها مفهوم التمدن والرقى ، ورغم ذلك فقد كان لهم فضل اعتقاد كثير من المفكرين ممن أتوا بعد ذلك ، أن الإسلام إنما يهدف إلى ترقية حالتى الإنسان المادية والأدبية معا لارتباط بعضهما ببعض ارتباطا كليا ، وأن يفهموا ''أن لفظة عبادة فى الإسلام لاتعني فقط العبادة الجسمية من ركوع وسجود ، بل إن كل مايفعله الإنسان مريدا به أمرا ينبنى عليه إصلاح لذاته أو لأسرته أو لجمعيته أو لبني نوعه أو للكائنات كلها ، هو فى نظر الإسلام من أحسن أنواع العبادة وأشرف أشكال الطاعة لله عز وجل ... وأن يدركوا أن الإسلام لايعارض التقدم فى الصناعات والاكتشافات بل يحث عليها ويندب إليها ويؤاخذ المتقاعسين عن مجاراة غيرهم فيها'' (٥٠) .

ب ــ إصلاح المجتمع : وقد مارس هؤلاء نقد المجتمع بهدف بنائه ، نلحظ هذا لدى الطهطاوى ومن جاء بعده ، وعلى صعيد كافة المفكرين المسلمين (٥١) . وكانت لهم اجتهادات مختلفة ، فى كافة النواحي الاجتماعية ، معبرين عن الإسلام تعبيرا صادقا ، مقدمين الحلول لكافة المشكلات الاجتماعية ــ مؤكدين منهج الإسلام فى بناء حضارة المجتمع ، ومقررين أن المنهج الصحيح لبناء المجتمع يبدأ من نقطة أساسية هى تصحيح مركز الإنسان فى هذا الوجود وتعيين مكانه ودوره وحقوقه وواجباته ، وذلك حسب التصور الاسلامي الصحيح (٥٢) ، لأنه ــ حينئذ ــ لن يرفض

---

(٥٠) محمد فريد وجدى . المدنية والاسلام ــ ط ٣ ــ مطبعة هندية بالقاهرة ــ ١٣٣٠هـ ــ ١٩١٢ م ، ص ١٣٨ .

(٥١) د . محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث (مرجع سابق) ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٥٢) راجع : سيد قطب : الاسلام ومشكلات الحضارة ــ بيروت ــ (د . ت) ، ص ١٦٩ .

الحضارة الصناعية ولايَجْفُل منها ولايتنكر لها ، بل ولا .... وأن يتم تعديل الحضارة الغربية وبناء حضارة جديدة ''تتحقق فيها إنسانية الإنسان ، وتنسحب منها النزعة المادية الخالصة للتقدم يحل محلها حالة من الحرية الإنسانية والأخلاقية يفارق حال المدنية الغربية الراهنة'' (٥٣) .

وقد عبر المفكرون المسلمون عن هذا ، مركزين على أن الدين الإسلامي هو أساس بناء المجتمع وبناء الحضارة ، وذلك لأن الإسلام''دين حضارى ... على معنى أنه يوجه الإنسان للإنتاج فى مجالات الحضارة المختلفة إنتاجا صافيا معبرا أوضح تعبير عن مظاهر هذه الحضارة'' (٥٤) ، إذ الدين فى جوهره دعوة إلى التقدم والذى يعني ''التقدم فى الإنسانية''ومعناه ''أن يسير الإنسان فى نموه الإنساني نموا طبيعيا ، بحيث يصل فى هذا النمو إلى المرحلة التى تصور تصويرا واضحا خصائص الإنسانية فى الإنسان '' (٥٥) .

ومبادىء الإسلام فى حملتها إنما تركز على الجانب الاجتماعي ، فدعوة الإسلام''محاولة لنقل الإنسان من دائرة التصرف الغريزى إلى دائرة التصرف الإنساني ، والغريزة تدعو دائما إلى الاحتفاظ بالذات والحرص على الذات ، وتركيز الفطرة فى محيط الذات .بينما التصرف الإنساني هو تصرف يمتد إلى ماوراء الذات ، ويخرج بالفطرة من محيط الذات إلى محيط الأفراد ، وإذن ، فالمجتمع فى قيامه وفى بنائه وفى قيامه سليما قويا ... هو غاية الدعوة الإسلامية ''(٥٦) ومن هذا المنظور قدم المفكرون وجهات نظر الإسلام فى علاج المشكلات الاجتماعية المعاصرة ، مؤكدين

---

(٥٣) د . فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٥٤) د . محمد البهى : الدين والحضارة الانسانية ، مكتبة الشركة الجزائرية ـــ الجزائر ـــ (د . ت) ، ص ١١٩ .

(٥٥) المرجع السابق : ، ص ١١٣ .

(٥٦) المرجع السابق : ، ص ١١٤ .

على أهمية الضابط المعنوى أو القيمى ، بمعنى أن التقدم إنما يحدث فى المجتمع بتقدمه فى مجال السلوك الأخلاقى والاجتماعي [٥٧] .

وأمام معطيات الحضارة الغربية ، صمدوا معطين المحاذير والمخاوف والمخاطر ، مؤكدين أنه من اللازم طبع الحضارة بطابع إنساني قيمى ، وذلك عن طريق موقف حضارى عبروا عنه أحسن تعبير مستهدفين القيم الاسلامية .وقد دارت أفكارهم حول :

١ ــ الأخلاق الاجتماعية :

وقد انصب الاهتمام عليها علي أساس أن الأخلاق الفردية الإسلامية الصحيحة هي التي تُوجِد الأخلاق الاجتماعية الصحيحة ، ومنْ جانب آخر ارتبطت أفكارهم بالجانب التشريعى ، الذى هو تعبير حَيٌّ لسلوك الإنسان : واعتمدوا على الثوابت الإسلامية فى هذا المجال ، ثم فتحوا باب الاجتهاد ، وذلك حتى يتمكن التشريع الإسلامي أن يواجه تغيرات الحياة ، وماستحدث فيها من أقضية ومتغيرات ، وذهب المفكرون إلى وجوب الاجتهاد على العلماء المجتهدين الأكفاء ، والأخذ بالاجتهاد الجماعي لا الفردى ، وتقرير الحكم بالأكثرية ، وإصلاح المكتبة الإسلامية والتسوية بين جميع المذاهب الفقهية ، وأخذ أهل كل عصر من مذهب كل إمام مايناسب مصلحتهم ، واعتماد مبدأ المصلحة فى الأحكام الشرعية والمعاملات القضائية ، والوقوف عند إحداث حدث فى الدين والتمييز بين العقائد الدينية والتقاليد التى مرجعها النقل الآحادى أو الرأى الاجتهادى ، أو مجرد السماع عن الأشياخ ، واعتماد العقائد وحدها فى تصحيح الأحاديث على المتن والمدلول والمضمون لا على السند فقط ، واستخدام القياس والاستنباط فى

---

(٥٧) راجع : د . محمد البهى : الاسلام فى حل مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة ــ ط ٢ ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م ، .

المعاملات ، ورفع شأن العمل والأسباب ، ووقوف الفقهاء عند علومهم وترك مالاعلم لهم به من علوم لمن يعلم من الأخصائيين المسلمين[٥٨] .

ومن الإصلاحات التي لحقت بهذا الجانب ، تنظير الجانب التشريعى باعتباره المرجع الأساسي للحياة الأخلاقية فى المجتمع الإسلامي ، ويعني تنظيره''صياغة أحكام الفقه الجزئية وفروعه المتفرقة ، ومسائله المنثورة فى أبوابها المختلفة من كتبه فى صورة (نظريات كلية عامة) تصبح هى الأصول الجامعة التى تنبثق منها فروعها ، وتشعب جزئياتها المتعددة ، وتطبيقاتها المتنوعة'' [٥٩] وكان ماتم فى هذا المجال مايلى :

١ ـــ الوصل بين الفقه والحديث ٢ ـــ فتح باب الاجتهاد .

٣ ـــ استئناف النشاط القديم فى علم أصول الفقه .

٤ ـــ تجديد التناول الفقهى للمسائل الجديدة ، بمعنى عصرنة التناول ، بحيث لايغرق المسلم فى ألفاظ ومصطلحات قديمة قد تسبب بلبلة الذهن ، فضلا عن عدم فهمها[٦٠] .

٢ ـــ الإصلاح الاقتصادى :

إذا كان البناء الأخلاقي الاجتماعى يهدف إلى بناء ذوات إنسانية إيجابية ، فإن الإصلاح الاقتصادى يهدف إلى تحقيق حياة دنيوية اجتماعية وفردية ، تلبي فيها الحاجات الحيوية الأصيلة للإنسان من خلال نمط معين من استغلال المال والثروة ، ولم يغفل المفكرون المسلمون هذه القضية وخطورتها ، ولم يكتفوا بالدخول فى مناقشات مع مذاهب الاقتصاد ، بل

---

(٥٨) راجع د . فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ٤٣٥ . وعبد القادر المغربى : البينات (الإصلاح الإسلامى ـــ ١٣٢٧ ـــ ١٩٠٩) ج ١ ـــ القاهرة ـــ ١٣٤٤ هـ . ص ١٥ ـــ ١٧.

(٥٩) د . يوسف القرضاوى : الفقه الاسلامى بين الأصالة والتجديد ـــ ١ ـــ (مرجع سابق) ، ص ٥٣ .

(٦٠) المرجع السابق ، ص ٥٦ ـــ ٦١ .

حاولوا بناء تصورات اجتماعية اقتصادية مستوحاة من مبادىء الإسلام ، يستطيعون بها مجابهة الأنظمة غير الإسلامية الوافدة ، وحرصوا أن يصنعوا لهذا التصور مصطلحا متميزا به ، فلا يكون له ظلال رأسمالية ولاشيوعية اشتراكية ، فاقترح البعض نظام الإسلام ، والبعض العدالة الاجتماعية ، والبعض الاقتصاد الإسلامي (٦١) .

وقد نجد البدايات لدى جمال الدين ومحمد عبده ، ورشيد رضا ، ويتناول مفكرون مصريون معنى التكافل العام واعتباره أكمل تعبير قُدِّمَ عن معني الرعاية والعدالة الاجتماعية ، ويبرزها عبد القادر عودة الذى تناول القضية من منظور إنساني إسلامي كامل ، فالكون بما فيه خُلِقَ للإنسان لتعميره والإفادة من خيراته ، والبعد الوجودي للإنسان والطبيعة يتمثلان فى علاقة التسخير ، أن يسخر الإنسان مافي الطبيعة كَشْفاً عن الأسرار والقوانين التى مَنَّ الله بها علي الإنسان ، وبها وَكَلَ الأشياء له ، وتأتى علاقة الإنسان بالإنسان ، فالبشر مسخر بعضهم لبعض ، والعلاقة تتم على أساس التعاون من أجل حياة راقية لأن الإنسان هو الخليفة ، وهي ليست خلافة مطلقة ، بل خلافة مشروطة ، ومقيدة بشروط المستخلف والاستجابة لها ، وهي الأحكام الإلهية التى وضعها المستخلف ، بحيث يكون جزاء التعدى على حدود الاستخلاف للإنسان هبوط عمل الإنسان وبطلانه (٦٢) .

ومن توجيهات المستخلف استغلال الكون بالزراعة واستخراج الثروات ، والصناعة ، وهذا يولد مالا ورغبة في الادخار ، والتملك البشري علي وجه التجاوز لأن ''المال كله لله ، وأن البشر لايملكون إلا حق الانتفاع به''والمال سَخَّره الله ''للبشر جميعا ، وجَعَله مشاعا بين عباده الذين

---

(٦١) راجع د. فهمى حدعان (مرجع سابق) ، ص ٤٨٩ — ٤٩٠ .

(٦٢) عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا السياسية — ط ٢ — بيروت — ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧ م ، ص ١٤ —١٨.

استخلفهم فى الأرض ليعيشوا فيه وينتفعوا به ، فما يعيش أحد منهم فى ملكه ، وماينتفع إلا بملك الله ، وليس أحد منهم أحق لملك الله من غيره'' [٦٣] .

ويترتب على هذا نتائج ، فليس لأحد ملك إلا ملك المنفعة ، وللجماعة أن تنظم الانتفاع بالمال ، لأنه مجعول لمنفعة الجماعة ، ولها أن ترفع يد المالك عن المال إذا اقتضت المصلحة ذلك ، ومن ثم يبيح الإسلام التملك المحدود ، وليس للجماعة أن تمس ملكية الانتفاع إلا من جهة تنظيم حق الملكية ، أما تحريمها فغير جائز ، ويحوز انتقال الملكية من مالك إلى مالك وهى غير مقيدة بمدة معينة ، فإذا عطل المالك الانتفاع بالمال فلم ينتفع به فقد عطل انتفاع الجماعة ، ولها أن ترفعه عنه ، بشرط أن تعوضه عنه بما يقابل قيمته [٦٤] .

ويبسط سيد قطب أسس النظرية الاقتصادية وتطبيقاتها ، منطلقا من معطي أساسى وهو أن الإسلام له تصوره الكلي الكامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان .فهناك وحدة متكاملة فى سائر عناصر الوجود ، ويفيض فى شرح هذه الأفكار والمبادىء [٦٥] ، ويذكر أن التكافل الاجتماعي يأتى في صور مختلفة ، سواء فى الحرية الفردية أو الاجتماعية أو مايقرزه من مسئوليات اجتماعية علي كاهل الفرد وتجاه الجماعة [٦٦] .

ويبرز دور سياسة المال التى تنطلق من التصور الإسلامي الشامل ، فهي تهدف ''تحقيق معنى العبودية لله وحده ، بأن تخضع تداول المال لشرع الله ، وهذا الشرع يحقق مصلحة الفرد ، ويحقق مصلحة الجماعة ،

(٦٣) المرجع السابق ، ص ٣٠ .
(٦٤) المرجع السابق ، ص ٣٦ ، ٥٣ .
(٦٥) راجع : سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام (مرجع سابق) ، ص ٥١ — ٧٦ .
(٦٦) المرجع السابق ، ص ٨٠ .

ويقف من ذلك قواما لايضار الفرد ولايضار الجماعة ، ولايقف فى وجه الفطرة ، ولايعوق سفن الحياة الأصيلة وغاياتها العليا البعيدة'' (٦٧) .

وعلى هذا الأساس تأتى الملكية الفردية ووسائلها المشروعة والمحافظة عليها ، إذ أن المالك وكيل عن المجموع ، وامتلاكه المال وظيفة أكثر منها امتلاكا على الحقيقة ، والمال حق الجماعة ، وهى مستخلفة عن الله ، ولذا فلا يجوز حبس المال فى أيدى فئة دون غيرها (٦٨) . والعمل هو وسيلة التملك ، العمل بكل أنواعه ، صيدا ، وإحياء موات ، واستخراج مافي باطن الأرض من المعادن والتصنيع والتجارة ، والعمل بأجر وغير ذلك ، وحكمة ''تلك الأسباب واضحة فى اعتمادها علي بذل الجهد ، فالجهد له جزاؤه ، وهو من مقومات الحياة ، وفيه تحقيق لعمارة الأرض ، وإفادة المجتمع ، وتهذيب النفس ، وتطهير الضمير ، وتصحيح الفئة فليس كالعمل مهذب للروح ، مقوٌّ للجسد ، حافظ لكيان الإنسان كله من عوامل الترهل والكسل والخمول'' (٦٩) .

وإلى جانب هذا تناول طرق تنمية الملكية والميراث ، وأوضح المبادىء الأخلاقية المرتبطة بهذا المجال ، ويظهر تحريم الغش والاحتكار والربا ، والحكمة من وراء ذلك (٧٠) ، ثم يتطرق إلى بيان طرق الإنفاق (٧١) ويخلص إلى أن القواعد الأساسية لسياسة المال والنظام الاقتصادى في الإسلام تتلخص فى :

١ ـــ قيامه على أساس قاعدة ''الاستخلاف المشروط''... فالله

(٦٧) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .
(٦٨) المرجع السابق ، ص ١١١ ـــ ١١٩ .
(٦٩) المرجع السابق ، ص ١٢٠ ـــ ١٢٥ .
(٧٠) المرجع السابق ، ص ١٢٧ ـــ ١٣٨ .
(٧١) المرجع السابق ، ص ١٣٨ ـــ ١٤٨ .

سبحانه هو الخالق المالك لكل مافي الأرض من أقوات وأرزاق وأموال ... وقد استخلف فى الأرض الإنسان كجنس على شرط أن يتصرف فى هذا الملك بشريعة الله ، وأى خروج علي هذا الشرط مبطل للتصرف ، ناقض لعهد الاستخلاف .

٢ ــ أن الاستخلاف عام ... ولكن الأفراد يحصلون على حق الملكية الفردية مقابل عمل ... ومن ثم يملكهم الشارع ــ وهو الله سبحانه ــ قسما معينا من هذا المال . ويَحُوط هذا الحق بكل الضمانات التى تجعل الفرد عزيزا كريما مطمئنا علي رزقه كي يتفرغ للقيام بواجبه فى رقابة شريعة الله .

٣ ــ أن الملكية الفردية ــ مقيدة بشروط فى وسيلة التملك ووسيلة التنمية ووسيلة الإنفاق ، تتحقق بها مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، وتمنع من طغيان الفرد أو طغيان الجماعة ...

٤ ــ أن التكافل هو قاعدة الحياة فى الأمة الإسلامية ، وهذه القاعدة تفرض تكاليف علي الملكية الفردية ، فيها الكفاية تماما لتحقيقها .

٥ ــ أن العدالة الاجتماعية تتحقق عن طريق هذا النظام بأفضل مما تتحقق به في أى نظام من صنع البشر فيه الخطأ والصواب [٧٢] .

هذا وقد ظلت تجليات الفكر الإسلامي فى هذا المجال تترى كما نراه عند محمد عبد الله العربى وغيره .

ومن ثم كانت هناك اجتهادات سياسية فيما يتعلق بالنظام السياسي ، والشوري ، وغير ذلك ، والحق أن هذه الاجتهادات استلهمت القرآن والسنة والتراث ، ودرست الواقع وقدمت الحلول الأنسب فى ضوء هذا كله ،

(٧٢) المرجع السابق ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

وعلي كل فقد عبر الفكر الإسلامي عن نفسه ، بصورة محاولات فكرية محدودة ومتواضعة ، ثم مالبث أن اطَّرد فى النمو والاتساع والنضوج حتى بلغت فى خمسينيات القرن الحالى ، درجة متكاملة لم يحتج بعدها إلا إلى التطبيق الكامل فى واقع المجتمع ، ليخبر''مدي صلاحيتها فى إحراز التقدم ، وتكشف عن مدي الاستجابة العملية لحاجات مجتمع حديث يتحرك بقوانين الواقع المعقدة المريرة لابقوانين ''المثال'' السحرية'' (٧٣) .

رابعا : ملامح الفكر التربوى الإسلامي :

لم يكن هذا العمل الفكري الضخم من غير فكر تربوى ، فلقد كان لهذا الفكر تجلياته فى أهمية التربية ، والطبيعة الإنسانية ، ووسائط التربية وأهدافها ، ومناهجها ، ويمكن أن تلمح منذ البداية إجماع المفكرين المسلمين على أهمية التربية ، وأهمية دورها فى بناء الشخصية المسلمة ، وفى تحقيق أهداف المجتمع المسلم .

وهذا يجعلنا فى حاجة ماسة إلى استقراء فكر هؤلاء ، وخاصة أن فكرهم وإن تأثر بالفكر الآخر ، إلا أنهم كانوا معبرين عن روح الإسلام ، مستلهمين أصوله ، منفتحين على التراث ، ومضيفين ومبدعين فى الجوانب التى تحتاج هذا ، ولاغرو فالإسلام ينصح ويأمر بالاستفادة من تجارب الآخرين فى أى مجال ، وسندرس هذا الفكر طبقا لمراحل الفكر :

مرحلة الرواد :

١ — وهى تبدأ برفاعة الطهطاوي ، وقد تناول فى كتاباته كثيرا من القضايا التربوية ، أعتبره نسقا متكاملا كفكر تربوى ، ويمكن تناول هذا كما يلى :

(٧٣) د فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ٥٤١ .

الطبيعة الانسانية :

أ ـ الإنسان عنده هو '' الحيوان الناطق ، ذكرا كان أو أنثى '' ويتركب من ''حواس ظاهرة كغيره من باقي الحيوانات ، ويتميز عنها بحواس باطنة ، كما يتميز عنها أيضا بشرف هيكله وناسوته ، وبتناسب أعضائه الظاهرة والباطنة'' ثم يشير إلى جانب هام فى حياة الإنسان''أمّا ما وهبه الله للإنسان خاصة ، فهي حياته المعنوية وصفاته العقلية التى يعبر عنها في تعريفه بالناطقية ، ويتميز بها عما سواه ، وهي أيضا توجب حفظه وصونه ، فقد وهبه الله تعالى الدماغ الذى هو مَجْلي الحواس الباطنة والقوى العقلية ، التى هي آلة التفكير وأداة النظر ، وإن شئت قلت الناطقية ، أي الجزء الناطق من الإنسان ، وهو الروح البشرية التى هى عبارة عن الفكر والإرادة '' (٧٤) .

فالانسان يتكون إذن من : أ ـ مادة يشترك فيها مع غيره من الحيوانات . ب ـ الروح البشرى المميز له عن غيره من الحيوانات . ويشتمل الجزء الأخير ، على عقل وإرداة ، أما الإرادة ، فهى ''الميل النفسي للفعل والترك ، وهذه القوة فى الإنسان قاصرة محصورة فى حدود نظام بعينه ، فليس الإنسان فعالا لما يريد ، بل له نوع من الاختيار بميله الخاص به'' (٧٥) .

أما العقل فهو ''قوة روحانية بها إدراك حقيقة الأشياء ، وقياس بعضها ببعض بما فيها من الجامع ، والحكم عليها بما يقتضى ، فالعقل فى الإنسان هو الجزء الناطق المفكر ، وهو عبارة عن قوة روحانية نورانية تدرك ماله وجود فى خارج العيان أو في الأذهان على حقيقته ، وتدرك جميع العلاقات

---

(٧٤) رفاعة رافع الطهطاوى : المرشد الأمين للبنات والبنين ـ ضمن الجزء الثانى من الأعمال الكاملة ـ (مرجع سابق) ، ص ٢٩٩ .

(٧٥) المرجع السابق ، ص ٣٠٠ .

والمباينات فى المخاطبات والمحاورات'' [٧٦] . ووظيفته ، الاهتداء ''إلى المعارف والعلوم والفنون والصنائع ، فبأفكاره الجليلة عرف أن ينتفع بما حوله من المخلوقات ، فيجلبها إليه ، ويجعلها طوع يمينه ، ولما وهبه الله سبحانه وتعالى الشهامة والشجاعة والحماس ، وكلها من سمات الناطقية'' ، ومن وظائفه التفكير فى ''ماوراء الطبيعة ، فيتكلم عن الإلهيات ، ويدخل بعقله فى البحث عن المعلومات'' ويبحث عن الصنائع والأمور التى يحتاج إليها الإنسان ''لتدبير أمره وراحة سره'' [٧٧] مثل الفلاحة وتسييس الحيوان وشق الطرق وغير ذلك مما يحقق للإنسان التقدم ، لأن ''جميع ماخلقه الله إنما هو لأجل هذا الإنسان لا من حيث جثمانيته ، بل من حيثية أخرى امتاز بها وهى عقله وعلمه'' [٧٨] . والقريحة ''أعلى درجات أفكار العقل البشرى بقدر مايستطيع أن يتفكر'' [٧٩] .

ولا يقتصر أمر تكوين الإنسان عند هذا الحد ، بل يتناول الروح ، التى هى '' الحياة والحركة ، وأصل الإحساسات والإدراكات والشهوات ، تهدي الإنسان فى حركاته وسكناته وأفعاله وأقواله ، وبها يمتازعما سواه من باقى الحيوانات ، وهى من أصل الفطرة ، فى حد ذاتها ذكية ، فإنما تولدت عنها الشهوات واللذات لما اتصلت بالأجسام الطبيعية ، ثم إن للروح استعدادات تتميز بها ، إلا أن كنهها مغيب عن البشر لا يعرفون حقيقته ، وإنما غاية ما يقال فيها : أنها جوهر متميز عن الجسم ومباين له ، حيث أن لها استعدادات على تنجيز عمليات ليس من خواص المادة تنجيزها ، فهى التى تدرك الأشياء بما فيها من المشابهة والمشاكلة والمباينة والمضادة ، وتجيل فيها الفكر ، وتقيم عليها الدليل ، وتنتج النتائج الصحيحة ، وتتبصر

(٧٦) المرجع السابق ، ص ٤١٧ .
(٧٧) المرجع السابق ، ص ٣٠١، ٣٠٢ .
(٧٨) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .
(٧٩) المرجع السابق ، ص ٤١٨ .

عواقب الأمور ، وتقضى وتحكم بما يلزم ، وهذا لا يوجد فى المواد الحسية[٨٠] '' .

وليس معنى هذا أن الإنسان مفتت ، ولكنه متكامل ، تتحد جميع قواه لتعطى معنى الإنسان ، وهو فهم دقيق للإنسان كما يبدو ، فهو جسم وعقل والعقل مراتب ، وروح ، وهى جماع العمليات النفسية والعمليات العقلية العليا .

ب ــ وفي أفعال الإنسان يقرر أن الله خلق النواميس الطبيعية للإنسان وغيره ، وليس '' لهذه الأشياء تأثير فى بعضها ــ وإنما هى أسباب عادية ، والتأثير إنما هو للحكيم القادر ، وتسميتها طبيعية عند الحكماء إنما هو نظرا للظاهر[٨١] '' . فالفاعل على الحقيقة هو الله ، وعلى الإنسان '' أن لا يتجارى على هذه الأسباب ويتعدى حدودها ، حيث إن المسببات الناتجة عنها منتظمة محققة ، ولا نظر إلى خرق العادة التى لا تكون إلا لنحو كرامة لولي ، لأن كل ما كانت معجزة لنبي كانت كرامة لولى لا فرق بينهما إلا التحدى بالنبوة '' ولذا '' '' فعلى الإنسان أن يطبق أعماله على هذه الأسباب التي تقدم ذكرها ، ويتمسك بها ، وإلا عوقب عقابا إلهيا بمخالفة هذه الأسباب[٨٢] '' .

وهو يؤمن بحركة الإنسان واختياره ، يقول '' وقد صور الله الإنسان فى أحسن صورة وجعله باقى النوع بالتوالد والتناسل إلى آخر الدهر ، وركب فيه العقل النورانى المضاف إلى الروح المنصوبة فى الحواس ، وألهمها بالحركة الاختيارية الصادرة عن إرادة الله بما قضاه من خير أو شر أو طاعة أو معصية ، حتى ينفذما سبق فى علمه وما أمر به بمشيئته وحكمه

(٨٠) المرجع السابق ، ص ٤١٧ .

(٨١) المرجع السابق ، ص ٤٧٩ .

(٨٢) المرجع السابق ، ص ٤٨٠ .

ليخرج بذلك من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، وهذا معنى قوله تعالى : « ونفسٍ وَماَ سَوَّاهَا ، فألهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْواهَا » فيكون ما أراده الله تعالى قديما في سابق علمه محكما في ديوان حكمته وقدير ملكه محدثا بقدرته ودالاً على وجوده ووحدانيته[٨٣] » .

ويظهر من كلامه أنه يواسط بين نوعين من الجبرية والاختيار ، مؤمنا بحركة الإنسان وضرورتها بين هذين القطبين جبرية النواميس وجبرية إرادة الله ، ثم الاختيار بعد ذلك .

ج ــ ويرى أن الإنسان من حيث الخير والشر محايد ، إذِ الإنسان « مجبول على التأنس والمعيشة مع أمثاله » ولذا يجب أن « يحسن خلقه ويروض طبعه ، فإن الخلق عادة النفس التي تصدر من الإنسان بلا روية ، فهو نوعان : إساءة وإحْسانٌ جُبِلَ عليهما الإنسان ، فإذا ارتسم في النفس أيهما ، كان نقله صعبا ، لأنه تطبع ، فإذا كانت الأخلاق المحمودة غريزة في بعض فلا يهمل الباقي منهم أن يصيروا إليها بالرياضة والألفة ، ويرتقوا إليها بالتدرب والاعتناء والكلفة ، فمن لم يكن منهم على الخير مطبوعا يصير متطبعا ، والفرق بين الطبع والتطبع أن الطبع جاذبٌ مفتعل والتطبع مجذوب مفتعل ، وقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة ولا الأخلاق الجميلة ، ونفسه مع ذلك متشوقة إلى المنقبة ، وتأنف من المثلبة[٨٤] » .

ودور التربية هنا كما هو واضح من كلامه مهم ، إذ هى التى تطبع الأفراد على الخير ، فالإنسان محايد ودور التكوين الأخلاقى منوط بالتربية .

د ــ ويقرر أن الإنسان فرد في المجموع ، والمجتمع مسئول عن الأفراد كما أن الفرد مسئول عن مجتمعه ، يقول « لا يجهل أحد أن قوام

---

(٨٣) المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .

(٨٤) المرجع السابق ، ص ٣٨١ وراجع ، ص ٣٨٢ .

الإنسان وانتظام أحواله يستدعي أنه خلق لحكمة عجيبة ، ولم يخلق عبثا .... توجب بهذا السعي لإصلاح بنيته المادية وتنمية أجزائه العضوية ، بسد خلة ما فيه من الوجدانيات النفسانية القوية » ولكن « النفس البشرية لم تخلق لأن تكون منعزلة وحدها ، منفصلة عن أبناء جنسها ، مجردة عن الاجتماع والائتناس ، مع ميلها لذلك طبعا ، واضطرارها إليه وضعا ، فهذا دليل علَى أن الإنسان يحتاج إلَى التأنس العام والاجتماع التام ، لأن الإنسان بالانفراد لا يكفى للقيام بأود نفسه[٨٥] » ولهذا كان الإنسان الفرد متمدنا ، ومن أسباب التمدن « التمسك بالشرع ، وممارسة العلوم والمعارف ، وتقديم الفلاحة والتجارة والصناعة ، واستكشاف البلاد التي تعين على ذلك ، واختراع الآلات والأدوات من كل ما يسهل أويقرب الطرق المتمدينة بإيجاد الوسائط والوسائل ، مما أعان على التعليم والتعلم ، الذى هو ركن من أركان التمدن[٨٦] » ويقرر مجموعة من المبادىء مثل حرية الرأى والتعبير ، وضمان الحرية العمومية والتساوى بين أهالى الجمعية[٨٧] ، والمساواة والعدل[٨٨] . وهو فى كل هذا يستقى من القرآن والسنة والتراث الصحيح جاعلا منها مصدر آرائه .

وقد كان لهذه الآراء انعكاساتها على آرائه التربوية :

أ ــ مفهوم التربية :

ويعرض له قائلا : " عرف بعضهم التربية بأنها (تنمية أعضاء المولود الحسية من ابتداء ولادته إلى بلوغه حد الكبر ، وتنمية روحه بالمعارف الدينية والمعاشية) فبهذا انقسمت التربية إلى قسمين : حسية وهي تربية الجسد ،

(٨٥) المرجع السابق ، ص ٣٧٩ .

(٨٦) المرجع السابق ، ص ٤٧٠

(٨٧) المرجع السابق ، ص ٤٧٠ ــ ٤٧٦ .

(٨٨) المرجع السابق ، ص ٤٧٦ ــ ٤٧٧ .

ومعنوية : وهي تربية الروح ، ومع ذلك فإن تغذية الطفل ثلاثة أنواع من الغذاء مختلفة الموضوع ، الأولي : تغذية المراضع للأطفال بالألبان ، الثانية : تغذيتهم بإرشاد المرشد بتأديبه الأوَّلى للأطفال وتهذيب أخلاقهم ، وتعويدهم التطبع بالطباع الحميدة ، والآداب والأخلاق ، الثالثة : تغذية عقولهم بتعليم المعارف والكمالات . وهذه وظيفة الأستاذ المربي[89]

'' وقد أنتج هذا أن التربية فن تنمية الأعضاء الحسية والعقلية ، وطريقة تهذيب النوع البشرى ذكرا كان أو أنثي ، على طبق أصول معلومة ويستفيد معها الصبي هيئة ثابتة يتبعها ويتخذها عادة وتصير له دأبا وشأنا وملكة ، فالتربية المعنوية حينئذ هي فن تشكيل العقول البشرية وتكييفها بكيفية حسنة مألوفة ، وغايتها إيجاد ملكة راسخة فى الصغير تحمله على التخلق بحسن الأخلاق حسب الإمكان . بحيث يحصل من هيئة تربيته الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا ، بسهولة ويسر[90] '' .

وبالرغم مما يظهر من إتيانه بجديد ، إلا أنه لم يخرج عن جو الفكر الإسلامي ، فلا نلمح فى هذا إلا رجوعا إلى التراث كما قدمه مسكويه والغزالى وغيرهما ، وهو إذ يسوق التعريف السابق ، لا يعرف بالماهية أو الحد أو غير ذلك ، بل هو يعرف إجرائيا موضحا الهدف من هذا الفن ، فهدف التربية :

— تنمية الجسم تنمية سليمة .

— تنمية العقل وتحسين إدراكاته .

— تهذيب الخلق .

---

(٨٩) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

(٩٠) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

ويربط بين تقدم الأمة وتقدم التربية ورقيها ، فالأمة إذا تقدمت في التربية '' يتقدم فيها أيضا التقدم والتمدن على وجه تكون به أهلا لحصول على حريتها ، بخلاف الأمة القاصرة التربية ، فإن تمدنها يتأخر بقدر تأخر تربيتها[91] '' وفى هذا إدراك واع لمسئولية التربية وأهميتها ودورها فى تحقيق الأهداف الاجتماعية ، وتنشئة الأفراد تنشئة صالحة ، فغرض التربية '' تنمية الصغير جسدا وروحا وأخلاقا فى آن واحد ، يعنى تنمية حسياته ومعنوياته بقدر قابليته واستعداده[92] '' .

ب ــ الوسائط التربوية ومراحل التعليم ومناهجه :

وتستند التربية أولا إلى : ١ ــ البيت والأسرة ، يقول '' ثم إن تربية الولد ينبغي أن تكون فى بيت أبيه وأمه ، وهى التربية اللائقة للبيت ، وكل امرأة لم تربها أمها فى صغرها لم ترغب فى تربية أولادها فى كبرها[93] '' .

٢ ــ ويعقد فصلا عن أقسام التعليم بعد المنزلى مستشهدا بما يحدث فى أوربا ، ويذكر '' أن التعليم هو الوسيلة العظمى التى يكتسب بها الإنسان معرفة ما يجهله بالكلية ، أوما يسعي له من تكميل علمه ببعض أشياء جزئية ، فالتعلم جزء من التربية المعنوية التى هي تهذيب العقل وترويض الذهن ، وهذه التربية المعنوية تنقسم إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول : تربية النوع البشرى ، يعني تربية الإنسان من حيث هو إنسان ، بمعنَي تنمية مواده الجسمية وحواسه العقلية . القسم الثانى : تربية أفراد الإنسان ، يعني تربية الأمم والملل ، القسم الثالث : التربية العمومية لكل إنسان فى خاصة نفسه وهى تربية الإنسان الخصوصية[94] '' .

---

(٩١) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

(٩٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

(٩٣) المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

(٩٤) المرجع السابق ، ص ٣٨٥ .

ويذكر أن القسم الأول : (طبيعي) ويكون أيام الصبا والشبيبة ، والقسم الثاني : لا يحصل إلا بتعلم أحكام الدين الواجب معرفتها على كل إنسان .

أما القسم الثالث ، فهو ما يتعلمه التلاميذ فى المدارس وفى سائر مجامع المعارف ، وهذا يقسم إلى ثلاث مراحل : ابتدائي ، وثانوي وتجهيزي وتعليم عالي[٩٥] .

٣ ــ والتعليم الأولي يكون الناس فيه سواء وعام لجميع الناس ، يتعلم فيه التلميذ القراءة والكتابة (ضمن تعليم القرآن الشريف) وأصول الحساب والنحو ، ويعلل لكل مادة من هذه المواد ، ويذكر الأسباب التي تحسن تعليمها ، وهذه المرحلة يحتاج الإنسان إلي علومها '' كاحتياجه إلي الخبز والماء '' وهو ضروري لكل إنسان حتى أصحاب (**الكارات**) ولكن علي المعلم فى هذه المرحلة أن '' يتخذ فى تعليم الصبيان أقرب الطرق وأسهلها للتعليم ، وكذلك ينبغي للأستاذ الماهر فى الفنون والصنائع أن يسلك سبيل السهولة ، وينهج أقصر المناهج فى تعليم غلمانه ، لأن العادة جارية بأن من يتعلم الصنائع '' **الكارات** '' وحرف المهنة إنما هو من أولاد الفقراء والمتوسطين ، وأن زمنهم محسوب علي آبائهم الذين هم فى الغالب مساكين ، فلا ينبغى تطويل الزمن فى تعليم الصنائع والمهن[٩٦] '' .

٤ ــ أما التعليم الثانوى '' فهو فى الغالب لا يلتفت إلي البراعة فيه غالب الأهالي لصعوبته ، فينبغي للحكومة المنظمة ترغيب الأهالي وتشويقهم فيما يخص هذا النوع ، فهو ما يكون به تمدين جمهور الأمة ، وكسبها درجة الترقى فى الحضارة والعمران ، وأنواع هذا القسم التعليمي كثيرة ، فمما ينبغي أن يشتغل به أبناء الأهالي منها المهم فالأهم ، كالعلوم الرياضية

(٩٥) المرجع السابق ، ص ٣٨٦ .

(٩٦) المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .

بأنواعها ، والجغرافيا والتاريخ ، والمنطق ، وعلم المواليد الثلاثة ، والطبيعة والكيمياء ، والإدارة والملكية ، وفنون الزارعة والإنشاء والمحاضرات وبعض الألسنة الأجنبية التى يعود نفعها على الوطن[٩٧] '' .

٥ ـــ أما التعليم العالي ، فهو '' اشتغال الإنسان بعلم مخصوص يتبحر فيه ، بعد تحصيله علوم المبادىء والتجهيزات ، كعلم الفقيه ، والطبيب ، والفلكي والجغرافي والمؤرخ ، من كل علم يجب تعلمه وجوب كفاية[٩٨] '' .

ويؤكد على ضرورة توسيع قاعدة التعليم الأولي ، والتعليم الثانوي ، وتضييق قاعدة التعليم العالي ، وإن كانت مبرراته فى هذا اقتصادية وسياسية ، إلا أنها قضية غاية فى الأهمية ـــ ما زالت تشغل الفكر التربوي المصري حتى الآن .

ويعقد فصلا واسعا (فى سعة وأثر المعارف والاطلاع على التليد منها والطارف) ويبين أن الغرض الأصلي من العلوم والمعارف إنما هو الانقياد لأمر الله تعالي بما اقتضته الحكمة الربانية فى بعثه للرسل ، عليهم الصلاة والسلام ، حيث إن الحكمة فى بعثهم إنما هي لانتظام أحوال العباد فى المعاش والمعاد ، مما لا يحصل إلا بعبادة أو معاملة أو مناكحة أو جناية فكل بالغ عاقل مكلف بعلم الحلال والحرام والعمل به ، لينال سعادة الدارين لكونه علم وعمل بما فيه السعادة بمعاشه ومعاده[٩٩] ''

ولذا نجده يرتب العلوم كما يلي :

١ ـــ العلوم الشرعية ، وتتناول علم التوحيد ، والتفسير والفقه

(٩٧) المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .

(٩٨) المرجع السابق ، ص ٣٨٩ .

(٩٩) المرجع السابق ، ص ٣٩٩ .

والحديث . " والاشتغال بالعلوم الشرعية أهم العلوم كلها[١٠٠] " .

٢ ـــ علم الفنون والصنائع ، وتشمل التاريخ واللغات والجغرافيا وغيرها ، ويذكر شروطا لكافة هذه الدراسات[١٠١] .

٣ ـــ أما طرق التدريس ، فيتناولها بتكامل ، ويقرر بشأنها عدة مباديء :

أ ـــ أهمية المعلم لأن " أصل التعليم إنما يكون بالتلقي والأخذ من أفواه الأساتيذ حتي يتحصل الإنسان على الملكة الصادقة التى يعد بالحصول عليها المتعلم منتهيا[١٠٢] " .

ب ـــ أهمية التدريس والمدارسة ، نظرا لأنها تمرين للعقل " على مطالعة عدة علوم ، أو علم واحد منها ، ولما كانت فضيلة التعلم والتعليم والقابلية لذلك مشتركة بين جميع الناس ، لا يستغني عنها إنسان ، وكان الاحتياج إليها ناشئا من كراهة النفس للجهل الذي لا يمحوه إلا المواظبة علي الاطلاع ، وكثرة الدراسة المستمرة التي يحصل بها التمكن من المعارف ، وكانت مدة الحياة قصيرة ، لا تكفي فى الحصول على شطر له وقع من المعارف البشرية ، وجب على الإنسان أن يتشبث بالعلوم الضرورية له[١٠٣] " . وفى هذا المجال تظهر عدة مبادىء منها التعلم الذاتي المستمر ، التشبث بالعلوم المهمة للإنسان ، هذا إلى جانب أهمية الاطلاع والدراسة .

ج ـــ مراعاة ميول المتعلمين والتدرج معهم ، إذ يذكر أنه إذا انتهي

(١٠٠) المرجع السابق : ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(١٠١) المرجع السابق ، ص ٤٠٢ وما بعدها .

(١٠٢) المرجع السابق ، ص ٤٠١ .

(١٠٣) المرجع السابق ، ص ٣٩٦ .

المتعلمون من تعلم العلوم الابتدائية والتجهيزية ، وظهر ميلهم إلى خصوصيات تناسيهم من الصنائع والفنون ، وجب وضعهم فيها ، ويذكر فى هذا المجال آراء أراها قريبة من آراء الماوردى وابن خلدون فى هذا المجال[١٠٤] .

د ـــ ويوصي الطالب المشتغل بالعلم أن يصفى ذهنه بأكل طيبات الرزق ، ولعل هذا ما تناوله الزرنوجى والغزالى وغيرهما ، والطهطاوي يؤكد كلامه بأقوال السلف ، وبحكايات يحكيها من التراث[١٠٥] .

هـ ـــ ويوصى باستخدام التنافس فى كسب المعارف ، لأن التنافس الشريف يولد نفع الوطن ، '' إذ ليس الغرض من التنافس حصر الفضل فى صاحبه ، ولا الاختصاص بمكاسبه ومواهبه ، بل مجرد التقدم فى المعارف ، والدخول مع الأقران فى ميدان السباق ، ليبادر كل منهم بالسعي كالفارس الذي يدعو قرينه للدخول فى حومة النزال ... ولا بأس بالسباق العمومي الفخار ، ولا بالتشبث فى كسب الاختيار ، فمن لم يساعده مجال فطنته على كمال الفوقان ، فلا تخلو فروسيته عن كسب ثمرة تكافيء جريه فى هذا الميدان ، فقلَّ أن يخيب تنافس المتنافسين[١٠٦] '' .

هذا مجمل آراء الطهطاوي فى التربية ، وإن كانت تحتاج إلى تفصيل أكثر ، وإن كان فى آرائه تأثر أو بعض تأثر بالفكر الغربي ، فهذا ليس مما يعيبه ، لأنه إن تأثر أو نقل ، نقل بعض الجزئيات ، لا الفكرة بأكملها ، وهو حين اطّلع على حضارة لا يجد في مجتمعه مثلها ، فلابد وأن يحدث له انبهار ولكنه استطاع أن يتمالك نفسه أمام السقوط فى وهدتها ، لأنه كان له من تراثه وثقافته الدينية العميقة حاجز دون هذا السقوط ، وإجمالا يمكن

(١٠٤) المرجع السابق ، ص ٣٩٩ ،

(١٠٥) المرجع السابق ، ص ٣٩٠ .

(١٠٦) المرجع السابق ، ص ٤١٤ .

القول إن رفاعة :

١ ـ اعتمد على فهم كامل للطبيعة الإنسانية ، ولطبيعة الإشكالية الحضارية التى يعيش فيها مجتمعه ، ومن ثم أتى فهمه للتربية فى مفهومها وأهدافها ودورها فى تحقيق التقدّم ، وجاءت هذه نابعة من الثقافة الإسلامية الأصيلة ولا تتعارض معها .

٢ ـ استفاد من فكر الغرب وعلومه ، وتأثر بها واستقي منها ، وحاول محاولة جادة صبغ فكره بالصبغة الإسلامية ، بحيث لا تتعارض هذه الأفكار مع الثقافة الأصيلة ، ومن ثم جاءت آراؤه أو نسقه التربوى إسلاميا كاملا .

٣ ـ تناول هدف التربية بتكامل ، إذ هو تنمية القوى الإنسانية متكاملة فى آن واحد ، بما يحقق السعادة للإنسان فى الدنيا والآخرة .

٤ ـ تناول وسائط التربية بتكامل أيضا ، فوظيفة البيت تكملها وظيفة المدرسة ، وإذا كانت وظيفة البيت تربوية ، فالمرحلة الأولي وظيفتها تربوية أيضا ، أما المراحل الأعلي فوظيفتها تعليمية تربوية ، وإن ظهر هنا التأثر بالفكر الغربى ، فإنه استطاع أن يصوغ ويطوع هذه الأفكار لثقافته الأصيلة .

وعموما فقد كان رفاعة أول الرواد فى مجال التربية فى العصر الحديث ، هدف إلي توجيه الطفل منذ نشأته الأولي ، وغرس الفضائل الخلقية والدينية فى نفسه ، فإذا ما شب عن الطوق غدا قادرا على تمثل المعتقدات والفضائل الاجتماعية لمجتمعه ، ويذكر فى هذا المجال أن تربية المرأة ضرورية ، ويذكر "ما كان نساء العرب يربين عليه أولادهن من الشجاعة والإقدام ، ويعرض للفروق بين الفتى والفتاة فى صراحة تفتقدها طرق التعليم ومناهجه فى نظامنا التعليمى الحاضر[١٠٧] " .

(١٠٧) د . حسين فوزى النجار : رفاعة الطهطاوى ـ رقم (٥٣) من سلسلة أعلام العرب ـ الدار

٢ ــ الإمام محمد عبده :

كان جمال الدين هو الصيحة التي أيقظت النائم ونبهت الغافل ، ورغم غلبة الطابع السياسي عليها ، فإن محمد عبده كان امتدادا له ، وكانت له آراؤه التربوية ، اعتمد فيها علي الفهم الكامل للإسلام ، ومعطياته ، وفهم واع للطبيعة البشرية من خلال معطيات الإسلام وجاءت آراؤه في ضوئها . ويمكن تناول آرائه فيما يلى :

أ ــ يقر الإسلام الماديات والمعنويات فى الإنسان ، فهو قد ظهر " لا روحيا مجردا ، ولا جسدانيا جامدا ، بل إنسانيا وسطا ، آخذا من كل القبيلين بقصيد ، فتوفر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره ، ولذلك سمىَّ نفسه دين الفطرة ، وعرف له ذلك خصومه اليوم ، وعدُّوه المدرسة الأولى التى يرتقى بها البرابرة على سلم المدنية[١٠٨] " و " جاء هذا الدين على الوجه الذى ذكرنا ، فهدي ضالا وألان قاسيا ، وهذب خشنا ، وعلم جاهلا ، ونبه خاملا ، وأثار إلي العمل كسلا ، وأقدر عليه وكلا ، وأصلح من الخلق فاسدا ، وروج من الفضيلة كاسدا ، ثم جمع متفرقا متصدعا ، وأصلح مختلا ، ومحاظلما ، وأقام عدلا ، وجدد شرعا ، مكن للأمم التي دخلت فيه نظاما امتازت به عما سواها ممن لم يدخل فيه ، فكان الدين بذلك عند أهله كمالا للشخص ، وألفة فى البيت ، ونظاما للملك ، وظهرت به آثار النعمة عليهم فى جميع شئونهم ، ولم يفت العلم حظه من عنايته بل كان قائده فى جميع وجوه سيره[١٠٩] " ومن هذا المنطلق جاء تصور الإمام للطبيعة البشرية .

= المصرية للتأليف والترجمة ــ (د . ت) ص ١٦٧ .

(١٠٨) محمد عبده : الأعمال الكاملة ، ج ٣ . (مرجع سابق) ، ص ٢٢٥ .

(١٠٩) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

ب ــ يوازن الإمام بين المادي والمعنوى ، ويذكر أن الإسلام وازن بينهما ، وبين الحياة الدنيا والآخرة ، فالآخرة لا تأخذ الإنسان '' عن كسبه ، ولا تحرمه من التمتع به ، ولا توجب عليه تقشف الزهادة ، ولا تجشمه فى ترك الملذات ما فوق العادة '' ..... '' صاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم لم يقل بع ما تملك واتبعني '' ولكن قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله '' الثلث والثلث كبير لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس[110] '' .

والإسلام يقر الماديات والمعنويات ويرفق بالإنسان فهو يفرض الصوم ، ولكنه يتركه إذا غلب على الظن الضرر منه ، وهكذا الوضوء والغسل ، وأداء الصلاة ، والسعى إلي الجمعة ، '' فتري الدين قد راعي فى أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح[111] '' . ومن اهتمامه بالجسم ، إباحة التجمل لأهله بأنواع الزينة ، والتوسع فى التمتع بالمشتهيات ، على شرط القصد والاعتدال وحسن النية ، والوقوف عند الحدود الشرعية ، والمحافظة على صفات الرجولة[112] .

ويعطى الإسلام الروح حقه ، بل '' وخشي علي المؤمن أن يغلو فى طلب الآخرة فيهلك فى دنياه وينسيَ نفسه فيها ، فذكَّرنا بما قصه علينا ــ أن الآخرة يمكن نيلها مع التمتع بنعم الله علينا فى الدنيا ، إذ قال : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين)[113] '' .

(١١٠) المرجع السابق ، ص٢٩٤ .

(١١١) المرجع السابق ، ص ٢٩٤ .

(١١٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٤ ، واستشهد بالآيات : الأعراف : ٣١ ــ ٣٣ والنحل : ٥ ــ ٩ والإسراء : ٢٧ ، ٢٨ .

(١١٣) المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

فالإسلام لم يبخس الجسد حقه ، ولا الحواس ، كما أنه هيأ الروح لبلوغ كمالها ، فهو الذي جمع للإنسان أجزاء حقيقته ، واعتبره حيوانا ناطقا ، لا جسمانيا صرفا ، ولا ملكوتيا بحتا ، جعله من أهل الدنيا ، كما هو من أهل الآخرة ، واستبقاه من أهل هذا العالم الجسدانى كما دعاه إلى أن يطلب مقامه الروحانى[114] '' .

فالإنسان فى الإسلام وطبقا لفكر الإمام يتكون من المادي والمعنوي ، الذى يعبر عنه بالروحاني ، وبهما يجمع الإنسان بين متاع الدنيا ونعيم الآخرة ، ومن أجل ذلك فالمسلمون '' مسوقون بنابل من دينهم إلى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد والعزة والمجد ، ولا يرضيهم من ذلك ما دون الغاية ، ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك إلا بالعلم ، فهم محفوزون أشد الحفز إلى طلب العلم وتلمسه فى كل مكان ، وتلقيه من أية شقة وأى لسان ، فإذا لاقاهم العالم فى أى سبيل ، أو عثروا به فى أي جيل ، أو ظهر لهم من أى قبيل ،هشوا له وبشوا ونصبوا إليه وكمشوا ، وشدوا به أواصرهم وعقدوا عليه خناصرهم ، ولا يبالون ما تكون عقيدته إذا نفعتهم حكمته[115] '' .

ج ــ وقد أبرز دور العقل ، وأولاه اهتمامه ، إذ أنه يركز على أن الأساس الذى وضع الإسلام أساسه هو النظر العقلي ، وهو وسيلة الإيمان الصحيح ، ويتناول دوره فى أكثر من موضع[116] ، ويذكر أن القرآن حين أوصَي بالعقل ، خاطبه ، و '' استنهض الفكر ، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام والإتقان علَي أنظار العقول ، وطالبها بالإمعان فيها لتصل

---

(١١٤) المرجع السابق ، ص ٢٩٦ وقارنه بما ذكره رفاعة الطهطاوى فى هذا المجال .

(١١٥) المرجع السابق ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(١١٦) المرجع السابق ، ص ٢٨٢، والجزء الخامس من الأعمال الكاملة ، ص ١٥٤ .

بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه[١١٧] '' . وعموما فقد أبرز الإمام اهتمام الإسلام بالعقل ، وأبرزه عما عداه ، ويقال عنه أنه يجعله مكان تلقى الوحى ، فهو القوة التى يمتاز بها الإنسان عن سواه ، وهو صائب فى هذا إذا فهمنا لفظ العقل بمعناه الواسع الذى تنميه لنا الفطرة الإسلامية الشاملة ، حيث يتكامل العقل مع العاطفة والوجدان ، والإمام قد وعى هذا جيدا ، فأتت نظرته شمولية باعتبار الوحي مرحلة عليا من مراحل العقل والتى يتشابك فيها العقل مع الوجدان ولايختصمان[١١٨] .

د ــ أما أفعال الإنسان ، فقد رأي وسطيتها بين الجبر والاختيار ، يقول بعد الكلام عن آية سورة النحل ''والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ... الخ الآية '' : '' والشكر عند العرب معروف أنه تصريف النعمة فيما كان الإنعام بها لأجله ، دل بمثل هذا علي أن الله وهبنا من الحواس وتحرز فينا من القوي ما نصرفه في وجوهه ، بمحض تلك الموهبة ، فكل شخص كاسب لعمله بنفسه لها أو عليها ، وأما ما تتميز فيه مداركنا ، وتقصر دونه قوانا ، وتشعر فيه أنفسنا بسلطان يقهرها ، وناصر فيها يمدها فيما أدركها العجز عنه ، علي أنه فوق ما تعرف من القوي المسخرة لها ، وكان لابد من الخضوع له ، والرجوع إليه ، والاستعانة به ، كذلك إنما يرد إلى الله وحده ، فلا يجوز أن تخشع إلا لَه ، ولا أن تطمئن إلا إليه ، وكذلك جعل شأنها فيما تخافه وترجوه مما تقبل عليه فى الآخرة ، لا يسوغ أن تلجأ إلى أحد غير الله فى قبول أعمالها من الطيبات ولا فى غفران أفاعيلها من السيئات فهو وحده مالك يوم الدين[١١٩] '' .

---

(١١٧) د . محمد عماره : رسالة التوحيد للامام محمد عبده ، (مرجع سابق) ، ص ١٩ .

(١١٨) راجع فى هذا المجال : د . محمد كمال جعفر : '' فكر بلا نزعات ولا نزاعات '' ــ المسلم المعاصر ــ العدد السادس والعشرون ــ جمادى الأولى ــ رجب ١٤٠١ هـ ــ أبريل ــ يونيو ١٩٨١ م ، ص ٧ .

(١١٩) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

وبهذا ارتفع " شأن الإنسان ، وسمت قيمته بما صار إليه من الكرامة ، بحيث أصبح لا يخضع لأحد إلا لخالق السموات والأرض ، وقاهر الناس أجمعين ، وأبيح لكل واحد ، بل فرض عليه أن يقول كما قال إبراهيم " إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين " وكما أمر رسول الله ﷺ أن يقول : " ﴿ **إن صلاتى ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ تجلت بذلك للإنسان نفسه حرة كريمة ، وأطلقت إرادته من القيود التي كانت تقعدها بإرادة غيره ، سواء كانت إرادة بشرية ظن أنها شعبة من الإرادة الإلٓهية أو أنها هى[١٢٠] " .

ومن هذا المنطلق يؤكد على قيمة العمل ، ويلوم علَي الإنسان التقليد ويذكر أن الإسلام صاح بالعقل صيحة أيقظته من سباته وقد أكد هذا ، بعد أن رأى " أن موطن الداء هو ضعف النفوس ، وجمود الأذهان ، ورأي أن أساس الإصلاح هو تحرير العقول من سيطرة الخرافات ، وإطلاق النفوس من أسر الشهوات ، فشرع فى بناء جيل جديد يدرك قيمة العلم فى معركة الحياة ، ويفهم رسالة الدين فى العمل على إسعاد المجتمع ويميز بين ما للحاكم من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحاكم[١٢١] " .

ومن هنا كان نداؤه بحرية الإنسان تنبيها لـه فى سبيل تحريره من أسر التقليد والأوهام ، وليكون مسؤولاً عن عمله .

هـ ـــ أما الخير والشر فيظهر رأيه فى تفسير قوله تعالى " وهديناه

---

(١٢٠) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(١٢١) د . عثمان أمين : رواد الوعى الانسانى فى الشرق الاسلامى ـــ رقم (٤٦) من المكتبة الثقافية ـــ وزارة الثقافة والارشاد القومى ـــ ج.ع.م ـــ أكتوبر ١٩٦١ ، ص ٦٥ .

النجدين '' إذ يقول« النجد مشهور فى الطريق المرتفعة ، والمراد بهما هنا طريق الخير والشر ، وإنما سماهما نجدين ليشير إلى أن في كل منهما وعورة وصعوبة مسلك ، فليس الشر بأهون من الخير كما يظن ، وإلى أنهما واضحان جليان لا يخفى واحد منهما على سالك ، أى أودعنا فى فطرته التمييز بين الخير والشر ، وأقمنا له من وجدانه وعقله أخلاقا تدله عليهما ، ثم وهبناه الاختيار ، فإليه أن يختار أي الطريقين شاء ، وقد ورد فى الحديث ما يشير إلى ما ترمي إليه هذه الآية ، من أن الله تعالي لم يجعل الشر أحب إلى أنفسنا من الخير — كما يزعم بعض أهل النظر فى الأخلاق الإنسانية — فالذي وهب الإنسان هذه الآلات ، وأودع باطنه تلك القوي لا يمكن للإنسان أن يفلت من قدرته ، ولا يجوز أن يخفى عليه شيء من سريرته[١٢٢] '' .

ويذكر بعد ذلك أن الله أخبر أنه خلق الإنسان فى كبد، ولام الجاهل المغرور على استغراقه فى غروره ، مع أن ما هو فيه من المكابدة كان كافيا لإيقاظه من غفلته ، واعترافه بعجزه ، ثم إنه واهب أمام القوي التى تميز بين الخير والشر والنفع والضر ، ولا تخفي عليه خافية ، '' وكان على الإنسان بعد ما وهب التمييز بين الحسن والقبيح والخير والشر ، وبعدما منح من تلك القوي التى سبق ذكرها — أن يشكر تلك النعم ويختار طريق الخير ، ويرجح سبيل السعادة ، فيصعد فيه إلى حيث يلقى غايتها ، وكان عليه أن يندفع فى تلك السبيل ، ويهجم عليها بكل قوته ، وذلك بأن يفيض على الناس بشىء '' '' مما أتاحه الله عليه[١٢٣] '' .

ومن هذا نلمح أن الإنسان ليس مفطورا على الخير أو الشر ، وإنما

---

(١٢٢) محمد عبده : الأعمال الكاملة ج ٥ — (تحقيق محمد عمارة) — المؤسسة العربية للطباعة والنشر — بيروت — ١٩٧٣ ، ص ٤١٢ .

(١٢٣) المرجع السابق ، ٤١٤ .

هو محايد ، موهوب قوة التمييز بينهما ، وعليه أن يسلك سبيل الخير ويدعمه ، بشكر صاحب النعمة ، وليس الإنسان أقرب إلي الشر أو أقرب إلي الخير ، ولكنه وضع على الطريق وأعطى أدوات التمييز ، وفطر على التمييز بينهما ، وعليه أن يختار أحد الطريقين(١٢٤) .

ونظرة الإمام للإنسان ، تتلخص فيما يلى :

١ ــ أن الإنسان أكرم الخلق ، لأنه أعطيَ المنح والقدرات لكى يعمر الأرض .

٢ ــ وهو جامع للمادي والمعنوي ، للجسم والعقل والروح ، وبهما يعيش ، وعليهما مدار حياته .

٣ ــ وهو حر مختار ، ولكن حريته محدودة ، وهو مسئول عما يفعل .

٤ ــ وهو محايد لديه القدرة على اختيار الشر أو الخير وفعله .

وقد انعكست هذه النظرة على التربية ، ومشروعاته الإصلاحية فى التعليم ، فكانت اراؤه صدى لهذه الأفكار :

أولا ــ مفهوم التربية وأهدافها :

ونلمح فهمه للتربية من خلال عرضه للغرض من إنشاء المكاتب والمدارس ، فالغرض من إنشائها ، العناية بشأن التعليم فيها ، و " تربية العقول والنفوس ، وإيصالها إلى حد يمكن المتربى من نيل كمال السعادة أو معظمها ، ما دام حيا وبعد موته(١٢٥) " وهذا الفهم يعطينا أن الإمام لا يقصد بالتربية فقط أمور الدنيا ، بل يمتد إلى ما بعد الحياة الدنيا ، إلى الآخرة ، ومن هنا تأتى أهميتها ودورها الهام فى حياة الإنسان .

---

(١٢٤) راجع نظرته فى الفردية والجماعية ص ٣٠٣ من الكتاب .

(١٢٥) محمد عبده : الأعمال الكاملة ــ ج ٣ ــ (مرجع سابق) ، ص ٢٧ .

أما أهداف التربية فتتمثل فيما يلى :

١ ـــ التربية العقلية : يقول : '' ومرادنا من تربية العقول إخراجها من حيز البساطة الصرفة ، والخلو من المعلومات ، وإبعادها من التصورات والاعتقادات الرديئة ، إلي أن تتحلي بتصورات ومعلومات صحيحة ، تحدث لها ملكة التمييز بين الخير والشر ، والضار والنافع ، ويكون النظر بذلك سجية لها ، أى يكون لنور العقل نفوذ تام يفصل بين طيبات الأشياء وخبائثها[١٢٦] '' .

٢ ـــ تربية النفس : والمراد بها '' إيجاد الملكات والصفات الفاضلة فى النفس ، وترويضها عليها ، وإبعادها عن الصفات الرذيلة ، حتى يكون المتحلى بها ناشئا على ما يوافق قواعد الاجتماع البشري ، ولوازمه ومتعودا عليه[١٢٧] '' .

ويجعل هناك تكاملا بين تربية النفس والعقل ، ويعتبرهما ركنين أساسيين فى الإنسان ، يقول '' وإذا فقد أحد الركنين ، بطلت الفائدة المطلوبة ، وقلت جدا ، ولنترك البرهان علي ذلك إلي علم كل إنسان به ، فاذا اجتمع للشخص هذان الأمران كان إنسانا له أن يطلب ما ينفعه ، ويبعد عما يضره ، فيدخل فى أبواب الكسب فى الدنيا والآخرة ، إذا رآه موافقا لاستعداده ، وفى قوته النهوض به ، فيختار من العلوم والصنائع ما يشاء ويبرع فيه ، بكل رغبة وغيرة ، حتى يصل إلى ما تمكنه القوة منه ، ولا يتأتى منه الإهمال فيه ، لوجود الباعث من ذاته ، وهو غيرته وتصوره للغاية الذى لا يفارقه ، أما إن كان الشخص ضعيف الإدراك أو فاسد الأخلاق ـــ وإن كان عالما بجميع علم الدنيا ـــ فلا ريب أن يكون شقيا فى نفسه ، وسببا فى

---

(١٢٦) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(١٢٧) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

الشقاء لغيره ، ولا تغني عنه المعلومات شيئا[١٢٨] '' .

٣ ــ التربية الخلقية : ويعلق عليها أهمية كبري ، إذ لا تغنى العلوم والأخلاق سيئة ، لأنه '' لا ينال العلم من أى نوع كان حقيقة إلا تحلّى النفس بالصفات الجميلة ، التى منها بل أعظمها حب الكمال ، الذى هو الداعي الحقيقي إلَي طلب العلم والبراعة فيه '' ومن هنا كان '' أول مبدأ يجب أن يكون أساسا لتحلية العقول بالمعلومات اللطيفة ، والنفوس بالصفات الكريمة هو التعاليم الدينية الصحيحة ، أعني ترغيب القلوب بما يُرضِى الخالق ، وإرهابها مما يغضبه ، ثم يؤتى بالرغبة التى يراد حث النفس عليها علي حقيقتها المقصودة للشارع ، بحيث لاتخرج عن مكارم الأخلاق التى حَضَّ الشارع على بحثه فيها .... ويؤتي بالأمر المنفور منه كذلك على وجهه ، ثم يقال إن ذاك يرضي الله وهذا يغضبه ، وذلك لا يتأتي إلا بعد أن تكون القلوب الساذجة قد بلغت خشية من الله ، وتعظيما لجلاله ، وتبجيلا لمقام ألوهيته السامي ، بحيث لو ذكر اسم الله عند شيء خفق قلب السامع ، واضطربت جوارحه خشية منه ورهبة ، فيكون ذلك سببا لإقدامه علي ما يرضيه من الفضائل ، ونفرته عما يغضبه من الرذائل[١٢٩] '' .

٤ ــ التربية الاجتماعية : وتأخذ دورا مهما عنده ، يقول '' إن العلم الحقيقى هو الذي يعلم الإنسان العلاقة الموجودة بينه وبين غيره من أفراد جماعته ، فهو إذاً يعلم الإنسان من هو ومن معه ، فيتكون من ذلك شعور واحد وروابط واحدة هى ما يسمونه بالاتحاد .... وسنة الله فى خلقه أن توجد الروابط فى العائلات .... ومنها إلى الفروع ... ومنها إلى الأصول القريبة ، ومنها إلى مجموع الأمة التي هو منها ، إذاً فلابد من الوقوف على كنه هذه الروابط ومعانيها ، وإذا تمكن هذا العلم من نفسه تعلم كل شيء ،

(١٢٨) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(١٢٩) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

وبحث عن طريق النجاح في كل شيء[130] ''. ويؤكد على دور التربية في هذا المجال '' فعلي المسلمين إذا أرادوا الإتحاد ، أن يربوا أنفسهم تربية إسلامية حقيقية ليجنوا تلك الثمرة ، وبغير ذلك كل أمل باطل[131] '' .

وأهمية التربية عنده يرجعها إلى مبررات أساسية ، منها ما يتصل بالفرد[132] ، ومنها ما يتصل بالمجتمع [133] . وأهم من هذا أن التربية تنمي الأفراد أخلاقيا ونفسيا وعقليا واجتماعيا وسياسيا ومهنيا ، فهو يذكر أن هدف الجمعية الخيرية من إنشاء المدارس هو تهذيب نفوس الأطفال ومساعدة كل واحد منهم على إحياء صنعة أبيه ، ومساعدة من يتخرج من مدارسها لمدة سنة ، وتهدف إلي إنشاء الروابط الاجتماعية بين الطفل وأهله ، وخاصة أن '' من يتعلم فى المدارس الأخرى وفى أوربا ، يصبح مشغولا بالأماني الباطلة التي لا تدرك،محتقرا لوالديه وأهله والناس ، يقضى معظم أوقاته فى الملاهي ومعاهد البطالة واللغو فى الغالب[134] '' .

ثانيا ــ وسائط التربية ومناهجها :

ولم يختلف الإمام عن رفاعة كثيرا ، فى حديثه عن مراحل التعليم ، إذ يقسمها إلى : مرحلة التعليم الأساسي أو الابتدائى أو الأولى فى المدارس الصغيرة المسماة بالكتاتيب ، ثم التعليم الثانوي ، ثم العالي ، وقد قدم الشيخ مشروعات مختلفة لإصلاح التعليم فى هذه المدارس فى مصر ، وكذلك الأزهر الذى احتل مكانة كبري في تفكيره واحتل أكبر مساحة فى مشروعاته الإصلاحية .

---

(١٣٠) المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(١٣١) المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(١٣٢) المرجع السابق ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(١٣٣) المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(١٣٤) المرجع السابق ، ص ١٦١ .

وهو يتناول نشأة المدارس الأميرية فى عهد محمد علي ، وينقد سياسته ، وكذلك عباس وسعيد وإسماعيل ويذكر أن إرسال الأولاد إلى المدارس الأميرية وراءه دوافع مختلفة ، ولم يكن القصد من وراء ذلك إلا تعليم الأولاد ما يؤهلهم للقيام بعمل من عمل الحكومة ، أو لتكون فى يده شهادة تبيح له أن يشغل كرسيا من كراسي أقلام الدواوين ، أما « تكوينه بالتعليم والتربية رجلا صالحا فى نفسه يحسن القيام بالعمل الذى يفوض إليه فى الحكومة أو فى غيرها فذلك لم يخالط عقول المعلمين ، ولا من ولاهم أمر التعليم[١٣٥] » .

وينقد المعلمين والمتعلمين ، وينقد سياسة الامتحان ، وينقد أمر المدارس جميعا فيقول « ولهذا لا يكون تلامذتها فى آخر الأمر إلا صناعا أو ناطقين ببعض الألسنة ، ولا ثقة فى الأغلب بشيء من عقولهم ولا أخلاقهم ، إلا من كانت له فطرة سليمة ، وله موهبة طبيعية ، فأولئك تؤدبهم الأيام ، وتهذبهم التجارب ، وعلى مثل ذلك كانت مكاتب الأوقاف ولاتزال[١٣٦] » .

وبنفس القدر انتقد المدارس الأجنبية التى أحدثت آثارا سيئة فى البلاد ، هذا إلي جانب انتقاده لسياسة الأزهر التعليمية ، والمدارس العالية ، ودار العلوم ، وغيرها ، وقدم اقتراحات متنوعة تكفل الأداء الوظيفى الفعال لهذه جميعا[١٣٧] . واقترح إنشاء مدارس ليلية لمن لم يكملوا تعليمهم ، يقول « وإننا وحق الحق لفى حاجة كلية إلي أن يكون التعليم الليلي عندنا مستديما ، آخذا من البداية أسهل الوسائل ، ميسر الأسباب ، بلغة بلادنا عامة ، أو خاصة ، حتى تنقطع حجة الجاهل ويبطل برهان الكاسل ، وتنبعث

(١٣٥) المرجع السابق ، ص ١١١ .

(١٣٦) المرجع السابق ، ص ١١١ .

(١٣٧) المرجع السابق ، ص ١١٠ — ١٢٠ .

الغيرة في الكل إذا أقبل البعض علي التعليم ، ويقع التنافس فى الفضائل ، ويجد الشبان الذين استرسلوا مع هوي الشباب شغلا » و « نري أنه لابد أن يكون هذا التعليم إجباريا عاما لكل مستخدم وقارىء لم يتعلم تمام ما يجب عليه فى وظائفه ، إلا لضرورة تمنعه من مرض ونحوه[١٣٨] » .

أما المناهج ، فقبل أن يتناولها الإمام ، يتناول معني العلم والتمرن والاعتياد ، بمعنى أنه لا يقتصر على مجرد النظر ، بل يتعداه إلى الممارسة ، فليس العلم مجرد « تصور القواعد » وإنما هو « ملكة الإفصاح والبيان » لأن العلم يبصر الإنسان فى الغاية التي يطلبها ، ويهديه إلى الحق الذي هو معقد النجاة[١٣٩] . وهدف العلم « الكشف عن الأمر الحقيقي ، بحيث إذا أراد أن يميلك عنه مميل لايقدر علي ذلك ، كمن عرف طريقا موصلة إلى غاية فلا يعدل عنها مهما حاول مضله ، فلا يكون العلم حقيقيا ، ولا تنبعث النفس إلي تحصيله ، إلا إذا كان كذلك بالنسبة إلي الغاية المطلوبة منه[١٤٠] » . وعليه فالعلوم التى تدرس يجب أن تؤدي إلَي غاية ، وينبغي أن تكون هذه وظيفتها ، وإلا فقدت معناها وأصبحت غير ذات جدوي .

وعلى هذا تنقسم المناهج إلى قسمين:العلوم النقلية الدينية « وهى ما بين فيها مسائل الدين ، سواء كانت من الأصول كعلم الكلام ، أو الفروع كالعبادات والمعاملات ، ومن هذا القبيل كتب التفسير والحديث وكتب الأخلاق » أما القسم الآخر فهو العلوم العقلية الحكمية ، وهي ما يبحث فيه عن الحقائق الوجودية وأصولها ولوازمها على قدر الطاقة البشرية[١٤١] » وهناك فرع الأدبيات التى يبحث فيها عن تنوير الأفكار وتهذيب الأخلاق

---

(١٣٨) المرجع السابق ، ص ٣٣ .
(١٣٩) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .
(١٤٠) المرجع السابق ، ص ١٤١ .
(١٤١) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

« ومنها التاريخ والأخلاقيات العقلية[١٤٢] » .

ويفيض فى كيفية تعليم النحو والبلاغة وغيرهما ، والمهم فى هذا المجال أن أفكار الإمام تعتبر جديدة بالنسبة لما ساد عصره ، إذ ليس الهدف من تعليم هذه العلوم هو تعلمها من أجل ذاتها بل لما تؤدى إليه من تكوين فكر ناضج ، وفتح باب النظر أمام الإنسان فى العلوم . ويعتبر الطريقة مكملة لأهداف التربية ولذا يعطي أهمية للمعلم وإعداده وطريقة التدريس .

ويوصى بالبدء فى تعليم القراءة والكتابة والحساب والنحو ، وتعميم التعليم فيها لأنها تعتبر مفاتيح المعرفة ، ثم تتدرج العلوم معه بتقدم النمو وتطوره ، فإذا كان هذا فى المرحلة الأولَي ، فانه في المراحل التالية يمكن أن يدرس مواد أخري ، ذات طابع آخر ، له سعته وتفريعاته ، حيث لا يتأتى ذلك إلا فى سن متقدمة من النمو ، ومع نمو المدركات .

كان رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده رواد الفكر التربوى فى مصر الحديثة ، وشاركهما فى هذه الريادة علي باشا مبارك ، وله الكثير من الآراء والأفكار التربوية ، التى تتسم بالسمة المميزة والرئيسية للفكر الإسلامى ، وهو التوسط فى كل شىء ، وإن كان فكره أكثر انفتاحا على الغرب ، وقد رأينا تقريره فيما يتصل بلغة التعليم ، وتوصيته بضرورة التدريس فى كافة المواد بإحدَي اللغتين الفرنسية أو الإنجليزية[١٤٣] » .

وعلى كل حال ، فإن دراستنا للرائدين رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده ، لا تعني إهمال الآخرين ، بل هما أمثلة فقط لما كان عليه جيل الريادة ، وإذا كان الاحتلال قد حدث لمصر وعاصر جزءا منه محمد عبده ،

---

(١٤٢) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(١٤٣) أنظر ص ٢٥٢ من الكتاب .

فإنه جاهد وكانت وسيلته فى هذا الجهاد التربية .

ولم ينقطع الخط أو الاتجاه ، فقد استمر مع عبد الله النديم ، ومصطفى كامل وغيرهما وجاءت اجتهادات هؤلاء فى نفس الإطار ، وطبقا للخط الأساسى الذى اختطه السابقون فى الفكر التربوي .

مرحلة المجاهدين (المعاناة) :

كان لإرساء الأصول الفكرية للتربية دور بارز وهام ، فى تكوين مدرسة ، لا بالمعنى العلمى الدقيق ولكن مدرسة أفراد ، دافعوا عن الثقافة الإسلامية والتربوية الإسلامية والشخصية الإسلامية ، ضد النزعات الغربية المتطرفة التي لا تمثل الثقافة الإسلامية ، وقد كان هؤلاء الأفراد امتدادا للتيار العام فى هذه الفترة ، الذى ساد الثقافة والمثقفين فى عملية الدفاع عن الثقافة الإسلامية والذود عنها ضد المتغربين والمستشرقين ، سواء فى مجال التعليم أو اللغة أو غير ذلك ، وتناولنا هنا لنماذج من هذا الجيل ، على سبيل المثال لا الحصر ، ومن كافة الاتجاهات ، ولن أحدد لها فترة زمنية ، بل أتخير بعض الاتجاهات فيها حسبما يكون التاريخ ، فنحن نتناول فكر الأفراد لاحقبا لأزمان .

حسن توفيق :

وهو خريج دار العلوم ، اشتغل بالتدريس بمدرسة اللغات الشرقية ببرلين ، « فانتفع بوجوده في ألمانيا وعاد إلى مصر فألف فى التربية كتابا كان الأول من نوعه[١٤٤] » يذكر فى مقدمته أنه اطلع على أحوال التربية فى ألمانيا ، واطلع على المراجع الألمانية فى هذا الفن ، ومن ثم شرع فى تأليف

---

(١٤٤) محمد عبد الجواد : تقويم دار العلوم ـــ صورة عن العدد الماسى يصدر لمرور ٧٥ عاما المدرسة ١٨٧٢ ـــ ١٩٤٧ ، ج . م . ع ١٩٥٩ ، ص ٤٦٤ .

هذا الكتاب يقول : وعولت « فى ترتيبه على كتاب لأحد علمائها الفاضل شومان الألمانى ، لشموله وحسن ترتيبه ، ولم أقتصر علي ترجمة أحد تلك الكتب بعينه ، لأنها موضوعة حسب عاداتهم وأحوالهم وآدابهم ، فما كان منها موافقا ترجمته ، وما كان مخالفا رجعت فيه إلي العادات والآداب الشرقية ، وإلي الشرع الشريف والدين الحنيف(١٤٥) » . وهو يتناول القضايا التالية (على حسب ترتيب الكتاب) :

أ ــ **مفهوم التربية** : وهو يحلل اللفظ اليونانى (بيدا جوجيا) ، ويترجمها علي أنها هداية الأطفال ويذكر أنه وضع « علما على علم التربية الإنسانية » ويذكر أنه « علم حديث استنبطه منذ عهد قريب أمم أوربا وجعلوه تحت قواعد وقوانين هداهم إليه الاختبار والتجربة والتاريخ » إذ هو علم « يبحث عن النواميس الطبيعية والنظرية التي يجب اتباعها فى تربية الناشيء ، وموضوعه الإنسان من حيث كونه مخلوقا أدبيا ، ومقصوده توصيل الإنسان إلى غاية الكمال حتى يكون نافعا لنفسه وللهيئة الاجتماعية(١٤٦) » .

وهو كما نرى متأثر إلى حدٍّ ما بالفكر الغربى ، وله عذره ، فهو يحاول الاستفادة من تراث الآخرين فى سبيل خوض مجال فى التأليف ظن أنه لم يسبقه أحد فيه ، ولو رجع قليلا إلي فكر الطهطاوى ومحمد عبده لوجد فيه بغيته ، ولكنه فى الباقى يعتمد على أرضية ثقافية إسلامية صحيحة ، ويكمل من الاتجاهات والأفكار ما ظن أنه غير موجود فى ثقافته الأصيلة ، وهو اجتهاد محمود على أى حال .

---

(١٤٥) الشيخ حسن توفيق أفندى : كتاب هداية الاطفال ــ ط ٧ ــ المطبعة الأميرية بالقاهرة ــ ١٣٤٦ هـ ــ ١٩٢٤ م ، ص .

(١٤٦) المرجع السابق ، ص ١ .

ب ــ **الطبيعة الإنسانية** : وهو يعتمد فى تناوله على فهمه للتربية ، يذكر أنه « لما كانت تربية الشيء متوقفة على معرفة ذلك الشيء وعلى المقصود منه ، وكان الإنسان مركبا من شيئين : الجسم والنفس ، حَسُنَ بنا أن نقسم موضوعنا هذا إلي ثلاثة أقسام : الأول : علم الجسم ، الثاني : علم النفس ، الثالث : علم الأخلاق الذى يعرفنا المقصود من الإنسان[١٤٧] » وهو يكامل بين الثلاثة ويرى أنها ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا .

ويعتبر أن علم الجسمية هو أساس التربية الجسمية و « المقصود منها حفظ الجسم ونموه ، وكذلك التربية العقلية ، من حيث إن الجسم هو الآلة للنفس والعقل » وهي « قسمان : تربية تبحث عن القوانين الصحية ، التى تتبع للتوقي من الأمراض ، وتربية تبحث عن نواميس الشفاء منها[١٤٨] » ويتكلم عن القواعد العامة للتربية الجسمية من حيث الطعام والهواء والنوم والحركة والإحساس والملابس والأعصاب.ولعلنا نلمح هذا التكامل بين وظيفة الجسم والعقل .

ثم يتكلم عن النفس ، والأسس التى يجب أن تراعَي عند تربيتها ، ويعتبر ما جاء فى الكتب المقدسة والأحاديث والآثار مصدرا من مصادر علم النفس ، ثم يتكلم عن النفس ونسبتها إلي الجسم ، ويحيل النفس إلي الجسم والجسم إلي النفس ، بحيث يظهر ذلك التكامل أو الوسطية الانتقائية التى هي من أبرز سمات الفكر الإسلامى . فهو لا يركز على الجسم فقط أو النفس فقط أو العقل فقط ، بل يكامل بينها .

ويتحدث عن أحوال النفس من شعور وإحساس وتعقل وتذكر

---

(١٤٧) المرجع السابق ، ص ١ .

(١٤٨) المرجع السابق ، ص ٢ .

وتخيل ، ويذكر لكل نوع من هذا ويعرض للإحساس بالآداب ، ويذكر أنه خاص بالإحساس بالخير والشر ، بعد تناوله الإحساسات المادية والمعنوية والإحساس بالحقيقة والإحساس بالحسن ، ويذكر أن الغرض من تربية الإحساس بالآداب « أن تجتمع أفراد الإنسان على إرادة واحدة ، ويحصل ذلك بواسطة التربية والتعليم والمعاشرة ، وترقب الإنسان لأعمال نفسه وغيره » و '' تربية المتعلم أثناء التعليم بذلك الإحساس مهمة ، بأن نعرض عليهم بعضا من الآيات القرآنية التعليمية ، والأحاديث الأدبية ، وآثار الحكماء ، وأمثال العقلاء ، والتواريخ ، لاسيما تاريخ الإسلام عموما ، ومصر خصوصا ، وكثيرا من الحكايات التى تتضمن المعاملات الحسنة أو السيئة[١٤٩] '' .

ثم يتناول الإحساس بالدين ، باعتباره '' الناموس الباطني المرشد الهادى إلى خطة الفلاح فى الحياة الدنيا وفى الآخرة[١٥٠] '' ويتكلم عن الطمع والإرادة النفسانية ، ويذكر أنه من الواجب '' أخذ الأطفال منذ أول النشأة بالعادات الحسنة ، وتعهدهم بها زمنا فزمنا ، حتى تصير لهم طباعا تنبعث عنها الأميال إلي الفضائل والخير ، فإن الأحداث أوائل نشأتهم كالعجينة ، قابلة لأية صورة ، قال حكيم الإسلام على بن أبى طالب رضى الله عنه : قلب الحدث كالأرض الخالية ، متى ألقى فيها شيء قبلته[١٥١] '' ثم يذكر أهداف التربية فى هذا المجال ، فيذكر أنها تعويد لهم على جملة من الأمور كالغسل والاستحمام والاستيقاظ بكرة فى الصباح وتعويدهم الأعمال الجسمية ، وتشخيص محاسن الأشياء ، وحدَّةِ الفكر ، وعدم الخطأ فى التكلم ، والآداب الاجتماعية والأعمال الخيرية والأعمال الدينية[١٥٢] ،

---

(١٤٩) المرجع السابق ، ص ٢٤ — ٣٠ .

(١٥٠) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(١٥١) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(١٥٢) المرجع السابق ، ص ٤٠ ، ٤١ .

وفي كل هذا ما يذكرنا بأقوال الإمام الغزالى وغيره من المفكرين المسلمين .

أما الناحية الأخلاقية فقد أفاض فيها ، ولم يأت بجديد ، ويذكر أن الفضائل أواسط بين طرفى الإفراط والتفريط[١٥٣] ، ويقسم الفضائل أقساما ويشرحها كما يلي :

١ ــ الإنسان ونسبته إلي نفسه ويذكر أن الإنسان " من أول الفطرة لا يشعر بذاته ولا يعرف الفرق بين جسمه ونفسه ، أو بين ذاته وذات أخْرَي إلا بالتدريج بواسطة مرور الزمان ، وكثرة الاختيار ، وترقية لأحواله الذاتية وأحوال غيره ، وإذا انتهَي به الاختيار يشعر بأنه كون قائم بذاته ، وإن كان يجد لنفسه أخلاقا وطباعا خاصة به ، بحيث يظهر له الفرق ظهورا واضحا بينه وبين غيره من الأشياء والأشخاص[١٥٤] " . وإحساسه بنفسه لا يتم إلا بواسطة التعرف والشعور والإرادة ، ويعني التعرف تعرفه الحكمة " ذلك ، أن الإنسان بطبعه شغوف بمعرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه فى الواقع .... " " لكن ربما صادفته الهداية : فتكتمل المعرفة أو العماية والضلال : فتنعكس جهلا ، ولاحتمال حصول الحالين اقتضت حكمته سبحانه أن ينير عقل الإنسان بنواميس الألوهية ، بواسطة الإلهام والوحي ، وبذلك نعلم أن الإنسان لا يتم تعرفه من ذات نفسه بل بواسطة الإرشادات الإلهية كما نعلم منه أيضا حكمة وجوب إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام[١٥٥] " .

وفى قضية الخير والشر يذكر أن العلماء والحكماء تضاربت أقوالهم ، ويقول : " ويعجبني ماذهب إليه بعض الحكماء العرب من أن الإنسان

---

(١٥٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(١٥٤) المرجع السابق ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

(١٥٥) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

مفطور على الخير والشر معا ، وأنه أقرب إلى الخير منه إلَي الشر [١٥٦] ،،
« ويسوق هنا الإرادة ، ويفصل فى كونها إرادة حميدة أو ذميمة ، ووجوب ربط إرادة الإنسان بإرادة الله ، ويذكر أنه لابد من الموازنة بين الجسم والروح وربطهما معا ، وتربية السلطة الروحية على الجسم .

٢ ـ الإنسان ونسبته إلَي الله : يقول '' إن التعرف بالألوهية لا يحتاج إلى مرشد خارجى ، بل هو حاصل بالفطرة والطبيعة ،، و '' أنه حاصل من الإنسان بالفطرة ، وأن تعيين المعبود الحق جل شأنه هو المحتاج لا محالة إلي الإرشاد[١٥٧] ،، والعلاقة الناتجة بين الله والإنسان علاقة حب ، '' لأنه تعالى سبب فى الوجود والدوام والإحسان ، ومظهر الجمال والكمال[١٥٨] ،، ويختلف الناس فى حبهم لله ، فمنهم من يحبه لذاته ، ومنهم من يحبه لإحسانه ونعيمه ، '' والإنسان الكامل هو ما رأى الخير كله فيما أمر به سبحانه فاتبعه ، والشر فيما نهى عنه فابتعد عنه ، وهذا المقام هو أجل المقامين[١٥٩] ،، .

٣ ـ الإنسان ونسبته إلَي غيره من المخلوفات : ويذكر هنا أن الحكمة الإلهية قد اقتضت '' أن يكون للإنسان السلطان والتصرف فى الأرض لا لأن يكون ظالما جبارا ، بل عادلا يستعمل الكائنات فيما خلقت لأجله ، بالقدر الذى يقتضيه العدل وناموس الحكمة ،، إلا أنه يحتاج إلَي غيره ، ولذا اندفع بالطبع إلى طلب المساعدة والائتلاف بأبناء جنسه ، وهذا معنَي قولهم : الإنسان مدنى بالطبع ، ولكن بحكمة ما جبل عليه من الطمع والشره ، وحب الاستئثار بالمنافع ، وقع فى الخصومة والنفور مع أبناء

---

(١٥٦) المرجع السابق ، ص ٦٠ .
(١٥٧) المرجع السابق ، ص ٦٤ .
(١٥٨) المرجع السابق ، ص ٦٦ .
(١٥٩) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

جنسه ، فنرى الأفراد ما بين مساعدة تقتضي ألفة ، وتسابق يقتضي عداوة[١٦٠] '' .

وجميع الناس متساوون فى الحقوق الإنسانية ، لا يزيد أحدهم على الآخر فيها ، ثم إن الاجتماع والتعارف ثلاث دوائر : الدائرة الأولَي : الأسرة ، ويفصل حقوق الزوج وحقوق الزوجة ، وحقوق الأبناء والآباء . ودور التربية فى هذا كله[١٦١] . والدائرة الثانية : هى الصحبة ، ويفصل فيها القول ، ويبين حقوق الأصحاب ، وحقوق صحبة التلاميذ ، ودور التربية فى هذا[١٦٢] .

أما الدائرة الثالثة : فهى الوطنية ، التى هى '' حالة طائفة من الأمة يجمعهم جزء مخصوص من الأرض ؛ لإمضاء مقتضيات الطبيعة[١٦٣] '' وهى ضرورة طبيعية لاحتياج أفراد الإنسان إلى التعاون فى سبيل حصولهم على الحاجيات والكماليات . وللأمة وظائف هى التعيش والتأديب والحماية ، ويذكر واجبات أفراد الأمة ممن يقومون بكل وظيفة من هذه الوظائف ، ويسدي النصيحة لأولى الأمر ممن بيدهم مقاليد الحكم ، وكذلك العلماء ، يقول '' وليعلم العلماء أنهم أدلاء الأمة : بهم يهتدى العامة ، وتقتدى الخاصة ، فليكون أمن الناس أحب إليهم من أنفسهم ، لكى يتم الاهتداء والاقتداء ، وليستعملوا علمهم فيما وضع له ، وهى المنفعة العامة لا لكونه قواعد '' وجدير بالفضل منهم هم الذين قاموا بأعباء الآداب الدينية والدنيوية ، وتحسين العادات وتوسيع نطاق الزراعة والتجارة والصناعة ، ومن عداهم فهم عيال على الخلق ، يرجون ولا يرجون ، ويدعون ولا يدعون ،

---

(١٦٠) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(١٦١) المرجع السابق ، ص ٦٩ — ٧٢ .

(١٦٢) المرجع السابق ، ص ٧٣ — ٧٦ .

(١٦٣) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

لطف الله بهم ، وأحيا نفوسهم بالعلم ، وهدى بهم الأمة حتى يتم الصلاح ، ويكمل الفلاح[١٦٤] '' .

ويختم هذا بحقوق الأمم على بعضها ، ويذكر مشروعية الجهاد ، والقصد منه ، ويسمى هذا بدائرة الإنسانية والتى هى واجبة وضرورية لاستكمال الدوائر الثلاث .

جـ ــ **وسائط التربية** : وهى تختلف باختلاف المقصود ، '' عليك أن تقول : هى مجموع أعمال مخصوصة يقوم بها المربى : كالترقب والملاحظة والتحذير والإغراء والأمر والنهى والعقاب والثواب وغير ذلك '' و '' لك أن تقول : هى مجموع ما يساعد على التأثير فى تنبيه النشأة الطبيعية والعقلية ، كحالة الحياة والدين والآباء والأصحاب وما أشبه ذلك[١٦٥] '' وقام بتقسيمها إلي أقسام منها وسائط تعهد الجسم ، كالغذاء والملبس والحركة ، ووسائط نمو النفس ، والقسم الثانى هو وسائط التأديب : والمقصود به '' تعويد الناشىء إجراء مقتضيات الحياة المطلوبة قبل أن يعين أحوالها بنفسه ، ولا يكون ذلك إلا بأن يربى فيه التبصر بالأمور نافعها وضارها حميدها وذميمها[١٦٦] '' أما القسم الثالث فهو وسائط التعليم ، والمقصود بها '' مساعدة قوي الناشيء العقلية والإرادية والأدبية حتى يمكنه أن يقوم بنفسه فى تعيين أغراض الحياة المطلوبة له ، وفي استعمال ما يوصل إلى تلك الأغراض ، على حسب ما أرشد إليه الدين والتجربة[١٦٧] '' ، وتبرير ذلك عنده أن الإنسان '' له اتصال بعالم المخلوقات ، وأعني بها الأشياء الطبيعية بحكم احتياجه إليها فى نمو مادته ، وقضاء حاجياته

---

(١٦٤) المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(١٦٥) المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(١٦٦) المرجع السابق ، ص ٩١ .

(١٦٧) المرجع السابق ، ص ٩٢ .

وكمالياته ، وبعالم الإنسان : بحكمة التعارف والتعاون ، وبالخالق جل شأنه ، بحكمة المخلوقية والعبودية ، وأن إجراء مقتضيات حياته المادية والأدبية متوقف على التعرف بجميع ذلك ، وإلى التعرف بالخالق عز وجل[١٦٨] ،، والمرشد الهادى إلى ذلك قسمان :

الأول : التعاليم الطبيعية . والثانى : التعاليم الدينية ـ ويندرج تحت هذين القسمين علوم وفنون شتَّي على حسب اختلاف الموضوعات والأغراض[١٦٩] ،، .

ثم تناول بعد ذلك عملية التعليم ، وشروطها ، وغير ذلك ، بحيث شمل منه طرق التعليم ، وطرق التربية ، والمدرسة واحتياجاتها وتربية الجسم ، والمهم أن المؤلّف حوي أفكاراً وأصولا كثيرة ، منها :

(١) مفهوم التربية .(٢) الطبيعة الإنسانية وتناول فيها وسائط التربية ، وطرق التعليم والتربية ، ومسئولية الإنسان ، ومكونات الطبيعة الإنسانية ، وخيرية وشرية الإنسان .

هذه هي أهم النقاط والأفكار التي تناولها المؤلف ، الذى يعتبر من أقدم المؤلفات التربوية القاصدة ، وهو يمتاز بمايلى :

١ ـــ اعتماده على التراث العربي الإسلامي فى كثير من أجزائه ، وبهذا يعتبر الكتاب أصيلا في بابه ، بحيث تظهر مميزات وعلامات الإسلام واضحة فيه .

٢ ـــ وتظهر فيه أيضا الأفكار الأجنبية الجديدة ، وهو لم يلجأ إليها

---

(١٦٨) المرجع السابق ، ص ٩٢ .

(١٦٩) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

إلا حين لا يجد فى التراث أوفيما درسه ما يلبى حاجته بالرغم من انتهاجه منهج الأوربيين فى التأليف ، وهو على عذر فى ذلك ، فلم يكن هناك فى الإمكان الاطلاع على التراث التربوى أو سبقه سابق فى هذا التأليف .

٣ ــ ويظهر أيضا فيه تأثره بالمفكرين المسلمين من أمثال الغزالى ومسكويه ، والماوردى ، وابن خلدون ، يظهر هذا فى كثير من أجزاء الكتاب جملة وتفصيلا .

٤ ــ يتميز هذا الكتاب أيضا بالتكامل والوسطية الانتقائية العميقة التى امتاز بها المفكرون المسلمون ممن سبقوه ، بحيث لا يعتبر ترديدا أو تكرارا للغير ، بل يظهر التنسيق الكامل بين أجزاء الكتاب ، يظهر هذا في أنه ــ مثلا ــ لم يؤثر الجسم بالتأثير ولا النفس بالتأثير ، بل وازن بينهما وكامل وواسط بين وظائف كل ، وهذا أيضا ما يظهر فى تناوله الجانب الأخلاقي ، وأهداف التربية وغير ذلك .

٥ ــ أما مواد التعليم عنده ، فيضع فى مقدمتها علم الدين ثم علم التعارف الإنسانى ثم علم الطبيعيات . تظهر مواد التعليم عنده : (١) علم الدين وما يلحق به . (٢) اللغة الوطنية ، ويدخل فيها القراءة والكتابة والإنشاء . (٣) التاريخ . (٤) الجغرافيا . (٥) الطبيعيات،ويدخل فيها علم المواليد والطبيعة والكيمياء . (٦) الحساب . (٧) الهندسة . (٨) الرسم . (٩) الرياضة البدنية . (١٠) الأعمال اليدوية .... [١٧٠]

عبـــد الله النـــديم :

وقد كان له دور بارز سواء فى دعوته إلي تعليم وتربية قومية واضحة معتمدة على تراث الأمة ولفائدة الأمة ، ويحمل على المتغربين فى كتاباته

---

(١٧٠) المرجع السابق ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

حملات كبيرة ، لها غرضها وهو ضرورة توظيف التعليم والتربية من أجل خدمة الوطن[١٧١] .

وكانت له آراؤه التربوية إذ كان " التعليم واحدا من ميادين الإصلاح الاجتماعي والتعليمي الذى بدأ النديم يعمل فيه عقب إصدار المجلة فورا (يقصد مجلة الأستاذ) ، لأنه يعتقد أن الأمة لن تكون قادرة على الحصول علي استقلالها ، وهي علي ما هى عليه من الجهل وعدم الاستعداد ، وأصبحت أولى مراحل الحياة الوطنية فى نظره هي انتشار المعارف والصناعات فى الأمة ، والتهور والثورة مع الجهل والفراغ من المعدات لا يفيد إلا الخذلان[١٧٢] " .

ومن صور جهاده مناداته بضرورة تعميم التعليم بين طبقات الأمة ، لأنه الوسيلة إلى التقدم ، وكانت مطالبته الخديو بتعميم التعليم وبسط يد العلوم على أفكار الأمة حاضرها وباديها ، وهو إلي جانب مناداته بضرورة صبغ التعليم بالصبغة القومية الإسلامية إلا أنه طالب بالاختلاط بالأجانب وتعلم علومهم وفنونهم ، حتى ولو كانوا قاهرين ، فإن المصرى سيتعلم من هذا القهر تكوين العصبية وإحياء الوطنية[١٧٣] .

وأمام فرنجة التعليم وتغريبه ، وإقصاء اللغة العربية عن مجال التعليم وقف وقفة صامدة ، وحارب هذه الدعوة ، ونادي بضرورة جعل اللغة العربية

---

(١٧١) راجع : عبد الله النديم : سلافة النديم ـــ ط ١ ـــ جـ ١ ـــ المطبعة الجامعية بمصر ـــ ١٣١٤ هـ ـــ ١٨٩٧ م ، ص ٨٢ . ، محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، (مرجع سابق) ، ج ١ ، ص ٣٤٧ وما بعدها .

(١٧٢) د . على الحديدى : عبد الله النديم ، خطيب الوطنية ـــ (٩) من اعلام العرب ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ـــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترحمة والطباعة ج . ع . م ـــ (د . ب) ، ص ٣٣٦ .

(١٧٣) المرجع السابق ، ص ٣٣٦ ـــ ٣٣٨ .

لغة التعليم ، '' وإذا حولنا طريقة التعليم باللغة الوطنية باللغات الأجنبية ، أمَتْنَا قوميتنا وجنسيتنا وديننا وأصبحنا أجانب بين قومنا '' وفَنَّدَ دعاوى أولئك الذين يدَّعون أن اللغة العربية لغة غير علمية ، ونادي '' بأن أصول العلوم فى القرون الطويلة الماضية والثقافات العلمية المختلفة التي حملها العرب إلى العالم الحديث كانت باللغة العربية التى لفت الدنيا ، ودخلت كل دولة بعلومها وفنونها[١٧٤] '' .

ومن آرائه ، رأيه في تعليم الفتاة ، فقد ناصر تعليمها ، وناصر الحجاب ، ودافع عنه ، وعارض تعليمها اللغات الأجنبية ، والموسيقى والرقص ، ولكنه فى نفس الوقت يؤيد تعليمها التدبير المنزلي ، وشؤون الأسرة والحياة الزوجية والصناعات المنزلية وتعويدها احترام الدين ، والأديان الأخرى ، وعدم التعصب ، وحارب البدع المنتشرة باسم الدين ، كزيارة النساء لمقابر الأولياء ومجالس الذكر[١٧٥] . وحوت مجلة الأستاذ دروسا للتلاميذ من البنين والبنات ، أو محاورات فى صورة فكاهات ، ولكنها ترمي إلي التهذيب كتبت لأنصاف المتعلمين والتلاميذ[١٧٦] .

وجملة ، فقد كان للنديم آراء وأفكار ، تعتمد أساسا على ثقافة إسلامية صحيحة وأصيلة ، مؤمنا بضرورة المحافظة على الدين واللغة ، وصرف العلوم فى تقدم البلاد ، ولاشك أنه كان يستمد من الجذور الأولى التي أرساها جمال الدين ومحمد عبده وقد جر عليْه ذلك الكثير من الويلات واللعنات ، كالنفى وغير ذلك .

---

(١٧٤) المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

(١٧٥) المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

(١٧٦) المرجع السابق ، ص ٣٣١ .

مصطفى كامل :

وله آراؤه المعتمدة على الثقافة الإسلامية ، وكان حريصًا على نشر التعليم وتعميمه ، ويتبين ذلك من خطابه الذى نشرته جريدة المؤيد ، أرسله لها حين نشرت خبر إنشاء مدرسة باسم مصطفى كامل بباب الشعرية ، وقال فيه ....« إننى أتشرف اليوم بإعلان الجمهور أن التعليم فى هذه المدرسة مقرون بالتربية ، لأني أعتقد أن التعليم بلا تربية يكون عديم الفائدة ، بل ربما كان كثير الأضرار ، وأقصد بالتربية ، التربية الإسلامية المحضة ، لأنه أساس التربية الدينية ، وكل أمة يتربى أبناؤها على غير قواعد الدين ، تكون عرضة للدوار والانحطاط .... لذلك عولت على جعل الغرض الأول من المدرسة ترقية الملكة الإسلامية عند التلاميذ ، وتمكين مبادىء محبة الوطن والائتلاف في نفوسهم ، وتقديم اللغة العربية علَى كل لغة مع ترك الحرية لآبائهم فى الاختيار لهم من اللغة الفرنسية أو اللغة الانجليزية[١٧٧] ‘‘ .

وكان لنادى المدارس العليا الذى كان لمصطفى كامل دور كبير فى إنشائه ، فضل كبير فى إنشاء الكثير من المدارس ، والفضل فى خروج مراكز رعاية الطفل إلَي حيز الوجود ، وكان لجهوده الفضل الأكبر فى إنشاء الجامعة الأهلية ، والتى كانت الرد المباشر على انتشار نظام الكليات التبشيرية والأجنبية فى مصر ، وذلك فى الوقت الذى اعتزمت فيه أمريكا إنشاء كلية فى القاهرة إلي جانب كلية أسيوط ، على أن تنشيء كلية فى الاسكندرية ، فتكون هذه جميعا الجامعة الأمريكية ، ومن هنا كانت دعوة مصطفى كامل والعناصر الوطنية المخلصة ‘‘ إلَي إنشاء جامعة مصرية أهلية ، حتى لا يسيطر الإنجليز والأمريكيون على التعليم العالى فى مصر ، وتزود البلاد بنوع من

---

(١٧٧) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ــ ط ٤ ــ النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٦٢ ، ص ١٤٢ ــ ١٤٣ .

التعليم الجامعي لا يستجيب لمطالب البلاد الحقيقية ولا يتحقق لها فائدة تتفق مع مطالبها الحقيقية الضرورية لتطويرها[١٧٨] ''.

وكان إنشاء الجامعة الأهلية المصرية أول خطوة فى سبيل الاستغناء عن ضرورة سفر كل من يريد أن يحصل على شهادة عالية إلي الخارج ، كما فرض ذلك الاحتلال الأجنبي وهيئاته وسلطاته فكانت الجامعة ضربة واضحة وعميقة الأثر فى وجه الاحتلال الذى حاول وقف إنشائها ، ولكن إصرار العناصر الوطنية ووقفتها الجادة انتصرت فى النهاية ، وتحقق بفضل ذلك تحرر جزئى من ربقة الاستعمار الثقافى[١٧٩] .

وجملة فقد كان جهاد مصطفى كامل له جانبه التربوي ، والذى اعتمد عليه فى سبيل النهوض بالبلاد والوقوف في وجه المستعمر فقد كان مصطفى كامل حلقة متصلة بدأها رفاعة وجمال الدين ومحمد عبده ، وكان لمحمد فريد فضل إكمال الطريق فى نفس الخط الذى رسمه مصطفى كامل وكل العناصر الوطنية مثل الشيخ على يوسف وعبد العزيز جاويش[١٨٠] .

عبد العزيز جاويش :

وهو خريج دار العلوم ، '' عمل مدرسا للغة العربية بجامعة أكسفورد ، وقد ألف كتابيه '' '' غنية المؤدبين '' و '' مرشد المعلمين ''

---

(178) Final Roport Of the University Clmmission Gavernment , University Press , Cairo , 1921 , P . 5 .

(١٧٩) راجع : أحمد عبد الفتاح بدير : نشأة الجامعة المصرية ــ مطبعة جامعة فؤاد الأول ــ القاهرة ــ ١٩٦٢ ، ص ح .

(١٨٠) راجع : د . سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ــ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ــ وزارة الثقافة ــ الجمهورية العربية المتحدة ــ ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م ، ص ٢٧٠ ــ ٢٨٣ .

وهما مرجعان مشهوران فى التربية[١٨١] '' وقد جمع بين الثقافة الإسلامية والثقافة الأجنبية ، ورأى سياسة الاحتلال التعليمية التي أراد بها أن يمكن لنفسه عن طريق تجميد المجتمع وتحطيم الثقافة الأساسية ، ليتسع نفوذ ثقافة المستعمر ، شكلا ومضمونا ، حيث انتهج سياسة للتعليم تقوم على استخدامه أداة للقهر السياسي ، فكانت أساليب التعليم كلها قائمة على هذا الأساس ، وحتى لا يفكر الطلاب في الاهتمام بقضايا بلادهم المتطلعة إلي الحرية والاستقلال كانت توقع عليهم العقوبات إذا أبدوا اهتماما بها ، وفى نفس الوقت استخدم التعليم أداة للتخلف الاقتصادي ، والجمود الاجتماعي والتخريب الثقافي وقد أحس بهذا الجيل الواعي من المصريين وعبرت عنه أقلامهم سواء فى الصحف أو التقارير أو الكتب[١٨٢] .

وفى وسط هذا الجو ظهر الشيخ عبد العزيز جاويش ، الذى كان حفيا بالعمل فى مجال التربية وبناء الخلق والعقل من خلال عمل المعلم ، ويمكن أن نلمح فكره التربوى من خلال كتابه '' غنية المؤدبين '' حيث تناول فيه فن التربية وأساليبها ، على النسق الحديث '' . بعد أن اشتدت حاجة المؤدبين فى هذا الزمن إلى كتاب عربي يهتدون بهدية فى هذا الفن [١٨٣] ''

وقد جمع فيه بين ثقافته الأصيلة وما شاهده واطلع عليه فى إنجلترا من أحوال التعليم . وهو يتناول الأفكار التالية :

١ ــ **معنى التربية** : يقول فى هذا الصدد : '' ليس المراد من تربية الأشياء وتقويتها أن يزاد فى مقدار حجمها بل المراد تهيئتها وتمكينها من القيام بأعمالها وتأدية وظائفها بما ينبغي من الحذق والإتقان والسرعة '' و '' على

---

(١٨١) محمد عبد الجواد : تقويم دار العلوم (مرجع سابق) ، ص ٤٦٥ .

(١٨٢) راجع : د سعد مرسى أحمد ، د . سعيد إسماعيل على (مرجع سابق) ، ص ٤٢٧ ــ ٤٣٩ .

(١٨٣) عبد العزيز جاويش : '' غنية المؤدبين فى الطرق الحديثة للتربية والتعليم '' ــ ط ٢ ــ مطبعة الهداية ــ مصر ــ ١٩١٠ م ، ٤ .

ذلك يكون المراد بتربية العقل تثقيفه وتقويمه حتى يمكنه أن يتنبه للمعلومات فيزنها بميزان الاعتبار ويدقق فيها حتّي لا تخفّي عليه وقائعها كما أنه يعرف قواه فى وظائفها علي أكمل وجه[١٨٤] ''.

فالمقصود بالتربية إيصال المتربى إلَي مستوى كماله ، بمعنَي أن التربية هى مساعدة المتربي وتهيئته للقيام بأعماله على أدق ما يكون وأكمل وجه ، وفى هذا ما يذكرنا بكلام الإمام محمد عبده ، وبكلام الغزالي ومسكويه فى هذا الصدد .

٢ ـ **أقسام التربية** : وأقسامها عنده ثلاثة : التربية الجسمية والتربية العقلية والتربية الأدبية .. وغرض التربية الجسمية ، تكوين الجسم الإنساني تكوينا صحيحا ، وخاصة أنه بالتأمل ، نجد أن '' اختلال نظام الفكر على أثر اختلال نظام الجسم '' ومن هنا كان لابد من الاهتمام بالجسم وحواسه ، لأنها '' سبل تسلكها حقائق الأشياء فتنتهى بها إلي العقل[١٨٥] ''.

والغرض من التربية العقلية ، تمرين '' القوى العقلية '' وتدريبها '' حتى تؤدى وظائفها على أكمل وجه ممكن وكذا أن تودع القوة الحافظة كثيرا من مسائل العلوم والفنون[١٨٦] '' . أما التربية الأدبية ، فيقصد بها تقويم قوة الإرادة ، يقول '' اعلم أن للإنسان قوة الإرادة التى بها تخصيص أحد جهتي الممكن من الأعمال وهما الوجود والعدم ، والغرض من هذه التربية تقويم هذه القوة وتعديلها بحيث لا تنحرف بالشخص عن الجادة القويمة فى أعماله وأحواله ، فبها يتعلم الإنسان الواجبات ، ويتعود إقامتها ، وبها تتهذب صفاته ، وتتمحص غرائزه وطباعه ويحسن سلوكه وتستقيم معاشرته[١٨٧] '' .

---

(١٨٤) المرجع السابق ، ص ٧ .

(١٨٥) المرجع السابق ، ص ٨ .

(١٨٦) المرجع السابق ، ص ٩ .

(١٨٧) المرجع السابق ، ص ١٠ .

ويتناول الدواعي التي تؤثر في الإرادة قوة وضعفا ، ويقسمها إلَي حسية ونفسية ، ويذكر أنه بنسبة انتشار البواعث النفسية فى الطوائف وتمكنها من الأفراد " تكون رفعة الأمم وانحطاطها فهي العامل القوى فى تربية الإرادة والعزيمة ، والاعتماد على النفس فى أطفالنا اليوم الذين سيكونون رجال الغد ، ومتى قام المؤدبون بما يصلحها في النشء وأداموا رعاية ذلك البذر أنبت نباتا حسنا[١٨٨] " .

ويستطرد بعد ذلك فى توضيح وشرح الحواس الخمس ، باعتبارها مفاتيح الحصول على المعلومات ، ثم يختم الكلام عن العقل وقواه ، ويتناول تأثير الجسم فى العقل ، والعقل فى الجسم ، وأطوار العقل ، ثم تأثير الوراثة فى العقل والطباع ، ويذهب فى هذا إلَي أن هناك طباعا موروثة ، إلا أن هذه الطباع يمكن للمربي أن يذهب منها ما خبث ويقوّم منها مااعوجَّ وإن احتاج فى ذلك إلي عناء كبير وجهد زائد[١٨٩] " ويظهر من كلامه تلك التكاملية التي امتاز بها الفكر الإسلامى ، فهو لا ينظر فى القضية من طرف واحد ، بل يجمع بين الشيئين فى تكامل واضح ، فهناك تكامل بين العقل والجسم وبين الوراثة والبيئة .

ويتناول طبائع الأطفال ، ويذكر منها ميلهم للتقليد ، والاندفاع للحركة بالفطرة وارتباطهم للعمل بيدهم ، وشدة قوة التخيل ، ومقارنة كل منهم بغيره ، وحبه للثناء والفوقان علي أقرانه ، وسهولة الحفظ على ظهر القلب ، وضعف القوة المفكرة التي بها الحكم والتعليل ، وغير ذلك[١٩٠] .

ويذكر ما يسعي وراءه الإنسان من الخيرات والفضائل وهى ثلاثة

---

(١٨٨) المرجع السابق ، ص ١١ ، ١٢ .

(١٨٩) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(١٩٠) المرجع السابق ، ص ٣٣ ، ٣٦ .

أقسام أحدها فى النفس ، والثانى فى البدن ، والثالث خارج عنهما ، أما الفضائل فقسمان ، ما يوجب ثناء المخلوقين ، والثاني ما يقتضي ثواب الخالق[١٩١] ، ويذكر أن حسن التربية يكون :

أ ــ جسمانيا : ويكون بالفروسية ومشاهدة المعارك والقصد فى المأكل والمشرب والنوم والتيقظ ، وفى سائر الحركات والتحفظ بقانون الصحة .

ب ــ نفسانيا : ويكون بالنظر فى أمور الشريعة وتعليم العلوم والآداب وتسديد الرأي بمشورة العلماء وتصفح الكتب والسير .كما يكون بتلقين كلام لافحش فيه ومن عور الكلام ، ولا يمدح ولا يذم ، وكذلك يكون باختيار مذهب جميل وعادات مرضية ، والعقاب بلين لا آفة فيه[١٩٢] .

ويذكر شروطا للتربية الأخلاقية ، ومجملا ما يتعلق بتهذيب الولد وتعليمه سواء فى حالة التربية ، أوفى حالة التحصيل ، وشروط المعلم ، والعقوبات ويُدَرِّجها ، لوم ، تعزير ، منع من الفسح والرياضة ، تكليف بحفظ أشياء ، أو كتابة جملة مرات[١٩٣] ، ويفصل المكافآت ويذكر أنها مهمة لتأديب الأولاد ونظامهم[١٩٤] .

٣ ــ أنواع التربية : ويذكر أنها نوعان " (١) تربية مدرسية . (٢) تربية منزلية .[١٩٥] " ويذكر لكل منهما خواصه ومميزاته ويقارن بينهما .

٤ ــ طرق التعليم ، ويذكر منها الطرق الإفرادية ، ويذكر

(١٩١) المرجع السابق ، ص ٣٦ .
(١٩٢) المرجع السابق ، ص ٣٩ .
(١٩٣) المرجع السابق ، ص ٤٧ .
(١٩٤) المرجع السابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .
(١٩٥) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

فوائدها[196] ، ويذكر أيضا طريقة التعليم التبادلي ، وفوائده ومضاره[197] ، ويذكر طريقة التعليم الجمعى ، ويحبذها ويستشهد فى ذلك بآراء بعض علماء التربية الغربية ، ويذكر فوائدها ، ومضارها[198] ، ويتناول الأسئلة والامتحانات وفوائدها ، وأحوال الإجابات ، وتقدير الدرجات .

٥ ــ أما المناهج ، فيتناولها بتفصيل أكثر ، سواء فى التهجى والمطالعة ، وينقد الطرق القديمة فى تعليمها ، ويحبذ الطريقة الحديثة ، معتمدا على الدراسات الحديثة فى مجال علم النفس ، ويتناول المحفوظات ، وطريقة الحفظ ، والإنشاء وتعليم الخط ، والإملاء وتعليم الحساب والديانة والتهذيب .

ويمكن أن نخرج من جهود عبد العزيز جاويش وفهمه بمايلى :

١ ــ آمن بأن التعليم وحده لايكفي ، ولابد من '' التربية أساسا ، فهي صانعة التكوين النفسي والروحى '' ومن ثم '' كان حريصا على أن يدخل هذا الفن على النحو الأصيل منه إلي مناهج الدراسة ، فيحرر الشباب من المناهج التى صنعها الاحتلال وأقام عليه أعوانه[199] '' انطلاقا من قاعدتين أساسيتين :

أولا : أن الأمم لا تنهض أساسا إلا بالتربية والتعليم ، **وثانيا** : أن التعليم ليس هو كل شىء ، بل إن '' التربية '' هى أساس بناء الأمم ، وأن إنشاء وتكوين الخلق الفاضل فى نفوس '' النابتة '' هى العمل الأكبر .

---

(١٩٦) المرجع السابق ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(١٩٧) المرجع السابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(١٩٨) المرجع السابق ، ص ٥٤ ــ ٥٧ .

(١٩٩) أنور الجندي : عبد العزيز حاويش ــ رقم (٤٤) من أعلام العرب ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ــ القاهرة ــ (د . ت) ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

ولذا نراه من الداعين إلي إنشاء مدارس البساتين (رياض الأطفال) وقال إن هذه المدارس هى التى ينبغى أن يبني التعليم عليها فى مصر[٢٠٠] .

٢ ــ وكان ينتقد الأوضاع التعليمية فى مصر ، وأنحي باللائمة " على أن المدارس لا تخرج من ينهضون ببلادهم ، وقال إن الصورة التي يهيئها لخريجيه هى صورة الوصوليين الذين لا يلبثون أن يكونوا عبيدا ومتملقين للحكام وأرباب الجاه وأصحاب النفوذ " ..... والمرض " الحقيقي الذى يكاد يودى بالأمة المصرية هو خلو البلاد من " التربية " الحقيقية التى هي مجمع الفضائل ، ومبعث الكمالات ، وقال إن هذه التربية النفسية هى التي تتوقف عليها رفعة الأمم وانحطاطها ، بل يتوقف عليها وجودها ، وتساءل : فى أي معهد من المعاهد الليلية القائمة الآن فى مصر تجد الوسائل التى تحمل النابتة على الكرم والجود والأخذ بأسباب الحق ومحاربة الباطل ، ثم أجاب " ألا إنه لا شيء من ذلك[٢٠١] " .

٣ ــ ويحمل على دنلوب وكرومر ، وسياسة وزارة المعارف ، ويشن الغارة على أولئك الذين يتولون زعامة المعارف فى هذه البلاد ، وهم ليسوا ممن درسوا شيئا من علم النفس ولا ألموا بشيء من مسائل التربية العملية[٢٠٢] " ويحمل علي الاحتلال ، ويقول " عَمَد الاحتلال إلي الأخلاق في المدارس ، فلم يضعوا فى نظامها ما يكفل تهذيب الأخلاق ، وتثقيف العقول ، وطبع النفوس علي الهمة والشهامة ، ولم يضعوا من ضروب النظام ما يبلغ بالأمر شيئا من تلك الصفات والأخلاق التي لا تقام الأمم بدونها[٢٠٣] " فهو يحمل حملة واضحة على نظام التعليم فى مصر ،

---

(٢٠٠) المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٢٠١) المرجع السابق ، ص ١٦٩ ، العلم ــ عدد ٣ نوفمبر . ١٩١٠ .

(٢٠٢) المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

(٢٠٣) المرجع السابق ، ص ١٧١ .

والذي أرساه الانجليز ، ويقاوم النفوذ الاستعماري الثقافي عن طريق بث الأفكار التي تدعو إلى ضرورة بناء نظام تربوي حقيقى ، يسبق نظام التعليم .

٤ ــ وكان يدعو إلي التوسع فى التعليم العام والصناعي والزراعي ، وعمله هذا كان موجها إلي غايتين :

١ ــ تغطية النقص فى برامج مدارس الحكومة وإعطاء أبناء الفقراء الفرصة للتبريز والبوغ ، وتوسيع نطاق المناهج ، وخلق روحها الوطنية ، والعناية بالتربية التي أغفلتها المناهج تماما .

٢ ــ حماية الطلاب من مناهج التعليم الأجنبي التي كانت تهدف فى الغالب إلي القضاء على وطنية وإسلام التلاميذ الملحقين بها[٢٠٤] . ويهدف من كل ذلك إلى توسيع دائرة التربية فى حياة الأمة ، ورفع مستواها ، بحيث تكون ذات وظيفة فعالة ، ومن هنا كانت مجهوداته الكبيرة فى إنشاء المدارس الليلية إلي جانب إصلاحاته الكثيرة فى التعليم حين كان مراقبا عاما للتعليم الأوّلى ، إلى جانب اهتمامه بإعداد آلمعلمين اللازمين للتعليم الأوّلى .

٥ ــ أما فكره تجاه الفكر الأجنبي فقد رأيناه ، يؤمن بضرورة الاطلاع على هذا الفكر والتعرف عليه والتعمق فيه ، والأخذ منه بما يوافقنا ، ولكن بشرط عدم الذوبان فيه ، بل بشخصية متميزة ومستقلة ، لأن هذا الفكر إنما فقهه أهل أوربا واتخذوه وسائل فى تدبير ناشئتهم وتثقيف شبابهم ، ولا يليق أن نقلدهم ، من غير فكر ولا تبصر ، لأن هذا يؤدى إلي أغلاط كثيرة ، ومن ثم من الضروري الأخذ من هذا الفكر ما يناسب شخصيتنا ومستوانا وظروفنا وبيئتنا[٢٠٥] .

---

(٢٠٤) المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(٢٠٥) المرجع السابق ، ص ١٧١ .

وهكذا نري آراء عبد العزيز جاويش مطابقة لفكره وثقافته وإيمانه بالإسلام ، ووقوفه ضد سياسة الاحتلال التعليمية التي حاولت القضاء علَي اللغة العربية ، وخنق الثقافة الإسلامية في التعليم ، وفى محاولتها تحديد وظيفة التعليم بتخريج الموظفين للعمل فى أداة الاحتلال الحكومية ، فحاول نشر التعليم الصناعي والفني لكي يخرج التعليم من هذه الدائرة الضيقة التي حاول المستعمر حصره فيها .

مصطفى صادق الرافعي :

وأمام التحولات الاجتماعية ، واتجاه التغريب الدافق فى المجتمع المصرى ، وخاصة بعد الانقلاب التركى على يد مصطفىَ كمال أتاتورك ، حيث ظهر اتجاه فى مصرَ يدعو إلى مثل الاتجاه ، وانصرف الكتاب والمؤلفون يكتبون فى هذا داعين إلي الأخذ بالحضارة الغربية وعاداتها وزيها ، " ولم تستطع صيحات المحافظين أن تقف فى وجه هذا التيار الجارف ، بل لم تستطع أن تقلل من حدته أو تخفف من سرعته ، ولكن ذلك لم يكن ليثنيهم عن التنبيه والتحذير علي كل حال[٢٠٦] " . وخاضوا فى مشكلة الاختلاط فى المجتمع والزى والتعليم وغير ذلك .

وظهر فى هذا الجو مصطفى صادق الرافعى ، الذى دافع عن الإسلام والثقافة الإسلامية ، ووقف ضد اتجاه مصطفى كمال وضد الدعوات التى حاولت النيل من الإسلام وثقافته ، صادرا فى كل هذا عن ثقافة إسلامية ، ويذكر أن " نهضة هذا الشرق العربي لا تعتبر قائمة علي أساس وطيد ، إلا إذا نهض بهما الركنان الخالدان : الدين الإسلامي ، واللغة العربية ، وما عداهما فعسي أن لا تكون له قيمة فى كلمة الزمن الذي لا يقطع بحكمه إلا بشاهدين من المبدأ والنهاية ، وظاهر أن أغلبية الشرق ومادته العظمَي ،

---

(٢٠٦) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية (مرجع سابق) ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

هى التي تدين بالإسلام ، وما الإسلام فى حقيقته إلا مجموعة أخلاق قوية ترمي إلى شد المجموع من كل وجه[٢٠٧] ،، ويذكر أنه إذا كان ،، لابد للأمة فى نهضتها من أن تتغير ، فإن رجوعنا إلى الأخلاق الإسلامية المكرمة ، أعظم ما يصلح لنا من التغير وما نصلح به منه ، فلقد بعد ما بيننا وبين بعضها ، وانقطع ما بيننا وبين البعض الآخر ... وإذا أخذنا فى أسباب القوة ، واصطنعنا الأخلاق المنيعة من الإرادة والإقدام والحمية ، إذا جعلنا لنا صفة خاصة تميزنا من سوانا ، وتدل على أننا أهل روح وخلق — إذا كان ذلك فلعمري أى ضير فى ذلك كله ، وهل تلك إلا الأخلاق الإسلامية الصحيحة.وهل فى الأرض نهضة ثابتة تقوم علَي غيرها ؟[٢٠٨] ،، .

فهو يؤمن بأن الإسلام لديه القدرة على تحريك الإنسان نحو التقدم اعتمادا علَي أن ،، من خصائص هذا الدين الأخلاقي ، أنه صلب فيما لابد للنفس الإنسانية منه إذا أرادت الكمال الإنساني ، ولكنه فرق فيما لابد منه لأحوال الأزمنة المختلفة مما لا يأتى على أصول الأخلاق الكريمة ، وليس يخفَي أنه لا يغنى غناء الدين شيء فى نهضة الأمم الشرقية خاصة ، فهو وحده الأصل الراسخ فى الدماء والأعصاب[٢٠٩] ،، ويؤكد أن الشرق فى حاجة إلي المباديء الأخلاقية ، إلا أنها لا تصلح بالكتابات والفنون فقط ؛ وإنما تكمن فى رجال قائمين عليها ، ويذكر أن القلوب والأدمغة هى أساس النهضة الثابتة الصحيحة[٢١٠] ، فكأنه يشير بهذا إلى التكامل بين الوجدان والعقل وضرورته فى قيام النهضة الصحيحة .

وهو رغم تبحره في علوم العرب ، إلا أنه جمع إلي هذا الدراسات

(٢٠٧) مصطفى صادق الرافعي : وحي القلم — ح ٣ — دار الكتاب اللبنانى — بيروت ، (د .ت) ص ١٧٢ .

(٢٠٨) المرجع السابق ، ص ١٧٢ — ١٧٣ .

(٢٠٩) المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(٢١٠) المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

الحديثة ، والمترجمة منها خاصة ، وهذا هو الذى يجعلنا نقول إنه صادر عن ثقافة أصيلة نابعة من ذات الأمة التى ينتسب إليها ، مع اعتبار الدراسات الحديثة ، وعلى ضوء هذا يجيء رأيه فى الاقتباس والاستعارة من الغرب واضحا ، إذ يذكر " أنه لا ينبغى لأهل الأقطار العربية أن يقتبسوا من عناصر المدنية الغربية اقتباس التقليد ، بل اقتباس التحقيق ، بعد أن يعطوا كل شيء حقه من التمحيص ويقلبوه على حالتيه الشرقية والغربية ، فإن التقليد لايكون طبيعة إلا فى الطبقات المنحطة ، وصناعة التقليد وصناعة المسخ فرعان من أصل واحد ، وما قلد المقلد بلابحث ولاروية إلا أتي علَي نفسه فى شيء من ملكة الابتكار وذهب ببعض خاصيته العقلية ، على أننا لا نريد من ذلك ألا نأخذ من القوم شيئا ، فإن الفرق بعيد بين الأخذ فى المخترّعات والعلوم ، وبين الأخذ من زخرف المدنية وأهواء النفس وفنون الخيال ورونق الخبيث والطيب ، إذ الفكر الإنساني إنما منتج الإنسانية كلها ، فليس هو ملكا لأمة دون أخري ، وما العقل القوي إلا جزء من قوة الطبيعة .

فإذا نحن أخذنا من الأنظمة السياسة فلنا أخذ ما يتفق مع الأصل الراسخ فى آدابنا من الشورى والحرية الاجتماعية عند الحد الذي لا يجور على أخلاق الأمة ولا يفسد مزاجها ولا يضعف قوتها[٢١١] " . وهكذا فى الأدب والشعر ، أما العادات الاجتماعية وآدابها فلا يحبذ الأخذ منهم ، لأن لهم مزاجا وإقليما وطبيعة وميراثا ، ولنا ما يتفق وما يختلف مع هذا .

ومن هذا المنطلق دافع عن الآداب الاجتماعية ، فها هو مثلا — يكتب مقالا عنيفا — هاجم فيه الكماليين والمتبرنطين يقول فيه إنه نجم عقب البدعة التركية فكرة اتخاذ القبعة غطاء للرأس وقد جاءت " بعد نزعات من مثلها كما يجيء الحذاء فى آخر ما يلبس اللابس ، فلم يتنك أحد أنها ليست

---

(٢١١) المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ١٧٥ .

قبعة على الرأس أكثر مما هى طريقة لتربية الرأس المسلم تربية جديدة ليس فيها ركعة ولا سجدة '' و '' قد احتجوا يومئذ لصاحب تلك البدعة أنه لايري الوجه إلا المدنية ، ولايعرف المدنية إلا مدنية أوربا ، فهو يتمثلها كما هي فى حسناتها وسيئاتها ، وما يحل وما يحرم ، وما يكون فى حاجة إليه ، وما يكون فى غنيً عنه ، حتى لو أن الأوربيين كانوا عورا بالطبيعة لجعل هو قومه عورا بالصناعة ليشبهوا الأوربيين[٢١٢] .

ورغم أنه لم يكتب فى التربية قاصدا، فإننا نلمح هنا وهناك آراء متناثرة ، مركزا على أن العمل الإسلامي أساسه '' إخضاع الحياة للعقيدة ، فتجعلها العقيدة أقوي من الحاجة ، فيكون الفقير معدما ويتعفف ، ويكون الغني موسرا ويتصدق ، ويكون الشره طامعا ويمسك ، ويكون القوي قادرا ويحجم[٢١٣] '' وبذلك تتحكم العقيدة فى طبيعة الإنسان فتجعله يميل دوما نحو الخير ويغلبه مختارا فاعلا إياه .

وقد خاض معركة ضارية فيما يسمَّي بالقديم والجديد ، ودافع دفاعا مجيدا عن تراث الأمة الإسلامية ، مما يظنه البعض معركة أدبية ، ولكنها فى الحقيقة معركة من أجل الحفاظ علَي الشخصية الأصيلة للأمة ، فهو لا يهاجم الجديد إلا إذا كان كيدا للإسلام الذى هو شخصية هذه الأمة ، موافقا فى هذا ما قاله شكيب أرسلان '' منهم من يريد هدم الأمة فى لغتها وآدابها خدمة لمبدأ الاستعمار الأوربى ، ومنهم من يشير باستعمال اللغة العامية بحجة أنها أقرب إلى الأفهام ، ولكن منهم من لا يحاول هدم الأمة فى لغتهم وآدابهم ، ولذلك نرى هؤلاء دعاة إلى اللغة وآدابها على شرط أن لايكون ثمة قرآن ولا حديث ، وأن تكون الصبغة لادينية ، وحجتهم في ذلك حب التجديد وكون القرآن والحديث وكلمات

---

(٢١٢) مصطفى صادق الرافعى : وحي القلم ــ ج ٢ دار الكتاب اللبنانى ، بيروت . (د . ت) ، ص ٣٠٠ .

(٢١٣) المرجع السابق ، ص ١٠ .

السلف من القديم الذى لا يتلاءم مع الروح العصرية فى شىء ، وآخرون فى حجتهم في ذلك النزعة القومية ، التى هي بزعمهم تناقض النزعة الدينية ، وأصحاب النزعة القومية هؤلاء يقولون إنها من باب التجديد ، وأن روح القومية هى السائدة فى هذا العصر ، فالدين والمعاصرة نقيضان لا يجتمعان[٢١٤] ‘‘ .

ودافع الرافعى عن الثقافة الإسلامية التى طالب الطلبة فى الجامعة بإدخالها فى التعليم الجامعى ، كما طالبوا بالفصل بين الطلبة والطالبات سنة ١٩٣٧ ، وذلك فى مقال له بعنوان ’’ قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر[٢١٥] ‘‘ . وينقد الدكتور طه حسين حين يفصل بين العلم والدين ، ويذكر أن العلم من وسائل الإيمان التي تؤدى إليه فى النهاية لا فى الطريقة ، بشرط أن يكون العقل سليما صحيحا ، والعلم فى حاجة إلى الدين[٢١٦] ، فضلا عن أنه دعا إلى الاهتمام بدراسة الأدب العربي فى الجامعة المصرية ، وألف كتاب ’’ تاريخ آداب العرب ‘‘ بتناول عربي إسلامى ، ليواجه به دراسات المستشرقين ،والذين كانوا يدرسون فى الجامعة ، وكان جهده هذا بداية للدراسات العلمية فى الدراسات العليا للأدب العربى[٢١٧] ‘‘ .

وترجع أهمية الرافعي هنا إلى أنه حمل لواء الجهاد فى الدفاع عن الشخصية الإسلامية ضد قيادات التغريب سواء من جهة الاحتلال أو من جهة المصريين ، ولا غرو فقد عاصر فترة الاحتلال الإنجليزي لمصر ، وشهد

(٢١٤) مصطفى صادق الرافعى : تحت راية القرآن (المعركة بين القديم والجديد) ـــ صحح أصوله محمد سعيد العريان ـــ ط ٧ ـــ دار الكتاب اللبناني ـــ بيروت ـــ ١٣٩٤ هـ ـــ ١٩٧٤ م ، ص ٣٧ .

(٢١٥) راجع : مصطفى صادق الرافعى : وحى القلم (مرجع سابق) ، ج ٣ ، ص ١٥٩ ـــ ١٦٢ .

(٢١٦) المرجع السابق ، ص ٣٥٢ ـــ ٣٦١ .

(٢١٧) راجع : مصطفى نعمان حسين البدرى : الإمام مصطفى صادق الرافعي (قدم له الأستاذ الكبير محمد بهجة الأثرى) مطبعة دار البصرى ـــ بغداد ـــ ١٩٦٨ ، ص ١٤٧ ، ١٥٢ ، ٣٦١ .

المؤامرات المتوالية على الفكر الإسلامي بهدف تشويهه . وشهد مصرع الخلافة الإسلامية وغير ذلك ، مما كون لديه الشعور بضرورة التمسك بالشخصية الإسلامية العربية ، التى تتلخص فى اللغة والدين كما ذكرنا آنفا .

ولم يكن الرافعي وحده ، بل كان هناك مصطفى لطفى المنفلوطى ، ومحمد حسين هيكل وحسين الهوارى ، ومحمد الغزالى وعبد الحليم محمود وغير هؤلاء كثير ، كانوا يقفون إلى جانب الشخصية الإسلامية يدافعون عنها ويثبتون أصالتها فى وجه قيادات التغريب ، والاستشراق والتبشير .

حســـن البـــنا :

المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمون التى تشكلت سنة ١٩٢٨ وقد أدرك هو ومن معه الوضع المتردي للمسلمين ، سواء فى السياسة أو فى الاقتصاد أو فى الاجتماع ، وأدرك مع هذا أن الوسيلة الفعالة للأخذ بيدهم من وضعهم هذا تطبيق الإسلام ، بما يحمله هذا المعنّي من توازن بين الروح والفكر والجسد ، مستلهما روح الإسلام ، حيث دعا '' إلي تصور متكامل شامل يضم تحت جناحه كل التجليات النظرية والعلمية للإسلام[٢١٨] '' .

١ ــ ويعلن أنه قد حان الوقت الذى يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته ويحدد وجهته ، ويعمل إلى هذه الوجهة حتى يصل إلي الغاية ، أما تلك الغفلة السادرة والخطوات اللاهية والقلوب الساهية ، والانصياع الأعمى واتباع كل ناعق فما هو من سبيل المؤمنين فى شيء[٢١٩] . '' ويلخص مهمة الإخوان فى الرسالة التى بعث بها إلى ملوك مصر وملوك بلدان العالم الإسلامى سنة ١٣٦٦ هـ ــ حيث حدد المهمة فى شطرين : '' أولهما :

---

(٢١٨) د . فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ٣٤٨ .

(٢١٩) الإمام الشهيد حسن البنا : مجموعة الرسائل ــ دار الشهاب ــ (د . ت) ، ص ١٣ .

تخليص الأمة من قيودها السياسية حتى تنال حريتها ، ويرجع إليها ما فقدت من استقلالها وسيادتها ، وثانيهما : بناؤها من جديد لتسلك طريقا بين الأمم ، وتنافس غيرها فى درجات الكمال الاجتماعي[٢٢٠] '' ، وقد دعا إلى سلوك الطريق الإسلامى بعد أن ذكر أن أمام الأمم الإسلامية سبيلين أو طريقين ، الأول طريق الإسلام وأصوله وقواعده وحضارته ومدنيته ، والثانى طريق الغرب ومظاهر حياته ونظمها ومناهجها ، ويؤكد أن الطريق الأول هو عقيدته[٢٢١] ، على أساس أن :

ـ '' الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعها ، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة ، أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون ، أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة ، أوكسب وغني ، وهو جهاد ودعوة ، أوجيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة ، سواء بسواء[٢٢٢] '' . ولفهم الإسلام فهما صحيحا يجب الاعتماد على القرآن والسنة فى تفهم الأحكام ، واعتبار الإيمان الصادق مع رفض التمائم والرقي والودع والرمل والمعرفة والكهانة ، وادعاء معرفة الغيب[٢٢٣] .

ـ الإسلام يعطي الفرد حقه والجماعة حقها ، مع ضرورة تحقيق وحدة الأمة أو الجماعة ، تلك الوحدة التي تتحقق فى ظل النظام الإسلامي ، وقد دعا إلى إقامة حكومة إسلامية حقيقية ، وكانت هذه الدعوة صادرة عن إيمان كامل بأن الإسلام نظام حياة ، ومن هنا كانت التربية وسيلة لتحقيق التوازن والوحدة بين أفراد الأمة ، فى إطار من الأخوة والمساواة بين الأفراد .

٢ ـ ويعرض للفكرة الإسلامية فى مواضع كثيرة من رسائله ، ويعتمد

---

(٢٢٠) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٢٢١) المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

(٢٢٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ ، ٢٧١ .

(٢٢٣) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

عليها فى تصوره لأهداف التربية ، يقول '' وإن لكل أمة وشعب اسلامى سياسته فى التعليم وتخريج الناشئة ، وبناء رجال المستقبل ، الذين تتوقف عليهم حياة الأمة الجديدة ، فيجب أن تبني هذه السياسة على أصول حكيمة تضمن للناشئين مناعة دينية وحصانة خلقية ، ومعرفة بأحكام دينهم واعتدادا بمجده الغابر وحضارته الواسعة '' ويعرض لغاية الحياة فى القرآن ، ويحض المؤمنين ، على أن واجبهم فى الحياة '' هداية البشر إلى الحق ، وإرشاد الناس جميعا إلى الخير وإنارة العالم كله بشمس الإسلام(٢٢٤) '' وكانت قواعد الإسلام هي الأصول التى تُبْنَي عليها نهضة الشرق الحديث فى كل شأن من شؤون الحياة '' و '' أن كل مظهر من مظاهر النهضة يتنافى مع قواعد الإسلام ويصطدم بأحكام القرآن فهو تجربة فاسدة فاشلة ، ستخرج منها الأمة بتضحيات كثيرة فى غير فائدة ، فخير للأمم التى تريد النهوض أن تسلك إليه أخصر الطرق باتباعها أحكام الإسلام(٢٢٥) .

٣ ــ ويؤكد على دور الفرد المسلم الذى يجب أن يكون نموذجا قائما لما يريده الإسلام فى الأفراد ، إذ يريد فى الفرد وجدانا شاعرا ، يتذوق الجمال والقبح ، وإدراكا صحيحا يتصور الصواب والخطأ ، وإرادة جازمة لاتضعف ، ولا تلين أمام الحق ، وجسما سليما يقوم بأعباء الواجبات الإنسانية حق القيام ، ويصبح أداة صالحة لتحقيق الإرادة الصالحة وينصر الحق والخير .

وقد وضع الإسلام تكاليفه الشخصية على القواعد التي توصل إليها هذه النتائج كلها ، ففى العبادات الإسلامية أفضل ما يصل القلب بالله ، ويربي الوجدان الشاعر والإحساس الرقيق ، وفى النظر الإسلامى ممايرقَي بالعقول والألباب ، ويدفعها إلي كشف ستائر الكون ومعرفة وقائع الوجود . وفى

(٢٢٤) المرجع السابق ، ص ٣٣ .
(٢٢٥) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

الخلق الإسلامي ما يربى الإرادة الجازمة القومية الماضية الصادقة ، وفى النظام الإسلامي فى الطعام والشراب وتوابع ذلك من شئون الحياة ما يكفل للفرد حفظ جسمه من مهلكات لا دواء لها ، ووقاية من فواتك الأمراض .

وعلى أساس الفردية تنبني الأسرة ، والأمة ، وقد وضع الإسلام القواعد التي تكفل الأسرة والحياة الاجتماعية السعيدة ، فعَقد الأواصر ورفع مستوى الصلة إلي المحبة والإيثار ، وهكذا نجد كل شيء واضحا فى تعاليم الإسلام[٢٢٦] .

ويؤكد دور الإسلام فى مصر ، داعيا إلي تجنب صيحات التغريب والانغماس فى الملذات وترف الحضارة الغربية ، معتمدا على الإسلام كأساس فى بناء النهضة الحديثة والشخصية المسلمة .

٤ ــ ولا يحرم ولا يمنع الأخذ من الحضارة الغربية الحديثة ، والاقتباس منها ، بل واجب على المسلم اقتباس الخير من كل مكان ، فليس " هناك ما يمنع من أن ننقل كل ماهو مفيد عن غيرنا ، وفق ديننا ونظام حياتنا وحاجات شعبنا[٢٢٧] " .

أما التذبذب بين الإسلام ونظامه ، والحضارة الغربية ونظامها ومنجزاتها فغير محمود ، إذ هو مصدر " كثير من المشكلات فى التعليم " ويتساءل " هل هناك أمة غير مصر يسير التعليم فيها من أولى خطواته على هذين اللونين من ألوان التربية ، فهناك التعليم الديني ويتصل بنصف الأمة وينتهي إلى الأزهر ، ومعاهده وكلياته ، وهناك التعليم المدني ويتصل بالنصف الثاني ، ويتميز كل منهما بخواصه ومميزاته . وهل لذلك من سبب سوي أن السلسلة الأولى هى أثر الإسلام الباقى فى نفوس هذه الأمة ، وأن

(٢٢٦) المرجع السابق ، ص ١١٩ ــ ١٢١ .

(٢٢٧) المرجع السابق ، ص ١٢١ .

السلسلة الثانية هى نتاج مجاراة الغرب والأخذ عنه ، فما الذى يمنع من توحيد التعليم فى مراحله الأولي على أساس التربية القومية الإسلامية ، ثم يكون بعد ذلك التخصص ؟[٢٢٨] ،، وينادى بأنه ،، ،، لابد من وضع حد لهذا التفاوت الغريب حتي تظهر الأمة الموحدة ، فبدون الوحدة لا تتحقق نهضة ولا تحيا أمة حياة الكمال[٢٢٩] ،، .

ومن هذا المنطلق جاءت رسائله لتكوين الإيمان العميق ، والتكوين الدقيق للعمل المتواصل[٢٣٠] ، وجاءت هذه الأفكار مراعية تحقيق القوة الجسمية والقوة الروحية ، بمعنَي تحقيق التكافل فى بناء الشخصية الإسلامية ، يتضح هذا من رسالة التعاليم[٢٣١] ، التى وضع فيها منهاج بناء الفرد المسلم ، والتى تعالج بناء الروح والفكر والجسد ، ففى مجال الروح نراه يؤكد أن الإنسان لابد أن يحرص على الورد اليومي من القرآن وذكر الآخرة ، والصيام ، والذكر وأداء العبادات ، وفى مجال الجسد ، يؤكد على ضرورة وأهمية الكشف الصحي الدورى ، وعدم الإسراف فى الطعام والشراب ، وعدم التدخين وكل ما يضر بالجسد ، ويؤكد العناية بالنظافة العامة ، أما من الناحية الفكرية ، فيؤكد ضرورة دراسة الإسلام فى أصوله ، ومطالعة رسائل الإخوان وجرائدهم ، وحفظ الأحاديث ، وهكذا تتنوع الأهداف وتتكامل معها الوسائل .

ومن نفس المنطلق كان الاهتمام بإنشاء المدارس المختلفة ، منها ،، المدارس الليلية ورياض الأطفال ، ومدارس الجمعية[٢٣٢] ،، وكانت

---

(٢٢٨) المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٢٢٩) المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٢٣٠) المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٢٣١) المرجع السابق ، ص ٢٦٧ ــ ٢٨٢ .

(٢٣٢) غازى التوبة : الفكر الاسلامي المعاصر (دراسة وتقويم) ــ ط ٣ ــ دار القلم ــ بيروت ــ ١٩٧٧ ، ص ٢٠٨ ــ ٢١١ .

تؤدي خدمات جليلة على أساس التصور الإسلامي الواضح .

سيد قطب :

وقد ظهرت أفكاره فى كثير من مؤلفاته ، وتظهر بوضوح فى كتابه العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، حيث يؤكد فيه أن النظرة العامة للإسلام هى الأساس الذي يجب أن تبنى عليه كافة الأنظمة الإسلامية ، ويقدم فى هذا المجال نظرة الإسلام إلى الكون والإنسان والمجتمع ، كأساس تشتق منه الأنظمة فلسفتها وأهدافها ، منطلقا من إيمانه الكامل بأن الإسلام نظام حياة ، له تصوره الكامل الذي يجب أن يلتمس فى القرآن والسنة ، فالإسلام تناول " طبيعة العلاقة بين الخالق والخلق ، وطبيعة العلاقة بين الكون والحياة والإنسان وطبيعة العلاقة بين الإنسان ونفسه ، وبين الفرد والجماعة ، وبين الفرد والدولة ، وبين الجماعات الإنسانية كافة بين الجيل والأجيال[٢٣٣] " .

وتصور العلاقة بين الخالق والمخلوق " الإرادة المباشرة التى تصدر عنها المخلوقات جميعا[٢٣٤] " إذ وجودها صادر عن " الإرادة المطلقة ، وحدة متكاملة ، كل جزء فيها ملحوظ فيه تناسقه مع سائر الأجزاء ولكل موجود فيه حكمة تتعلق بهذا التناسق الكامل الملحوظ[٢٣٥] "؛ ، والكون ليس عدوا للحياة الإنسانية بل عاملا مساعدا ، ومعني هذا أن رب الخلق خلق الكون وقواه لتكون صديقا معاونا للإنسان ، وسبيل كسب هذه الصداقة ، تأملُ هذه القوي والتعرف عليها والتعاون معها[٢٣٦] . والرعاية والعناية متوفرة من الله لخلقه .

---

(٢٣٣) سيد قطب ؛ العدالة الاجتماعية (مرجع سابق) ، ص ٢١ .

(٢٣٤) المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٢٣٥) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢٣٦) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

أما الإنسانية فتختلف لتتفق وتتعاون ، حتى يستقيم نظام الحياة الإنسانية ، والأصل التعاون والتعارف والتعايش فى حدود منهج الله وشرعه ، والإنسان متكامل متناسقة أجزاؤه ، إذ هو وحدة متكاملة ، وقواه المختلفة الظاهر موحدة الاتجاه فى الحقيقة ، شأنه فى ذلك شأن الكون كله ذي القوة الواحدة المتعددة المظاهر[٢٣٧] '' . فالكون متعدد الطاقات والقوي ، والإنسان متعدد الطاقات والقوي ، والإسلام يعرض لهما بتصور كامل متناسق ،لا عوج فيه ولا اضطراب ، فهو يوحد بين الطاقات والقوي جميعا ، ويمزج بينها ، جامعا بين '' الأرض والسماء فى نظام الكون ، والدنيا والآخرة فى نظام الدين والروح والجسد فى نظام الإنسان ، والعبادة والعمل فى نظام الحياة ... ويسلكها جميعا فى طريق موحد ، هو الطريق إلَي الله ، ويخضعها كلها لسلطان واحد : هو سلطان الله[٢٣٨] '' . فمن وراء الكون والإنسان والحياة '' قوة الأزل والأبد ، تلك التى لا أول لها يعرف ، ولا آخر لها يوصف ، تسيطر فى النهاية على الكون والحياة والناس ، إنها قوة الله ... '' و '' الفرد الفانى يملك أن يتصل بهذه القوة الأزلية الأبدية ، وهى توجهه فى الحياة ، وهو يستمدها فى الشدائد ، يملك أن يتصل بها وهو فى المحراب يصلي ويتطلع إلى السماء ، كما يملك أن يتصل بها وهو فى الأرض يعمل مشغولا بمعاشه ومحياه[١٣٩] '' ويملك أن يعمل للآخرة والدنيا ، فتتكامل أجزاء الكون وقواه وتتحقق الوحدة بين كل طاقات الحياة ، والوحدة بين الإنسان ونفسه ، وبين دوافعه ورؤاه ، وبهذا يتحقق السلام الدائم بين الكون والحياة ، وبين الحياة والأحياء ، وبين الجماعة والفرد وبين أشواق الفرد ونزعاته ، وفي النهاية بين الدين والدنيا ، بين الأرض والسماء ، سلام متكامل متوزان فيه حساب للروح والجسد ، والفرد والجماعة ،

(٢٣٧) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢٣٨) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٢٣٩) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

والجيل والجيل ، ومن هذا المنطلق تأتى تأكيدات الإسلام فى سبيل تحقيق إنسانية الإنسان ، وتأكيد مقوماتها ، فهو يتناول جميع مظاهر الحياة ، وجميع ألوان النشاط فيها ، كما يتناول الشعور والسلوك والضمائر والوجدانات والقيم[٢٤٠] ".

ومن هنا كانت دعوته إلى ضرورة استئناف حياة إسلامية فى مجتمع تحكمه العقيدة الإسلامية ، تحكمه الشريعة الإسلامية والنظام الإسلامي ؛ على أساس أهداف الإسلام ، والتصور الإسلامي ، المستمرةِ منذ أكثر من اثني عشر قرنا ، رغم غيابها عن الوجود الإسلامي .

وفى مقال له ينقد كتاب الدكتور طه حسين (مستقبل الثقافة فى مصر) نشر فى صحيفة (دار العلوم) ، يتضح اتجاه سيد قطب منذ بداية حياته الأدبية ، إذ يذكر أن فى الكتاب ما يوافق عليه ، وما يخالف مؤلفه فيه ، ويذكر أن " للدكتور استطرادات جميلة من فصل إلى فصل ، ومن موضوع إلى موضوع ، وله كذلك قفزات ذهنية عجيبة بين المقدمات والنتائج ، وبين بعض هذه النتائج وبعضها الآخر[٢٤١] ".

ويفند رأي الدكتور فيما يتعلق بنسبته مصر إلى الغرب لا إلى الشرق عقليا ، ويذكر من الحجج ما ينفي بها هذه القضية ، والحكم الذي حكم به الدكتور طه ، ويذكر أن الإسلام له أثره الباقي فى عقلية المصريين ، فمصر شرقية وإن تأثرت .

ويناقش الحضارة الأوربية الحديثة حيث يذكر أنه يجب أن نفرق بين الثقافة فنعتبرها شاملة لديننا وفنوننا ونظمنا الخلقية ، وتقاليدنا وخرافاتنا ،

---

(٢٤٠) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢٤١) سيد قطب : " نقد كتاب مستقبل الثقافة فى مصر " ــ صحيفة دار العلوم ــ العدد ٨٠ ، ص ٣٠ .

وهذه يجب أن نحتفظ فيها بماضينا ، ونجدد فيه بمقدار سنة التطور الطبيعي ، والمدنية التي يعتبرها شاملة للعلوم والفنون التطبيقية ، وتلك نأخذها من أوربا[٢٤٢] ، وحينئذ تتحقق لنا عزتنا ومجدنا .

وهو فى كل ذلك يؤكد روح الإسلام الذى طبع حياة المصريين ، وطبع الحياة الشرقية المصرية ، فمصر تنتمي إلي الشرق وإلى الإسلام لا إلي الغرب وعقليته وحضارته .

وينقد وجهة النظر التى نادى بها الدكتور طه حسين ، فى أن الدولة يجب أن تشرف إشرافا فعليا كاملا على مراحل التعليم العام ، سواء في الأزهر أوفي المدارس الأجنبية ، أوفي المدارس الأهلية ، لأن هذا هو الكفيل بتوجيه أسس العقلية المصرية فى النشء الجديد ، من أن هذا يساعد على تقوية المركزية ، التى نشكو منها ، ويجب أن تأخذ اللامركزية طريقها إلي التعليم[٢٤٣] .

وينقده فى مواضع أخري وخاصة فيما يتعلق بتدريس اللغات الحية فى التعليم العام والتخصص فيها ، وتنويع التعليم الثانوي منذ البداية[٢٤٤] ، أما فى الجامعة فيوافقه فى آرائه ، ويوجب دراسة اللغات بتخصص عميق .

ويتضح — على كل حال — اهتمام سيد قطب بمشاكل التعليم ، حتى قبل أن يكتب تصوره عن الإسلام ولا عن العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، فنقده هذا سابق لكل كتاباته عن الإسلام .

وعلى كل فقد عاد أكثر أصالة فى فهمه الإسلام وتناول التصور العام

(٢٤٢) المرجع السابق ، ص ٤٣ .
(٢٤٣) المرجع السابق ، ص ٤٥ — ٤٦ .
(٢٤٤) المرجع السابق ، ص ٥١ .

الذى ينبثق منه النظام التعليمى هدفا وفلسفة وربما بعد أن آمن بأن الإسلام هو الصبغة الحضارية الملائمة لمصر البلد الإسلامى ذي العقلية الإسلامية[٢٤٥] .

عباس محمود العقاد :

وتناولنا له هنا لاكصاحب فكر تربوى متكامل ، بل لاهتمامه أساسا بإبراز الطبيعة الإنسانية والفلسفة القرآنية ، وهو وإن كان أساسا فى أول عهده بالكتابة منبهرا بالغرب ، إلا أنه عدل كغيره من الشخصيات عن هذا ، وكتب فى الإسلام ، ودراستنا له كنموذج لهؤلاء من أمثال الدكتور محمد حسين هيكل ، وإسماعيل مظهر ، وطه حسين ، والذى يهمنا هنا إبراز نقاط هامة فى كتابات العقاد وهى الطبيعة الإنسانية ، وآراؤه المختلفة فى التعليم .

أ ــ الطبيعة الإنسانية :

وهو يبدأ أساسا من منطلق رئيسي وهو '' أن الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية '' وهو لم يكن هكذا '' لأنه مصلحة وطنية أو حاجة نوعية ، لأن الدين قد وجد قبل وجود الأوطان ، ولأن الحاجة النوعية '' '' بيولوجية '' تتحقق أغراضها فى كل زمن وتتوافر أسبابها فى كل حالة ولا يزال الإنسان بعد تحقق أغراضها وتوافر وسائلها فى حاجة إلى الدين[٢٤٦] '' . وأهم ملامح الطبيعة الإنسانية كما رآها فى القرآن هي كما يلى :

١ ــ الإنسان هو الخليفة المسئول بين جميع ماخلق الله . يدين بعقله فيما رأي وسمع ، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب ، فلا تدركه الأبصار والأسماع[٢٤٧] '' فهو مخلوق يحمل المسئولية '' جامع لكل ركن من

---

(٢٤٥) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٢٤٦) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية (مرجع سابق) ، ص ١١ .

(٢٤٧) عباس محمود العقاد : الانسان فى القرآن (مرجع سابق) ، ص ٣٦٤ .

أركانها ، يتغلغل إليه فقه الباحثين عن حكمة التشريع الديني أو التشريع في الموضوع ، وهذه المسئولية ، تبليغ وعلم وعمل[٢٤٨] '' والإنسان لديه الاستعداد لهذه جميعا لما أوتى من استعداد للتكليف ، وهو '' أكرم الخلائق بهذا الاستعداد للتفرد بين خلائق السماء والأرض من ذي حياة أو غير ذى حياة[٢٤٩] .

٢ ــ والإنسان هو الكائن المكلف ، بالعقل ، لأن القرآن امتلأ بخطاب '' العقل بكل ملكة من ملكاته ، وكل وظيفة عرفها له العقلاء قبل أن يصبح '' درسا '' يتقصاه الدارسون كنها وعملا ، دائرا فى داخله وفيما خرج عنه ، وفيما يصدر منه وما يؤول إليه[٢٥٠] '' العقل وازع وفهم وفكر ورشد ، ورؤية وتدبير ، وبصيرة تنفذ وراء الأبصار ، وهو مناط التكليف .

٣ ــ وتكوين الذات الإنسانية روح وجسد ، إذ هما '' فى القرآن ملاك الذات الإنسانية ، تتم بهما الحياة ، ولا ينكر أحدهما فى سبيل الآخر ، فلا يجوز للمؤمن بالكتاب أن يبخس للجسد حقا ليوفي حقوق الروح ، ولا يجوز أن يبخس للروح حقا ليوفي حقوق الجسد ، ولا يحمد منه الإسراف فى مرضاة هذا ولا مرضاة ذاك ... وعلى الله قصد السبيل[٢٥١] '' فهو التكامل إذن بين الجسم والروح ، ومن هنا أباح القرآن التمتع بالطيبات الحلال ، فى غير إسراف ، وكان تمكين الإنسان في الأرض ليسعَي فيها ، ولا يزهد في شيء من خيراتها ، يخرجه لنفسه أوتخرجه له الأرض من فضل ربه ، وكل هذا يمكن للإنسان فى الأرض . وحق المعيشة الأرضية ، وواجب الحياة الدنيوية ، ولا تناقض ولا تعارض بين الروح والجسد ، ولا تنازع بين الدنيا والآخرة ، ولا فصام للذات الإنسانية يحار فيه العقل ، وتتمزق به أوصال الضمير[٢٥٢] .

---

(٢٤٨) المرجع السابق .

(٢٤٩) المرجع السابق .

(٢٥٠) المرجع السابق ، ص ٣٧٥ .

(٢٥١) المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

(٢٥٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

٤ ــ والعقل والروح والنفس قوي حيوية ، وكمال هذه القوى فى القرآن مقيس إلي كمال الله جل شأنه ... فأرفعها وأشرفها ما كان أقربها إلي الصفات الإلهية ، وأوفاها وأحسنها ما كان أبعدها من تلك الصفات ... والروح فى الكتاب الكريم أقرب هذه القوي '' إلى الحياة الباقية ، وأخفاها عن المدارك الحسية ، وأنه الجانب الذى استأثر به واحتجب عن أنبيائه ، لأنه سر الوجود المطلق ، لا قدرة للعقل الإنساني المحدود على الإحاطة به ووعيه إلابما يناسبه من الإشارة والتقريب[٢٥٣] '' .

أما العقل والنفس '' فى بيان القرآن الكريم ، فالراجح أن النفس أقربهما إلي الطبع والقوة الحيوية التى تشمل الإرادة كما تشمل الغريزة ، وتعمل واعية كما تعمل غير واعية ، وتأتي فى مواضعها من الآيات الكثيرة مرادفة للقوة التي يدركها النوم ، والقوة التى يزهقها القتل ، والقوة التي تحس النعمة والعذاب ، وتلهم الفجور والتقوى ، وتحاسب على ما تعمل من حسنة وسيئة ، فهي القوة التى تعمل وتريد ، مهتدية بهدي العقل ، أو منقادة لنوازع الطبع والهوى ، وتوضع لها الموازين بالقسط يوم القيامة[٢٥٤] '' .

٥ ــ وجملة هذه القوي هي '' الذات الإنسانية ، تدل كل قوة منها على '' '' الذات الإنسانية '' فى حالة من حالاتها ، ولا تتعدد الذات الإنسانية '' بأية صورة من صور التعدد ، لأنها ذات نفس أوذات روح أوذات عقل ، فإنما هى إنسان واحد فى جميع هذه الحالات[٢٥٥] '' '' وهى '' أعم من النفس ومن العقل ومن الروح حين تذكر كل منها على حدة ، فإن الإنسان يحاسب نفسه لينهاها عن هواها ، ولكن الروح من أمر الخالق الذي لا يعلم الإنسان منه إلا ما علمه الله ، ويتوسط العقل بين

(٢٥٣) المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

(٢٥٤) المرجع السابق ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

(٢٥٥) المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .

القوتين ، فهو وازع الغريزة ، ومستلهم لهداية الروح[٢٥٦] ،، .

٦ ــ وبالنسبة للحرية والاختيار يقرر أنه إذا '' وجب تكليف الإنسان ، فالعقل الإنساني لا يوجبه إلاكما ينبغي على حالة واحدة لا سواها ، وهى حالة الإرادة المخلوقة يودعها فيه الخالق كما ينبغي أن تودع ، وهى لا ينبغي أن تودع إلا علي هذا الغرض الذى يدعو إليه القرآن ... ،،، وأن الحرية المخلوقة حرية صحيحة كما ينبغي أن تكون فى احتمال العقل المدرك المميز الذي يهتدي بإذن الله لما اختلفوا فيه[٢٥٧] '' والتكليف يعتمد على العقل ، والعقل يعتمد على الإيمان ، فهناك حرية في الاختيار يقوم بها العقل ، لأنه لا تكليف ،، ''أصلا إن لم تكن فيه طاعة وحرية ، ولا معني للحرية من وراء إرادة الخالق وإرادة المخلوق[٢٥٨] ،، .

فهو تقرير لحرية الإنسان المشروطة بحرية الله وإرادته فى مخلوقاته ، بمعنى أنه توسط بين الجبر المطلق والاختيار المطلق .

ب ــ الشخصية الاسلامية :

وكما حدد معالم الشخصية الإسلامية ، دافع دفاعا مجيدا عن الفكر الإسلامى ، وأظهر أن الأديان تهاجم ، موضحا كيف أن هذا الهجوم راجع إلي الدعوي القائلة بحرية البحث والفكر ، ودافع عن الإسلام فى كتابه (ما يقال عن الإسلام) فى محاولة جادة إلي إعادة الثقة بالشخصية المسلمة ، فهؤلاء الذين كتبوا عن الإسلام إما مبشرون لا يخفى غرضهم من خدمة للسياسة والسياسيين ، وإما بعيدون عن دوائر التبشير ودوائر السياسة ، ينشدون الرأى الخالص ، ولكنه مشوب بالقصور الذى لا مفر منه عند درس

(٢٥٦) المرجع السابق ، ص ٣٩١ .
(٢٥٧) المرجع السابق ، ص ٤٠١ .
(٢٥٨) المرجع السابق ، ص ٤٠٤ .

الأدب والفكر الإسلامي بلغة أخرى ، وليس هو من أبناء العربية ، ولا هو من الأدباء فى لغته التى نشأ عليها ، وبعضهم لا رأى له فى أدب بلاده ، لأنه لم يشتغل به ، ولم يتأهب له بعدته من الذوق والخبرة التى تؤهل للتخصص فيه ، فهؤلاء لا يملكون العدة ، ويكتبون عن الإسلام . وهو بهذا يشير إلي أثر الاستشراق والتبشير والصهيونية والاستعمار فى تشويه الشخصية المسلمة التى هى أصيلة أصالة مصادرها التى استحدث منها لبنات بنائها[٢٥٩] .

ج ــ آراؤه التربوية :

نلاحظ للعقاد آراء متفرقة هنا وهناك ، فهو يشير إلي أزمة التعليم ، وخاصة أماكن التعليم ، ويذكر أنه أمام التغير الاجتماعى الملحوظ فى المجتمع المصري ، يجب أن يتغير نظام التعليم وأهدافه ، بدلا من أن يركز على تخريج موظفين للحكومة ، يجب أن تتغير أهداف التعليم ، طبقا لوجوه الإصلاح الجديدة ، وليكن شعار التعليم هو '' علموا وعلموا وعلموا ... علموا كل شيء وعلموا كل إنسان ، واتركوا الأزمات لقوم متعلمين ، فذلك خير من أن تتركوها لقوم جهلاء[٢٦٠] '' .

ويذكر فى مقال آخر ، بعنوان '' الجامعة فى التاريخ[٢٦١] '' إن للجامعة مزية عمل المدرسة ، وهى '' مزية التعليم الحي ، واشتراك '' الشخصية '' كلها فى إلقاء الدروس وتلقين المثل ، إحسان القدوة والاقتداء بين الأساتذة والطلاب[٢٦٢] '' .... ويحضرنى هنا رأي للفيلسوف الأسباني

---

(٢٥٩) راجع : عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ــ دار الاسلام ــ القاهرة ــ ١٩٧٢ ، ص ٧ وما بعدها .

(٢٦٠) عباس محمود العقاد : دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية (مرجع سابق) ، ص ٢٢٥ .

(٢٦١) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٢٦٢) المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

'' أورتيما إى جاسيب '' عن مهمة الجامعة ، يلخص هذه المهمة فى خلق المعارف والإعداد لخلقها لافي مجرد التحصيل والإحاطة بالمعلومات '' المجهزة '' ويسألون عن اقتباس النظام الجامعى من ألمانيا لأنها امتازت بقبض المعارف الجامعية ، فيعجب لهذا السؤال ، ولا يري نفعا فى التعويل على الاقتباس وحده كائنا ما كان موضوع الاقتباس ، لأن النظام عظيم بأمته وليست الأمة عظيمة بنظامها ، ومن قال إن '' المدرسة الثانوية '' ممتازة فى البلاد الإنجليزية ، فإنما يذكر جانبا واحدا من جوانب الامتياز الكثيرة التى تتعدي التعليم إلى السياسة والتجارة والتشريع والألعاب الرياضية ، وليس شىء من ذلك بالذى ينقله الناقلون من نظام المدارس الثانوية '' ويستطـرد '

« والفليسوف الأسباني على صواب لا ريب فيه ، فلا خير فى تزويد الجامعات بما يسمونه حرية الفكر ، وقداسة الحرم الجامعى ، وإطلاق المواعيد للأساتذة والطلاب ، إذا كان ذلك كله محصورا فى نطاق الجامعة ، معزولا عن الخلائق القومية التى تحيط بها وتشرف عليها ... ويوم يقال : هذا بلد عظيم ، يقال هذه جامعة عظيمة ، ولا ينعكس الوصف يوما على وجه من الوجوه [٢٦٣] » .

وخلاصة آرائه هذه :

١ ــ أن التعليم يجب أن يكون وظيفيا ، مواجها لتغيرات الحياة وللتغيرات الاجتماعية ، وأن المتعلم خير ألف مرة من الجاهل .

٢ ــ أن أى تعليم يجب أن يعتمد على الإمكانيات الذاتية فى الأمة التى يعمل فى خدمتها ، والاقتباس فى نظم التعليم ، لا يكون ذا جدوى إلا إذا وافق المكونات الذاتية للأمة ، ومرتبطا بالبيئة وبالمجتمع وحاجاته وتغيراته .

٣ ــ والهدف التربوى ، يجب أن يمتد فيشمل كيان الإنسان كله ، عقلا

---

(٢٦٣) المرجع السابق ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

وجسدا وروحا ونفسا وضميرا ، بحيث لا تسوده الآلية الصماء ، أو الربحية التجارية .

وهكذا يظهر أن العقاد تناول محورين أساسيين :

١ ـــ توضيح ملامح الشخصية الإسلامية ، وإبراز أصالتها من القرآن ، والدفاع عنها دفاعا مجيدا لائقا بدورها الحضارى المنتظر ، وذلك ضد تيارات التغريب والاستشراق والتبشير والإستعمار والصهيونية .

٢ ـــ آراء متناثرة هنا وهناك تتصل بميدان التعليم ، وهى انعكاس للفكرة السابقة عن الشخصية والطبيعة الإنسانية .

كانت مرحلة الجهاد تمتاز بوجود أشخاص موهوبين تمكنوا علميا ، من الدفاع عن الشخصية الإسلامية ، ودافعوا عن الفكر الإسلامى ، ومنهم من استطاع أن يسهم فى تقديم أفكار عن الطبيعة الإنسانية ، وفهم للتربية ، وأغراضها ونحو ذلك ، ولم يكن هؤلاء فقط هم الذين قدموا أفكارا ودافعوا عن التراث الإسلامي ، بل كان هناك كثير ممن ساهموا فى هذا ، ولكننا قدمنا هؤلاء كنماذج فقط ، وليس استهانة بهذا المفكر أو ذاك ، فلكل مقامه ، فهي مجرد نماذج وأمثلة لا غير .

وقد استطاع هؤلاء جميعا علَي كافة الأصعدة الفكرية ، أن يقدموا التجليات الفكرية ، والتي أسهمت فى تشكيل تراث اعتمد عليه من أتي بعدهم فى مجال التخصص .

ج ـــ مرحلة الأبحاث المتخصصة :

كانت التجارب الاجتماعية مع هذا الفكر أو ذلك خطوات على الطريق.ومع احترامنا للتحليلات المختلفة التى قدمت فى مجال دراسة تخلف المجتمع المصري ، إلا أن هذه التحليلات رغم إصابتها فى كثير من الأحيان ، إلا أنها لم تضع يدها على موطن الداء الحقيقى ، وهو التربية ،

وقد أدرك هذا مجموعة من المفكرين المعاصرين ، والمتخصصين فى مجال التربية إذ وجدوا أن هناك انفصالا بين الثقافة الاجتماعية وبين ما تفعله التربية ، ومن هنا أدركوا أن موطن الداء فى التربية ، فأسهموا إسهامات واضحة وملموسة فى تأصيل الفكر التربوي والعملية التعليمية ، حيث انطلقوا من فكرة مؤداها أن العمل التربوي يجب أن يتم من خلال ثقافة المجتمع ، ومن هنا ظهرت كتاباتهم لكسر الحلقة المفقودة بين العمل التعليمى وثقافة المجتمع .

كان هذا من خلال المتخصصين فى كتب ، أو فى الإشراف على رسائل جامعية ، لطلاب الدراسات العليا ، وهى على قلتها إلا أنها تمثل الفتح أو النور الهادى . وقد أتت هذه الأبحاث والكتب فى محاور أو ثلاث مناح فى التناول :

١ ــ المنحى التاريخى . ٢ ــ المنحى الفلسفي .
٣ ــ المنحى الشخصي " دراسة الشخصيات " .

أولا : المنحَي التاريخي :

١ ــ كانت البدايات لهذا المنحى فى كتابات متفرقة فى كتب ، فقد قدم الأستاذ مصطفي أمين المفتش بوزارة المعارف كتابا فى تاريخ التربية ، كتب فيه فصلا تحدث فيه عن التربية عند العرب فى الجاهلية والإسلام ، وتناول أغراض التربية ، ومناهجها ووسائلها ، ومعاهد التعليم ، وتربية المرأة ، ورجال التربية فى العصر الإسلامي ، وقد طبع الكتاب طبعته الثانية عام ١٩٢٦[٢٦٤] ، وغَطَّى العصر الفاطمى الأستاذ خطاب على عطية فى كتابه " التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول[٢٦٥] " .

(٢٦٤) راجع : مصطفى أمين . تاريخ التربية (مرجع سابق) ، ص ١٥٦ ــ١٨٨ .

(٢٦٥) خطاب على عطية : التعليم فى مصر فى العصر الفاطمي الأول ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٤٧م .

٢ ـ وتقدم الدكتور أحمد شلبى ببحث لنيل درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج ١٩٥١ ، وترجمه إلى العربية ١٩٥٤ بعنوان '' تاريخ التربية الإسلامية '' وقد سد هذا الكتاب فراغا فى المكتبة العربية الإسلامية ، إذ كان المثقفون يعرفون الكثير عن التربية الإغريقية وغيرها ، ولا يعرفون شيئا ذا بال عن التربية الإسلامية كما يقول المؤلف[٢٦٦] .

وتناول المؤلف أمكنة التعليم قبل وبعد انتشار المدارس ، والمكتبات والمدرسين والتلاميذ ، وفلسفة النظم بالمعاهد التعليمية ، وموضوعات الدراسة ، وغير ذلك .

٣ ــ وتأتي بعد ذلك الجهود العلمية لتجلية التاريخ التربوي الإسلامى ، لتغطية فترات التاريخ ، وكان منها رسالة الماجستير للباحث / عبد الغنى محمود عبد العاطى '' التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك '' وهى مقدمة إلى كلية الآداب ــ قسم التاريخ ــ جامعة القاهرة ــ ١٩٧٥ .

٤ ــ وتأتى رسالة الماجيستير المقدمة من الباحث / حسن إبراهيم عبد العال عن '' التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى[٢٦٧] '' عام ١٩٧٧ ، وهو يتناول التربية الإسلامية باعتبارها نظاما تربويا متكاملا ، فى فلسفته وأهدافه ، وإدارته وتمويله ، وله مناهجه وطرقه وأساليبه ، وله مدرسوه وطلابه وقد حرص الباحث على أن يربط القرن الرابع الهجرى تربويا بالقرآن والسنة سواء فيما وافق فيه أوخالف ، وقد غطت القرن الرابع الهجرى .

---

(٢٦٦) د . أحمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٢٤ .

(٢٦٧) حسن إبراهيم عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ــ رسالة ماجستير مقدمة إلي كلية التربية ــ جامعة طنطا ــ ١٩٧٧ .

٥ ـــ وقدم الباحث / على سالم ابراهيم النباهين بحثا لنيل درجة الماجستيرعن نظام التربية في عصر دولة المماليك '' وقد نهج نهج الدراسة السابقة وغطى عصر المماليك[٢٦٨] '' .

وقد نشرت الدراستان الأخيرتان تحت اشراف د / ابراهيم عصمت مطاوع ، ود . / عبد الغنى عبود ، ضمن سلسلة (مكتبة التربية الإسلامية) .

ثانيا : منحيَ دراســة الشخصيات :

١ ـــ وتجيء الدراسة التى قدمتها الأستاذة فتحية حسن سليمان فى كتيب فى مقدمة هذه الدراسات ، وتذكر فى مقدمة دراستها (بحث فى المذهب التربوي عند الغزالى) أن الدارس لتاريخ التربية يلاحظ خلو الدراسات من دراسة التربية فى العصور الإسلامية[٢٦٩] . وترجع سبب هذا ـــ بالنسبة للمؤلفات الأجنبية ـــ إلى الجهل بتاريخ الإسلام أوقلة عدد قراء العربية ، أوقلة انتشار تراجم المؤلفات العربية فى البلاد الغربية ، أو قد يرجع إلى نوع من التعصب الذي يشعر به معظم الغربيين نحو كل ماهو شرقي ، بل وإسلامي على الوجه الأخص[٢٧٠] .

وتذكر أنه فى السنين الأخيرة ، أخذ بعض المربين الشرقيين يدرسون تاريخ التربية ، وتذكر منهم السيدة أسماء فهمى ودكتور أحمد شلبى ، ويعتبر أهم ما كتب فى هذه الناحية حتي الآن . وقد قصرت بحثها على الإمام الغزالى ، فتعرف به ثم تتناول أهداف التربية ، ثم تتناول المنهج ، ثم

(٢٦٨) على سالم إبراهيم النباهين : نظام التربية فى عصر دولة المماليك ـــ رسالة ماجستير مقدمة لكلية التربية ـــ جامعة طنطا ـــ قسم أصول التربية ـــ ١٩٨٠ .

(٢٦٩) فتحية حسن سليمان : بحث فى المذهب التربوي عند الغزالي ـــ ط ٢ ـــ مكتبة نهضة مصر ـــ ١٩٦٤ ، ص ٣ .

(٢٧٠) المرجع السابق ، ص ٣ .

طريقة التدريس ، وتنتهى من هذا إلى أن " أهم مايسترعى الانتباه فى كتابة الغزالي عن التربية عموما هى الطريقة التي اتبعها فى التفكير فى شؤون التربية والتهذيب ، فلم يكتب عن التربية بطريقة ارتجالية ، بل كتب وفق فكرة معينة ، واضحة في ذهنه إلي درجة جعلها واضحة كل الوضوح للقارىء لكتاباته[٢٧١] " ، مع ما يمتاز به من نزعة واقعية ، وبأنه خير مجرب استمد آراءه من صميم الحياة ، وتعتبره من الفلاسفة الذين وضعوا نظاما تربويا شاملا ، واضح الأهداف ، محدد الوسائل ، والذين تكلموا فى نواح عديدة متصلة بتربية النشء بوضوح ، ووفق فكرة معينة لايصعب فهمها أوتحديدها ، وإذا قورن بمن كتب فى هذه النواحي من المربين الغربيين يوازى أعظمهم وأشهرهم كأفلاطون ، وروسو ، بل إنه يمتاز على هذين المربين لأنه استمد آراءه من واقع الحياة ، ومن خبرته هو ، بينما كتب هؤلاء عن التربية كتابة نظرية لا تستند علي الواقع[٢٧٢] " .

والبحث بالرغم من قلة عدد صفحاته ، إلا أنه يمتاز بالأسلوب السهل ، ووفى فى بابه إلى حد كبير وواضح .

٢ ــ وتجيء دراسة الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى " التربية فى الإسلام " وهو عبارة عن بحث قدمه لنيل درجة الدكتوراه ، طبعت لأول مرة ١٩٦٧ ، ثم طبعت ثانية ١٩٧٥ ، وفيها عرض للتربية من وجهة نظر الفقيه أبو الحسن على بن محمد بن خلف المعروف بالقابسى ، معتمدا علي رسالته المخطوطة (الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين[٢٧٣]) .

٣ ــ ثم توالت الدراسات بعد ذلك ، دراسة الباحث / محمد نبيل

(٢٧١) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٢٧٢) المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٢٧٣) د . أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الاسلام ــ طبعة ثانية ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٧٥ .

نوفل : '' أبو حامد الغزالي فلسفته وآراؤه فى التربية والتعليم '' ودراسة الباحث / عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب : '' الآراء التربوية فى كتابات ابن سينا '' ودراسة الباحثة / نادية يوسف ابراهيم : '' فلسفة التربية عند إخوان الصفاء '' ودراسة الباحث / أحمد أبو عرايس : '' الآراء التربوية فى كتابات مسكويه '' ودراسة الباحث / محمد سعد القزاز : '' الآراء التربوية فى كتابات الجاحظ '' .

وقد استطاعت هذه الدراسات أن تقدم فكرة واضحة عن فكر كل شخصية من هذه الشخصيات وأصول فكر كل منها .

ثالثا : المنحيَ الفلســفي :

وهو اتجاه يبحث عن أصول الفكرة التربوية الإسلامية ، ويحاول استقاء الأصول التربوية من المنابع الإسلامية الأصيلة ، وقد قدم فى هذا المجال الكثير من الدراسات ، سواء فى شكل كتب أو مقالات أو رسائل جامعية ، وقد جاءت هذه الدراسات بعد فترة المعاناة ، مستفيدة من غيرها من الدراسات الإسلامية ، وفروعها المختلفة ، ومن الاجتهادات الإسلامية فى الفترة المعاصرة وقد قدمنا إجمالا للمبادىء الفكرية الإسلامية فى العصر الحديث ، وكانت بمثابة فتح باب الاجتهاد فى مجال هذه الدراسات ، وتوالت الاجتهادات بعد ذلك ، سواء من أفراد متخصصين فى الدراسات الإسلامية ، أو حاولوا الاجتهاد فيها .

وفى هذا المجال نلاحظ دراسات تربوية متخصصة أمثال دراسة محمد قطب ، ودراسات أنور الجندى ، ومن دراسات التربويين ، دراسة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح جلال ، والدكتور محمود سلطان ، والدكتور سعيد إسماعيل علي ، والدكتور عبد الغنى عبود ، والدكتور محمد منيرمرسى . وهذه دراسات تربوية كاملة وقاصدة فى التربية الإسلامية ،

ونلاحظ أيضا كتابات فى أبواب مستقلة فى الكتب ، وهى كثيرة ، نذكر منها دراسة الأستاذ الدكتور محمد سيف الدين فهمى عن " النظرية التربوية " ، والدكتور إميل فهمي حنا ، وغيرهم كثير ، ولكثرة هذه الدراسات الجادة والمنظمة ، نعرض منها لنماذج وأمثلة فقط ومن خلال بعض هذه الدراسات ، وهدفنا تغطية قطاع معين من قطاعات المفكرين التربويين المعاصرين فى التربية الإسلامية .

ونتناول هنا نماذج من كافة القطاعات التربوية وتخصصاتها المختلفة ، وحسبما تسمح به ظروف البحث ومساحة الدراسة :

١ ـ وتأتى دراسة الأستاذ محمد قطب ، الكاتب الإسلامى ، كتابة قاصدة فى التربية الإسلامية ، تناول فيها بالشرح والتحليل الكثير من المفاهيم التربوية الإسلامية ، ويمكن إبراز هذا فيما يلى :

أ ـ يحدد بداية أن منهج التربية الإسلامية يهدف إلي إعداد الإنسان الصالح المتقى المتبع هدى الله ، الذى يفي بشرط الخلافة فى الأرض ، برده كل شيء إلَي خالقه وبارئه ، صاحب القوة والجبروت والسلطان ، المالك لكل مافي الأرض ومن فيها ، يهتدي بهديه ويسير علي نهجه ويستمد منه قوته[٢٧٤] .

ب ـ ويبين وسطية الإسلام وتوازنه فى تناول الكائن البشرى كله ، وأخذه على ما هو عليه بفطرته التي خلقه الله عليها ، وفى معالجاته لكافة نواحي الشخصية الإنسانية ، ويبين التكامل فى الوسائل ، وفى أغراض التربية ، من حيث مراعاتها الجسد والروح والعقل والقلب ، وكافة القوى الإنسانية ، ويعرض للتوازن الدقيق الذى راعاه الإسلام بين طاقة الجسم وطاقة الروح أو بين ماديات الإنسان ومعنوياته ، بين ضروراته وأشواقه ، بين الواقع

---

(٢٧٤) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٥ـ١٧ .

والخيال ، بين الإيمان بالمحسوس والغيب ، بين الفردية والجماعية ، بين النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، بل فى كافة مناحي الإنسان وخيوط شخصيته[٢٧٥] .

ج ــ ويعرض لمنهج الإسلام فى تحقيق هذه الأهداف ، ففى تربية الروح ، يذكر أن الروح هى '' الطاقة التى يتصل بها الإنسان بالمجهول ، بالغيب المحجوب عن الحواس[٢٧٦] '' وإذا كان لها وظائف فإن وظيفتها الرئيسية هي الاتصال بالله ، فهى وسيلة الاتصال بالله ، وهى تهتدى إلي الله بفطرتها ، لأنها '' من روح الله التي أودعها الله قبضة الطين[٢٧٧] '' .

والإسلام في اهتمامه بتربية الروح يعاملها في رفق وعناية ، وفي واقعية ووسطية وتوازن ، بحيث يعقد الصلة بينها وبين الله ، ويستثيرها للتسليم له ، والتوكل عليه دون سلبية أو ضعف ، وتربيتها تثمر في النهاية حب الله وخشيته ، و '' تولد الإحساس الحي بالصلة الوثيقة بين الإنسان والكون ، صلة التعاطف والقربي والحب والإعجاب ، الإنسان بضعة من هذا الكون الهائل الفسيح ، بضعة صادرة من ذات المصدر الذي صدر منه الكون ، صادرة من إرادة الله ، ومن ثم فهناك وشيجة القربى وصلة النسب العريق ، هناك الصلة الحية التي تربط قلبا بقلب ، وشعورا بشعور[٢٧٨] '' .

ومن ثمارها حب الحياة والأحياء ، والمخلوقات والناس ، فيعمل على خيرهم وإسعادهم ، ومن ثمارها '' الاستعلاء على دفعة الجسد وموازنة ثقلة الأرض '' إذ أن '' دفعة الجسد جزء من الكيان الحسي للإنسان ، جزء مطلوب لذاته ، وهو موضع الرجاء الكامل ، لا الكبت والاستقرار ، ولكنه

(٢٧٥) المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٢٧٦) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢٧٧) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٢٧٨) المرجع السابق ، ص ٧٩ .

مع ذلك حين يترك وحده يهبط بالإنسان عن مستواه اللائق به إلى مستوى الضرورة وعالم الحيوان ، ويستعبد الإنسان نفسه لشهواته ... فلا يملك نفسه منها ، ولا يستطيع تحررا ولا انطلاقا[٢٧٩] '' .

د ـــ ومن شمول التربية الإسلامية ، يذكر أن الكائن الإنساني وحدة مترابطة الأجزاء '' لا ينفصل منه جسم عن عقل عن روح[٢٨٠] '' ويؤكد أن قوي الإنسان جميعا تنبني على الروح ، فهدف تربية العقل توجيهه فى طريق الخير ، ولكى يصل الإسلام إلي هذا فإنه يوجه طاقات العقل ، '' يمزجها بمزيج الروح ، ويستنبتها ... فى تربية الروح الأريحية المشعة ، لتستمد من أريجها العذب وإشعاعها الطليق ''[٢٨١] ويتم تربية العقل بمايلى :

١ ـــ صيانة الطاقة العقلية من أن تتبدد وراء الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها[٢٨٢] .

٢ ـــ التدريب علي طريقة الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة بالمنهج وتدبر النواميس وما فيها من دقة وترابط .

٣ ـــ التوجيه العقلي لضمان السير في المجتمع ، والنظر فى حكمة التشريع ، والاجتهاد الفكري فى أوسع نطاق .

٤ ـــ النظر في سنة الله فى الأرض ، وأحوال الأمم والشعوب لدراسة عوامل البقاء والفناء فى المجتمعات[٢٨٣] .

---

(٢٧٩) المرجع السابق ، ص ٨٥ .

(٢٨٠) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٢٨١) المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٢٨٢) المرجع السابق ، ص ٩٢ .

(٢٨٣) المرجع السابق ، ص ١١٠ ـــ ١١٧ .

٥ ـــ توجيه الطاقة العقليه إلَي استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان '' غير مفتون بها ، ولا شاعر بأنها خلاصة الحياة وجوهرها الأوحد ، فينتفع بثمارها وهو مالك لأمره عنها ، غير مستعبد لها ، ولا ينحرف فى طريقها[٢٨٤] '' .

ويؤكد أنه لافصل بين العلم والدين ، فالعلم فى الإسلام مرتبط بالله ، ولا صراع بين الإنسان والله ، ولا بين الإنسان والطبيعة ، وعلاقة العقل والروح وثيقة لا تنفصم ، ولافصل بين العقل في تعلمه ـــ وطريق الخير ، ومن ثم لا تتعبد المادة الإنسان '' ولا يقع فريسة للآلة تستعبده وتسيطر عليه ، إنه حافظ لكيانه المتكامل ، مستمد قوته من الله ، ومن ثم يظل هو المسيطر وهو العنصر الإيجابى الفعال[٢٨٥] '' .

هـ ـــ ويعرض لتربية الجسم ، ويذكر أن هناك اتصالا وتكاملا بين الجسم والنفس ، ويقصد بالجسم الكيان المادي '' والطاقة الحيوية المنبثقة من الحسم والمتمثلة فى مشاعر النفس ، طاقة الدوافع الفعلية والنزوعات والانفعالات ... طاقة الحياة على أوسع نطاق[٢٨٦] '' .

والإسلام فى تربية الجسد يراعي الأمرين معا ، ويعتبر التربية البدنية جزءا من منهج التربية الإسلامية ، ويقصد بها '' تقوية الجسم ورياضته علَي احتمال المشاق وبذل الجهد ، كما يقصد بها قوة الأخذ بنصيب الإنسان من الحياة والاستمتاع به ، فالجسد الهزيل المريض لا يأخذ نصيبه الحق من المتاع ، فوق أنه لا يوصل شحنة الحياة إلي النفس توصيلا صحيحا يقوم عن طريقه بمهمتها المفروضة عليها ، وفوق أن جهاد الحياة ـــ والحياة كلها جهاد ـــ فى حاجة إلي جسم وثيق متين البنيان[٢٨٧] '' .

(٢٨٤) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٢٨٥) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٢٨٦) المرجع السابق ، ص ١٢٨ ، وراجع ص ١٣٠ــ ١٥٣ .

(٢٨٧) المرجع السابق ، ص ١٥٤ ـــ ١٥٥ .

و ـــ ويوضح كيف أن الإسلام راعَي الخيوط الدقيقة المتقابلة فى النفس الإنسانية ، فيعرض مراعاة الإسلام لكافة هذه الخيوط ، إذ كلها خيوط دقيقة متقابلة ، راعاها الإسلام بتوازن بحيث '' تؤدى مهمتها فى ربط الكائن البشري بالحياة ، كما أنها أوتار متفرقة تشد الكيان كله ، وتربطه من كل جانب يصلح للارتباط ، وفى الوقت ذاته توسع أفقه وتعدد جوانبه ، وتفسح مجال حياته ، فلا ينحصر فى نطاق واحد ولا مستوي واحد ، وبذلك يتحقق للإنسان كيان فريد فى كل ما يعرف من مخلوقات الله ، كيان يرجع فى النهاية إلى النشأة الأولى العجيبة المعجزة ، قبضة الطين ونفخة الروح[٢٨٨] '' .

ز ـــ ويعرض بعد ذلك لوسائل التربية ، ويذكر أنها كلها تتكامل فى سبيل بناء الشخصية الإسلامية .

ح ـــ ويذكر أنه لإيجاد مجتمع مسلم لابد من إيجاد الفرد المسلم إذ أن '' تكوين المجتمع المسلم هو الهدف الأخير من التربية الإسلامية ، وهو فى الوقت نفسه الأداة الموصلة إلي تثبيت المفاهيم الإسلامية وتنشئة الأفراد عليها منذ نعومة أظفارهم ، حتى ينطبعوا بانطباعاتهم ويكونوا صدى ذاتيا للتفاعل معها والتشرب بها[٢٨٩] '' .

وهكذا يمكن أن نلمح النظرة التكاملية للإنسان ، وللإنسان والمجتمع ، والأهداف والوسائل ، بحيث تصل التربية إلى تكوين الإنسان الصالح المتكامل ـــ القوى الجسد والروح والعقل والنفس ، والذى '' لا يضعف ولا يخشع ولا يحنى هامته إلي الأرض ساجدا إلا لله وحده لاشريك له ، أما ماعدا ذلك فهو قوي صلب العود ، شديد المراس متين[٢٩٠] ''

---

(٢٨٨) المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .

(٢٨٩) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

(٢٩٠) المرجع السابق .

شديد رحيم ، رحمة مناسبة ، وشدة خالية من الغلظ والجفاء ، إنسان " يفيض قلبه بالعطف على بني الإنسان ، بكل مافيهم من ضعف بشرى ، وكل ما فيهم من طمع وجشع ولجاجة وغرور " ذاكرا " وحدة المنشأ " وأخوته لهذا البشر ، ويتذكر أنه يجاهد نفسه فتغلبه أحيانا ويخضع لضرورة قاهرة ... فيدركه العطف على الناس والاعتذار لهم عما يرتكبون من هفوات " و " يحب للناس الخير ، ويحس نحوهم بالرحمة ، ولو كان لا يعرفهم ولا تربطهم به قرابة أوصحبة ، إنساني النزعة يعمل طاقته لينفع وليصيب النفع أكبر عدد من الناس[٢٩١] وهو متوازن فى سلوكه وفكره وشعوره ، متوازن لأن طاقاته كلها تعمل وتأخذ نصيبها من الحياة[٢٩٢] .

٢ ـــ وثانى الأمثلة والنماذج التى نقوم بدراستها ، دراسة الأستاذ الدكتور سعيد اسماعيل على ، أستاذ تاريخ التربية ، وقد تناول الكثير من قضايا التربية في كثير من مؤلفاته ، وهو يذكر أن دراسات التربية الإسلامية تسير فى اتجاهين : اتجاه تاريخي يكشف عن تطور المعاهد والمؤسسات ونظم التعليم ، واتجاه فلسفي ، يلتمس مظاهر الفكر التربوي فى الإسلام ، وهو مكمل للاتجاه التاريخي[٢٩٣] ، ويقرر أن التماس التربية الصحيحة في الإسلام ، تكمن فى الروح الإسلامي التى تعتبر أم النظام التعليمى ، ومن هنا يجب " التماس العون الأساسي فى بناء التربية الإسلامية من دستور الإسلام ومعينه الرئيسي وهو القرآن الكريم ، ولما كانت السنة النبوية الشريفة هى شارحة القرآن مبينة لمقاصده ، مفصلة لأهدافه ، وجب أن نأخذها أيضا فى الاعتبار ، وبعد هذا يمكن أن يختلف فيما بعد ذلك من أصول ومصادر[٢٩٤] " .

(٢٩١) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ ـــ ٢٧٨ .

(٢٩٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

(٢٩٣) د . سعيد اسماعيل على : أصول التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ٥ .

(٢٩٤) المرجع السابق ، ص ٦ .

وقد كتب كتابات متعددة فى المجال التاريخي ، ولكننا يهمنا هنا اتجاهه الفلسفى ، والذى تضمنه كتاب '' أصول التربية الإسلامية '' ويعالج فيه المصادر التى يمكن الاستناد إليها ، وهى كمايلى :

١ ـ القرآن الكريم . ٢ ـ السنة النبوية . ٣ ـ أقوال الصحابة .
٤ ـ المصالح الاجتماعية . ٥ ـ الثقافة . ٦ ـ الفكر الفلسفى .

ويبدأ بتعريف للتربية الإسلامية ، إذ هى '' تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلي المباديء والقيم التي أتي بها الإسلام ، والتى ترسم عددا من الإجراءات والطرائق العملية ، يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكا يتفق وعقيدة الإسلام[٢٩٥] '' ، وفى هذا الضوء يتناول مصادر التربية الإسلامية ، مبتدئا بالقرآن الكريم ، موضحا كيف أنه يعتبر المصدر الأول للتربية الإسلامية القرآن مبرهنا على ذلك بمايلى :

١ ـ احترامه عقل الإنسان ، من حيث '' هو الأداة التى بها يفهم ويتأمل ويتفكر ويتعلم[٢٩٦] '' ويسوق العديد من الآيات مستشهدا ، ويري أن لهذا انعكاساته التربوية ، مثل عدم التقولب بقوالب الفكر التربوي ، والإيمان بنسبية التغير ، وضرورة ممارسة النقد بكل جرأة[٢٩٧] .

٢ ـ حثه على التعليم والتعلم : حيث يحث على دراسة الكون ومظاهره ، وسائر صنوف المعرفة ، وهناك آيات كثيرة ، '' توضح عددا من القواعد والمبادىء التي يجب أن يسترشد بها المتعلمون والباحثون فى سعيهم للحصول على المعرفة ، وفى تعليمهم الآخرين '' و '' مصدر العلم فى تصور المؤمن هو الله '' و '' هو يمضي وراء الحقائق لا خلف

(٢٩٥) المرجع السابق ، ص ٥ .
(٢٩٦) المرجع السابق ، ص ٢٨ .
(٢٩٧) المرجع السابق ، ص ٣١ .

الظنون '' '' والظن في نظره خبط في الظلام ، وتدليس على الحقيقة وازدراء لكرامة العقل[٢٩٨] '' .

٣ ــ **تكريم الإنسان** : وأجلُّ تكريم له هو منحه أدوات التعليم والقدرة على التعرف على حقائق الأمور وصفات الأشياء وخصائصها ، وذلك ليتابع في حياته بحثه العلمي السليم ليكتشف أسرار الكون ويحسن الانتفاع بما فيه من نعم وقوي وخيرات ، ولذلك نعي على الذين يعطلون أدواتهم المعرفية ، أويستخدمونها في حدود ظواهر الحياة الدنيا فقط ، ثم ينتقلون من ذلك إلي معرفة خالقهم ولا يؤمنون به[٢٩٩] .

من أجل هذا خلق الله الإنسان محايدا أخلاقيا ، بحيث يكون '' مستعدا لأن يسعد نفسه بالخير ، أويشقيها بالشر '' ويكون '' صالحا بعقله وعمله ، ومسلكه في الحياة لدرجات القرب من الله ولدرجات البعد عنه ، وما كانت هداية الوحي إلا لتقوية الخير فيه ، وللأخذ بيده من نزعات الطغيان والهوى إلى ماقدر له من كمال في دنياه وأخراه[٣٠٠] '' سواء في ذلك الذكر والأنثي ، والأبيض والأسود .

والإنسان حر الإرادة ، مسئول عن أفعاله الاختيارية ، ومافي الكون من جبرية لايسأل عنها الإنسان ، بل يسأل فقط عن فعله الاختيارى[٣٠١] .

٤ ــ **والقرآن يستخدم القصص لكافة ألوان التربية** : لتربية الروح والعقل والجسم ، والتوقيع على الخيوط المتقابلة في النفس ، والتربية بالقدوة ، والتربية بالموعظة ، فهو سجل حافل لكافة التوجيهات[٣٠٢] .

---

(٢٩٨) المرجع السابق ، ص ٣٥ .
(٢٩٩) المرجع السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٣٠٠) المرجع السابق ، ص ٣٦ .
(٣٠١) المرجع السابق ، ص ٣٨ .
(٣٠٢) المرجع السابق ، ص ٤١ .

٥ ــ النظرية الواقعية للفطرة البشرية : اعترافا بالواقع من غير مسايرة له ، وتزويده بمبادىء وقواعد تسمو به ، ويؤكد مراعاة ميول المتعلمين[٣٠٣] ، ويسوق الكثير من الآيات تأكيدا لهذا ، والكثير من الأمثلة ، كالزينة واللباس والجنس ، والنقائص البشرية .

٦ ــ التوجيه العلمي : بمعني أن القرآن عالج المسائل الميتافيزيقية التي يحتاج إليها الإنسان ، ووجه الإنسان إلي العمل والواقع ، بحيث يضمن نجاح مسعاه فى الدنيا والآخرة عن طريق العمل الصالح ، والذى لا يتأتي بالغرق فى المسائل الميتافيزيقية والنظريات المجردة[٣٠٤] .

٧ ــ مراعاة الحاجات الاجتماعية : وتتوافر فى القرآن ، من حيث أنه يُرَبِّي أفرادا فى مجتمع ، وآياته وقواعده كثيرة فى المجال ، إذ نجد عمومية القواعد الاجتماعية ، والتدرج فى انتزاع العقائد الفاسدة ، وتثبيت العقائد الصحيحة ، والضوابط الاجتماعية ، والأخلاقيات الفاضلة ، ولهذا نزل القرآن مفرقا[٣٠٥] .

وفى الجوانب التربوية للسنة يسوق بعضا من القضايا التربوية التي عالجتها السنة ، والتي يمكن أن يفيد منها علماء التربية والمربين عموما منها ، الدعوة إلَي طلب العلم ، وتبنِّي الطريقة العلمية ، والتربية بالوعي لا بالمعجزات ، وممارسة التعليم .

وأهمية القدوة فى التربية ، والرفق بالمتعلمين ، وتقدير العلماء والتفسير الوظيفي ، ثم تعليم النساء والتربية الجسمية[٣٠٦] . ويتعرض لأقوال

---

(٣٠٣) المرجع السابق ، ص ٤٥ ــ ٤٩ .
(٣٠٤) المرجع السابق ، ص ٥٢ ــ ٥٧ .
(٣٠٥) المرجع السابق ، ص ٨٨ ــ ١٠٨ .
(٣٠٦) راجع : المرجع السابق ، ص ٨٨ ــ ١٠٨ .

الصحابة ، والمبادىء التربوية التطبيقية التي يمكن استخراجها من دراستهم ، ويخرج بعدة قضايا هامة ، مثل تحديد سن المتعلم والمعلم ، وشروط المظهر الحسى للمعلم ، وجدارة المعلم والمحافظة على مواعيد التدريس وشروط عملية التدريس[٣٠٧] .

ويتناول المصالح الاجتماعية ، ويذكر جوانب تصلح للتطبيق فى مجال التربية الإسلامية ، منها :

١ ــ وضع ضوابط لحرية الفرد من أجل مصلحة المجتمع .
٢ ــ مراعاة التغير الاجتماعي .
٣ ــ ضرورة ممارسة الوظائف والأعمال الاقتصادية .
٤ ــ مراعاة المصلحة الاجتماعية .
٥ ــ لاضرر ولاضرار .
٦ ــ الوظيفة الاجتماعية للملكية .
٧ ــ تأسيس العقاب على المصلحة الاجتماعية .
٨ ــ دعوة أفراد المجتمع إلي مافيه صلاحه ، مهمة اجتماعية[٣٠٨] .

ويذكر هنا أن المصريين ماداموا يراعون المصالح الاجتماعية ، فإن مايبذلون من " جهد فى سبيل تحقيق مصالح المجتمع بأدواتهم الخاصة ، ومناهجهم المحددة ، إنما يكون جهدا إسلاميا مادام يستهدف غايات الإسلام من الإشارة والنية لهذه المصالح " ويعى خطورة هذه القضية فيقول : إنا لانسوق آراء مباشرة فى التربية الإسلامية ، إلا أننا لا نبعد لا كثيرا ولا قليلا ، لأن الفلسفة الإسلامية الأساسية هي التى تشكل القاعدة الرئيسية لهذه الدراسة ، ونحن أيضا لا نطوع الفكر الإسلامي للمفاهيم الحديثة ، لمجرد أن القضايا التي تناقشها هى قضايا اليوم وأنه لم تكن كذلك

(٣٠٧) راجع : المرجع السابق ، ص ١٦٣ ــ ١٧٢ .
(٣٠٨) المرجع السابق ، ص ١٩٣ ــ ٢٠٧ .

فى عصور الإسلام الأولي ، فلابد أن نعيش زماننا وعصرنا ، وفى معايشتنا لهذا العصر المتجدد ، لابد أن نسترشد بتوجيهات الإسلام وتعاليمه [٣٠٩]،،

ومن هنا يحدد المسئوليات التي يمكن أن تقوم بها التربية تحقيقا للمعالم الرئيسية للمصالح الاجتماعية الإسلامية ، وهى :

١ ـــ تربية الفرد الحر المنضبط اجتماعيا .
٢ ـــ التوجيه الاجتماعي للتربية .
٣ ـــ التربية لعالم متغبير .
٤ ـــ دور التربية فى إعداد الكوادر الفنية المؤهلة للمساهمة فى النمو الاقتصادى ، وذلك عن طريق كشف وتنمية المواهب العقلية للأطفال وشباب المجتمع ، وتحسين المهارات والخبرات المتوفرة لدي جيل الكبار ، والأخذ بمبدأ التخطيط ، وتوسيع مدارك الأطفال والناس وتغيير اتجاهاتهم نحو العمل والاستثمار ، وتوجيه البحث العلمى لخدمة هذا الهدف[٣١٠] .

ويتناول الثقافة ويحلل عناصرها ، ويقول إنه عندما ظهر الإسلام استحدثت عناصر جديدة ، واختفت أخرى قديمة ، وتعدلت عناصر قائمة فاستمرت ،، وهكذا يتبين أنها قد اكتسبت بالتالى الروح الإسلامية وأصبحت الغايات والقيم الإسلامية تشكل عنصرها الأساسى[٣١١] ،، .

ويتناول دور الثقافة ، والقيم الاجتماعية كشريحة ثقافية لها جذورها الإسلامية ، وهى بوظائفها تلقى على المدرسة ،، مسئوليات خطيرة هى إعداد الأجيال الصاعدة على أساس القيم المطلوبة ، وغنى عن البيان أن هذه

---

(٣٠٩) المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .
(٣١٠) المرجع السابق ، ص ٢٠٩ ـــ ٢٢٠ .
(٣١١) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

المهمة لا يمكن أن تتحقق على الوجه الأكمل إلا إذا قامت المدرسة بدراسة عملية التطبيع الاجتماعي فى الأسرة الإسلامية والقيم التى تسود جو هذه الأسرة فى كافة قطاعات المجتمع الإسلامي والتعرف على رواسب عهود التخلف والاستعمار فى التربية الأسرية[٣١٢] ‘‘ . وتعمل على القضاء عليها .

ثم يتناول العادات الاجتماعية وأصولها ، ويتناول العرف ، ويذكر أن الأخذ بهذه العادات الاجتماعية ، حتمى فى دراسة الأصول التربوية الإسلامية ، وأن حركة التعليم يجب أن تتشبع بهذه العادات الاجتماعية ، ويذكر هنا أثر العادات الاجتماعية فى التربية الحديثة :

١ ــ تأخر ظهور دور الدولة فى حركة التعليم .
٢ ــ النزعة الديموقراطية .
٣ ــ إدارة العملية التعليمية حول الكتاب .
٤ ــ قلة الاهتمام بالتعليم المهني .

وهنا نلاحظ أن العادتين الأوليين من محاسن التربية الإسلامية ، أما الثانية والثالثة فهما من المثالب ، إلا أنه يذكر أنه ’’ على الرغم من أن الإسلام ــ كما بينا ــ قد ربط بين الإيمان والعمل ، وألح على وجوب أن يمتهن الإنسان مهنة يكتسب منها رزقه ، إلا أن العهود الأخيرة التي تفككت فيها الدولة الإسلامية الموحدة ، قد جمدت هذا المبدأ الإسلامي العظيم ، وأحيت القيم والعادات السابقة من احتقار العمل اليدوى والترفع عليه ، فكانت لها السيادة والغلبة ، وكانت بالتالى عاملا من عوامل استمرار التدهور[٣١٣] ‘‘ .

ثم يتناول الفكر الفلسفي الإسلامي ، فى دوائر الفلاسفة ،

---

(٣١٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

(٣١٣) المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .

والمتصوفة ، والفقهاء ، وعلماء الكلام ، ويتناول قضايا تربوية أثارها أصحاب هذه الدوائر ، مثل نظرية المعرفة وانعكاساتها التربوية ، والحرية الإنسانية ، وآداب التعليم ، والتربية الأخلاقية ، وغير ذلك ، ويذكر فى نهاية كتابه '' وهكذا نجد لدينا أصولا '' تقتضي منا أن نمد أيدينا '' بكل اللهفة وكل الشوق الذى يحسه طالب المعرفة كي نغترف منها مسلحين فى ذلك بالروح الإسلامية التى تنأي عن التعصب وتحثنا على ممارسة النقد[٣١٤] '' ويحس بأهمية وضرورة تطبيق التربية الإسلامية ، إذ هي ينبغى '' أن تكون الآن موجها لمناشطنا التربوية ، وكما يجب أن تكون معينا لِتصوراتنا المستقبلية[٣١٥] '' .

وبالرغم من مؤلفاته الكثيرة ، فإن هذا المؤلف يعتبر أهم مؤلفاته ، ومازال يبذل الجهد فى هذا السبيل .

٣ ـــ **أما الدكتور عبد الغنى عبود** : فهو متخصص فى مجال التربية المقارنة وله مؤلفات كثيرة فى المجال ، فى سبيل تجلية الأصول الفلسفية للتربية الإسلامية ، وهى كتابات قاصدة ، خاصة سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) ، التى تعتبر من المؤلفات الهامة لترسيخ وتأصيل التربية الإسلامية ، وسر اهتمامه بهذا الأتجاه ، محاولته رد اعتراض أحد الأساتذة على وجود مايسمى بالتربية الإسلامية ، فكانت محاولته ردا على هذا التساؤل أو هذا الإنكار[٣١٦] .

وكان قد أصدر كتابا بعنوان '' نحو فلسفة عربية للتربية '' يذكر فى مقدمته أن البحث عن فلسفة للتربية العربية '' بعيدا عن الإسلام يعتبر ـــ فى نظرنا ـــ بحثا عن المجهول ، فتاريخ العرب وأيديولوجيتهم قد اصطبغت

(٣١٤) المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .

(٣١٥) المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

(٣١٦) راجع د . عبد الغني عبود : الله والانسان المعاصر ـــ (مرجع سابق) ، ص ٧ ـــ ٩ .

بالإسلام منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، أردنا أم لم نرد ، لقد كان الإسلام ــ ولا يزال ــ هو الباب إلي فهم الشخصية القومية العربية مسلمة كانت أوغير مسلمة ، وبالتالى كان ولا يزال هو الباب إلي فهم (الأيديولوجيا) العربية التي تدور حولها فلسفة التربية العربية أو يجب أن تدور[٣١٧] ،، .

ويذكر أن إغفال التربية الإسلامية يجب أن ينتهي ، ويجب أن نتجه إلي التراث أولا للبحث فيه عن فكر تربوي نؤصل عليه تربيتنا فإذا لم نجد فيه اتجهنا إلي غيره ، ،، أو على الأقل يجب أن نبحث هنا وهناك ، على أن يحظى ما بين أيدينا بجهد لايقل عن الجهد الذى نبذله فيما ليس منها[٣١٨] ،، .

وهو يبلور فهمه للتربية الإسلامية ، فيرى أنها تعني ،، نظاما متكاملا للتربية ، يشمل فلسفة التربية وأهدافها ، ومناهج التعليم وطرق التدريس ، والإدارة التعليمية ، والإدارة المدرسية ، وغيرها من وجهة نظر الإسلام ،، أما ،، التربية الدينية فهى تعنى بعض آيات القرآن الكريم تحفظ وتستظهر ، وقد تشرح وتفسر ، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة ، وبعض التراجم لرجال الإسلام[٣١٩] ،، .

ويتناول الآثار المترتبة على هذا الفهم ، مثل تنحية الإسلام كإطار أيديولوجي كامل ، عن حياتنا العامة ، وفهم الإسلام فهما قاصرا ، وغياب المفهوم الشامل الواضح للتربية الإسلامية . وفهم المتخصصين للتربية

---

(٣١٧) د . عبد الغني النوري ، ود . عبد الغني عبود : نحو فلسفة عربية للتربية (مرجع سابق) ، ص ب .

(٣١٨) المرجع السابق ، ص ج .

(٣١٩) حسن عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى (مرجع سابق) ، ص ٤١ ، ١٥ (من مقدمة الدكتور عبد الغنى عبود) .

الإسلامية علي أنها التربية الدينية ، وكانت النتيجة أن رسخ في الضمير العام أنه لا يوجد مايسمَّي بالتربية الإسلامية ، بل توجد التربية الدينية[٣٢٠] .

وفى سبيل تجلية الشخصية الإسلامية كتب كتاباته فى الإسلام معتمدا على القرآن والسنة ، ويعتبر هذه الشخصية هى محور التربية الإسلامية ، وهي '' الإطار العام الذي دار فيه هذا التفكير الديني[٣٢١] '' ولكثرة المؤلفات يمكن أن نقف على معالم فكره كمايلى :

أولا : الله : وهو رب العالمين ، واحد أحد ليس كمثله شيء ، وهو خالق الكون والإنسان ، والفكرة فى الإسلام بسيطة واضحة لاتعقيد فيها ولا غموض ولا التواء ، وكان لطرح الإسلام لفكرة الألوهية بهذا الشكل البسيط ، أن تغيرت نفسية العربى ، '' فأصبحت رسالته حضارية ، أي حولته من إنسان همجى إلي إنسان حام للحضارة . فأصلحت مابين الإنسان وبين الله ، وأصلحت علاقتهم بالكون ، وأدي هذا إلي نهضة حضارية كبرى ، ولكن حين شوهت هذه الفكرة فى عقول المسلمين تحولوا إلي متخلفين[٣٢٢] '' .

والله '' سبحانه وتعالى هو جوهر العقيدة الإسلامية ، ومحورها الأساسى '' والإنسان '' يجعل من العقيدة الإسلامية منزلة لا تعلو عليها سوي منزلة الله سبحانه[٣٢٣] '' وهو يستطيع '' أن يري الله بعقله ، وأن يحسه بقلبه ، ولكنه لا يستطيع أن يراه بعينيه ، أويسمعه بأذنيه ... وإن كان

---

(٣٢٠) المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٣٢١) د . عبد الغني عبود : في التربية الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٤ من المقدمة .

(٣٢٢) د . عبد الغني عبود : العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة ــ الكتاب الأول من سلسلة الاسلام وتحديات العصر ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٧ ، ص ٧٠ .

(٣٢٣) المرجع السابق ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

يراه بعقله ويحسه بقلبه ... من خلالهما إن أراد[٣٢٤] '' فهو يستطيع أن يراه '' من خلال أفعاله ... فهي بصمات تدل عليه[٣٢٥] '' . ومن أجل ذلك يتخذ القرآن الكريم آيات الله وسيلة ليصل بها الإنسان إلى الله ، إن أراد الوصول إليه .

ولأن الله خالق الكون والإنسان ، واستخلف الإنسان فى الأرض ، فإنه '' يجب أن يسير علي درب من استخلفه ، فيكون الله المثل الأعلي فى حياته ، يفهم الكون المحيط به ، ويستغله لصالحه ، ويحقق فيه — ما استطاع — رسالة الحق والخير والجمال — رسالة الله فى هذا الكون ، ويقف فى طريق الشر ، الذى يسعي إبليس إلى نشره ويجمع من حوله الأتباع والأنصار[٣٢٦] '' .

ومن هنا وأمام آيات الله وجب علي الإنسان دراسة الكون المحيط به ، ليقف على بديع صنع الله فيه ، وتحقق عبودية الإنسان ، فلا يخشع لأحد إلا لله ، ويقوم بمهام الاستخلاف التي ألقاها عليه ربه ، يوم خلقه .

ثانيا : الكون : وهو من خلق الله ، وقد عرض القرآن آيات كثيرة عن الكون ، كان الهدف منها الدلالة ، على قدرة الله الخالق ، ولتربط الإنسان بالكون '' فيعرف رسالته ودوره المنوط به فيه ، وعلى أساس الرسالة ، والدور ، سيكون حسابه يوم القيامة '' وتأتى هذه الآيات '' لتربط الإنسان بالكون والتاريخ ليتخذ من دروس التاريخ السابق عظة وعبرة ، فلا يضل ولا يطغى[٣٢٧] . وقد استطاع أعراب البادية استيعابها ، كما يستطيع

---

(٣٢٤) د . عبد الغني عبّود : الله والانسان المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٠٧ .

(٣٢٥) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٣٢٦) المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(٣٢٧) د . عبد الغنى عبود : الاسلام والكون — الكتاب الثالث من سلسلة الاسلام وتحديات العصر — ط ١ — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧٧ ، ص ٩٣ .

استيعابها إنسان القرن العشرين والقرون التالية ، وذلك لأن الإسلام يدعو للعلم ، والعلم لايهدم العقيدة ، وإنما يدعمها[٣٢٨] .

ثالثا : الإنسان : ١ ــ وهو طبقا لنظرة الإسلام مخلوق مكرم ، إذ هو " أكثر تكريما من كل خلق الله ، حتى من الملائكة المقربين أنفسهم بدليل أمر الله سبحانه لملائكته أن تسجد له[٣٢٩] " لأنه هو الخليفة الذى ميزه الله بالاستعدادات والقابليات التى تعينه على العلم والتعلم ، وبهذا كان أقدر على القيام بمهمة الاستخلاف وتبعاتها .

٢ ــ والإسلام ينظر للإنسان كوحدة غير مجزأة ، فهو وإن كان من مادة وروح ، جسم كثيف ، وروح شفاف ، جسم يشده للأرض ، وروح تتطلع إلى السماء ، لأن ، للجسم شهوات ونزوات ودوافع ، وللروح آفاق وتطلعات ، والإسلام لم يغفل الجسم ولم يغفل الروح ، بل زاوج بينهما فى وحدة متناسقة ملتئمة ، وأعطى الروح حقه ، كما أعطى الجسد حقه من غير إفراط ولا تفريط ، فهناك تكامل فى نظرة الإسلام للإنسان ، يتوجه توازن دقيق[٣٣٠] .

والنفس فى الإسلام دلالة على الذات الإنسانية كلها ، رباط مقدس يربط الإنسان بخالقه ، والقلب يعنى الشخصية ، وهو مصدر الطاقة فى الجسم وأى خلل فيه يؤدى إلى خلل وفساد الكيان الإنسانى كله ، وهو العقل والفهم ، ولكن هذه جميعا قوى فى الذات الإنسانية بينها جميعا تكامل ، إذ لا تعدد فى الذات الإنسانية بل هناك تكامل[٣٣١] .

---

(٣٢٨) المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٣٢٩) د . عبد الغنى عبود : الانسان فى الاسلام والأنسان المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٣٠ .

(٣٣٠) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٣٣١) المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

٣ ـــ والإنسان وسط بين التسيير والتخيير ، فهو مسير مخير معا ، ومن هنا تجيء تربيته بحيث تزرع فى الاتجاهين وتنميهما معا ، فهى تنمى فى نفسه أنه حر ولكن فى ظل عبوديته لله ، تبدد ظلمات نفسه ، وتجعله يحسن الاختيار ، لا بقيد يغله ، بل بضمير حى يوجهه حيث يجب أن يسير ، ويهديه إلى حيث يجب أن يختار ، ومن هنا كانت تنمى فى نفسه أن يطلب العلم من المهد إلى اللحد ، وتجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، لأنه بواسطة العلم وحده ، تتحرر الإرادة ، وتزيد قدرة الإنسان على الاختيار ، كما تزيد إيمانه بقدره فيما سيره إليه[٣٣٢] .

٤ ـــ أما عن الجنس الذى ينتمى إليه الإنسان ، فقد كان الإسلام واقعيا ، حين سوّي بين الجميع ، وحرر العبيد من داخل أنفسهم ، حتى لا يحسوا بغير العبودية لله ، وحرر الأحرار من شرور أنفسهم ، وأعلن أنه ﴿ **لافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوي** ﴾ وأن ﴿ **كلكم لآدم وآدم خلق من تراب** ﴾ وأن ﴿ **أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ ومن هنا نجح الإسلام " فى تحرير الجميع من شرور النفس ، يربط الجميع بالله ربطا يحس فيه المسلم بذاته ، ويقدرها حين يحس من أعماقه باعتزازه بعبوديته لله ، وحرر الجميع من شرور الجميع ، بجعله التقوى والعمل الصالح لخير الجميع، مقياس التفوق أو على حد تعبير الرسول الكريم : ﴿ **خير الناس أنفعهم للناس**[٣٣٣] ﴾ .

٥ ـــ وبالنسبة للخير والشر يذكر أن الإسلام يقرر أن الإنسان ليس خيرا مطلقا ، كما أنه ليس شراً مطلقا ، وإنما يولد مزودا بامكانيات الخير والشر جميعا ، وسيره فى هذا الطريق أو ذاك مرهون بتربيته ومن هنا كانت

(٣٣٢) د . عبد الغنى النورى : ود . عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية (مرجع سابق) ، ص

(٣٣٣) المرجع السابق ، ص ١٠٧ ـــ ١٠٨ .

مسئولية التبليغ والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الإسلام ، وكانت المسئولية فردية وجماعية ، على السواء ، حتى يعود الإنسان كل إنسان — إن شاء — إلى فطرته التى فطره الله عليها ، وإلا تحمل مسئولية انحرافه عن الحق يوم القيامة[٣٣٤] . والطريق الذى يختاره '' الإسلام لتحقيق خير الإنسان هو التربية بأوسع مفهوماتها ، واعتبار التربية مسئولية فردية — جماعية — اجتماعية[٣٣٥] '' ومن هنا كان الأمر بالعلم والقراءة ، لأنها مفتاح الفكر وإعمال العقل المستمر ، والذى به تتحقق '' إنسانية الإنسان فى الإسلام ، ويتحقق الخير فيه ، فيكون جديرا بذلك الاستخلاف الذى كرمه به ربه[٣٣٦] '' . وتأتى قضية الابتلاء والاختبار هنا جلية واضحة ، فالابتلاء '' هو سنة حياة الإنسان المسلم '' وهو ''المفتاح إلى فهم الإسلام واستيعاب التاريخ الإسلامى كله[٣٣٧] '' .

٦ — وفى هذا الاطار '' دارت فلسفة التربية الإسلامية ، فكان قوامها تنمية الإنسان تنمية شاملة : عقله وروحه وجسمه ووجدانه ، ووضع قدميه على طريق التعليم المستمر ، وإشراكه عمليا في حركة الحياة ، بما يفرضه ذلك عليه من مسئوليات نحو مجتمعه الذى يعيش فيه ، فالكل — فى الإسلام — كما نعلم ، مسئول عن الكل ، وليست المسئولية مسئولية الحاكم وحده '' ومن هذا المنطلق تحولت التربية الإسلامية إلي نظام تربية متكامل '' لا يقل بحال عن نظم التربية الحديثة والمعاصرة ، من حيث الإدارة والتمويل ، والتنظيم ، والمراحل ، والمناهج ، والخطط ، والكتب ، والخدمات التعليمية المختلفة[٣٣٨] '' .

(٣٣٤) المرجع السابق ، ص ١١٠ — ١١١ .

(٣٣٥) المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣٣٦) المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣٣٧) د . عبد الغنى عبود : الإنسان فى الإسلام (مرجع سابق) ، ص ١٤٥ ، وراجع له أيضا : الله والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ، ص ١٤٥ — ١٥٠ .

(٣٣٨) د . عبد الغنى النورى ، د . عبد الغنى عبود (مرجع سابق) ، ص ١١٧ .

رابعا : اليوم الآخر : ويلفت النظر إلى أن حديث القرآن " عن حياة الإنسان الآخرة ، لم يرد مطلقا منفصلا عن حديثه عن حياة الإنسان الدنيا ، وإنما هو يرد — دوما — تذكرة بالمستقبل ، حيث الجنة والنار ، فى دار الخلد التى لا مستقبل للإنسان إلا فيها ، حتى يظل الإنسان على وعى دائم برسالته التى من أجلها خلق فى هذه الحياة الدنيا ، فيظل — دوما — على مستوى المسئولية ، وأهلا لذلك التكريم ، الذى كرمه به ربه ، يوم خلقه واستخلفه[٣٣٩] " .

ولاشك أن لهذه الحياة الآخرة مردودها التربوى الذى يجب أن يؤخذ فى الاعتبار فى التربية الإسلامية ، وهو يرتبط بكل ماسبق ، إذ بالوعى بها وتمثلها ، تتحول حياة الإنسان إلى معنى ، وتصبح موفورة القيمة ، قادرة على الاستزادة من النورانية ، وتزيد " حضارة ، وقدرة على السيطرة على الحياة ، والاستمتاع بها " ومع ازدياد الإيمان باليوم الآخر ، يزداد الإنسان " إيمانا بالحياة الدنيا ، لا على النحو الذى يؤمن الماديون بها ، إشباعا للبطون ، وفسادا ، وإفسادا ، ولكن على النحو الذى يكون به الإنسان إنسانا ، خليفة لله فى الأرض ، معطاء ، مصلاحا ، بناء .... معمرا[٣٤٠] " .

خامسا : المجتمع الإسلامى : وفى تناوله للمجتمع الإسلامى ، يقرر أن المجتمع عبارة عن أفراد ، وهم ذوو وظائف متباينة ، وظاهرة التفرد من أهم حقائق الوجود ، وإذا انغمس الإنسان فى الأسرة أوفى الجماعة ، فإنه إنما ينغمس فيهما فردا متميزا عن غيره ، له سماته وملامحه الخاصة التى لا تتكرر بنصها فى الجنس البشرى كله " و " الجماعة الإنسانية — أسرة أو مجتمعا — تثرى بقدر ما تتمايز مواهب أبنائها وتتنوع ، وتفتقر كلما

---

(٣٣٩) د. عبد الغنى عبود : اليوم الآخر والحياة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ١١٠ .

(٣٤٠) المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

كانت هناك محاولة (لصب) الجميع فى قالب واحد[٣٤١] .

والإسلام يقر فردية الإنسان ، ويقر المجتمع وحاجاته ، ويخرج مجموعة من الديناميات فى المجتمع الإسلامى ، هى النشاط الاجتماعى والنشاط الاقتصادى ، والنشاط السياسى ، ثم التخطيط ، ويقرر أنها مستمدة من أساسين هما الإنسانية والربانية ، وفى ظل المجتمع الإسلامى يعيش المسلم إنسانا يحس بكرامته ، وبانتمائه إلى مجتمعه .

والله هو المثل الأعلى لهذا المجتمع ، يعيش حيا فى ضمير الفرد ، وفى ضمير الجماعة ، ويوجد ذات الإنسان ، ويوجد المجتمع كما يوجد بين الكون وقواه[٣٤٢] . وفى ظل هذا قامت الحضارة الإسلامية ، وكان الإنسان والمجتمع آمنا سعيدا متفائلا مستبشرا ... سعيدا بجواره لله ، وسيره على طريقه حتى يصل طريقه إلى منتهاه .

وعلى كل حال ، وبعد هذا العرض ، فإنه يقدم خطوة على الطريق فى سبيل إرساء فلسفة تربوية نابعة من حياتنا ومن تراثنا ومن مواردنا المتاحة ، وتتلاقى وجهة نظره مع الكثيرين من رجالات التربية فى مصر أمثال القبانى[٣٤٣] ، ومحمد الهادى عفيفى وغيرهم ، الا أنه اتخذ الخطوة الفعالة فى هذا الطريق ، وتعامل مع التراث ، ومع القرآن فى سبيل إخراج شكل الشخصية الاسلامية ، فى سبيل تأسيس التربية على أساسها .

(٣٤١) د . عبد الغنى عبود : الملامح العامة للمجتمع الإسلامى ــ الكتاب التاسع من سلسلة الاسلام وتحديات العصر ــ ط ١ ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٧٩ ، ص ٢٤ .

(٣٤٢) راجع د . عبد الغنى عبود : ديناميات المجتمع الاسلامى ــ الكتاب العاشر من السلسلة ــ ط ١ ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٨٠ ، ص ١٥٣ ــ ١٥٦ .

(٣٤٣) راجع : اسماعيل القباني : سياسة التعليم فى مصر ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٤٤ ، ص ١٩ .

د . يوسف خليل : القومية العربية ودور التربية فى تحقيقها ــ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٦٧ ، ص ٢٢٥ .

٤ ــ وتأتى محاولات أخرى هى أيضا نماذج للفكر التربوي الإسلامي فى الوقت المعاصر ، منها محاولة الأستاذ الدكتور سيف الدين فهمي : '' النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية '' حيث خصص فصلا فيه عن النظرية التربوية فى الإسلام ، وبين كيف يمكن أن ينبثق من تعاليم الإسلام نظام تعليمى[٣٤٤] .

ومن هذه المحاولات أيضا كتاب الأستاذ الدكتور عبد الفتاح جلال : '' من الأصول التربوية فى الإسلام '' حيث تناول مفهوم التربية ومفهوم التعليم وأهداف التعليم والتربية ، وغير ذلك من المباحث الجادة الهادفة[٣٤٥] .

وتأتى كتب الدكتور محمود سلطان فى هذا المجال ، معبرا عنها بأنه '' محاولة اجتهادية لتحديد ملامح الفكر التربوي الإسلامي فى ضوء متغيرات القرن العشرين ، ثم هي أيضا نقد للتربية المعاصرة التي يمارسها المربون فى البلاد الإسلامية حاليا[٣٤٦] '' . وذلك على أساس مُسَلَّمة بنى عليها بحثه فى الفكر التربوي الإسلامي هى '' أن للإسلام دورا تربويا فى المجتمع يتجلى فى كونه ناسجا للإطار الفكري للمجتمع ، ومحددا لمعاييره القيمية والأخلاقية ، ومنظما لحياته الاجتماعية بجميع أبعادها السياسية والاقتصادية ، والتعليمية ، والاجتماعية بمعناها العام والخاص[٣٤٧] . والإسلام يحقق التماسك الاجتماعي ، ويحدد ملامح المجتمع وذاتيته ،

---

(٣٤٤) راجع : د . محمد سيف الدين فهمي : النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية ــ ط ١ ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ ١٩٨٠ ، ص ٦٥ ــ ٨٠ .

(٣٤٥) راجع : د . عبد الفتاح جلال : من الأصول التربوية فى الاسلام (مرجع سابق) .

(٣٤٦) د . محمود السيد سلطان : مفاهيم تربوية فى الاسلام ــ ط ٢ ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٨١ ،

(٣٤٧) المرجع السابق ، ص ٤ .

وتكامل الشخصية البشرية ، ونضج العلاقات الإنسانية . وفى هذا الضوء تتحدد أهداف التربية ، وأنماطها فى جميع الوسائط ، ومناهج التربية ، وتخطيطها ، بحيث تنسجم مع روح الإسلام وفكره ، ومنطلقاته وأسسه ومبادئه[٣٤٨] .

ويتناول بعد ذلك الإطار العام للفكر الإسلامي والفكر التربوي الإسلامي ، وخصائص الفكر الإسلامي ، من حيث الشمولية ، والعالمية ، ويتناول أسس التربية فى الإسلام وركائزها ، ثم يتناول بعض المضامين التربوية فى القرآن من حيث التصوير الفنى ، والمعلم ، والمرأة ، وقيمة العمل .

ويتناول أهداف التربية فى الإسلام ، ويقسمها إلى أهداف فكرية ومعرفية ، وأهداف خلقية وأهداف جهادية وأهداف روحية وأهداف جسمية ، وأهداف اجتماعية[٣٤٩] ، وخصائص هذه الأهداف ، ثم يختم الكتاب بنقد لوضع التربية المدرسية فى ضوء الإسلام .

وفى كتاب له أيضا[٣٥٠] يتناول مجموعة من الموضوعات ، منها دور التربية فى بناء المجتمع الإسلامي ، ويتناول سلبيات ثقافتنا المعاصرة ، ودور التربية فى تحرير هذه الثقافة ، ثم يتناول التربية والنظام الدينى فى المجتمع ، وهو في كل هذا يصدر عن المسلمة السابقة ، وهى أن الإسلام وتربيته ضرورة اجتماعية وأخلاقية وإنسانية وعالمية للخروج من أزمة التربية .

٥ — وإلى جانب هذه الدراسات ، هناك أبحاث جامعية منها على سبيل المثال لاالحصر :[٣٥١]

---

(٣٤٨) المرجع السابق ، ص ٤ — ٧ .

(٣٤٩) المرجع السابق ، ص ٩١ — ١٠٤ .

(٣٥٠) د . محمود السيد سلطان : بحوث فى التربية الاسلامية — دار المعارف بمصر — ١٩٧٩ .

(٣٥١) انظر : د . حسان محمد حسان ، د . نادية جمال الدين : مدارس التربية فى الحضارة الإسلامية —

١ ـــ دراسة الباحث / على خليل مصطفى للحصول على درجة الماجستير (فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم) ١٩٧٨ .

٢ ـــ دراسة الباحث / ابراهيم عبد العال للحصول على الدكتوراه (أصول تربية الطفل فى الإسلام) ١٩٨٠ .

٣ ـــ دراسة الباحث / عبد الجواد السيد بكر للحصول على درجة الماجستير (فلسفة التربية الإسلامية كما تبدو فى ضوء الحديث الشريف) ١٩٨١ .

وكلها تتناول الأصول الفلسفية من حيث الأهداف والطبيعة الإنسانية ، وفلسفة المناهج والمؤسسات وغير ذلك .

هذا إلى جانب دراسات أخرى تناولت المجال ، ولكثرتها نقتصر علي ما عرضناه سابقا ، ولعله كاف كنماذج وأمثلة للفكر التربوي الإسلامي فى مصر الحديثة ، ويجدر أن نقر أن الأزهر يتبنى الكثير من هذه الدراسات ، فى كلية التربية،وخاصة بعد أن دخلته العلوم الحديثة ، بعد قانون سنة ١٩٦١ ، ونجد لدى الدكتور محمد البهى مبررات هذا ومبررات تغيير السلم التعليمى ومناهج التعليم فى الأزهر .

★ ★ ★

وبعـــــد ....

يتبين لنا من خلال دراسة هذا الاتجاه الفكرى المصرى فى العصر الحديث مايلى :

أولا : أنه جاء منذ جمال الدين ورفاعة ، إثر الإحساس بالفجوة الحضارية بين مصر والغرب ، وإن سبقته إرهاصات فكرية وبداية اليقظة ،

= دار الفكر العربى ـــ القاهرة ـــ ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م . ١٦٣ ـــ ١٧٥ .

وقد تجلّي من كافة القطاعات الفكرية فى المجتمع ، وقد عاني وتأثر بكافة التغيرات الفكرية والسياسية والاجتماعية ، والاقتصادية ، بحيث انفعل فعلا بأوضاع المجتمع المصري ، فى الفترات التى مربها ، إذ أنه :

أ ــ لبَّى الحاجة إلى التغير الاجتماعي ، ولكنه التغير القائم على أساس إسلامي صحيح ، فالإسلام ليس ضد التغير ولا يناقضه ، ولكنه التغير القائم على ثوابت قطعية الثبوت ، فى القرآن والسنة .

ب ــ أحس بحاجة المجتمع إلي إحداث التغيير وكان ملبيا لهذا ، وطوع التربية من أجل هذا ، وكان الاجتهاد المبتكر ، الذى استطاع أن يلبي حاجات المجتمع ــ ولو نظريا على الأقل ــ ويساير ظاهرة التغير الاجتماعي على أسس إسلامية .

ج ــ استطاع أن يقف فى وجه الاعتداء المتكرر على الشخصية الإسلامية ، سواء من جهة المستشرقين والمبشرين أو المغربين . فكان له فضل حفظ ما بقي من معالم الشخصية الإسلامية .

د ــ أحس بالواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي المضطرب ، فحاول أن يجعل من التربية خادمة فى حل هذه المشكلات ، وتجنب هذه الاضطرابات على أسس إسلامية صححية .

هـ ــ قام بتطبيق بعض أفكاره ،وخاصة فى المدارس الخاصة التي أنشأها بعض أفراد هذا الفكر مثل الإمام محمد عبده ، فى مدارس الجمعية التخيرية ، أو الإخوان المسلمون (حسن البنا) فى مدارسهم ، ومثل عبد العزيز جاويش .

ثانيا : أن هذا القطاع من المفكرين ، قدم منجزات وإسهامات فكرية ، من أجل رفع الدعائم لبناء تربية إسلامية صحيحة ومتقدمة ، تجمع

بين القديم والجديد ، فى شكل توافقى ، وقد جاءت هذه المنجزات فى شكل منظومة أونسق ، رغم التباين المتوقع والحادث ، ولكنها ترتبط ببعضها كمايلى :

أ ـــ فيما يتعلق بالأساس العقائدى ، فهم يثبتون على اختلاف تناولهم أن الله واحد لا شريك له ، ونقلوا مفهوم الوحدانية من مجرد المبادىء الفلسفية إلى مجال المعاناة الوجدانية ، وأصبحت ذات وظيفة اجتماعية ، وفكرية ، وتربوية ، يتضح هذا من جعل الله المثل الأعلي الذى تقاس عليه أفعال الإنسان والمجتمع ، ومن صفات الله معيارا للسلوك الإنساني ، وهم فى ذلك استلهموا التراث الصحيح .

ب ـــ وفيما يتعلق بالمعرفة ، جمع هذا الاتجاه ، بين المعرفة التى يكونها الإنسان بنفسه ، والمعرفة التى يتلقاها عن غيره ، والمعرفة التأملية ، الناتجة عن تأمل وبرهان ، ومشاهدة وتأمل .

وبالنسبة لمصادر المعرفة ، فهناك معرفة لدنية تأتى من الله كالوحى ، ومعرفة حسية عن طريق الحس ، وتجريبية عن طريق التجريب ، وعقلية ، وحدسية وغيرها ، وقد أجمع هؤلاء على هذه الألوان ، وهى جميعا تتكامل فى سبيل بناء الشخصية الإسلامية . ولم يضعوا حدا للمعرفة ، إلا ما حدد الله ـــ باعتباره مصدر المعرفة ومصدر الخلق والتكوين ـــ عدم الاقتراب من منطقتها وهى محدودة كما وضح من خلال الدراسة[٣٥٢] .

وهذا عنى الكثير بالنسبة للتربية الإسلامية ، فمجال الكون مفتوح للدراسة والتأمل سواء فى ذلك الكون الفيزيقى أو الكون غير الفيزيقى بشرط أن لا يتوه الطالب أويضل أويغوى .

---

(٣٥٢) أنظر ص ٥٣ من الكتاب

جـ ـــ أما القيم ، فقد وصلوا فيها إلى درجة بالغة السمو ، ويمكن القول أن الإحساس بالخطر تجاه الغرب ، والذى بدأ فعلا يقع فيه ، هو الذي دفع بهؤلاء المفكرين إلي محاولة تجنب هذا الذي وقع فيه الغرب ، ويقع فيه المجتمع الإسلامي ، وفى محاولة البحث عن الأصالةبعد الضياع والتخلف ، مع الإحساس بواقع العالم الحديث الذى يتسم بالحركة السريعة والتغيرات التي تشبه الطفرات مع عجز المثالية العقلية عن التعامل مع هذا الواقع ، وأصبح العالم خاليا من نشدان الخير العام ، وأصبح كل قطر يرد كل خير على وجوده الخاص ، فقد ركزوا على الأساس القيمى الأخلاقى ، والتربية الأخلاقية ، بمعني أنهم دعوا إلي تربية حقيقية تستلهم الوجدان ، والروح الإنساني ، كما تهتم بالعقل والجسد ، وهذه تمثل أكثر الوجوه إشراقا فى حركة الفكر التربوي المصري الحديث والمعاصر .

وقد احتوت هذه القيم على كافة المثل العليا ،منطلقة من الإسلام ، مع مراعاة الأغراض والحاجات والميول ، وهى رغم هذا تمثل الواقع الفعلي للإنسان ، إذا كان يريد الخير لنفسه وجماعته ، والحكم الأخلاقي هنا هو رضا الله تعالي ، ورضا الإنسان عن نفسه بفطرته السليمة ، ومن ثم نقدوا العادات الاجتماعية البالية ، والدخيلة ،وحذروامنها ، فى سبيل التنشئة الصحيحة علي القيم الإسلامية النابعة من القرآن والسنة والإجماع .

دِ ـــ وفى مجال طبيعة الإنسان نلمح هنا ارتكاز الفكر التربوى الإسلامي على مايلي :

١ ـــ **التكاملية** : وهى انعكاس لما فى الإسلام من مراعاته كافة الأقطاب ، ونلحظ لدي المفكرين المحدثين والمعاصرين فقد استمروا فى هذا الخط ، فكاملوا بين الجسم والعقل ، والروح ، وبين الوراثة والبيئة ، وبين الفرد والمجتمع ، والجبر والاختيار ، وبين الأفراد جميعا فى المجتمع والمجتمع وأفراده .

٢ ــ **الواقعية** : وهى انعكاس لواقعية الإسلام فى تعامله مع فطرة الإنسان ، وهؤلاء قد عاملوا الواقع التربوي وقدموا من الأفكار ما يمكن أن يوظف فى خدمة وتحسين التربية ، بل تأسيس التربية ، على أساس إسلامي سليم ، وإن لم يعالجوا كافة القضايا المتعلقة بالنظام التعليمي والمنهج والسلم التعليمي وغير ذلك .

٣ ــ **الوضوح** : وقد جاءت هذه السمة نتيجة لما اتسم به الإسلام من وضوح وبساطة ، وقد جاء هذا الفكر واضحا سواء فى تناوله الطبيعة الإنسانية ، أو الأهداف التربوية ، أو غير ذلك ، فلم يغرق فى المعميات والألفاظ الغامضة الملتوية . بل جاء فى ألفاظ وأفكار قائمة على الفهم العميق السليم الواضح لمبادىء الإسلام . والتراث الإسلامي والأفكار التربوية الحديثة ، مما ساعد على وضوحه .

٤ ــ **المرونة** : ولم يأت هذا الفكر قاطعا كل خط بعده للاجتهاد ، بل كان مرنا مرونة كافية ، لكل اجتهاد بعده فى كافة التجليات ، فيما يتصل بالإنسان أو المجتمع أو الحياة أو الكون أو الأهداف ، أو النظام التعليمي أو غير ذلك .

٥ ــ **الشمول** : وقد شمل الفكر الكثير ، خاصة فيما يتعلق بالأهداف التربوية ، فهناك أهداف للتفكير والأخلاق ، والجسم والمجتمع وغير ذلك ، ويتضح هذا أيضا فى تناول الطبيعة الإنسانية .

هـ ــ وقد أجمع هؤلاء المفكرون ، على أنه لابد من الاعتماد على العناصر الأصيلة من التراث ، بمعنى الدعوة إلي الذاتية المتأصلة الضاربة بجذورها في أعماق التربة الوطنية ، ولكن هذا لايعني الانعزال أو الجمود ، بل دعوا فى نفس الوقت إلي الانفتاح على الفكر العالمي ، والأخذ عن الغير ، بحيث لا تذوب ملامح فكرنا الأصيل وبعد التمحيص والتفكير الجيد .

و ــ ورغم أن هذا الفكر قدم الكثير من الأفكار ، فإنها لم تنزل ميدان التطبيق العملى ، مع إمكانية تطبيقها ، وهذا قصور واضح يرجع إلي عوامل مختلفة ، منها مايعود إلى هؤلاء المفكرين أنفسهم ، فهم لم يترجموا هذا الفكر إلي إجراءات ولم

تصل الجهود بعد إلي صياغة نظرية تربوية متكاملة الجوانب ، بحيث يمكن القول بأنها تصلح للتطبيق ، نظرا لتشتت الجهود .

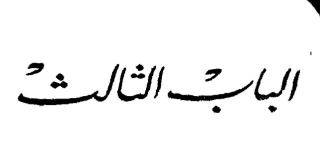
وهناك عوامل أخري تعود إلي أن هناك مجموعة من العوامل تجمعت علي الشخصية الإسلامية هدما وتشويها ، مما أدي إلي صرف الجهود فى الدفاع عنها وعن أصالتها ، هذا مع عمل الاستعمار الدائب فى وضع السدود والحوائل دون هذه الأفكار والنظام التعليمي[٣٥٣] ، فقد جرت القيادات وراء التحديث ووراء كل ماهو مستورد ، دون فكر هؤلاء وقد نجح المستعمر ، حتى إذا جلا عن البلاد ترك هذا واضحا على نظام التعليم ، إذ هناك أصوات عالية مرتفعة تدعو للأخذ بأسباب التقدم الأوربى ـــ كما وضح فى الفصل السابق ـــ وهناك صوت آخر يدعو إلى التقدم من داخل الأمة ذاتها ، ومن مقوماتها ، وما ظل يدعو وينادى ويلح ، ولكن صوته مازال خافتا .



(٣٥٣) راجـــــــع : Cromer Earl Modern Egypt, Vol II, London, 1969, P. 534.

عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال (١٨٨٢ ـــ ١٨٩٢) ـــ ٢ ـ ٣ ـــ النهضة المصرية ـــ القاهرة ـــ ١٩٤٨ ، ص ١٨١ .

أحمد وفيق : اللغة والدين والعادات من مقومات الاستقلال ـــ النهضة المصرية ـــ القاهرة ـــ ١٩٣٦ ، ص ٣٩ .



الباب الثالث

دراسة مقارنة لبعض قضايا الفلسفة التربوية في مصر الحديثة

تمهيـــد :

بعد أن وقفنا على تجليات الفكر التربوي وأصوله ، لدى الفريق التغربيي والفريق الإسلامى ، ووقفنا على أصول كل اتجاه ، ورأينا أن كلا منهما صدر عن أرضية وأصول تختلف عن الآخر ، فالأول صدر عن الاقتناع الكامل بالحضارة الغربية ، وأصولها الفكرية ، ومذاهبها التربوية ، والثانى صدر عن اقتناع كامل تام بأن الإسلام هو الصيغة الحضارية الملائمة للمجتمع المصرى ، ومن هنا جاء تصوره للتربية فلسفة وأهدافا ومناهج وغير ذلك .

ولاستكمال الصورة ، وبالرغم من التحليلات الجزئية التى وردت فى ثنايا البحث ، مصاحبة لكل اتجاه ، ومع الفرض بأن لكل اتجاه أثره فى النظام التعليمى ، وفى الفكر التربوى ، المصرى ، الذي هو جماع خبرات الماضى ، وحصيلة التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية ، فإنه يجدر بنا أن نوضح هذا الأثر الذى تركه كل اتجاه من هذين الاتجاهين فى معالجته لبعض قضايا التربية وفى الشخصية المصرية .

ولما كان كلا الفريقين قد وقف أمام سؤال واحد وحاول كل واحد منهما أن يجيب عنه بطريقته ،هذا السؤال هو كيف نتقدم ؟ وما هو الطريق لإحراز هذا التقدم ؟وخاصة بعد الإحساس بالفجوة الحضارية الهائلة بين المجتمع المصري ، والمجتمع الأوربي ، وكان لكل منهما إجابته . فإنه يحق لنا بعد هذا كله أن نتساءل : ماهو حصيلة هذا ؟ وأين نحن من التقدم ؟ وإلي أي حد أوصلتنا هذه الأفكار ؟ .

وفى هذا الباب نحاول الإجابة على هذه الأسئلة ، فنبين أثر كل اتجاه فى الفكر العام وفى الفكر التربوي ، ونقارن بين كلا الفريقين ، وأثره فى تناول هذه القضايا التربوية ، ولكن يجب أن لا نأخذ هذه المقارنة على أنها

حكم قيمي ، فكلاهما من وجهة النظر العقلي محاولة ، ومن هنا لا نملك الحكم على أحدهما حكما قيميا ، صارما ، بل هي وجهة نظر يمكن أن تتعدل وتتغير وتتبدل ، والمعيار المشترك الذى نقارن فى ضوئه هو المعطيات الإسلامية الثابتة ، ومعطيات الشخصية المصرية وسماتها الأصيلة ، وقيمها وعقائدها ومبادئها .

ولذا فإن الباب يحتوي على فصلين ، واحد منهما يتعلق بالقضايا التربوية ، والآخر يتعلق بالشخصية المصرية مما يسمح لنا بالحكم بصورة أفضل على ما آلت إليه الفعاليات الفكرية فى نهاية المطاف ، مما يتيح لنا فرصة واسعة لصياغة توقعات المستقبل .

* * *

الفصـــل السابع

بعض قضايا الفلسفة التربوية بين الفكر الإسلامى والفكر العربى

* تمهيد .
* قيمة التربية وضرورتها .
* التربية بين الأصالة والاقتباس .
* التوافق مع حاجات المجتمع .
* مركز الانسان وطبيعته وأهداف التربية .
* مصادر اشتقاق الفلسفة التربوية .
* الموقف من التراث العربي .

تمهيـــد :

استعرضنا معالم الفكرة الغربية واستمداد الفكر التغريبي منها ، واستعرضنا الفكرة الإسلامية واستمداد الفكر الإسلامي الحديث منها ، واستعرضنا المؤثرات الوافدة على الفكر المصري فى العصر الحديث ، ولنذكر هنا أن الفكرة الغربية وحضارتها ليست شرا ، بل هى خير لأهلها ، وما وفد من تأثيرات ليست كلها شرا ، بل فيها خير علمه من علمه وجهله من جهله ، وخاصة إذا علمنا أن معظم هذه الاتجاهات المفيدة إنما هى نتاج العرب والمسلمين ، عبرت إلى أوربا ، وتناولوها بفهمهم ، ثم اقتبسها المقتبسون باسم الغربية أو الأوربية ، فلما عادت كانت كالبضاعة التي ردت إلى أصحابها ، فهم أحق بها ، وقد يكون بها تشويه أو نقص ، وهنا يأتي دور البلورة والصهر والتمحيص من المثقفين الواعين .

ولقد كان لكل أثره فى الفكر التربوي ، وبالتالي فى نظام التعليم ، وفى الشخصية المصرية كأصدق معبر عن هذا ، ولذا فإننا نتناول هنا بعض القضايا التى تشغل الفكر التربوي لنبين رأي كل من الفريقين ، على أن يكون فى الاعتبار أن كلا منهما قد تأثر بدرجة أو بأخرى بالفكر الغربي ، مع اختلاف درجة التأثر وشكله ، ونتائجه وسوف تتم المقارنة فى النقاط التالية :

١ ـ قيمة التربية وضرورتها .
٢ ـ التربية بين الأصالة والاقتباس
٣ ـ توافقها مع احتياجات المجتمع .
٤ ـ مركز الإنسان وطبيعته ، وأهداف التربية .
٥ ـ مصادر اشتقاق الفلسفة التربوية .
٦ ـ الموقف من التراث العربي .

علما بأن اختيارنا لهذه النقاط تم بناء على أساس أن لها تأثيرا فى بناء الشخصية المصرية ، وعلى أساسها ما تم فى الفكر التربوى عند كلا الفريقين .

قيمة التربية وضرورتها :

وتكاد تجمع الآراء من كلا الفريقين على ضروزتها وأهميتها ، فهي تأتي في المقام الأول من أجل إحداث التغيير الاجتماعي المطلوب ، نري هذا لدى طه حسين وسلامة موسى وأحمد لطفي السيد[1] ، وغيرهم ، كما نراه لدى رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده ومصطفي كامل وعبد العزيز جاويش[2] وغيرهم .

أما قيمتها ، فتختلف وجهة النظر فيها ، فقيمتها لدى المتغربين في أنها تأخذ بيد المجتمع للتقدم الغربى ، ولذا كان إيمانهم بها على أساس من العلمانية ، واختلفت وجهات النظر هنا ففريق يؤمن بقيمتها علي أنها كمال للعقل وإحراز التفوق العقلي ،[3] والتعليم وسيلة هذا ، وفريق يؤمن بقيمتها علَي أنها كمال مادي وإحراز التفوق المادى ، وفي كلا الحالتين ، فإنها يجب أن تحرز السيطرة المادية باعتبار أن الإنسان هو مركز الكون[4] .

وقيمتها عند الفريق الإسلامي فى أنها تحرز التكامل بين قوي الإنسان وقدراته ، باعتبار أن الإنسان خليفة الله في الأرض ، فهو ليس قوة مطلقة ، بل وراءه قوة مطلقة هي الله ، ومن هنا تبرز قيمة التربية فى التكامل والتوازن بين قوي الإنسان المادية والمعنوية ، والروحية والمادية ، والعقلية والوجدانية ، والفردية والاجتماعية[5] .

وقد انعكس هذا على بقية القضايا التربوية التى ستأتي بعد ذلك ،

---

(١) راجع الكتاب : الفصل الخامس ،

(٢) راجع الكتاب : الفصل السادس ،

(٣) راجع الكتاب : الفصل الخامس ،

(٤) راجع الكتاب : الفصل الخامس ،

(٥) راجع الكتاب : الفصل السادس ،

وانعكس على منهج البحث فى التربية وغير ذلك .

٢ ــ التربية بين الأصالة والاقتباس :

يراد بالأصالة التميز والتفرد وإضافة الجديد ، ولكنها تستمد مقوماتها من الأصول الحضارية للأمة التي يعيش فيها هذا العمل أو ذاك ، إذ أن لكل أمة روحها الخاص وطابعها المميز اللذين يشيعان فى مناخها الثقافى مهما تختلف الأشكال والمضامين علي مر العصور ، ومن تراث كل أمة حية تتبقى دائما العناصر الإيجابية القادرة على الامتداد عبر العصور ، تربط بين الماضى والحاضر وتهيىء لثقافتها المعاصرة جذورا تنمو بها و '' أصولا '' تقوم عليها .

ويراد بالاقتباس تلك القضايا والمشكلات التى تنجم عن الاحتكاك الحضاري ، وتؤثر على الثقافة الأصيلة فى أشكالها ومضامينها وطريقة إدراكها للحياة وأسلوبها فى التعبير عنها ، وبمعني آخر الجديد الذى يطرق الباب نتيجة الاحتكاك الحضارى(٦) .

ولا تعني الأصالة الاكتفاء بالقديم والجمود عنده ، ولا يعنى الاقتباس الإيمان بكل ما هو جديد والتسليم المطلق لكل جديد يظهر ، ومن هنا فإن اللقاء بينهما يقتضي تمحيصا ودراسة ، فمن القديم ما مات ، ومن الجديد ما لايصلح لظروف المجتمع .

ومن هذا يتضح الفرق بين الفكر التغريبي والفكر الإسلامي ، فالفكر التغريبي يتبنى كل ما هو جديد ، فى كافة قضاياه ، هذا الجديد فى وقته ، صادر من الغرب ،

---

(٦) مؤتمر الأصالة والتجديد فى الثقافة العربية المعاصرة ــ القاهرة ــ ٤ ــ ١١ / ١٠ / ١٩٧١ ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ جامعة الدول العربية ــ ادارة الثقافة ــ ص٤ ، ٥ (دليل العمل) .

سواء فى مجال أهداف التربية ، أو النظرة للإنسان والمجتمع والكون ، أو المناهج أو غير ذلك ، فهو مولع بالجديد وتقليده ، ودعوته صريحة فى هذا ، من حيث الالتزام تجاه الفكر الغربي ، فهو مقتبس دائما ، أما المقومات الذاتية للأمة فلم تحظ إلا بالقليل من الاهتمام الذى يرمي إلى تطويعها للحضارة الغربية ، ولكل جديد . وقد رأينا نماذج من هذا لدي سلامة موسى الذي يقول '' يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوربا '' .... '' فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب '' . ولذا فهو لاَ يري إصلاح التعليم إلا بإخراج الشيوخ منه ، وتسليمه للأفندية ، الذين ساروا شوطا بعيدا فى الثقافة الحديثة[٧] .

هذا ما نراه لدى طه حسين ــ وإن رجع عن ذلك فيما بعد ــ فهو يقول إن مصر كانت دائما جزءا من أوربا فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها وألوانها .'' وعلى هذا فإنه يدعو إلَي أن '' نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها وحلوها ومرها ، وما يجب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب[٨] '' ومن هنا كانت دعوته بتعليم على النمط الغربي تماما لدعم الوطنية المصرية ، ولدعم العلمانية .

وكان لهذا أثره فى التربية والتعليم المصريين ، فكانت الدعوة إلَي ترك اللغة العربية ، كلغة التعليم ، والعزلة عن المجتمع وغير ذلك وقد أكد هذا ودعمه فكر المتغربين الاشتراكيين ، وأخذهم بالدعوة الاشتراكية وفلسفتها روحا ونصا وإن اختلفت التسميات[٩] .

أما الفريق الآخر ، فقد وقف موقفا وسطا ، استوحى فيه المقومات

---

(٧) راجع الكتاب : الفصل الخامس .

(٨) راجع الكتاب : الفصل الخامس .

(٩) راجع الكتاب : الفصل الخامس ،

الذاتية والروح الحضاري ، بمعنى أنه التمس الدعائم من الفكر الأصيل للشخصية المصرية والتراث الإسلامي ، وإن أتى الاقتباس فإنه يأتي فى هذا الإطار ، بمعنى أنه لا بأس من إضافة الجديد بعد التمحيص والتدقيق ، بحيث يكون موافقا للمقومات الأصيلة ، وهذا ما نراه لدى رفاعة الطهطاوى[١٠] ومحمد عبده[١١] والأبحاث المعاصرة أيضا[١٢] .

ولا غرابة فى هذا فقد ذكرنا انقسام المفكرين تجاه الإشكالية الحضارية ، ففريق دعا إلي الأخذ بكل ما هو غربي جديد وأدار ظهره للمقومات الذاتية الأصيلة ، واقتنعوا تماما بأن كل جديد فيه شفاء لكل أدواء المجتمع المصري والتربية المصرية ، وأن في هذا الخلاص من التخلف والفجوة الحضارية ، ونسوا أنهم وقعوا فى دائرة التقليد للغرب الذي آمنوا بإمامته ، وتابعوا فكرة العلمانية ، مما جعل " تفكير هؤلاء ينحصر فى مناهج الغرب من ناحية " كما جعل " من غير المطروح المفاضلة بين المنهج الإسلامي والمناهج المستوردة من ناحية أخرى ، فهم يترددون بين الرأسمالية والاشتراكية وينتقلون معهما من فشل إلى فشل " لأن " هذه المناهج لا تتوافق مع البيئة الإسلامية ، فلن تستطيع أن تجند طاقات جماهيرها لصالح التنمية وهو الشرط الذى بدونه لن يتحقق تقدم علي الإطلاق[١٣] " .

وفريق آخر دعا إلي الاقتصار على التراث وحده ، وكان له فضل

---

(١٠) راجع الرسالة : الفصل السادس .

(١١) راجع الرسالة : الفصل السادس .

(١٢) راجع الرسالة : الفصل السادس .

(١٣) يوسف إبراهيم يوسف : الأسلوب الإسلامى لتحقيق التنمية الاقتصادية (دراسة مقارنة) ـــ رسالة دكتوراه فى الاقتصاد ـــ كلية التجارة ـــ جامعة الأزهر استنسل غير منشورة ، (د . ت) ، ص ٢ .

الكشف عما فيه ، ولفت النظر إليه ، مما ساعد على ظهور فريق آخر ، أخذ من هذا وأخذ من ذاك ، وبالتالي نعتبره امتدادا للفكر الإسلامي الأصيل الذى كان مفتح العيون دائما على ما لدي الغير يستوعبه ويصبغه بصبغته وهذا ما يحاوله الفريق الثالث الذي استند إلى التصور الإسلامي النابع من القرآن والسنة ، باعتباره من الثوابت ، مع إعمال الفكر الإنساني فى توازن دقيق ، والأخذ من الغير بشرط التمحيص قبل جعله جزءا من ثقافة المجتمع ــ وبالتالى احتوي على عنصرى الأصالة والتجديد أو الاقتباس معا ، بمعني أنه اعتني بالذاتية والابتكار والتخلص من دائرة التبعية والتقليد الضار ، إذ أن التطور لا يمكن أن يبدأ من فراغ مع الجهل بتجارب الماضي ، فيخبط الإنسان فى متاهة عمياء ليس فيها من أثر لمعالم الخطوات السابقة على الدرب ، فهذا ضد طبيعة الأشياء ، وسنة النمو الحيوي ، وليس الحاضر إلا ابنا شرعيا للماضى ، كما أنه أب المستقبل ، وهذا معناه أن هؤلاء المفكرين لم يقعوا فى التعارض بين الأصالة والاقتباس مما وقع فيه مفكرو الفريق السابق[١٤] .

٣ ــ التوافق مع حاجات المجتمع :

كان الهدف الرئيسي لدي كل من الفريقين هو الأخذ بيد المجتمع المصري من وهدة التخلف ، وقطع مسافة التخلف والوصول إلي مدارج التقدم والرقى ، وكان الاختلاف حول الطريقة ، ففريق يستنفر الإمكانيات الذاتية ، وفريق يؤمن بضرورة جعل مصر قطعة من أوربا ، وكان قصارى جهد هؤلاء التقليد ، والاستسلام له ، ونسي أصحابه أنهم بهذا يدعمون وجود المستعمر ، الذي عمل على إبقاء البلاد متخلفة ودعاواه لغير ذلك ظاهرية ، خاصة إذا علمنا أن الإنسان الذي يستسلم '' للتقليد فى العادات والأذواق ، وبصورة عامة ما يكتظ به عالم أشياء شيده غيره ، يصبح فى

---

(١٤) راجع الرسالة : الفصل السادس .

المجال النظرى مقلدا للأفكار التى صاغتها تجارب وخبرات غيره[١٥] '' .
ولعل هذا أهم ما فعله الاستعمار فى بلادنا .

وإذا ماعدنا إلى أصحاب هذا الاتجاه ، لاحظنا أنهم وقفوا موقف الاختيار والتفضيل بين المنهج الرأسمالى والتربية الليبرالية ، وبين التربية الاشتراكية الشيوعية ومنهجها ، بينما كانت القضية ولا زالت هى قضية التطعيم الثقافى للمجتمع المصري الذي يمكنه عن هذا الطريق استعمال إمكانياته الذهنية والجسمية وتجعل كل فرد فيه ينشط علي أساس إنجاح المخطط التقدمى[١٦] .

ومن ثم فإن مثل هذا الأسلوب الذى لم يتعد مجرد '' تقليد الحضارة القاهرة '' دون التفات إلي العلوم والصنائع '' التى كانت السبب الحقيقئ وراء طغيان أوربا وقوتها[١٧] '' قد أدي إلي صدام بين هؤلاء وبين الثقافة الإسلامية التي هي الخصائص الأصيلة للمجتمع المصرى ، وكانت النتيجة اضطرابات وقلاقل حاولت هدم الثقافة الإسلامية ، وصراع بين '' القادة الرجعيين الجامدين و '' الشبيبة التي تدعي بأنها مثقفة ، وهي لا تحمل من الثقافة أكثر من طلاء خارجي[١٨] '' .

وإذا كان للمجتمع أسسه وعقائده ومبادئه وفلسفته التي تشكل ثقافته ، وهي تختلف فى شكلها وجوهرها من مجتمع لآخر ، فإنه من

---

(١٥) مالك بن نبي : المسلم فى عالم الاقتصاد ـــ دار الشروق ـــ بيروت ـــ ١٣٩٨هـ ـــ ١٩٧٨ ، ص ٨ .

(١٦) المرجع السابق ، ص ٩ .

(١٧) وحيد الدين خان : المسلمون بين الماضي والحاضر والمستقبل ـــ ترجمة ظفر الدين خان ـــ مراجعة د . عبد الحليم عويس ـــ الطبعة العربية الأولى ـــ المختار الاسلامى للطبع والنشر والتوزيع ـــ ١٩٧٨ ، ص ١٨ .

(١٨) د . محمد فاضل الجمالى : دعوة إلى الإسلام ـــ ط ١ ـــ منشورات دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ـــ بيروت ـــ ١٩٦٣ ، ص ١٩٩ .

الواضح أن اعتقاد أسس الثقافة الغربية كأساس ومنطلق لتحديث المجتمع المصري ، لم يكن صالحا كل الصلاحية ، ولم يستطع التغلب على مشكلات المجتمع ، فأصبحت شخصية المجتمع فى قطاع كبير منها مستعارة ، استوردت من الغرب ، كما استوردت المنجزات المادية ، وأصبحت شخصية ملونة ، تجمع بين المزاج الفرنسي والطابع الأمريكي والسمة الانجليزية ، والسلوك الروسي ، أو غير ذلك بشكل من هذه الأشكال .

ولم يستطع هذا الفكر أن يقدم الحلول الجذرية لمشكلات المجتمع ، بل وظهرت مشكلات أكثر حدة ، نلاحظها إذا تأملنا حالة الفكر التغريبي ، فى مواجهة المشكلات التربوية ، فنري أنه يضيق على نفسه مجال اجتهاده بمقتضى مسلمة فكرية حتمية هى أن الموجود من المناهج التربوية الغربية هو ما يمكن إيجاده ، ومن هنا يبدأ تعثره بصعوبات تنشأ من طبيعة موقفه فإذا به يجد نفسه أمام مشكلات مذهبية ، أو على الأقل أخلاقية تضيف إلى متاعبه ومتاعب المجتمع .

ومن هنا مازالت المشكلة الأخلاقية موجودة ، وتزداد يوما بعد يوم ، حيث تتمثل فى الأنانية والغرور والبغضاء والحقد الأعمي ، والفساد والخيانة والرشوة والغش ، ومن ثم تفاقمت المشكلات السياسية ، حيث فساد الحكم وقلة الكفاءة والمقدرة لدى رجال الحكم " بالإضافة إلي " " الأنانية والمحسوبية ، وسوء استعمال المنصب[١٩] " .

وتفاقمت المشكلة الاقتصادية ، بعد خيبة الأمل فى المنهج الرأسمالي ، والمنهج الاشتراكى ، حيث كانت الأحلام ترنو إلي توفير قاعدة صناعية للمجتمع المصري ، وتحقيق الكفاية ، وغير ذلك ، إلا أنها فى

---

(١٩) د . محمد فاضل الجمالي : آفاق التربية الحديثة فى البلدان النامية (مرجع سابق) ، ص ١٠٥ .

النهاية أخفقت إلا قليلا ، لأن السياسات التي قامت من أجل هذا قامت على قاعدة القص واللصق والاقتباس ، والتجربة والخطأ ، فأصبحت عبئا على السياسة الاقتصادية ، هذا إلى جانب أن الفكر العام والفكر التربوي خاصة — لم يستطع استثارة الطاقات المبدعة لدى فئات المجتمع ، فتساهم إسهاما فعالا فى إحداث التنمية الاقتصادية .

وإذا كان هذا الفكر المتغرب لم يعالج قضايا المجتمع لانعزاله عنه ، فإنه فى نفس الوقت أوجد ألوانا من التضارب والتناقض والتصارع — أحيانا — مما عطل الجهود ، وشل الكثير منها ، بدلا من مساهمته فى حل مشكلات المجتمع ، ووقف عائقا أو عطل حينا من الدهر ذلك التقدم وحلول مشكلات المجتمع .

وأصبح المجتمع المصري يعانى من مشكلات جديدة ، إلى جانب مشكلاته المتفاقمة ، فأصبحت هناك مشكلة دينية تتمثل فى الفهم الغربي للدين المنافي للفهم الإسلامي له ، ومن ثم افتقرت التربية فى مصر إلي الفهم الحقيقي لدور الدين فى المجتمع ، وكانت النتيجة وجود أزمة روحية بين الناس '' حيث طغت المادية والتشكيك إلي حد انقطع به الكثيرون عن الاتصال بخالقهم[٢٠] '' .

ويرجع هذا فى الحقيقة إلى أن الذين فهموا الفهم الغربى للدين ، والمثقفين ثقافة غربية أوربية أو أمريكية ، هم الذين سيطروا على مراكز التوجيه التربوي وغير التربوى فى مصر ، وبالرغم مما فيهم من تدين ، إلا أنهم يؤمنون به كعلاقة شخصية بين الإنسان والله ، لا نظام مجتمع ولا نظام دولة ، ومعني هذا أن الدين والفكر الديني فى مصر يعيش بعيدا عن التوجيه ،

---

(٢٠) د . محمد فاضل الجمالي : فلسفة تربوية متجددة ، أهميتها للبلدان النامية '' فلسفة تربوية متجددة لعالم عربى متجدد — دائرة التربية فى الجامعة الأمريكية - مطابع دار الكشاف — بيروت — ١٩٥٦ ، ص ٤٢ .

مما يجعل التربية فى مصر " تعيش (محنة) حقيقية ، ببعدها عن الإطار الثقافي العام ، الذي يجب أن تدور حوله[٢١] " .

ومشكلة أخري تتمثل فى أن النظام التعليمي لم يعد قادرا على توفير القوى البشرية اللازمة لحركة الحياة فى المجتمع ، وبالتالى يعانى من مشكلات التخلف والتى تعود أساسا " إلى البعد عن(التراث الوطنى) فى معالجة مشكلات التخلف[٢٢] " ففلسفة النظام التعليمى مازالت تستمد أفكارها من الغرب ، وهى بهذا تعمق الهوة الثقافية القائمة بالفعل بين التربية والواقع القومي .

هذا إلي جانب مشكلات أخري عديدة ، والمهم أننا نلاحظ أن هذا الفكر المتغرب نظرا لبعده عن التراث الوطني والقومي الإسلامي ، ولم يعد معبرا عنه ، لم يستطع أن يلبي حاجات المجتمع سواء فى ذلك التربية أو غير التربية ، وذلك لقناعته بأن التقدم لا يأتي إلا من الغرب ، دون أي نظرة إلي موافقته للتراث الوطني والثقافة القومية ، مما أدى إلي انفصاله عن المجتمع ، وبالتالي ازدواجية قائمة فى معالجة الأمور وحلول المشكلات .

وبالرغم من استمداد بعض المفكرين المسلمين من الواقع والتراث الوطني ، إلا أن فكرهم لم يكن فعالا بدرجة كافية ، فقد غلبت عليه حركة بطيئة فى التعامل مع الواقع ، ولم تغلب عليه الحركة والفعالية ، بالرغم من أنه معبر حقيقى عن الشخصية المصرية الأصيلة ، إلا أنه لم يجد الطريق إلي التطبيق مرة ، إما لمثاليته التي نلاحظ غلبتها عليه أحيانا ، وإما لأن أنصار الثقافة الجديدة ، قفلوا عليه الأبواب ، ولم يتيحوا له فرصة الحوار والتطبيق وإن طبق منه شيء فعلى تخوف وحذر واستحياء .

ولو أن القائمين بالأمر تمسكوا بهذا الفكر وحاولوا استغلاله وتطبيقه

---

(٢١) د . عبد الغنى عبود : التربية ومشكلات المجتمع (مرجع سابق) ، ص ١٢٥ .

(٢٢) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

لهون الكثير من الأمور وخفف وطأة الكثير من المشكلات القائمة ، لأنه الفكر الوحيد فى نظري — القادر على استثارة الجماهير ومشاركتهم فى إنجاح الخطط الرامية إلى رفاهية المجتمع المصري ، وهو القادر أيضا على تقديم الحلول الفعالة للمشكلات التربوية القائمة وفى نفس الوقت ، هو الذي يستطيع أن يقدم الإنسان المصري الآخذ بلباب التقدم لأنه يتعامل معه من واقعه ، لا من واقع الآخرين .

٤ — مركز الإنسان وطبيعته وأهداف تربيته :

ترتيبا على ما سبق ، فإننا نلاحظ هنا اختلافا واضحا بين الفريقين فى هذا المجال ، نظرا لاستمداد كل واحد منهما من مصدر يخالف مصدر الآخر ، فالفكر التغريبي استمداده من الفكرة الغربية ، وفى أحسن أحواله ، فإنه يركب تركيبة غربية ، بين الفكر الاسلامي والفكر الغربي .

والفكرة الغربية تقوم على أساس اعتبار الإنسان مركزا للكون ، وهو إله نفسه ، فى مقابل الطبيعة التي يجب أن يستغلها ويحطمها ، فالعلاقة بينهما صراع ، وهى تقوم أساسا على الفكرة الإغريقية التي تمجد الشخصية الفردية ، وتفرط فى اعتبار الإنسان الفرد وتأكيد دوره وعظمته ، حتي جعلته فى مصاف الآلهة ، بل هو الذي يخلق إلهه على هواه[٢٣] .

وفى نفس الوقت اعتمدت علي الأخلاق المسيحية الأوربية والكاثوليكية بالذات ، وعلى القانون الرومانى ، ومن ثم كانت روح حضارة الغرب ، ومنطلقها هو التوجه نحو سيطرة الإنسان على عوامل الطبيعة ، وعلى ذاته وإعلائها ، رغم التأثرات المختلفة من شتي الحضارات العالمية ، وما يسمي بعصر النهضة إنما هو فى الحقيقة عصر نمو الرأسمالية وبدء الاستعمار ، وهو بداية صعود الغرب ، وتدميره لحضارات أخرى أرقى من

---

(٢٣) راجع الكتاب : الفصل الأول

حضارة الغرب نفسه ، سواء فى علاقة الإنسان بالله ، أو علاقة الإنسان بالطبيعة ، أو علاقة الإنسان بالمجتمع ، أو علاقة الإنسان بنفسه(٢٤) .

وكانت منطلقات الغرب الحديث ، أولوية العقل ، والعمل ، واللامتناهى ، ولكن هذه شوهت ، وتحولت إلي التركيز علي الإنسان والذكاء الإنساني ، دون أى مجال للحب والشعور والضمير فتحولت قيمة العقل إلى خضوع الروح والعاطفة للذكاء ، وتحولت قيمة العمل إلي خضوع الإنسان للاستهلاك ، وقيمة اللا متناهي إلي الكم ، وأصبح السؤال الوحيد الذى يطرحه الغرب على نفسه هو '' كيف ؟ '' ولم يعد يسأل '' لماذا ؟ '' وهو السؤال الأكثر إنسانية(٢٥) .

وقد تأثر الناقلون والمقلدون بهذا التصور ، وجعلوا الإنسان مركز التربية ، وحياته الدنيا هي الأساس دون سواه ، واعتمدوا عقل الإنسان وتنمية ذكائه وقواه أساسا للعملية التعليمية ، إلا أننا نلاحظ أن هذا التأثر كان قشريا سطحيا ، فالاهتمام بالعقل تنادي به ثقافتنا الأصيلة ، ولكنه العقل المتزن الذي يعرف قدراته ، ويعرف حدوده ، ولكن هؤلاء غالوا فى قيمته ترديدا لما كان الغرب يردده فقط دون محاولة التمحيص والتطبيق العملي الواقعي السليم .

وفى الطرف المقابل نلاحظ الاهتمام بالإنسان من منظور آخر ، موافق للفكرة الإسلامية الصحيحة(٢٦) ، فالله هو مصدر الكون ومركزه ، والإنسان خليفة الله في الأرض ، وهو مخلوق من مخلوقات الله ، تنطبق عليه نواميس

---

(٢٤) راجع الكتاب : الفصل الرابع .

(٢٥) أحمد بهاء الدين : '' استعمار التاريخ والحوار بين الحضارات '' ـــ العربي ـــ العدد ٢٤٣ ـــ ربيع أول ١٣٣٩ هـ ـــ فبراير ١٩٧٩ ـــ الكويت ، ص ١٧ .

(٢٦) راجع الكتاب : الفصل الثانى والثالث .

الكون إلا أن لديه الاستعدادات والفعاليات والقابليات المختلفة التي تؤهله لأن يكون إنسانا سعيدا[٢٧] . على أساس علاقته بالله ، وعلاقاته بالكون ، وعلاقاته بالإنسان والمجتمع ، ولأن مثله الأعلى هو الله ، فإن ذلك يجعل هناك ثوابت تضمن عدم تخبط الإنسان وتضاربه .

ومن هنا فلكافة طاقات الإنسان مكانة ، فللعقل مكانة ، وللروح مكانة ، وللعمل قيمته فى الدنيا التي توصل إلى حياة أخرى هي الباقية ، ولكن لا تطغى إحداهما على الأخرى ، بل لابد من تحقيق التوازن الدقيق بين مكونات الإنسان ، وقابلياته واستعداداته ، بحيث لا يطغى أحدها على الآخر[٢٨] .

ومن هنا كانت أهداف التربية شاملة متكاملة ، متوازنة ، فهى تهدف إلي تكوين الإنسان الصالح الذي يعبد الله العبادة الحقيقية فى كافة مناشط حياته[٢٩] ، يتمثل فيه " الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، والالتزام بالعمل الصالح والتعاون عليه ، والتعرف على الحق والتواصي به ، وبناء الإنسان بناء متكاملا يقوم على تأديب النفس وتصفية الروح وتغذية الجسد ، حتى يصل إلي الكمال الإنساني المتسامي بصورة عامة في إطار من القيم والأخلاق التي ينشأ عليها ويعود على التعامل بها[٣٠] " .

وكانت نظرة المفكرين المسلمين منطلقة من هذا الأساس ، فالعالم

---

(٢٧) راجع الكتاب : الفصل الثانى والسادس ،

(٢٨) راجع الكتاب : الفصل الثانى والفصل السادس .

(٢٩) راجع الكتاب : الفصل السادس .

(٣٠) د . زغلول راغب النجار : " أزمة التعليم المعاصر ، وحلولها الإسلامية " ــ المسلم المعاصر ــ العدد ١٢ ــ شوال ــ ذو الحجة ١٣٩٧ هـ ــ اكتوبر ــ ديسمبر ١٩٧٧ م ــ بيروت ، ص ١١٦ .

المادي ليس هو كل شيء ، والحياة الدنيا ليست هى نهاية المطاف ، إذ وراء المادة غيب لا نستطيع أن ندركه بحواسنا المحدودة ، ووراء هذه الحياة حياة أخري ، والإنسان لم يوجد نفسه ، بل أوجده الله تعالى : الذى يرعي الوجود بكل مافيه ومن فيه برحمته وعدله وحكمته ، وأرسل الرسل لهداية البشر[٣١] .

وهذا الانسان مدفوع للمعرفة بفضل ما ركب فيه من أدوات التعلم وما أوتي من قابلية للتعلم ، والمعرفة شمولية ، تهدف في النهاية إلي إسعاد الإنسان ، والتعرف على خالق الوجود ، وبالتالى فهناك توحد بين قوى الإنسان ، جسدا وروحا وما يربطهما من قيم وأخلاق ، وعقلا وعاطفة وما يحكمهما من علم وحكمة ، عقيدة وإيمانا ، وما يصدقهما من عمل ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر . ومن ثم فهدف المعرفة هو التسامي باستمرار وارتفاع بالإنسان إلي المثل الأعلى وهو صفات الله[٣٢] .

وعموما فإن الفكر الإسلامي فى العصر الحديث ، وفى مصر اعتمد مركز الإنسان وطبيعته وحدد على أساسها أهداف التربية فالإنسان طبقا لهذا الفكر :

١) خليفة الله فى الأرض . خلقه من طين ونفخ فيه من روحه . وعلّمه من علمه وكرمه تكريما .

٢) جزء من هذا الكون المادي ، ولكنه يمتاز بقدرات أخرى ، فهو كائن حي عاقل مكلف ، قادر مختار بالعلم أو الإنسانية .

٣) محايد وفطرته قابلة للخير والشر ، وتنمو في الاتجاه الخاطيء أو الصحيح حسب التوجيه والتربية الصحيحة إلي حب الحق والخير والجمال ، والتزام الصفات الآلهية والتمثل بها ، بمعني المحافظة على الفطرة الإنسانية سليمة نقية .

---

(٣١) راجع الرسالة : الفصل السادس ، ص ٤٧ .

٤) عضو فى جماعة ، لا تطغي على فرديته ، وهذه الجماعة تشمل الإنسانية كلها ، بما فيها أسرته وأهله ، ومجتمعه ، وبلده وأمته ، وهو مرتبط بهذه الجماعات كلها ، وله حقوق وعنده واجبات ، ولا تستقيم الحياة إلا بقيام التوازن الدقيق بين حقوق الفرد وواجباته ، وواجب التربية هنا غرس هذا فى النفوس بالممارسة العملية والقدوة الحسنة ، بمعني أن تكون تربية إنسانية لاتحدها حدود الأرض ولا فواصها اللغات ، ولا اختلاف اللون أو تنوع الجنس .

٥) والناس متفاوتون فى قدراتهم وملكاتهم ومواهبهم ، وهذا بمثابة الاختبار والابتلاء ، ولابد أن يؤخذ هذا بعين الاعتبار فى العملية التعليمية ، فلا يكلف إنسان فوق طاقته .

٦) ومصادر المعرفة متكاملة ، وحيا وعلما فرديا وجماعيا مكتسبا ، وتراثا بشريا موروثا ، ووسيلة الإنسان إلي الوحي الرسل ، ومن هنا فإن التربية الإسلامية يجب أن تقوم على القرآن والسنة ، أما بقية المعارف والعلوم فهى متروكة للاجتهاد ، فى إطار التعاليم الآلهية فى هذا المجال .

٧) والعلوم الكونية والتجريبية ضرورية وأساسية ، ولكن العلم هنا لا يعني العلم المادي المجرد عن الحكمة ، والعلم الصالح يصدقه العمل الصالح النافع .

ومن هنا فليست التربية الإسلامية مجرد كلام أو نظريات ، بل هى ممارسة فعلية تتجسد فيها الأخلاق والقيم والحكمة وتتحقق فيها القدوة الحسنة فى المربي ، والاتباع الذكي من التلاميذ .

ومن كل هذا ندرك إلحاح هذه الفئة على أن التربية الإسلامية ضرورة

(٣٢) راجع الرسالة : الفصل السادس ، ص ٨٥ .

إنسانية تقصد لذاتها ، لا لإحداث السرور واللذة ، ولا لإحداث الترف الفكرى المنفصل عن التطبيق فى الحياة وتحقيق خلافة الله فى الأرض[٣٣] .

٥ ــ مصادر اشتقاق الفلسفة التربوية :

وترتيبا على ما سبق أيضا ، يمكن أن نري المصادر التى اعتمد عليها كل من الفريقين في استقاء فلسفته التربوية :

أ ــ فالفكر التغريبى اعتمد على مصادر معينة اشتق منها آراءه وأفكاره[٣٤] وهى كمايلى :

١ ــ الفكر الغربي الحديث ، بما احتواه من فلسفة يونانية وفكر مسيحى ويهودي ، وروماني ، ثم اتجاهاته الحديثة .

٢ ــ الفكر الاستشراقي بتفاعلاته مع السياسة الغربية الاستعمارية ، دون تمييز بين النافع والضار منه .

٣ ــ الفكر المصري فى قطاع ضيق منه ، وهو ما سار فى فلك الحضارة الغربية وأصولها .

وكانت انعكاسات هذا الفكر على الفكر المصري والتربوي كثيرة ، وقد رأينا الفهم الغربي للدين ، ومناهج البحث فى التربية وهى متشكلة طبقا للمصدر الذى اشتقت منه ، ومنه جاءت فكرة القومية الضيقة ، وغيرها مما كان له الأثر الكبير فى تشكيل فلسفة التربية سواء فى النظرة للإنسان ، أوفى الأهداف أوفى المناهج أوفى السلم التعليمي ، أوفى التربية المدرسية ، وغير ذلك من مكونات النظام التعليمي .

وإذا علمنا إيمان الغرب بالتغير المطرد المستمر إلي مالا نهاية ، علمنا سر تخلف الاقتباس ، أوبمعني آخر أصبح التبني الكامل لمصادر الفلسفة

---

(٣٣) أنظر الفصل السادس

(٣٤) أنظر الفصل الخامس

التربوية الغربية فى مصر مع التغير المتلاحق المستمر السريع اللاهث الأنفاس ، مع العجز عن الاستيعاب ، أدركنا سر التخلف الواضح فى الفلسفة التربوية والتضارب بين الفكر والتطبيق .

ب ــ أما الفريق الآخر ، فيعتمد على مصادر يمكن حصرها فيما يلى :

١ ــ المصادر الأصيلة الذاتية ، بما تحتويه من قرآن وسنة ، وتراث إسلامي صحيح ، وهذا ما نراه واضحا فى كل كتابات المفكرين من هذا الفريق ، ونصوا عليه صراحة[٣٥] .

٢ ــ الاجتهاد الفكري المبتكر فى ضوء ماسبق، وفى ضوء الشخصية المصرية ، وما تحتويه ثقافتها من اتجاهات صحيحة .

٣ ــ التراث الفكري البشري بما يحتويه من تجارب. صحيحة صادقة ، مع ضرورة بلورته وتمحيصه ليكون أصيلا فى ضوء الشخصية المصرية وملامحها الأصيلة[٣٦] .

وكما نري فقد وضع هؤلاء مصادر فلسفتهم التربوية فى إطار ديناميكى متحرك ، حيث حوت الأصول الذاتية أساس الفلسفة العامة للمجتمع ، مما يمكن معه اعتماده أساسا لفلسفة تربوية متكاملة ، وقد تظهر .. ات حين التطبيق ، أو عجز معين ، ومن ثم فإن الاستفادة من خبرات الآخرين فى هذا المَجَال ، فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنّي وجدها ، وخاصة أن المصادر الأصيلة لا تصد عن انفتاح العقل علي تجارب الأمم والشعوب ، واقتباس ما هو نافع[٣٧] .

---

(٣٥) أنظر الفصل السادس وكأمثلة رفاعة الطهطاوى وحسن توفيق

(٣٦) الفصل السادس ــ الابحاث التربوية الملامح العامة للفكر الإسلامى

(٣٧) الفصل السادس الملامح العامة للفكر الإسلامى

٦ ــ الموقف من التراث العربي الإسلامي :

وترتيبا على ماسبق يمكن استيضاح الموقف تجاه التراث العربي والإسلامي من كلا الفريقين ، ولكن هذا الأمر جد خطير ، إذ أن الأمم لا تبني من فراغ ، وإنما تعتمد على ماض ، هو تجارب ترسخ فى عقول الناس الكثير من المبادىء والمفاهيم واتجاهات السلوك ، وقد كان لنا رأي فيما يتعلق بالتراث العربي الإسلامي التربوي ، سبق أن تناولته كمصدر من مصادر الفكر التربوي[٣٨] . ولكننا هنا أمام موقف مختلف بعض الشيء ، هو موقف الفريقين من التراث التربوي الإسلامي .

وتتبين الصورة إذا علمنا أن أصحاب الفكر التغريبى أو المتغربين جعلوا تحقيق الهدف الأسمَي لهم فى تصور الحياة التى يريدونها ، على أساس الثقافة الغربية الحديثة والمعاصرة ، وبالتالي فهى معيار الخطأ والصواب ، وما اتفق من التراث مع هذه الحياة أبقوه ، وما خالف أهمل ، هذا إذا لم يديروا ظهورهم نهائيا له ، ويسلكوا مسلك الأوربيين في كل شيء ، وما فعل هؤلاء إلا عبورا للمكان ، ليصبحوا محسوبين علي الغرب ، فهم إنما يحاولون الخروج من جلودهم إذا كان ذلك ممكنا " إنهم ــ بكلمة واحدة ــ يريدون أن ينقصوا من تعداد الأمة العربية بضعة ملايين ، ليضيفوها إلي تعداد أوربا وأمريكا وكفى الله المؤمنين شر القتال[٣٩] " . فهؤلاء يفرون من الحاضر العربي والإسلامي إلى جبل من جبال أوربا أو أمريكا يُعتصم به ، في حين أن " لكل ثقافة قومية معاييرها الخاصة[٤٠] " النابعة من تراثها المكتوب والمنظور .

---

(٣٨) الفصل الثالث (38)El Bidéwy ,.M . Fouad: Thé Dévél opmént of soc

(٣٩) زكي نجيب محمود ــ هموم المثقفين ــ الشروق ط ١ بيروت ١٩٨١ ص ١٤

(٤٠) زكي نجيب محمود ــ هذا العصر وثقافته ط ١ الشروق ــ بيروت ١٩٨٠ ص ١٥٩ الطليعة للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ١٩٦٩ ، ص ١٣٧ ــ عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية فى عصر محمد على ــ ج ٣ ــ ط ١ ــ النهضة ــ القاهرة ، ١٩٣ ، ص ٤٥٨ .

وبالتالى فإن أصحاب الفكر التربوي التغريبي لم يحاولوا دراسة النموذج الإسلامي ، وذلك :

١ ــ لأن الكثير منهم لم يقتربوا من التراث الإسلامي ، مما ترتب عليه عدم الإحساس الكامل به وتذوق مذاقه الحقيقي . ومعرفة أبعاده وأعماقه ، واتجاهاته النظرية والتطبيقية ، وبالتالي لم تتكون لديهم أية فكرة عن هذا المجال ، ولم يستطيعوا الدفاع ضد الافتراءات التي توجه إليه ، فضلا عن أنهم لم يتحمسوا لتبني هذا التراث ودراساته ، أو إدراك خطورة الافتراءات المختلفة التى نبتت فى بيئات ثقافية مناهضة له عليه .

٢ ــ لأن الكثير من هؤلاء قد تلقّي علومه وأفكاره في إطار حياة ثقافية مختلفة ، وبالتالي فإن دراساتهم تجيء من مجال دون التراث ، وبحكم دافع البقاء ، يدافعون عن بيئاتهم التى وفدوا منها ، وإلا تعرضت كياناتهم العلمية والشخصية للهدم .

٣ ــ أن التراث التربوي الإسلامي ، لم يجد طريقه حتي الآن ــ إلا فى حالات قليلة ــ للدراسة والتحليل الذى يتكافأ مع عمقه وأصالته واتساعه وشموله[٤١] .

٤ ــ العجز الفكرى من قبل هؤلاء عن تحليل التراث ، لأنهم لا يملكون أدواته ، وإن ملكوها فإنهم يقولبون التراث بالنظرة الغربية ، ويحاولون فهمه فى ضوئه وإطاره ، أويقفون موقف المتفرج من هذا التراث دون محاولة الاستفادة منه .

وقد أوجد هذا نوعا أو فريقا من التربويين المثقفين نهلوا من معارف الحضارة الغربية ــ وهذا عظيم ومطلوب ــ ولكنهم ينهلون منها وحدها ،

---

(٤١) د . محمود سلطان ــ مفاهيم تربويه فى الإسلام مرجع سابق . ١٩٧٩ ، ص ٢٥ ــ ٤٠ (من المقدمة) .

وأصبحت الصورة المتاحة لعقولهم عن حضارتهم ومعارفها من الرثاثة والجمود بحيث ينفر منها كل عقل عصري ، وانصرف هؤلاء إلي الحضارة الغربية تتلمذا عليها وحدها تقريبا ، ثم أصبح مبشرا بها فى وطنه يدعو القوم إلي أن يصبحوا غربيين ، وكان الغرب الاستعماري سعيدا ، فشجعهم علي هذا ، مما يجعل من الشرق في النهاية هامشا حضاريا لأوربا وهامشا اقتصاديا وسياسيا لها[٤٢] . وأدار هؤلاء ظهوهم نهائيا للتراث أو أخذوا منه ما يوافق الحضارة الغربية وبأسلوب غربي تماما .

وفى الطرف المقابل وجدت جزيرة منعزلة ، إلا أنها أسهمت إسهاما فعالا فى الرجوع إلي التراث العربي الإسلامي ، وكان لمجهوداتها فضل الكشف عنه ، ولم نعد نري في حياتنا هذا النمط المحافظ إلا قليلا وفى دوائر محدودة ، إلا أنه كان أساسا لفريق آخر ، جعل همه في إرجاح كفتى الميزان فوقف موقفا وسطا بين التراث ، والإنجازات الحضارية الحديثة ، وكان هذا هو سمة المدرسة التربوية الإسلامية التى تناولنا فكرها ، فقد جمعت فى صعوبة بالغة بين التراث العربي الإسلامي وبين منجزات الحضارة والفكر الغربي ، ولكن فى إطار من الدمج الدقيق ، لا اللصق المشين .

وبعد ... وبعد أن اتضح الأمر يمكن القول أن الفكر المتغرب عالج قضايا التربية على أساس :

ــ علمانية التربية ... ــ عقلانيه التربية .

ــ عصرنة التربية .... دون الرجوع إلى جذور الأمة المصرية وتراثها العربي الإسلامي .

ــ عزلة التربية عن قضايا المجتمع وتلبية حاجاته .

أما الفكر الإسلامى فقد وضح لديهم :

(٤٢) د . محمد عمارة ــ التراث فى ضوء العقل ط . دار الوحدة ــ بيروت ١٩٨٠ ص ٧ ؛ الأنجلو المصرية ــ

- قيمة التربية وضرورتها لبناء إنسان متكامل متوازن .
- استجابتهم لحاجات المجتمع .
- ضرورة الجمع بين الأصالة والاقتباس .
- شمولية وتكامل الإنسان والأهداف التربوية .
- الاهتمام بالتراث العربي وجعله مصدرا من مصادر الفكر التربوى .

* * *

الفصـــل الثامن

الشخصية المصرية بين الفكر اللإسلامى والفكر التغريبى

★ تمهيـــــد .

★ الخصائص الأصيلة للشخصية المصرية .

★ ١ ـــ الوسطية .

٢ ـــ التدين .

٣ ـــ الأصالة .

٤ ـــ التجانس .

٥ ـــ الانفتاح والتفتح .

★ الشخصية المصرية فى العصور الحديثة والشوائب التى شابتها .

١ ـــ التناقض والصراع الفكرى

٢ ـــ اللفظية .

٣ ـــ التطرف فى المركزية .

٤ ـــ تزعزع النزعة الدينية والافتقار إلي القيم الحقيقية .

تمهيـــــد :

تعتبر التطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية عوامل مؤثرة تماما فى بناء الشخصية الإنسانية ، وبمقدار ما يصنع الإنسان هذه ، بقدر ما تؤثر فيه ، وإذا كانت التربية عاملا مهما والتي عن طريقها تتشكل الشخصية القومية لأي شعب ولأي مجتمع ، فهي لا تتم فى فراغ ، ولايمكن تصورها فى فراغ ، فهي تستمد مقوماتها من المجتمع الذى تعيش فيه ، والمتميز بطابع معين ، والتعليم هو الذى ينقل صورة المجتمع إلي الأفراد فى سبيل تكوين الشخصية الفردية والاجتماعية ، بحيث تنعكس فلسفة المجتمع وثقافته دالة على تاريخه وتطوره .

والشخصية القومية كالشخصية الفردية ، حصيلة تطورات كثيرة تترك بصماتها قوية على الشخصية ، ومهما كان تعريف الشخصية[1] ، فإنه يوحى بأن شخصية الفرد تعني صورة كاملة متكاملة ومنظمة لسلوك فرد ما تميزه عن غيره ، وهى تتشكل طبقا لنمط اجتماعي معين ، وكل مجتمع له نمطه الاجتماعي ، هى تعتبر صورة مثلي لشخصيات أفراده ، فى السلوك والقيم والاتجاهات التي '' يسعي إليها أعضاء ذلك المجتمع '' والتى تعني '' استجابات مقننة متوافرة فى مواقف معروفة يتوقعها المجتمع ، ويؤثرها

---

(١) راحع : د . سيد محمد غنيم : سيكولوجية الشحصية ، محدداتها ، قياسها ، نظرياتها ــ ط ١ ــ دار النهضة العربية ــ ١٩٧٣ ، ص ٣١٣ .

س . ر . ب . جويس : '' العقاقير والشحصية '' الفصل الرابع عشر آفاق جديدة فى علم النفس أشرف على تأليفه : ب . م . فوس ــ ترجمة د . فؤاد أبو حطب ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ١٩٧٢ ، ص ٣١١ .

أحمد عزت راحح : أصول علم النفس ــ ط ٩ ــ المكتب المصرى الحديث ــ القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٣٧٩ .

د يوسف مراد : مبادىء علم النفس ــ ط ٦ ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٦٩ ، ص ٣٦٩ .

على غيرها من أمثال تلك المواقف[٢] ،،

وأيا ما كان الأمر فإنه كما أن لكل فرد شخصيته ، فإن المجتمع أيضا له شخصيته ، وهى علي نمط الشخصية الفردية ، فالشخصية الاجتماعية (القومية) '' أسلوب الحياة التي يتميز بها مجتمع ما عن غيره من المجتمعات ، وهذه الشخصية وليدة ضغوط سياسية واقتصادية وجغرافية ودينية وتاريخية[٣] ،، فهي أسلوب حياة يميز مجتمعا عن غيره من المجتمعات ، ونتاج تاريخ يتفاعل مع الواقع المعاش .

وبعد تناولنا للفكر التغريبي والفكر الإسلامي والمقارنة بينهما ، يجدر بنا أن نتناول الشخصية المصرية ، فى ضوء تأثيرات الفكر الإسلامي والفكر التغريبي ، لنرى موقف الشخصية اليوم ، كاتجاهات ودراسة نظرية . وسوف يتم ذلك كما يلى :

١ ــ خصائص الشخصية المصرية الأصيلة .
٢ ــ الشخصية المصرية فى العصور الحديثة والشوائب التى شابتها (أثر كل من الفكر الإسلامي والفكر التغريبي فى العصر الحديث) .

أولا : الخصائص الأصيلة للشخصية المصرية :

تجمعت عوامل مختلفة صاغت الشخصية المصرية علي خصائص مشتركة ، وسوف نتناول هذه الخصائص ، وقد يكون في هذه الخصائص مميزات وعيوب ، ولكننا نقف موقف العارض والمقدم فقط ، وهذه الخصائص الأصيلة هي :

---

(٢) د . حامد عمار : فى بناء البشر ــ دراسات فى التغير الحضاري والفكر التربوي ــ المركز الدولى للتعليم الوظيفى فى العالم العربي ــ سرس الليان ــ المنوفية ــ ج . م . ع ــ ١٩٦٤ ، ص ١٠ .

(٣) د . عبد الغني عبود : الأيديولوجيا والتربية (مرجع سابق) ، ص ١٤٠ .

١ ـــ الوسطية :

وهى سمة مميزة نابعة من شخصية مصر الإقليمية ، وكانت استجابة لكافة المعطيات حولها ، سواء منها الجغرافية وغيرها ، فمصر جغرافيا '' تجمع بين أطراف غنية ، وجوانب كثيرة ، وخصبة[٤] '' وقد استمدت شخصيتها الإقليمية من وجود النيل الذي وسمها بالبيئة النهرية '' حياتها كلها هي النهر ، لا وجود لها بدونه ... هى النيل[٥] '' وهى فى نفس الوقت مثال الصحراء ، ومن ثم فهي تجمع بين '' نقيضتى الجفاف والحياة[٦] '' هذا إلي جانب الموقع المتوسط بين الشرق والغرب ، والمناخ المتوسط بين الحرارة والبرودة ، وقد طبع هذا كله الشخصية المصرية بطابع الوسطية ، وكان فيضان النيل الذي يأتى بالخير الوفير أحيانا ، وبالتدمير أحيانا أخري ، مورثا الشخصية المصرية تلك الوسطية بين التشاؤم والتفاؤل ، وبرغم هذا فهي متوافقة ، تشعر بالسكينة التي هي '' اطمئنان وتواصل وتقبل لفيض هناءات تهون أمامها جميع الخطوب وتتجدد الرؤي ، وتشرف النفس من علياء عزها الجديد أمام احتدام الأمور[٧] '' .

وكان لهذا كله أثره فى الشخصية المصرية ، فهي لا تعرف التطرف فى شيء ، لا في حياتها ولا في حضارتها ولا في فكرها ، فقد كانت وماتزال شخصية وسطا ، '' ومن ثم لابد أن يتسم طابعها القومي بالتوازن والاعتدال ، سمة ثابتة فيه ، اعتدال فى الصفاء والقناعة والرضا والطاعة ،

---

(٤) د . جمال حمدان : شخصية مصر (دراسة فى عبقرية المكان) ـــ ط ١ ـــ عالم الكتب ـــ القاهرة ـــ ١٩٨٠ ، ص ٣٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٧) د . نعمات أحمد فؤاد : شخصية مصر ـــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٨ ، .

مما يبرز الاعتدال سمة ثابتة بالطابع القومي ، والتوازن هو الوجه الآخر للتوسط ، ويقصد به صفة الحد الأوسط وهو نضج ومرونة وقدرة على التلاؤم[٨] ،، .

ومن مظاهر هذه الوسطية صيغة الحل الوسط الذي يجعل من الشخصية المصرية شخصية حضارية مستقرة ، وقادرة ومرنة ، في مواجهتها للجمع بين الماضي والحاضر ، والأصالة والمعاصرة ، والتراث والاقتباس .

وكانت هذه الوسطية أكبر معبر عن الشخصية المصرية ، فهي لاتعتمد على العقل اعتمادا مطلقا ، بل هناك قوة أخري فوق العقل ، لا يستطيع أن يصل إليها العقل مهما جد ، وبقدر ما كانت تهتم بالمستقبل ، إلا أنها كانت دائما تتوقع التغير في أي لحظة ، فالنيل يفيض ولكنه لا يمكن أن يكون خيرا دائما ، وهكذا كانت الوسطية في مصر نبتا جغرافيا ، ولكنها تأصلت فكرا وسلوكا ، ولما جاء الإسلام دعم هذه الوسطية تماما ، فمصر لم تستجب لأي فتح من الفتوح كما استجابت للفتح الإسلامي ، فقد جاءت غزوات من الشرق والغرب ، فرس ويونان ورومان ، إلا أنها استطاعت أن تذيبهم فيها بفضل هذه الوسطية ، أو تطردهم منها ، ولما فتحها العرب استجابت لهم ، تلك الاستجابة التي لا ترجع إلى قوة ضاربة تفرض بقوة السلاح والعتاد ، وإنما ترجع بالدرجة الأولى إلى أن الإسلام استطاع أن يلعب على وتر الوسطية الحساس ، فكانت الاستجابة ، وبالتالي وضع الشخصية المصرية في الطريق الصحيح .

فالإسلام حين جاء لم يلغ الشخصية المصرية ، وإنما استثار أفضل ما فيها ، ووضعها في إطار عقائدي منظم ، فكان تأكيده لفكرة الوسطية

---

(٨) د . عبد العزيز رفاعي : الطابع القومي للشخصية المصرية بين الايجابية والسلبية ــ دار النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٧١ ، ص ١٠١ .

فى الشخصية ، مع إضافة عنصر الضبط والربط ، وكان الناتج الحضاري ، وكان الدفاع العظيم عن الإسلام طوال قرون طويلة .

ومن هذا المنطلق، فإنها كانت ترحب بكل الحضارات والثقافات ، تختار منها ما يتفق ومزاجها ، ويتمشي وطبيعتها متذوقة هاضمة ثم صابغة إياه بالصبغة المصرية التوسطية المتوازنة ، إزاء الواقع والفكر ، فعكست الحياد الفكري والحضاري ، وتبنت التكامل الذي هو أبرز مقومات الوسطية ، فكان هناك :

— تكامل بين الدين والدنيا . — تكامل بين الدنيا والآخرة .
— تكامل بين الفرد والجماعة . — تكامل بين قوي الإنسان .
— تكامل بين الفكر والواقع .
— تكامل بين الدين والعلم ، والفن والصناعة .
— تكامل بين الروحانية والعقلانية . — تكامل بين الحضارات[9] .

٢ — التديـــــــن :

عرف المصرى منذ القدم الإيمان بالعالم الثانى والخلود ، وقد أوحى لهم بهذه العقيدة طبيعة بيئتهم والنيل ، الذي يفيض ويتجدد كل عام '' فى موسم لا يخلفه ، فيخصب التربة ، وينبت البذرة ، ويدفع دورة الحياة الزراعية دفعة جديدة '' .

وكما كانت له آلهته الأرضية ، فإنه استمد '' من السماء أربابا ، حين لاحظوا أثر الشمس في الحياة اليومية ، وارتباط شروقها بيقظة الكائنات بعد النوم[10] '' .

(٩) راجع : د . سعيد اسماعيل على ، د . زينب حسن حسن : دراسات فى اجتماعيات التربية — ط ٢ — دار الثقافة للطباعة والنشر — ١٩٨٠ ، ص ٩٤ ، ٩٧ .

(١٠) د . عبد العزيز صالح : الشرق الأدني القديم (مرجع سابق) ، ص ٣١٥ .

وكانت تصوراتهم فى الحياة ترتبط تماما بهذا التصور العقيدي ، فكان المصري دائما يعتقد أن الدنيا مقام مؤقت له ، والقبر هو المستقر الأبدى ، وكان هذا موجها أساسيا لكل حياتهم ، ومن ثم جاءت المنجزات المادية هياكل ومنائر عالية ، تقاوم عوامل الزمن ، وجاءت الأدبيات على نفس الشكل حيث " اختلط الأدب والخيال بالدين[١١] " .

لقد " علمهم النيل الدين ، فالمصري يتضرع يوم الحساب فتكون وسيلته الشافعة أنه لم يقطع (قناة) فى ممرها ، ولم يخالف نظام الري ، ولم يتلف الأرض الزراعية ، ويعد نفسه سعيدا لأنه قاس الفيضان الذي يجعل مصر مخصبة بمحض الهبة الآلهية[١٢] " .

ومن ثم فليس غريبا أن تجد الشعب المصرى " يميل إلي الدين مستجيبا لكل دعوة تقوم علي أساسه أو تمت إليه بسبب ، انبعاثا من سمته القومية ولاسيما سمة الاستغراق فى الوعي الدينى ، فلا موضع إذن للشك فى أن تكون الميول الدينية ميولا متأصلة فى مصر[١٣] " وليس شاذا ذلك الإيمان بالقدر ، فالنجاح والفشل والعافية والمرض ، والبقاء والموت ، مقدر للإنسان ، والجهد الإنساني يعجز عن دفع هذا القدر ، ولكنه ليس استسلاما أو تواكلا ، بل إعادة للمحاولة ومحاولة للنجاح وتحصيل الأسباب ، وليس غريبا أيضا أن تجد دعوات من أمثال الدعوة إلى الصبر والرضا سائدة فى الثقافة الشعبية ، وكان من نتاجها كرم ورضا وقناعة وطاعة ونخوة ، وكان هذا هو سر الحيوية المصرية .

وعلى هذا يمكن القول بأنه كما كانت الوسطية مفتاح الشخصية المصرية ، فإن التدين يعتبر مكملا لهذا المفتاح ، إذ بدونها لا تفهم

---

(١١) المرجع السابق ، ص ٣١٩ ، وراجع ص ٣٢٠ ــ ٣٢٤ من نفس المرجع.

(١٢) د . نعمات أحمد فؤاد (مرجع سابق) ، ص ٢٠ .

(١٣) د . عبد العزيز رفاعي : **الطابع القومى للشخصية المصرية** (مرجع سابق) ، ص ١٣٩ .

الشخصية المصرية كما ينبغي أن تفهم ، ولقد ساعدت هذه السمة أو الخاصية على تحول تاريخي هام فى تاريخ مصر ، فعندما دخل الإسلام مصر سنة ٦٤١م ، أقبل المصريون " على الدخول فى الدين الإسلامى أفواجا فى سرعة عجيبة ، وصحب انتشار الإسلام في مصر تعريبها ، بمعني انتشار اللغة العربية فيها إلى الدرجة التي أصبحت فيها هى اللغة الأولي سواء كان ذلك بالنسبة لخاصة الناس أو عامتهم[١٤] " . فنزعة التدين الفطرية فى الشخصية المصرية ، وتاريخها مع الدين الشامل هو الذى ساعد قبل أي شيء فى انتشار الإسلام فى مصر ، وانتشار اللغة العربية ، إلي جوانب عوامل أخرى يذكرها المؤرخون[١٥] . ولكن الأهم من ذلك هو أن حضارة مصر ــ منذ الأزل ــ دينية " لأنها عملت فذاقت حلاوة العمل ، فارتبطت بمعني الكون، ولهذا نجد أشد الناس إيمانا ، الزارع ، حتي ولو كان أشدهم تخلفا أو فقرا ، لأن الزارع يحنو علي الأرض ويحننها ويستولدها ، فتطرح في نفسه من المبادىء أضعاف ما تطرحه من الغلات والثمار[١٦] " . إلي جانب سماحة الإسلام وسهولة تعاليمه ويسرها ، لهذا استجابت له نفس المصري .

ومنذ ذلك الوقت ومازالت اللغة العربية والإسلامية هما ثقافة الشعب المصري ، بحيث أصبحت اللغة العربية لغة التخاطب والتأليف ، وهي ظاهرة فريدة ، تميزت بها مصر دون غيرها ، فالشعب المصرى " وقف طوال تاريخه العريق وقفة عناد لكل لغة أجنبية يحملها أي دخيل ، من أمثال اليونان

---

(١٤) د . سعيد اسماعيل على : و د . زينب حسن حسين (مرجع سابق) ، ص ٨٤ .

(١٥) راجع : د . أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية فى مصر ــ وزارة الثقافة ــ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ــ ج.م.ع ــ ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م ، ص ١٩ ــ ٦٧ .

(١٦) د . نعمات أحمد فؤاد (مرجع سابق) ، ص ٥٩ .

والرومان ، فلم تتغلب اليونانية أو الرومانية على المصريين برغم سيادة اليونان والرومان علي البلاد المصرية[١٧] ''.

وقد ساعدت هذه النزعة علي قيام حركة دينية واسعة النطاق ، وظهرت المدارس الدينية ، وتخصص الكثير من المصريين فى دراسات القرآن والحديث والفقه وغير ذلك ، مما يدل على قوة الوازع الديني فى الشخصية المصرية ، وقد تجلت شخصية مصر الإقليمية بعد ذلك فى ظل الإسلام فى كل العصور[١٨] .

وقد ظل التدين أهم سمات الشخصية القومية عبر التاريخ ، وكان وراء انتصار المسلمين على الغزو المغولي والصليبي ، وكان وراء دحر الحملة الفرنسية علَي مصر ، التى تستر قائدها وراء الدين الاسلامي ، وكان وراء الانتصار على الانجليز فى حملتهم على مصر ، وكان وراء الثورة العرابية ، ووراء ثورة ١٩١٩ .

٣ ـ الأصالـــــة :

وهى نابعة من الاستمرار والثبات النسبي اللذين يرجعان فى الدرجة الأولي إلي الارتباط بالأرض والطبيعة المتميزة بالاعتدال ، فالمناخ معتدلٌ ، والأرض لا تتعرض للرياح العاصفة أو '' الأعاصير أو الزلازل والبراكين ، بل كل شيء يسير فى مجراه الطبيعي ، دون توقع لأخطار تذكر (من هذا القبيل) ولذلك كانت الشخصية المصرية أقرب إلي الوداعة والألفة والبساطة والكرم والطمأنينة والهدوء والحكمة منها إلي الاندفاع والتهور والعنف والقسوة والتطرف[١٩] ''. والصحراء المصرية الصامتة العاتية تحيـط

(١٧) د . إبراهيم أحمد العدوى : مصر الإسلامية (مرجع سابق) ، ص ٢٢٩ .

(٨ (المرجع السابق) ، ص ٢٧٢ ـ ٣٠١ .

(١٩) د . نبيل راغب : أنور السادات رائد التأصيل الفكرى ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ ، ص ١٩٥ .

بمصر ، ويرجع الفضل إليها " فى حمايتها من الغزوات الأجنبية الكثيرة ، أو إليها يرجع الفضل على الأقل فى تحطيم هذه الغزوات الأجنبية المغيرة[٢٠] " .

فقد كانت مصر فى عزلة نسبية ، ضمنت لها الاستمرار والثبات النسبي ، فالمصرى يرتبط بالماضى ، بأرضه ، ببيته ، بقريته ، وهذه الاستمرارية تعنى تراكما فكريا وحضاريا ، فمصر " وثيقة من جلد الرق ، الإنجيل فيها مكتوب فوق هيردوت ، وفوق ذلك القرآن ، وخلف الجميع لاتزال الكتابة القديمة مقروءة جلية[٢١] " .

وقد حفظت هذه الاستمرارية والثبات مصر من الكثير من الغزوات الفكرية والحضارية ، ذلك لأنها أنتجت فى الشخصية المصرية أصالة ، أدت بها إلي عدم ذوبانها فى أي حضارة أخرى ، بل ولديها القدرة على صهر مختلف هذه الحضارات فى شخصيتها ونسيجها .

فحضارتها أول حضارة ، ودولتها أول دولة وأول إمبراطورية فى العالم ، وهي " بجسمها النهري قوة بر ، ولكنها بسواحلها قوة بحر ، وتضع بذلك قدما فى الأرض ، وقدما في الماء ، وهي بجسمها النحيل تبدو مخلوقا أقل من قوي ، ولكنها برسالتها التاريخية الطموح تحمل رأسا أكثر من ضخم[٢٢] " فهي " فرعونية بالجد ، لكنها عربية بالأب ، غير أن كلا الأب والجد من أصل مشترك ومن جد أعلي واحد ، فعلاقات القرابة والنسب

---

(٢٠) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول ــ ط ١ ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٤٧ ، ص ٦ .

(٢١) د . جمال حمدان : شخصية مصر ــ دراسة فى عبقرية المكان ــ كتاب الهلال ــ العدد ١٩٦ ــ ١٩٦٧ ، ص ٢٢٠ .

(٢٢) د . جمال حمدان : شخصية مصر ــ طبعة عالم الكتب ، (مرجع سابق) ، ص ٤٤ .

متبادلة وسابقة للإسلام بل وللتاريخ ، وما كان الإسلام والتعريب إلا إعادة توكيد وتكثيف وتقريب ، ولهذا فإن التعريب وإن كان أهم وأخطر انقطاع في الاستمرارية المصرية ، إلا أنه لا يمثل ازدواجية بل ثنائية ، فلا تعارض ولا استقطاب بين المصرية والعربية ، وإنما هما اللحمة والسداة فى نسيج قومي واحد[٢٣] '' .

فحضارة مصر أصيلة قديمة عريقة ، كما أنها أقدم الحضارات ، وكان لها فضل تنشئة وتعليم كثير من فلاسفة العالم الذين كان لهم الفضل فى إرساء قواعد الحضارة الغربية الحديثة ، ولما جاء الإسلام زاد من أصالة مصر الحضارية ، وأصالة الشخصية المصرية .

ومن أصالتها ، أنها تعمل العمل الدائب الموصول والمضبوط ، متعدد الأشكال لكنه مترابط يشده خيط حرير غير منظور ، وعطاؤها الحضارى إنما هو وليد العمل المتقن ، فأسلوب الشخصية المصرية '' الواحد هو العمل ، حتى فى عصور الضعف السياسى وهي فى مصر عصر كمون واستجماع لوثبة محسوبة ، فإن فلسفة الشعب المصرى فيها ، أن يتقوقع علي نفسه (النفيسة) ويصوغ من دموعه محارته أو عزلته لؤلؤة ، فنا وصناعة وطرقا ، يتوارث مهاراتها خلفا عن سلف ، ويعتز بمعطياته فى هذا المجال فيجعل لكل صنعة (حيا) و (معلما)[٢٤] '' .

وأصالتها تظهر فى الحرب والسلام ، فهى تبني دائما ، وتعطي الإنسان أعلي القيم ، وتهب وتحقق الانتصارات فى غير جلبة أو ثرثرة ، لاتحب الجدل أو المناقشة وإنما تحب العمل والتحقيق ، والمصرى بطبعه وطبيعته '' يرتفع بسرعة علي حزنه الكبير ، يرتفع عليه وهو يحسه في داخله

(٢٣) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢٤) د . نعمات أحمد فؤاد (مرجع سابق) ، ص ٥٨ .

إحساسا عميقا " .... بل لعله بقدر هذا الإحساس يكون ارتفاعه " فهو " من وثوقه بالله ، وثقته بنفسه يستقطب ألمه فى داخله ، ويستدير هو يعيد البناء " والشخصية المصرية " تواجه الهدم والتخريب بأسلوبها الحضاري ، تترك معاقبة الجاني وتترك للزمن من ينجون من العقاب فيتآكل حتى تستدير هي تعيد البناء ..... بناء المدن بالعلم ، وبناء الانسان بالدين[٢٥] " .

ومن أصالتها تقديس الأسرة ، والقرية ، وامتيازها بروح الفكاهة والمرح ، فهي تتنفس " في الأدب الشعبي فتنتقد نقدا كاريكاتوريا فيما لا يعجبها من خصال ومظاهر سلوك ، تسلط عليه النكتة اللاذعة ، أو " " القفشة " البارعة ، أو " القافية " المحبوكة فتمسخه مسخا يغدو بعده أضحوكة وهزأة[٢٦] " . ومن أصالتها السخرية من الحكام الطاغين ، خاصة الغرباء بالنكتة تارة وبالقصص الشعبى آونة أخري ، وتشكل " النكتة عنصرا من عناصر الشخصية المصرية ، ومقوما من مقوماتها بما لها من دور وظيفي وسلوكي فى صراع الشخصية المصرية مع الأحداث التاريخية[٢٧] " .

والدوام أصالة لأنه يعلو عن اللحظة العابرة ، ونجده فى الشخصية المصرية بشكل ظاهر أو بشكل خفي ، فالدوام " هو معيارنا فى التغير الذى نقبله أو التغير الذي لا نقبله ، فما جاء علي أطُر حياتنا العميقة كالزائدة التى تفيد ولا تضر ، قبلناه ، وأما ما جاء ليهدم لنا الإطار فهو مرفوض ، حرية المفكر وحرية الفنان وحرية الإنسان بصفة عامة ، مشروطة بالتزام الثوابت

---

(٢٥) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٢٧) المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

التي تدوم[٢٨] ''.

ومن أبرز مقومات الأصالة ، ذلك '' الرباط الأسري الذي يجعل العلاقة بين أفرادنا تجاوز حدود المصلحة إلي ما هو أهم من ذلك وأعمق ، وهى علاقة قد تخفي عن الرائى فى فترات الحياة العادية ، '' لكنها تشتد ظهورا فى لحظات التأزم[٢٩] ''.

ومن أبرز مقومات الأصالة ، أن الإنسان المصري '' متفائل بطبعه ، فهو مهما ضاقت عليه الدوائر ، آمن بكل كيانه أن بعد العسر يسرا '' وهو تفاؤل '' صاحب النظرة العميقة التي تعلم أن في الكون تدبيرا يكفل أن يعتدل الميزان ، فلا يكون نقص هنا ولا إجحاف هناك إلا ابتغاء تكامل أسمَي . لا يترك مثقال ذرة من الخير أو الشر إلا أن يعقب عليه بما يوازنه[٣٠] ''.

٤ ــ التجانس :

وامتاز المجتمع المصري بالتجانس الكبير بين أفراده ، مما ساعد على تكوين الدولة منذ فجر التاريخ ، فإن ذلك راجع بالدرجة الأولى إلي طبيعة مصر ،التى تتميز بالتكاثف الشديد فى سكانها ، فهي أقدم بلد زراعى ، وهي '' أكثف وأغنى الزراعات فى العالم تقليديا '' ومن ثم أتي '' الغطاء البشرى من عمران وسكن وسكان أشبه بإرسابات بشرية سميكة مكثفة متضاغطة لا تعرف التخلخل ولا الفجوات ، ومنذ فجر التاريخ تبدو مصر كأنبوبة مغلقة متكظة بالسكان وتبدو السكان مكدسة كغابة متراصة من

---

(٢٨) د . زكى نجيب محمود : '' ثقافة المصرى وجذورها '' ــ من (هذا العصر وثقافته) (مرجع سابق) ، ص ١٤٤ .

(٢٩) المرجع السابق ، ص '' هذه بعض سماتنا '' ص ١٥٠ .

(٣٠)المرجع السابق ، ص ١٥١ .

البشر[٣١] ،، حول النيل ، وقد أتي التجانس نتيجة لهذا التكاثف الشديد، إذ أنه رغم الفروق الموضعية والمحلية والإقليمية ،، يسود أجزاء الوادي قدر غير عادي من التشابه طبيعيا وماديا وبشريا[٣٢] ،، .

وقد أدي هذا إلى الوحدة السياسية ، ومنذ أن ولدت هذه الوحدة فإنها ،، قلما عرفت الانفراط أو الانحلال ، كما لم تعرف التقسيم لا بالطول ولا بالعرض ، ولا بالتنصيف ولا بالتربيع ، لا في ظل الاستقلال ولا حتي تحت الاستعمار ،، وقد أدي هذا إلي المركزية ، والمركزية العارمة ، التي تعتبر من أهم الملامح الجوهرية فى شخصية مصر ، يصدق هذا منذ الفرعونية حتى اليوم وبلا استثناء تقريبا ، ومنذئذ وإلي الآن كقاعدة أيضا ، أصبحت المركزية ، الحكومة ، البيروقراطية ، العاصمة أطرافا أربعة أو مترادفة لمشكلة واحدة مزمنة ولمرض مستعص تقريبا[٣٣] ،، .

وقد أدي هذا إلي تردى المركزية وإلى الاستبداد والطغيان ، منذ الفرعون إلى العصر الحديث ، فبرغم أن التجانس والوحدة كانا من أبرز سمات الشخصية القومية ، إلا أنها أفرزت إفرازا سيئا إلى حد بعيد ، هو تلك البيروقراطية والاستبداد والاعتماد علي الحكومة فى كل شيء فالطغيان ،، والاستبداد الغاشم الباطش هو من أسف حقيقة واقعة فى تاريخ مصر من بدايته إلي اليوم مهما تبدلت أو تغيرت الواجهات والشكليات[٣٤] ،، بالرغم من محافظته على الوحدة والتجانس بين أفراد الشعب المصري ، والذي انعكس فى داخل الشخصية المصرية الفردية ذاتها ، فهى متجانسة مع أجزائها ، لا يضخم جانبا ، بل تتمثل فيها الوحدة إلى أبعد درجة بالرغم

---

(٣١) د . جمال حمدان : شخصية مصر ــ طبعة عالم الكتب ــ (مرجع سابق) ، ص ٣٨ .

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٣٣) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٣٤) المرجع السابق ، ص ٤١ .

من ذلك النوع من التسلط الذى يمتاز به الشخصية المصرية ، فهو تسلط ناتج من الانطباع عن التركز الجغرافي واعتماد الناس علي بعضهم مما ورثها الكثير من المساويء المتمثلة فى قبول الرشوة والمحسوبية وعدم تحمل المسئولية ، واتخاذ المنصب الإداري أداة للاستغلال السياسي والاجتماعي ، ولتحقيق المنفعة الشخصية[٣٥] .

٥ ـ الانفتـــاح والتفتـــح :

لم تكن الشخصية المصرية خائفة ولا وجلة أمام الاحتكاك الحضاري ولا هيابة منه ، فقد جعلها موقعها دائما '' إما فى تلاق وتلاقح أو في تعارض وتناطح[٣٦] '' وبالرغم مما لدي المصرى من روح المحافظة والأصالة ، إلا أنه دائما متفتح الآفاق ، عقله وقلبه ووجدانه متفتح دائما على العالم ، فقد كانت لديه الحرية التي بها يستطيع أن يتفاعل ويتعامل مع فكر غيره وحضارة غيره ، إلا أنه لم يذب فيها ، ولم يلهث جريا وراء كل جديد فيها .

ومصر بحكم موقعها كانت تأتيها كل الشعوب وكل الحضارات ، وكان موقف مصر موقف المتفتح البصير ، وقد كان هذا طابع الشخصية المصرية ، وكانت واعية فى الأخذ والرد ، ولما جاء الإسلام والعرب ، دل استيعاب المصريين للغة العربية والإسلام علي تفتح هذه العقلية تماما ، وفى العصر الحديث استوعبت الدرس وحاولت أن تقوم بنفسها في مواجهة هذا الجديد واستخلاص أفضل ما فيه ، بفضل القدرة علي الاستيعاب والفحص والتأمل .

* * *

(٣٥) د . محمد منير مرسى : ادارة وتنظيم التعليم العام ـ ط ٢ ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٠ ، ص ٤٨ .
(٣٦) د . جمال حمدان (مرجع سابق) ، ص ٤١ .

ثانيا : الشخصية المصرية في العصر الحديث بين الفكر الإسلامي والفكر التغريبي :

دخلت مصر العصر الحديث وهى ضعيفة ، وماذلك إلا لضعف أبنائها الذين وصلوا فى شخصياتهم إلي بناء هزيل ضعيف بالرغم مما تحتوي عليه من عناصر الأصالة ، التي بقيت ضمن ما بقي أصيلا ، ويمكن أن نلمح التطورات التي لحقت بمصر وأثرت فى الشخصية المصرية كمايلى :

١ ــ بعد مرحلة القوة والازدهار والعطاء العلمي والاجتماعي والحضاري الزاخر ، أصيبت دولة مصر المملوكية ــ حسب سنة التطور ــ بإرهاق وضعف شديد ، إلي أن فتحها العثمانيون وأصبحت مصر ضمن الولايات العثمانية ، وبالرغم من حفاظ العثمانيين علي مصر وتأخير الغزو الأوربي لها ، إلا أنها أصيبت بضعف شديد ، وبرغم صيحات العلماء ومحاولات الإيقاظ إلا أن هذا الضعف كان جارفا ، وكان هذا الضعف فى النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .والفكرية وغير ذلك[٣٧] .

وقد أصبحت مصر تعاني فترة من الظلام التى عانت منها شعوب كثيرة ، وظلت واقفة لقرون طويلة بينما العالم يمضي إلي الأمام[٣٨] .

٢ ــ وكانت اليقظة سابقة لوصول الحملة الفرنسية ، إلا أن هذه الحملة كانت عاملا هاما في إيقاظ مصر ، إذ أنها كانت تمثل اللقاء الأول فى العصر الحديث بين حضارة أوربا ، وحضارة الغرب الحديث ، وقد تركت آثارا فى الواقع الثقافي ، إذ أنها نبهت أذهان المصريين إلي ما وصلت إليه أمم الغرب من تقدم يستدعي النظر فى واقع ثقافة البلاد[٣٩] .

---

(٣٧) راجع الكتاب : الفصل الرابع ،

(38)El Bidéwy , M . Fouad: Thé Dévél opmént of social sécurity in Egypt ; cairo ; 1953 ; p 81 .

(٣٩) راجع الكتاب · الفصل الرابع ، ١٣٥ .

٣ ــ وكانت بداية التغيرات ، فى عهد محمد علي وخلفائه ، وقد رأى محمد علي بناء مصر وتحديثها على أساس :

أ ــ البناء الاقتصادى . ب ــ بناء جيش مصري عصري .
ج ــ تحديث التعليم .

وقد تم له ما أراد بعد أن قضي على المعارضة ، وبعد انفراده بالسلطة بلا منازع ولا رقيب عليه ، ولم يعد يخشى أيَّ تهديد. ثم أقام سياسة اقتصادية قائمة على الاحتكار لجميع مقومات الإنتاج ، فأصبح هو الزارع والتاجر والصانع[٤٠] .

وفى مجال بناء الجيش ، فإنه سخر كل شيء فى سبيل بناء الجيش ، وفرض التجنيد الإجبارى ، ورغم نجاحه فى إنشاء الجيش ، إلا أنه فشل فى غرس حب الجندية فى نفس الجندى المصري ، مما دفع المصريين إلى الهروب والإضرار بالنفس ، لكى لا ينتظموا فى هذا الجيش ، ولما كان التعليم من أجل الجيش ، فإن النظرة إلي التعليم كانت كالنظرة للجيش ، لأن التعليم الذي أنشأه كان علي أساس الجيش ، وكانت المدارس عبارة عن ثكنات عسكرية فى نظامها ومأكلها وملبسها ، ورتب المعلمين والنظار ، فكل ذلك رتب عسكرية ، والطلبة المبعوثون لهم بيت فى باريس يدار إدارة عسكرية[٤١] .

والمهم أنه حين أراد أن ينظم التعليم وينهضه ، اقتبس من الغرب

---

(٤٠) راجع : عبد العزيز الدوري : مقدمة فى التاريخ الاقتصادي العربي ــ ط ١ ــ دار الطليعة للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ١٩٦٩ ، ص ١٣٧ ــ عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية فى عصر محمد على ــ ج ٣ ــ ط ١ ــ النهضة ــ القاهرة ، ١٩٣٠ ، ص ٤٥٨ .

(٤١) راجع : على مبارك : الأعمال الكاملة ــ المجلد الأول ــ (تحقيق محمد عمارة) ــ ط ١ ــ ١٩٧٩ ، ص ٢٥ ــ ٤٠ (من المقدمة) .

اقتباسات كثيرة ، ولم يكن يعنيه مكافحة الأمية بقدر ما كان يعنيه تخريج أعوان له من الموظفين(٤٢) ؛ وعموما فإن سياساته كلها انتهت بالفشل ، إلا أنه بذر بذورا مازالت تثمر فى كافة المجالات .

٤ ــ ولما كان عباس وسعيد لا يكترثان بالتعليم ، فقد أصاب الشخصية المصرية تأخر وانحطاط ، إلى أن جاء عصر إسماعيل ، وكان أمله جعل مصر قطعة من أوربا ، ومن هنا أصبح التعليم يسخر من أجل هذا الهدف .

وقامت الثورة العرابية ، وبذرت بذور الحركة القومية التي تطورت فيما بعد إلى جهاد ضد الاحتلال والتخلص من الحكم الأجنبي ، فى ظل الاحتلال الانجليزى الذي قام بمحاولاته العديدة لتغريب مصر ، وتغريب الشخصية المصرية ، التى تستمد مقوماتها من الإسلام ومبادئه ، وكانت سياسته التعليمية هى الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها ، وكانت مخططات كرومر ودنلوب وغيرهما تهدف إلي هذا الهدف(٤٣) .

ومن ثم عانت الشخصية المصرية من الاستبداد السياسي ، وتغلغل الاستعمار داخل المؤسسات التعليمية ، وكافة مؤسسات الدولة ، إلي جانب إمساكه بمقاليد الأمور في توجيه السياسة التعليمية ، حيث ساد التعليم بالانجليزية ، وجعل التعليم بمصروفات ، وركز أهداف التعليم علي إعداد موظفين أكفاء للسلطة المحتلة ، وأهمل التعليم الفنى والقومى ، وأمام هذا الكبت المستمر ، تجلت الشخصية المصرية الكامنة واندفع المصريون فى طريق المنافسة للاعتماد علي أنفسهم اقتصاديا وتعليميا ، وكان لهذا أثره فى الاقتصاد(٤٤) .

---

(٤٢) راجع : د . نازلي صالح أحمد : حول التعليم الابتدائي ونظمه ــ دراسات مقارنة ــ ط ١ ــ الأنجلو المصرية ــ ١٩٧٥ ، ص ٣٦ .

(٤٣) راجع الكتاب : الفصل الخامس ، .

(44) CLémént lévy : Thé stocK Exchang réar - BooK oF Egypt : Aléxandria , 1939 , P . 570 .

إلا أن اليقظة أجهضت ، بفضل مهاترات الأحزاب ، والانشغال بقضايا فرعية دون القضايا الرئيسية ،[٤٥] هذا إلى جانب التناقضات الاجتماعية الصارخة ، والصراع بين القيم والتيارات ، كل ذلك أثّر على التعليم وأثر علي الشخصية المصرية بدوره[٤٦] .

٥ ـــ وقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وأمام الوضع المتردي ، أحدثت تطويرات تعليمية مختلفة ، بناء على الإيمان بضرورة التغيرات السياسية والاجتماعية ، والثقة في قدرة التربية والتعليم علي تحقيق أهداف الثورة ، وحدثت تحولات منها الإيجابية ومنها السلبية ، وكانت معالم هذا التحول متمثلة في :

قومية التعليم ، وأولويته وشعبيته ، مع تعميم التعليم الابتدائي وتوحيد مراحله ، وإطالة فترة الإلزام ، ودعم التعليم الفنى وتخطيط التعليم ، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص[٤٥] .

وقد أحدثت هذه تحولات فعلية فى التعليم ، ورغـم هذه المكاسب والاجتهادات ، التى تعتبر مكاسب حقيقية إلا أنها لم تكن كافية لإذكاء الشخصية المصرية واستنهاض همتها وقوتها ، ومع الاختلافات فى الاجتهادات والاتجاهات التربوية ، تأثرت الشخصية المصرية .

وهذه التطورات المختلفة بالرغم من إذكائها لبعض العناصر الأصيلة في الشخصية المصرية إلا أنها أيضا ساهمت إسهاما فعالا فى إذكاء عناصر

---

(٤٥) راجع : د . ضياء الدين الريس : الدستور والاستقلال والثورة الوطنية ـــ ج ٢ ـــ دار الشعب ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٥ ، ص ٢١١ .

(٤٦) راجع : د . سيد إبراهيم الحيار : تاريخ التعليم الحديث فى مصر وأبعاده الثقافية ـــ ط ٢ ـــ مكتبة غريب ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٧ ـــ ص ١٦٣ ـــ ١٨٤.

(٤٧) المرجع السابق ، ص ١٩٧ ـــ ٢١١ .

الضعف الكامنة فى الشخصية المصرية ، ويمكن أن نلمح هذا فيما نتناوله من سمات الضعف في هذه الشخصية .

١ ـــ التناقض والصراع الفكري واختلال المفاهيم :

وقد أوجد هذا التناقض ذلك الأسلوب الذى اتبع فى نشر الثقافة الغربية ، فقد عمل هذا علي زحزحة الثقافة القومية وإضعافها ، لأنه لم يُقْصَد به التلاقح الثقافى ، بقدر ما كان يهدف إلى التدمير والإضعاف ، ولما تسرب هذا إلي نظام التعليم ، كان لابد من ظهور آثار سيئة علي الشخصية المصرية ، وأصبح خريجو هذا النظام ينظرون إلى الثقافة القومية بالازدراء والاحتقار والاستعلاء ، ويقيم الناس وفقا لمدي قربهم أو بعدهم عنها[٤٨] .

وقد أدى هذا إلي آثار سيئة ـــ حيث '' غرس روح الحقد والكراهية في قلوب المواطنين نحو السلطة ، وإشاعة السلبية والأنانية وغير ذلك من سيء الصفات ، وما يترتب عليها من شيوع عناصر ثقافية خاصة ، فإنه حاول القضاء على اللغة العربية بجعل لغته (اللغة الانجليزية) لغة التعليم فترة من الزمن ، وقصره الحصول على فرص التعليم على أبناء الطبقة الأرستقراطية ، وهذا أيضا كفيل بأن يشيع عناصر ثقافية خاصة ، كغلبة الجوانب النظرية والكلامية والميل إلي ما يدخل فى باب الترف الفكرى ، والبعد عن الأفكار والنظريات التي تحمل بذور الثورة في مختلف مجالات الحياة كذلك '' وقد شجعت سلطات الاحتلال ‘‘ '' دخول بعض عناصر الثقافة الغربية إلى مصر ، فتسمح مثلا وتشجع إدخال أفكار الإلحاد وعادات المجون والانحلال الخلقي ، وتُقتر في إدخال ما هو بناء ومشرق من العلوم الغربية الحديثة[٤٩] ‘‘ وقد كان لهذا آثاره وعناصره الثقافية الخاصة .

---

(٤٨) د . سعيد اسماعيل علي و د . زينب حسن حسن (مرجع سابق) ، ص ٧٩ .
(٤٩) المرجع السابق ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

وتجاه هذا وجد العنصر الأصيل من الثقافة المصرية الذى دعا إلى ضرورة جعل الثقافة القومية المصدر الرئيسى الذى يجب الاستمداد منه ، وماحواه من عناصر أصيلة ، رميت بالجمود من الطرف الآخر .

وكان رد الفعل لدي الشخصية المصرية ، تناقضا وصراعا فكريا ، فهي تري التقدم المادى في الغرب ، وكذلك مستوى الدخل المرتفع ، ومستوي الخدمات اللائق ، ولكنه لايري فى بلده هذا ، فى حين تضرب أعماق شخصيته فى جذور التربية المصرية العربية ، التى تخالف طبيعة الحضارة الغربية فى قليل أو كثير . وقد ساعد على تعميق هذا التناقض والتضارب " سرعة التغيرات المادية التى شهدها مجتمعنا وعنفها منذ قيام ثورة ١٩٥٢ ، وهذا التحول والتغير " جعل من الصعب على العناصر اللامادية أن تلاحقها سرعة وعمقا وشمولا[٥٠] " . إلي جانب القلق تجاه المستقبل ، وما يحمله من مفاجآت وتغيرات تتخطى قدرة الشخصية المصرية على التكيف معها .

وقد أوجد هذا التناقض والاضطراب وإفقاد القيم واختلال المفاهيم توترا نفسيا لدي الناس شديدا ومن ثم الاستجابة المتطرفة ، تأخذ أقصي اليمين أو أقصي اليسار فى محاولة للتقوقع بعيدا عن هذه التغيرات المتلاحقة[٥١] .

---

(٥٠) المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٥١) راجع ظاهرة التطرف وأسبابها فى :

د . محمد عبد الظاهر الطيب : " شبابنا وظاهرة التطرف " ــ فى مؤتمر تربية الشباب (فى الفترة من ٢٨ / ٢ ــ ٢/ ٣ / ١٩٨١) ــ كلية التربية ــ جامعة عين شمس ، ٤ ــ ١٠ .

وراجع أيضا : د . حسن سلامة الفقي : التاريخ الثقافي للتعليم بالجمهورية العربية المتحدة ــ ط ١ ــ دار النهضة العربية ــ ١٩٦٦ ، ص ٢١٩ .

٢ ــ اللفظيـــــــة :

وهى مشكلة المشاكل فى الشخصية المصرية ، قديما وحديثا ، بالرغم من أن الشخصية المصرية الأصيلة تقدس العمل وتحترم الواجب ، ومع متغيرات التاريخ التي مرت عليها ، خاصة ظروف الاستعمار ، تأكدت هذه السمة فيها ، إذ أن المستعمر مستبد ، لايريد أن تتحول الكلمة إلي عمل مهما كان بسيطا ، ولا يهمه شيء قدر ما يهمه '' مواكب النفاق والتملق تسعى إليه بالقصائد الشعرية والخطب الرنانة ، والمقالات المنمقة التى تفيض إشادة بعدله وفضله ، وبأننا لاندري ماذا كنا نفعل لو لم يقيض الله لنا هذا المستبد ، وأن الأعمال التي يقوم بها ويشعر الناس بضيق منها إنما هي أعمال جليلة تخفى أغراضها عليهم ، وما أراد بها إلا الصالح العام على المدي الطويل وبطريق غير مباشر ، وأنه ما من رأي يصدر عنه ، إلا ويكون ملهما للكتاب ، يدبجون المقالات ، ويصدرون الكتب شرحا له وتعليقا عليه وفلسفته وبيان جوانب الحكمة فيه ، وضرورة تلقين أسسه للأجيال الناشئة لأنه صدر عن الملهم الكبير والمفكر العظيم[٥٢] '' .

وقد راجت هذه منذ عهد الاحتلال ، حيث انتشرت شخصيات النفاق تقربا وزلفى للحاكم ، بل وتحولت إلي عادة ثقافية ، حتي أصبحت الجماهير المصرية متعودة '' لأن تسمع قرارات وتوصيات المؤتمرات السياسية والثقافية والعلمية تحفل بالأفكار الرائعة والعبارات الجميلة والشعارات البراقة ، وهم يشعرون أنها مجرد '' كلمات '' لا تأخذ من الجهد إلا قولها ، ولا تتطلب من الأفعال إلا كتابتها وبعد ذلك فلا شيء[٥٣] '' .

وهذه اللفظية تمتص انفعالات الشخصية المصرية ، وتمتص قدرتها

---

(٥٢) د . سعيد اسماعيل علي ، د . زينب حسن حسن (مرجع سابق) ، ص ١٠٢ .
(٥٣) المرجع السابق ، ص ١٠٣ وراجع ، ص ١٠٤ .

على الفعل ، وهى تستعمل كمسكنات دون استثارة الهمم وإيقاظ الروح المعنوية ، وتسهم فى هذا وسائل الإعلام وغيرها ، وخاصة أن أى مجتمع لا يخلو من مشكلات وصعاب ، وهى دليل حيوية وصحة ، ولكن الشخصية المصرية نتيجة أسلوب تربيتها خاصة فى العصور الحديثة ، وتربيتها على أنها أداة حاكم وحده ، يتصرف فيها كيف يشاء أدى إلى اضطرام هذه اللفظية والشقشقة باللسان .

وكان المنتظر من التعليم فى عهد الثورة القضاء على هذه الظاهرة ، إلا أنه دعمها ، فأخذ جهود الشباب على أمل حلم براق ، وبعد الإفاقة والصحوة تيقن كذب الأمانى ووهم الأحلام ، فزادت المشكلة تعقيدا ، ولا غرو فحياتنا تقوم على أساس اللفظية والمجاملة والسطحية وفى معالجتنا للأمور نكتفى بالسطح دون الغوص وراء الأعماق ، " والفكر الفعال هو الذى يبحث عن الأساس ، والأساس موجود فى بناء الواقع نفسه[٥٤] " .

والعملية التعليمية نفسها تقوم على اللفظية ، بل والإكثار منها شرحا وتوضيحا وتلخيصا ، وتلخيص التلخيص ، وخطبا ، أما نصيب العمل والواقع فقليل ، ولا غرو أن يلتقط النشء هذا ، ويتأصل فى أعماقه ، والمدرس يقف طوال الحصة " يشرح درسه للطلاب ويستشيط غضبا إذا قاطعه أحد بحجة أن هذا تضييع للوقت ، ويأنف مما قد يبديه الطلاب من الحركة والنشاط ، ويقيس نمو طلابه التعليمى بمقدار ما حفظوه[٥٥] " .

وأخطر ما لدينا من سمات الشخصية هى هذه اللفظية الطنانة ، بلغنا فيها شأوا كبيرا ، فالأفكار التربوية الحديثة كلها لم تتعد هذه اللفظية وقد أدى هذا إلى مجموعة من الصفات غير الحميدة ، مثل السلبية ، وسوء فهم التقدم والتخلف ، والتبعية الفكرية ، والتواكل والاتكالية ، والفخر بالنفس

---

(٥٤) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٥٥) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

إلى حد الطنطنة أو التهوين من شأن النفس إلى حد فقدان الثقة بالنفس[٥٦] .

٣ ــ التطرف فى المركزية :

وهو وليد التجانس والوحدة ، وإذا كانت المركزية ضرورية فى حالة بلد كمصر إلا أن التطرف غير ضروري ، وقد جاء هذا التطرف نتيجة نظام الحكم الذي كان فرديا فى أغلب الأحوال، فالحكومة فى مصر '' قوامها شخصية الحاكم ، إذا صلح استقامت الحياة ، وإذا استبد كان وبالا على المحكومين ، وهذا يفسر شعور المصريين بأن مفاجآت الدهر لا حد لها ، ولا عجب فهم مهددون ، ليس عندهم من الضمان ما يجعلهم يمضون فى عملهم ليجنوا الثمرة أو يجنيها بنوهم،ومثل هذه الحالة تؤدي إلى شيء من النهم فى الحياة الاقتصادية والخلقية ، وتغري بالكسب بأي وسيلة ، مشروعة كانت أو غير مشروعة ، مادامت المسألة غِلاَباً فلا توازن بين الفرص ، وإنما الغرض هو الوصول من أقصر الطرق[٥٧] '' .

وقد ساهم التعليم فى هذه الحالة ، فسمته منذ البداية المركزية ، وكان هذا فى عهد محمد على الذى اتبع النظام المركزى فى الإشراف التام على المؤسسات التعليمية والبعثات الخارجية ، حتى يتمكن من التحكم فى كل مؤسسات الدولة ،واقتبس '' من فرنسا نظامها المركزى لإدارة كل شئون البلاد ''[٥٨] وماكان ذلك إلا لتعجله فى تحصيله النتائج ، وسار على نهجه

(٥٦) راجع : د . نعمات أحمد فؤاد (مرجع سابق) ، ص ٢٧٩ ــ ٢٨١ .

(٥٧) المرجع السابق ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤

(٥٨) د . محمد فؤاد شكرى وآخرون (مرجع سابق) ، ص ٧ ، وراجع :
يعقوب أرتين : القول التام فى التعليم العام ــ ترجمة على بهجت ــ المطبعة الأميرية ــ بولاق ــ القاهرة ــ ١٨٩٤ ، ص ٨٥

إبراهيم وعباس واسماعيل الذى أنشأ فى عهده نظارة المعارف ، ورغم مناداة لائحة رجب بتطبيق اللامركزية ، الأأن هذا لم يؤخذ فى الاعتبار ،فقد ظلت الإدارة مركزية ، فى عهد اسماعيل وتوفيق[٥٩] .

وقد ظل هذا مع سياسة الاحتلال رغم نقد هذه السياسة من قبل نجيب الهلالى[٦٠] فقد ظلت المركزية قائمة حتى تغيرات ثورة ١٩٥٢ ، حيث سارت المركزية إلى جانب اللامركزية .

وعلى كل حال فقد انطبع فى ذهن الشخصية المصرية أن هدف التعليم هو الإعداد للوظيفة ، وفتح الطريق أمام ذوى الطموح للتوظف فى الحكومة ، وارتبط التعليم بالوظيفة الحكومية فركزت كل أموره فى يد وزارة المعارف فكانت البيروقراطية المركزية وراء الكثير من المشكلات التى يعانى منها مجتمعنا من انحطاط القوة الحيوية فى التعليم وتثبيط نمو القوة الذاتية ، والتواكلية وعدم تحمل المسئولية[٦١] .

ورغم تخفيف حدة المركزية ، إلا أن الشخصية المصرية بطبيعتها المركزية ما زالت قاصرة دون وعى هذا الدرس ، ومحاولة تخفيف المركزية ، واتخاذ القرار الجرىء داخل أى موقع ، أو أى مؤسسة ، ومازالت هذه من أهم سماتها ، إذ مازال التطبيق اللامركزى مبتورا ، إذ انتقلت المركزية إلى يدى أفراد قلائل من المعينين فى مناصب إدارية عليا ، ويحرمون الوحدات المحلية من ممارسة سلطاتها ، ومعنى هذا

---

(٥٩) راجع : منير عطا الله سليمان : دراسات مقارنة فى التربية ونظم التعليم — ط ١ — الأنجلو المصرية — القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١١ .

(٦٠) راجع : وزارة المعارف العمومية : تقرير وزير المعارف عن التعليم الثانوى ، عيوبه ووسائل — إصلاحه — المطبعة الأميرية ، بولاق — القاهرة — ١٩٣٥ ، ص ٢ .

(٦١) سامية السعيد بغاغو : دراسة مقارنة للتعليم الابتدائى فى مصر إذ ثورتى ١٩١٩ ، ١٩٥٢ — رسالة ماجستير — كلية التربية جامعة طنطا — قسم أصول التربية (استنسل عير منشورة) — ١٩٧٩ — ص ١٤٠ .

أن المديريات التعليمية لا تزال تمثل الفروع للإدارة المركزية أي " ديوان الوزارة داخل المحافظات "[٦٢] .

وعموما فإن هذه المركزية والبيروقراطية تمارس كل يوم وكل لحظة في كل مكتب وفى كل مكان وفى كل مؤسسة تعليمية ، والظاهر أن الحلول السطحية السريعة لن تجدي معها ، بل تحتاج إلى حل جذرى يجتاح الشخصية المصرية كلها ، ويبدأ من التربية والتعليم ، فهو موطن الداء .

٤ ــ ضعف النزعة الدينية وافتقاد القيم الحقيقية :

مصر معناها " دين + عمل "[٦٣] ولكننا نلاحظ ضعف النزعة الدينية والقومية ، فقد ساد الخوف والنفاق " وهو من أوضح عيوبنا ، وقد جاء من إمعاننا في المادية وخلونا من القيمة ، مما يجعل أى إنسان ينافق من يملك له النفع المادى "[٦٤] .

وإذا أدركنا أنه لافرق بين القومية والدين ، لأن الدين هو قومية المصريين ، وقد رأى الواعون من المفكرين المصريين أن لاتعارض بين هذا وذاك ، إذ أنه لاتعارض بين الانتماء والولاء للوطن والإيمان بالإسلام كموجه حضارى ، فمصطفى كامل ــ مثلا ــ كان مؤمنا بالإسلامية والمصرية وغيره كثير ، وكان التوجيه الإسلامي هو المسيطر على الفكر الإسلامى والمجتمع المصرى ، إلا أن الاستعمار استطاع أن يخلخل هذا الدور ، وأفقد النظام التعليمى الكثير من الخصائص القومية ، فقد أهمل الجوانب القومية فى المناهج ، فقد كان أكثر مايخيف الحاكمين تدريس التاريخ

---

(٦٢) أمينة أحمد حسن : أهمية التنمية الادارية لحل مشكلة الالزام فى التعليم فى مصر ــ رسالة دكتوراه ــ كلية البنات ــ جامعة عين شمس ــ (استنسل غير منشورة) ــ ١٩٧٩ ، ص ٥٢٠ . وراجع : د . عبد الغنى عبود : إدارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة ــ ط ١ ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٩ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،

(٦٣) د . نعمات أحمد فؤاد (مرجع سابق) ، ص ٣٠٥ .

(٦٤) المرجع السابق ، ص ٣١٠ .

القومى على حقيقته ، فلقد كان ذلك يعنى التعرض للمواقف العظيمة التى وقفها أجدادهم ، وتمجيد الشخصيات البطولية المصرية ، وامتد الأمر إلى اللغة العربية والقيم الروحية(٦٥) .

إلى جانب ماقام به المستعمر من ترويج للانحلال والضعف الخلقى ، حيث ضاعت القيم الحقيقية ،فالآباء " فقدوا سلطانهم فى الأسرة ، بعد أن ضاعت صفة احترام الماضى وإكرام الكبار والشيوخ " (٦٦) وانتشر شرب الخمر ، والمقامرة وانتشرت المخدرات إلى جانب الأمراض الاجتماعية الخطيرة من كذب ونفاق ورياء وخداع ، واعتداء على حقوق الغير .

وإذا كان التعليم فى مصر فى ظل الثورة قد حقق ــ إلى حد ما ــ التجانس والوحدة بين أفراد المجتمع المصري ، إلا أنه مازالت هناك مرحلة كبيرة واسعة فى سبيل تحقيق القومية المصرية واستنفار الإمكانيات الذاتية للشخصية المصرية بما تعنيه من دين وعمل .

وبعد ....

فهذه ملامح الشخصية المصرية فى أصالتها وجوانب قصورها ، فهى مع ما تمتاز به من وسطية وتدين وأصالة وانفتاح ، كانت إشراقا فى عصور قوتها وازدهارها ، خاصة فى الفترة الحديثة التى نعالجها فى هذا البحث ، فهى أكثر ميلا إلى السلبية منها إلى الإيجابية ، خاصة إذا علمنا أن التعليم هو الذى يقوم بتفجير الطاقات الذاتية لأية شخصية قومية ، وبالمقارنة بين تأثير التعليم فى العصر الحديث على الشخصية المصرية ومايجب أن يحدثه فيها نرى الفرق والبون الشاسع .

---

(٦٥) د . حسن سلامة الفقى (مرجع سابق) ، ص ٣٦٩ .

(٦٦) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية (مرجع سابق) ، حـ ٢ ، ص ٣٣١ وانظر ص ٣٣٢

وإذا كانت الأنظمة ,, التربوية هى التعبير الأسمى عما لكل شعب من شعور وطنى وثقافة وتقاليد ،وبما أن كل أمة تتميز عن غيرها من الأمم بحملة من الخصائص ، فإن مشكلات التربية لها من المعطيات ومن الجوانب بمقدار مايوجد من أمم ... وزيادة على ذلك فإن لكل قطر بيئة جغرافية خاصة ، ووسطا ثقافيا واجتماعيا ومهنيا معينا ، هذا فضلا عن اختلاف الشعوب فى اللسان ,, ولذا فإنه لابد عند وضع الاستراتيجيات التربوية ,,من مراعاة الأهداف الخاصة بكل مجتمع ، ولابد من النظر إلى ماسيؤول إليه المجتمع من حيث البنية ، ومن حيث البنية المحلية ، ولابد كذلك من رسم صورة الإنسان النموذجي المراد تكوينه . وهذه المسألة كلها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتراث الثقافى وبأنماط المعيشة ، وبالفلسفة السائدة فى كل قطر ، وبالأهداف العقائدية ,,[٦٧] فإنه من خلال هذا المنظور نرى أن النظام التعليمى المصرى ، وإن كان يقوم فى بعض جوانبه بتحقيق الشخصية القومية ، فإنه مازال بعيدا إلى حد كبير عن الشخصية القومية لايلبى احتياجاتها ولايشبع جذورها ، ولايرويها بماء التعليم فتزدهر ، ولكنه يرويها بماء غير مائها ، مما أدى إلى تناقض بين ماتتلقاه داخل النظام التعليمى ، وما يعيشه الإنسان فى الواقع الاجتماعى ، أوقعها فى دوائر الرفض للمجتمع بكافة أشكاله . وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى ذلك القسر المفتعل على أهداف وتصورات غربية غريبة عن الشخصية المصرية وخصائصها ..

* * *

---

(٦٧) ايدجار فور ــ تعلم لتكون ــ ترجمه حنفى عيسى اليونسكو ــ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر ١٩٧٤ . ص ٢٤٢

الفصل التاسع
الواقع والأمل

(١)

وضح من خلال دراستنا ، أن كل فكرة تعبر عن مجتمعها وبيئتها ، وعلى أساسها تتشكل التربية أهدافا ومواد وطرقا ، وبالتالى تتشكل الشخصية الفردية والشخصية القومية لأى مجتمع من المجتمعات ، وأى مجتمع لايوضع فى قلب التاريخ إلا إذا وجدت فكرة تكون بمثابة العقيدة فتضعه فى قلب التاريخ ، هذه الفكرة تعمق وتؤصل الخصائص الجوهرية للشخصية القومية ، بحيث تفجر طاقاتها فى سبيل الإبداع والابتكار الحضارى .

فهذه الفكرة — العقيدة تشكل الإطار الذى تدور من خلاله مناشط الحياة ، ثم هى الإطار الذى يحدد الأهداف والوسائل للتربية ، وعلى ضوئها توضع المناهج وتنظم بحيث تصل إلى أهدافها ، وفى ضوئها — أيضا — يدور فكر المفكرين التربويين وغير التربويين ، كل ذلك فى إطار التعبير عن النمط الحضارى الذى وصل إليه المجتمع — عن طريق أشخاصه — بتفاعله مع واقعه ومعطيات بيئته . بحيث يجىء كل فكر تعبيرا عن هذا النمط الحضارى ، وينعكس فى تشكيل أفراده طبقا للروح الحضارى لأى مجتمع[1] .

---

(١) راجع : الكتاب ، الفصل الأول ، .

(٢)

وتوصلنا من خلال الدراسة ـ أيضا ـ إلى أن الشخصية المصرية تميزت بمميزات هامة إيجابية ، منها :

أ ـ الوسطية .　　　　٢ ـ التدين .　　　　٣ ـ الأصالة .

٤ ـ التجانس .　　　　٥ ـ الانفتاح والتفتح .

وهذه الخصائص هى بنت مصر جغرافيا ، وبنت شخصيتها الأصيلة ، وهى التى جعلت الشخصية المصرية متكاملة فى كل شىء من خلال تدينها ، وهى التى جعلت مصر تمتاز بالاعتدال الذى أدى إلى انعدام ذوبانها أو الانمحاء فى أى ثقافة أو حضارة أخرى ، بل وأعطتها القدرة على صهر مختلف هذه الحضارات والأفكار فى شخصيتها ونسيجها .

وهى التى أكسبتها صفة الدوام الذى يعلو على اللحظة العابرة ، والرباط الأسرى الذى يعلو عن حدود المصلحة إلى ماهو أعمق وأهم ، وهى التى أكسبت مصر التجانس والوحدة ، وهى التى أعطتها القدرة على الانفتاح والتفتح ، فالشخصية المصرية تعيش إما فى تلاقح أو تناطح ، ولذا كان الانفتاح إيجابيا ، فكان لدى الشخصية المصرية الحرية الكاملة التى بها تستطيع أن تتفاعل وتتعامل مع كل الحضارات ، ولكنها لم تذب فيها ، بل ظلت شخصيتها هى الشخصية القوية » .

وهذه الخصائص والسمات الأصيلة للشخصية المصرية ، هى التى جعلتها تتقبل الإسلام ،بالرغم من وقوف الشخصية المصرية موقف العداء طوال تاريخها من كل حضارة أو لغة أجنبية يحملها أى دخيل ، إلا أنها تقبلت الإسلام واللغة العربية ، وتقبلت الفكرة الإسلامية ، وظهر أفذاذ من المصريين فى الفكر الإسلامى ، وقامت فيها حركة دينية واسعة النطاق ، ولا

(٢) راجع : الكتاب . الفصل الثامن .

غرو فقد أوجد الإسلام فى المصريين إحساسا بالذات بعد طول احتلال ، فوضعهم في قلب التاريخ مرة ثانية ، فكانت الفكرة الإسلامية موجهة لكافة مناشط حياتهم ، وكانت ملبية لشخصيتهم الأصيلة .

(٣)

وكانت هذه الفكرة الإسلامية ، بمعطياتها واعتمادها على الوسطية ، واستمدادها من الدين ، وأصالتها ، وتجانسها وتفتحها وانفتاحها أكثر توافقا مع الشخصية المصرية ، وكانت التربية أكبر معين حقيقى لتحقيق الفكرة الإسلامية فى الواقع المصرى ، وهى التى شكلت المصريين على أساس الإسلام ومعطياته ، من منطلقات تميزت بها التربية الإسلامية ، وكانت أكثر تجاوبا مع الشخصية بفضل هذه المنطلقات والملامح ، فهى :

١ــ تربية شاملة تتناول مختلف جوانب الشخصية الإنسانية وتهدف إلى تحقيق التوازن بين التكوين النفسى والروحى والعقلى والخلقى والعلمى والمهنى والفردى والاجتماعى [٣] .

٢ــ تربية تقوم على أساس بناء الفرد من داخل ذاته ، وتحمله المسئولية تجاه تكوين نفسه ، وتجعل من واجبات كل مسلم أن يعنى بتحقيق إنسانيته وحياته مكتملة ، كما تجعل هذا من واجبات المجتمع ، ومن ثم تفرض على المجتمع واجبات عليه أن يؤديها للأفراد فى سبيل تنمية الشخصية المتكاملةالمتوازنة [٤] .

٣ــ تربية تعنى بالفرد طوال حياته ومراحلها جميعا ، وهى بهذا تؤكد مبدأ التربية المستمرة والتعليم المستمر ، مع الإيمان بمبدأ الفروق الذاتية ،

---

(٣) راجع : الكتاب : الفصل الثالث .

(٤) راجع : الكتاب . الفصل الثالث .

وإعطائها مكانتها فى طريقة التعليم والمناهج ، وهى تحاول توجيه كل إنسان إلى ماهيىء له بحكم استعداداته وميوله [٥].

٤ــ تربية تؤمن بالتكامل بين الإعداد العلمى النظرى والإعداد المهنى ، مع احترامها للعمل ، ومن ثم كانت عنايتها بإتقان كل إنسان ما يصنع مع الإخلاص والأمانة والصدق [٦].

٥ــ تربية تؤمن بالأخلاق وبأهمية التربية الأخلاقية ، وبضرورة التوجيه الدينى والخلقى ،ويتخلل هذا كافة مكونات العملية التربوية ، ومن هنا كان إيمانها بالقدوة كأسلوب من أهم أساليب التربية [٧].

٦ــ تربية تؤمن بحرية الرأى والعقيدة ، وحرية العالم والمتعلّم ، ومن أهم وسائلها الإقناع والاقتناع وجدال الآخرين بالحكمة والحسنى ، مع ماتمتاز به من تكامل بين العقل والروح وبين الحكمة والشريعة[٨].

٧ــ تربية مفتوحة ، تمتد إلى كافة مؤسسات المجتمع، بحيث أخذت أشكالا متنوعة ومتعددة ، ويقوم بها الكبار والصغار على حد سواء ، وبهذا تفتح الفرصة والباب أمام تربية وتعليم الجميع ، وكل إنسان يعيش فى ظل المجتمع الإسلامى،ومن انفتاحها أنها تنفتح على الآخر ، وتأخذ خبرته وتستفيد منها[٩].

وقد استجابت هذه التربية مع خصائص ومميزات الشخصية المصرية الأصيلة ، بحيث جعلت منها أكبر مدافع عن الإسلام والمسلمين ، وقد

---

(٥) راجع : الكتاب : الفصل الثالث ، .

(٦) راجع : الكتاب : الفصل الثالث ،

(٧) راجع : الكتاب : الفصل الثالث ،

(٨) راجع : الكتاب : الفصل الثالث ،

(٩) راجع : الكتاب : الفصل الثالث .

تجلى هذا فى كثير من الأحيان وفي فترات التاريخ المختلفة ،وظهرت عبقرية الشخصية المصرية الإسلامية ، سواء في التأليف ، أو المعمار أو الفن والصناعة ،فقد جعلت التربية الإسلامية الشخصية المصرية قوة هائلة ، تملك مقومات الإنتاج الإنسانى المتكامل ،ولولا الظروف التى عانيت منها ووقعت تحت ضغطها ووطأتها لاستطاعت أن تدخل عصر الصناعةالآلية قبل أوربا ، خاصة بعد ريادتها للعالم الإسلامي كله فترة طويلة من الزمن .

(٤)

ومنذ هذه العملية ، أصبح عماد الشخصية الإسلامية المصرية ؛ الإسلام ، ونسيجها الفكرة الإسلامية ومعطياتها ، ولسانها هو العربية تعبيرا وإنتاجا فكريا ، وقد تحملت الكثير في سبيل الحفاظ على المسلمين جميعا ، فكان نصيبها في المعاناة أكثر ، فهي التي تحملت عبء رد الغزو الصليبى ، والغزو المغولي ، وكان قدرها أيضا أن تواجه أولي الغزوات الاستعمارية فى العصر الحديث ، فهى التى واجهت الحملة الفرنسية ، وهى التي تحملت عبء ردها ، رغم تفككها وضعفهاالذي دخلت به العصر الحديث .

إلا أنها عانت أيضا آثار الحملة الفرنسية ، فقد كان للحملة الفرنسية آثار إيجابية وأخرى سلبية ، أما الإيجابية ، فتمثلت فى أنها جعلت الشخصية المصرية الإسلامية تفيق إلي ذاتها وأصالتها ،وتحاول أن تستنفر إمكانياتها الذاتية [١٠] ، وفى نفس الوقت عانت من الآثار السلبية ، التي تمثلت في الحملات الأوربية الشرسة التي حاولت استغلالها واستنفادها ومحو أصالتها ، والمهم أن بعضا من المصريين ساعد في هذا ، وتولته السلطات الاستعمارية الأوربية برعايتها وعنايتهاوتشجيعها [١١] .

(١٠) راجع : الكتاب : الفصل الرابع .

(١١) راجع : الكتاب : الفصل الخامس .

وقد ولد هذا وساعد عليه ،الإحساس بالفجوة الحضارية الهائلة بين ماعليه مصر وما عليه الحضارة الغربية الحديثة الفتية الدافقةبالحيوية والنشاط ، مما ولد إشكالية حضارية وسؤالا ملحا ، هو كيف يمكن اللحاق بالغرب ؟ وانقسم المفكرون فى هذا الشأن ، فمنهم من تحرر من الثقافة الإسلامية بالصبغة الأوربية فكرا وسلوكا . ومنهم من كان غير هذا[١٢] .

وكان للفريق التغريبى الذى حاول صبغ الحياة المصرية بالصبغة الغربية أثره البالغ فى حين أن التجربة تثبت أن النقل والاقتباس الحرفى لتجربة أمة أو فكرتها لايوافق الأمة المنقول إليها ، فإن هذا الفكر لايساعد إلا على الإحساس والشعور بالدونية وفقدان الذات ، مما يكون له تأثيره السلبى على مستوى الفرد والجماعة .

وقد ساعد هذا النقل والاقتباس الكامل (التغريب) على تأكيد الجوانب السلبية والضعيفة فى الشخصية المصرية ، نظرا لعدم تلبيته لحاجاتها وسماتها الأصيلة ، مما أكد هذه الصفات والجوانب السلبية ، بل وأوقعها فى التناقض والصراع الفكرى والاختلال فى المفاهيم ، إلى جانب اللفظيةالمفرطة ، والاهتمام بالفكر أكثر من العمل ، مع إذكاء البيروقراطية والمركزية ، وساعد على هذا ذلك الضعف المشهود فى النزعة الدينية ، وافتقاد القيم الحقيقية ، مع ما صاحبه من سلبية وتواكل ونفاق وغش وتدليس وغير ذلك [١٣] .

ذلك أن الاتجاه الفكرى فى التربية ـــ القائمة على أمر تنشئة الإنسان ـــ قد رمى بنفسه فى أحضان الفكر الغربى ، وهو فكر له ظروفه ومؤثراته ، التى تتشابه أو تختلف مع الفكر المصرى والشخصية المصرية

---

(١٢) راجع الكتاب : الفصل الرابع .

(١٣) راجع الكتاب : الفصل الثامن .

الإسلامية [١٤] ، وقد أدى هذا إلى الاستلاب الفكرى وقتل القدرة الذاتية على الإبداع والعطاء ، وبالتالى ضمن الاستعمار تبعية هذا الفكر له ، وتوظيف طاقته المادية والبشرية والفكرية فى خدمة أهدافه البعيدة عن بناء مجتمع إنسانى نام ، متعاون يخدم الإنسان المصرى وقيمه الأصيلة .

وقد باعدت هذه التربية ، وهذا الفكر التربوى بين الخصائص الأصيلة للشخصية المصرية ومقوماتها ، إذ أنه بالرغم من اهتمامه بقيمة التربية ، فإنه نظر إليها من خلال نظرته للتقدم ، الذى اعتبرأساسه على المنهج الغربى ولذلك كان إيمانهم بها منطلقا من منطلق العلمانية ، واختلفت وجهات النظر ، ففريق يؤمن بقيمتها على أنها كمال العقل وإحراز التفوق العقلى ، وفريق يؤمن بها على أنها كمال مادى وإحراز للتفوق المادى ، وفى كلتا الحالتين فإنها يجب أن تؤهل الإنسان لإحراز السيطرة المادية باعتبار أن الإنسان مركز الكون [١٥] ، وهذا مخالف لطبيعة الشخصية المصرية ، الوسطية المتدينة ، التى لا تعرف التطرف إلى العقل أو إلى المادة ، بل تواسط بينهما ، وذلك من منظور دينى بحت .

وباعدت هذه التربية أيضا بين الشخصية الأصيلة ومقوماتها عن طريق الاقتباس المفرط ، دون مراعاة الخصائص الجوهرية للشخصية المصرية ، فكان الاقتباس لكل جديد دون مراعاة للقديم ، والدعوة لتعليم على النمط الغربى تماما ، أهدافا ومناهج ووسائل ، وكان لهذا أثره البالغ فى الابتعاد عن الخصائص الجوهرية ، من أصالة وانفتاح ، فالشخصية المصرية لم تعرف الذوبان مطلقا فى أى حضارة من الحضارات أو فى فكر من الأفكار [١٦]

---

(١٤) راجع الكتاب : الفصل الثامن ، وقارنه بالفصل الأول والرابع والخامس .

(١٥) راجع الكتاب : الفصل السابع ، والفصل الخامس

(١٦) راجع الكتاب : الفصل السابع ، والفصل الثامن ،

وبهذا لم يستطع هذا الفكر التغريبى ، وهذه التربية التغريبية أن تأخذ بيد المجتمع المصرى من وهدة التخلف ، ولم يستطع أن يساعده على قطع مسافة التخلف والوصول إلى مدارج التقدم والرقى ، لأنه لم يستطع أن يستنفر الإمكانيات الذاتية للشخصية المصرية ، وبالتالى لم يستطع أن يقدم حلولا جذرية لمشكلات المجتمع المصرى ، بل وظهرت مشكلات أكثر حدة ، فهو يضيق على نفسه مجال الاجتهاد والاختيار بمقتضى مسلمة فكرية حتمية هى أن الموجود من التربية ومناهجها وفلسفتها الغربية ، هو مايمكن أن يوجد ويطبق ، ومن هنا بدأ تعثره بصعوبات تنشأ من طبيعة موقفه ، فإذا به يجد نفسه أمام مشكلات مذهبية ، أو على الأقل أخلاقية تضيف إلى متاعبه ومتاعب المجتمع مشكلات جديدة[١٧] وتفاقمت المشكلة الاقتصادية ، وظهرت مشكلات دينية ، ومشكلات تعليمية وهى ـــ فى نظرى ـــ أبرز هذه المشكلات ، فالتربية والنظام التعليمى يعانى من مشكلات التخلف، وكل ذلك يعود أساسا إلى البعد عن التراث الوطنى فى معالجة مشكلات التربية[١٨]

فهذا الفكر المتغرب مع اجتهاده ، ومحاولاته من أجل الأخذ بيد المجتمع المصرى من وهدة التخلف ، إلا أنه نظرا لبعده الكلى أو الجزئى عن الخصائص الجوهرية الأصيلة للشخصية المصرية الإسلامية لم يستطع أن يلبى حاجاتها الأصيلة ، مع عجزه عن تحقيق التقدم للمجتمع الإنسانى المصرى ـــ وذلك لاعتماده على النظرة الغربية للإنسان ، ولاشك أن مميزات الشخصية الغربية وثقافتها تختلف عن الشخصية المصرية وخصائصها الأصيلة ، واعتماده على مصادر الفكرة الغربية دون اعتماده على مصادر الفكرة الإسلامية التى شكلت الشخصية المصرية ، مماأدى فى معظم

(١٧) راجع الكتاب : الفصل السابع .

(١٨) راجع الكتاب : الفصل السابع .

الأحيان إلى التناقض والعجز من قبل الشخصية المصرية عن الانسجام والتوافق [١٩]

وقد أدَّى هذا إلى مجموعة من الآثار التى انعكست فى النظام التربوى المصرى هى فى مجموعها تدل على التناقض الواضح بين مافرضه هؤلاء المتغربون وبين المطلوب فى النظام التعليمى الذى ينبغى أن ينبثق من داخل المجتمع وفلسفته وسمات شخصيته الأصيلة [٢٠]

(٥)

وتجاه القطيعة الكاملة أو الجزئية للتراث والشخصية المصرية الإسلامية ، كان الفكر الإسلامى المستوعب لخصائص الشخصية المصرية والتراث العربى الإسلامى ، هو المعبر الحقيقى عن هذه الشخصية ، وكانت مصادره هى نفس المصادر التى بنيت الشخصية المصرية على أساسها ، ومن هنا كان رأيه فى التقدم ، الذى يجب أن ينبثق من داخل الأمة وقدراتها وإيجابياتها ، ولكنه لم ينفصل عن التجارب الأخرى وفكر الآخر ، فقد استمد واقتبس ، ولكن فى ضوء الأصالة التى تميز الشخصية المصرية الإسلامية العربية [٢١]

واعتمد على مركز الإنسان وطبيعته ، وحدد أهداف التربية على أساسها من خلال الفكر الاجتهادى الأصيل المعتمد على الفكرة الإسلامية ، ومن هنا كان هدفه الأساسى هو الإنسان المتكامل المتوازن ،الذى لايفرط

---

(١٩) راجع الكتاب : الفصل السابع ،

(٢٠) راجع الكتاب : الفصل الخامس

(٢١) راجع الكتاب : الفصل السادس ،

فى المادة ، ولايفرط فى الروح أو العقل [٢٢] . والاعتماد على القيم الأخلاقية ،وبهذا يضمن تقدم الإنسان وسعادته وكماله .

وكان يمكن لهذا الاتجاه الفكرى أن يكون له التأثير لولا صولة الفكر التغريبي وتبني السلطات الاستعمارية له ، وأيضا تأثيره الكبير على وسائل الإعلام والسلطات ، والقيادات ، ومن ثم كان تأثير الاتجاه الإسلامى ضعيفا في حين أنه هو الفكر الأمثل لتحقيق الوحدة الفكرية والتجانس بين أفراد الأمة جميعا ، على أساس أن الثقافة العربية الإسلامية تعتبر إرثا مشتركا بين المسلمين وسواهم ممن أسهموا فى بناء هذه الثقافة وتأثروا بها وتمثلوها .

(٦)

وأمام كل هذا ، أصبح من المقرر اليوم أن مصر تواجه '' أزمة حقيقية في التعليم '' [٢٣] وإن كانت تشارك دول العالم كله فى هذه الأزمة ، إلا أنها تختلف عن غيرها ، ورغم الاختلاف فى تحليل الظاهرة وتعليل أسبابها ، فإن مظاهر تلك الأزمة تتمثل فيما يلى :

١ــ عدم وجود فلسفة تربوية واضحة المعالم :

وقد كان هذا نتيجة للتمزق الذى عاشته البلاد منذ احتكاكها بالحضارة الغربية ، وبعد حصولها على الاستقلال ، فسياسة التعليم غير ثابتة ، والتعليم يرتبط بالسياسة المتغيرة ، مما جعل التغيير فى التعليم يتم من أجل التغيير ، بغض النظر عن مدى ملاءمته للوطن والمواطن ، فى حين أن التعليم والتربية يجب أن يستندا على فلسفة واضحة المعالم ، تستمد من

---

(٢٢) راجع الكتاب : الفصل السادس ،

(٢٣) د : مصطفى كمال حلمى :'' حركة التعليم فى مصر بين الماضى والحاضر والمستقبل '' ــ الكتاب السنوى فى التربية ــ وعلم النفس ــ المجلد الثالث (مرجع سابق) ، ص ٢٣١ .

فلسفة الحياة ، ومن تراث المجتمع والإنسانية وقيمها ومثلها العليا وتطلعاتها ، بحيث ينعكس هذا فى الأهداف والمناهج والأساليب والطرق والمعايير .

وقد رأينا أن التربية منذ بداية العصور الحديثة ارتبطت بفلسفة غير فلسفة المجتمع ، وأصبحت تدور فى إطار واحد من أطر تنمية الشخصية الإنسانية ، مما أدى إلى افتقاد الفلسفة التربوية الكاملة ، ونتج عنه ازدواجات فى التعليم والشخصية [٢٤] .

٢ــ العجز عن مسايرة التطورات الاجتماعية والعلمية :

وكان هذا نتيجة انعزال التربية عن المجتمع وفلسفته وأهدافه ، وهو أثر من آثار التغريب فى التعليم والتربية فى مصر ، ومع التطورات الغلمية والتكنولوجية السريعة ، والتراكم الكمى الهائل فى المعرفة ، ومع الحاجة إلى أطرفنية وكوادر قادرة على تحقيق التنمية فى المجتمع المصرى المعاصر ، فإننا نلاحظ أن تطور النظام التعليمى بطىء جدا ، ممايعيق تقبله للتغيرات السريعة فى المجتمع المعاصر ، إلى جانب العوائق المادية ، وذلك لأن الوظيفة الاجتماعية للتربية معقدة غاية التعقيد ، فهى ونظامها التعليمى خاضعان للمجتمع وتقاليده وقيمه وإمكانياته ، ومن ثم تعتبر المسئول الأول عن تقدمه أو انتكاسه ، والفيصل فى ذلك هو فلسفة المجتمع وفلسفة التربية ، فإذا ما كانت سليمة لاتهزها بلبلة الأفكار ولا مناورات المفاهيم كانت قادرة على إحراز التقدم ، وما لم يكن النظام التربوى نابعا من فلسفة المجتمع ابتلى بالعجز عن مسايرة التطورات الاجتماعية والعلمية بل يصبح غير مهىء لها ، مما يصيبه بالعجز والشلل والقعود ، وفى هذا الضوء ، فإننا نرى أن النظام التعليمى فى مصر فى الأصل مستورد ، شكلا ومحتوى ، وبالتالى فهو متعثر فى ملاحقة التطورات العلمية والمعرفية [٢٥] .

---

(٢٤) راجع : د . عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية (مرجع سابق) ، ص ٤٦١ ومابعدها . د . زغلول راغب النجار : أزمة التعليم (مرجع سابق) ،ص ١٥٣، ١٥٤ .

(٢٥) راجع : د . مصطفى كمال حلمى (مرجع سابق) ،ص ٢٥٠ ــ ٢٥٢ ، د . زغلول راغب

وأبسط مثال على ذلك أن هناك فجوة بين الطلب على التعليم وبين قدرة أجهزته الحالية على الاستجابة للمطالب المتزايدة ، فالنظام التعليمى فى مصر مازال عاجزا عن استيعاب الملزمين ،فحركة التعليم فى مصر لم تساير معدلات نمو السكان مماأدّى إلى ازدياد عدد الأميين زيادة مطردة فبعد أن كان عددهم فى مصر ١٩٣٧ يقدر بنحو ٩,٨٨٥,٣٠٠ مواطن من بين من تقع أعمارهم بين ١٠ سنوات فأكثر ، أصبحوا فى تعداد ١٩٦٦ حوالى ١٣,٦٢,٠٠٠ مواطن ومواطنة [٢٦].

وبالنسبة للإلزام فإن التعليم الابتدائى يضم حوالى ٤,٣ مليون تلميذ بنسبة حوالى ٧٥ ٪ من الشريحة العمرية ٦ ـــ ١٢ [٢٧] .

هذا إلى عدم التوازن بين ناتج التعليم وبين احتياجات الاقتصاد القومى من القوى العاملة ،ويؤكد هذا ضخامة العجز القائم فى الفنيين والعمال المهرة ، ومتوسطي المهارة ، والفائض الموجود فى خريجى بعض الكليات النظرية مقابل عجز فى بعض التخصصات الأخرى [٢٨] . وعلى كل حال فإن حركة التعليم ، مازالت عاجزة عن ملاحقة التطور الاجتماعى السكانى ، فضلا عن عجزها عن ملاحقة التطور العلمى والتكنولوجى والمعرفى .

٣ ـــ غلبة اللفظية والجانب النظرى :

وبرغم الاهتمام بالتعليم الفنى وتطوره ، إلا أن النظام التعليمى مازال

= النجار (مرجع سابق) ، ص ١٥٤ .

(٢٦) تقرير عن محو الأمية وتعليم الكبار ـــ خطط ودراسات المجالس القومية المتخصصة ـــ يوليو ١٩٧٧ ، ص ٤٥ .

(٢٧) ورقة عمل حول تطوير وتحديث التعليم فى مصر ـــ وزارة التربية والتعليم ـــ مكتب الوزير ـــ القاهرة فى ـــ سبتمبر ـــ١٩٧٩ ، ص ٦ .

(٢٨) د . إبراهيم عصمت مطاوع : أصول التربية (مرجع سابق) ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

يهتم بتزكية العقل دون تنمية بقية جوانب الشخصية ؛ ويقتصر دور العملية التعليمية على نقل المعلومات والتدريب على بعض المهارات ، وتضاءل الاهتمام بالتربية الجسدية ، والتربية الأخلاقية والروحية والوجدانية ، وأصبح الاهتمام منصبا على التعليم النظرى أكثر من التعليم العملى ، وعلى العقلنة دون غيرها ، وقد كان هذا تراكمات مختلفة لتاريخ طويل من الاقتباس ، ومن هنا تغليب اللفظية على مخرجات النظام دون الإبداع والابتكار .

هذا إلى انعدام التوازن بين التعليم العام والفنى ، والنظرى والتجريبى ، والكم والكيف ،وانعدمت النظرة التكاملية إلى مراحل التعليم ، فكل مرحلة تعالج مشاكلها على حدة ، وفى حدودها الخاصة ، دون ارتباط واضح أو ربط كاف بالمراحل السابقة أو اللاحقة ،الأمر الذى أدى إلى انعدام التوازن والتجانس ، بين شتى المراحل ، وبالتالى غلبة الطابع النظرى على الطابع العملى [٢٩] .

ونتيجة لهذه النظرة تتجه نسبة كبيرة إلى التعليم العام (حوالى ٥٥ ٪) فى حين تتجه النسبة الأقل إلى التعليم المهنى والفنى (حوالى ٢٤ ٪) على الرغم من أن التعليم الفنى والمهنى هو أساس قيام الاقتصاد القومى ، ولايمكن أن يتم إلا بتوفر الفنيين والعمال المهرة ومتوسطى المهارة [٣٠] .

وقد أدى هذا إلى التكتل البشرى داخل الجامعات ، وزيادة نسبة الحاصلين على الليسانس والبكالوريوس فى مختلف الفروع بوفرة ، ولا تجد

(٢٩) د . إبراهيم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العالى (مرجع سابق) ، ص ٤١٨ .

(٣٠) المرجع السابق ، ص ٤١٩ .

لها مكانا فى خطط التنمية ، أو برنامج التنمية ، وبالتالى تنظر إلى الهجرة الدائمة أو المؤقتة دون الاستفادة من إمكانياتهم وقدراتهم [٣١] .

وقد أدى هذا ـــ أيضا ـــ إلى التمييز بين الناس بغير حق ، وضاعف من حدة التكتلات الاجتماعية وأدى إلى حرمان بعض الأفراد من متابعة الدراسة حسب ميولهم واستعداداتهم ، ودفع بالبعض إلى مجالات لارغبة لهم فيها ، وبالتالى زيادة نسبة الفاشلين ، وحرمان المجتمع من مهارات وقدرات كان من الممكن أن تنبغ لو وجهت بطريقة سليمة[٣٢] .

٤ ـــ اقتصار هدف التعليم على الحصول على الشهادة :

كان لغياب النظرية التربوية وأهدافها المتكاملة ، ولغياب الدور التربوى للنظام التعليمى ، والاهتمام بالحفظ والتلقين أن أصبح غالبية الطلاب يهدفون أساسا الحصول على الشهادة ، لارتباطها بالوظيفة والوضع الاجتماعى المرموق ، وأصبحت الشهادة الأولى أو الشهادة الجامعية أو الدرجة العلمية غايات بدلا من أن تكون وسائل لغايات ، وأصبح العلم لا يساوى إلا الذهاب إلى المدرسة أو الجامعة ، واكتساب المهارة يساوى تعلم المهنة ، والسلطة تساوى التسلط ، ولعل ذلك راجع إلى : افتقار المناهج إلى الترابط والتناسق فيما بينها ، وهى بهذا الشكل تضغط ذهن الطالب الذى يتعرض لها فى سلبية وذهول ، ومن ثم يتعرض للتفتت المستمر ، والتجزئة ، والفصل بين المعلومات ، ويمتد هذا من الدراسة إلى ما بعدها ، وأيضا عدم الاهتمام بالملكات وتنميتها ، وكذلك الفصل بين العلوم الإنسانية والمواد العلمية ، مما أدى إلى انحسار ملحوظ فى الإقبال على الدراسات الإنسانية ،

---

(٣١) راجع د . محمد ربيع : هجرة الكفايات العلمية ـــ جامعة الكويت ـــ ١٩٧٣ ، ص ٩٣ وما بعدها .
(٣٢) د . زغلول راغب النجار (مرجع سابق) ، ص ١٦١ .

ثمّ إلى الانحطاط فى مناهج هذه الدراسات وأساليبها[٣٣] . كل هذا أدى إلى أن يقر فى ذهن الطالب أن يخلص من دراسته وكفى ، والمهم هو الحصول على الشهادة بأى ثمن ، أو بمعنى آخر الشهادة وبعدها الطوفان .

كانت هذه نماذج من معالم أزمة التعليم ، التى أدت إلى انفصال التعليم عن المجتمع ، مع ما يعانى المجتمع منه مثل قلة الكفاءة ، والارتجال فى التوسع فى التعليم فى الأحيان الكثيرة " وعدم تكييف التعليم لخصائص المجتمع الديموجرافية ، أو لظروفه الاقتصادية ومرحلة نموه الحضارى " بحيث بات التعليم " يعانى فقرا فى الأبنية والأثاث والتجهيزات والكفايات البشرية من المعلمين والإداريين ، وهزالا فى محتوى المنهج وطول اليوم المدرسى ، وعجزا بوسائله عن بلوغ الأهداف التى سطرت على الورق ، وانعكس هذا كله على مستوى خريجيه وكفايتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى الحياة "[٣٤] .

(٧)

أمام كل هذا وأمام حركة التغريب والعوامل التى أسهمت فى ابتعاد الفكر التربوى الإسلامى عن مجال التأثير والتوجيه فإننا نجد أن جهود التغريب مازالت مستمرة ، سواء من قبل المستشرقين أو المبشرين ، أو تلاميذهم ، فنجد " مخططا على تراث الأمة العربية الإسلامية ، حتى استطاع المهاجمون أن يجعلوا جمهورا من المتعلمين والطلبة يؤمنون بأن التراث العربى ، يمثل إحدى المشاكل التى تعرقل تقدم الأمة العربية ، وأخذ

---

(٣٣) المرجع السابق ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٣٤) د . محمد الهادى عفيفى وآخرون : " نحو استراتيجة جديدة للتربية فى البلاد العربية " . المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب ـ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ صنعاء ـ ٢٣ ـ ٢٨ / ١٢ ١٩٧٢ ، ص ٢٥٩ .

هذا الهجوم يتسع شيئا فشيئا ، ويمتد من الصحافة إلى المحاضرات ، ومن الكتب إلى حلقات الدروس فى المدارس الثانوية والكليات " ومع مرور الأيام كبر هذا الوهم وأصبح تراثنا " فى نظر مئات الآلاف من تلاميذنا فى الثانويات ، وطلبتنا فى المعاهد والكليات " وشعبنا المستلب المستغرب " ليس فقط مشكلة يجب التخلص منها ، وإنما تمتلىء نفوسهم بالحقد والكراهية له ، ومن جهل شيئا عاداه ، بعد أن تجسدت فيه الخطيئة ونسب إليه الجمود والتخلف "[٣٥] .

ومن ثم ابتعد عن مجال التوجيه التربوى ، بحيث أصبحنا نرى أن نظام التعليم رغم غربته الواضحة ، ورغم ازدواجيته لا يضم إلا أعدادا ضئيلة من الطلبة الذين يهتمون بدراسة التراث العربى الإسلامى ، الذى يحتوى فى داخله خصائص الشخصية المصرية الإسلامية ، ويستجيب معها ، ومواد اللغة والثقافة العربية الإسلامية فى التعليم الثانوى والعالى اختصرت كما وكيفا ، فلم يعد الحاصل على الشهادة الثانوية يستطيع أن يكتب بضعة أسطر دون أخطاء إملائية أو لغوية أو نحوية ، أما المواد الإسلامية فقد جمعت كلها فى حصة واحدة هى (التربية الإسلامية) لا تتجاوز أكثر من ٤٥ دقيقة فى الأسبوع ، ومع ذلك فهى مستبعدة من الامتحانات العامة ، ومن ثم لا تحظى باهتمام المعلمين ولا التلاميذ .

ومادة الفلسفة جردت ــ تقريبا ــ من الفلسفة الإسلامية ، والاهتمام بها قليل ، ولذا نجد حاملى الشهادة الثانوية ، لا يكادون يعرفون شيئا عن الفارابى وابن سينا ، وابن رشد والكندى والغزالى ، وابن تيمية ، والحسن البصرى والجوينى وغيرهم إلا قليلا ، فضلا عن عدم معرفتهم بأسس الفلسفة الإسلامية .

---

(٣٥) ادريس الكتانى : لماذا الهجوم على ماضى الأمة العربية وتراثها ؟ ــ مجلة العربى ــ العدد (٢٣٤) ــ الكويت ــ جماد الأولى ١٣٩٨ هـ ــ مايو (آبار) ١٩٧٨ ، ص ٩٠ .

بل إن الأمر يتعدى هذا إلى المعلمين فى الجامعات ، فالمعلم فى الجامعة '' يجتهد لإخراج ثلاثة فرقاء من طلابهم ، فريق النزوح للعمل فى أى مكان ، يجدون فيه فرصة العمل ، وفريق للبطالة الحقيقية أو المقنعة ، وفريق ثالث للبصم فى أعمال روتينية لا تحتاج إلى وقت طويل ، كالذى قضوه على قاعدة التعليم ، وينقص هذه الأطراف الثلاثة المحتوى الحقيقى للتعليم العالى ، كما يجب أن يكون فى مجتمعات نامية ، كمجتمعاتنا ، يقع على جامعاتها العبء الأكبر فى التطوير الاجتماعى ''(٣٦) .

وعموما فإن النظام التربوى المصرى يكاد يفشل فى تخريج جيل مصرى مسلم ، والسبب فى ذلك هو صبغ التربية المصرية بالصبغة الغربية ، أهدافا ونظاما وطرقا ، مما أدى إلى إهمال الفلسفة التربوية الإسلامية الصحيحة التى هى فى الحقيقة العمود الفقرى للشخصية المصرية وتكوينها ، ومن هنا ، وعلى أساس هذه الاعتبارات ، فإننا نضع هذه المحددات والملامح فى سبيل تربية مصرية عربية معاصرة :

١ ـــ ينبغى أن تقوم التربية فى مصر على أساس إسلامى يستمد أسسه من روح التربية الإسلامية ، كما وردت فى كتاب الله وسنة الرسول ، والأصول الإسلامية الصحيحة ، بحيث يستجيب لحاجات التربية فى مصر والشخصية المصرية العربية بخصائصها الأصيلة ، وانفتاحها على خبرات العالم والفكر التربوى الإنسانى ، وما يتوافر فيه من اتجاهات ونتائج لا تتعارض مع تلك الأصول .

٢ ـــ من الضرورى والواجب القيام بجهد علمى جاد ومتواصل من أجل إظهار معالم فلسفتنا التربوية ، وإظهار معالم النظام التربوى المصرى الذى يلبى حاجات الشخصية المصرية من وسطية وتدين وأصالة ، وتوضيح

---

(٣٦) د . محمد الرميحى : '' من مشكلات الثقافة العربية '' ـــ مجلة العربى ـــ (المرجع السابق) ، ص / .

منطلقات هذا النظام ومناهجه وطرقه ، ووضعها موضع التطبيق والعمل ، بحيث يتكون من هذا كله درع حصين يحمى الأجيال الإسلامية من مخاطر التغريب ، ويحفظ هويتها الذاتية وثقافتها الإسلامية الأصيلة ، بحيث يكون هذا النظام القائم على فلسفة التربية الإسلامية قادرا على بناء المجتمع الإسلامى بأيدى أبنائه وطاقاتهم .

٣ ـــ والفلسفة التربوية وفلسفة النظام يجب أن تعالج فكريا على طريقة معينة تكفل أصالتها ، إذ أنها يجب أن تعالج :

ـــ كجزء من الفلسفة العامة وفلسفة الحياة فى المجتمع المصرى الإسلامى ، بحيث تكون جزءا من حركته التى يتحرك إلى الأمام بها نحو أهداف تحددها فلسفة الحياة .

ـــ بطريقة شمولية تكاملية ، تتناول الإنسان ككل ، وتشمل الإنسان باعتباره فردا فى جماعة ، وتشمل التربية النظامية وغير النظامية ، وتراعى التكامل الذى تمتاز به الشخصية المصرية .

ـــ بحيث تراعي ظروف الإنسان المصرى والمجتمع وإمكانياته ، وتترجم عن التحديات والطموحات والآمال التي يسعَي الإنسان المصرى والشعب المصري إلي بلوغها .

ـــ بحيث تراعى سمات العصر وخصائصه ، إذيجب أن تعالج من خلال الأصول الثابتة أولا ، ثم التراث العربي الإسلامي مما يصلح منه ثانيا ، هذا إلي جانب الاجتهاد العقلى فى الفكر الإسلامي فى العصر الحديث ، ثم تأتي الاستعانة بالخبرات التربوية فى العالم كله .

٤ ـــ ضرورة ابتكار أنماط فكرية تربوية جديدة ، بحيث تحقق استقلال الفلسفة التربوية للنظام التعليمي ، وإعطائه سماته ومميزاته المصرية العربية الإسلامية ، بحيث تعكس ـــ مثلا ـــ الأيديولوجيا الحقيقية للمجتمع المصري ، وبهذا نضمن مصرية وعربية وإسلامية النظام التعليمي ، فينطلق

إلى الغد المأمول ، كما تتحقق الأهداف والغايات المنشودة .

٥ ـــ وهنا يجب التخلي عن فرضية أن القيم السائدة فى المجتمع هى قيم تخلف بالية ، تشكل عقبات فى سبيل التنمية، وهذا يوجب ضرورة تحليل القيم السائدة وتعميقها بغية الحفاظ علَي ما يمكن أن يكون مجديا ومفيدا للتجدد الذاتى ، ولا يتنافى مع المعطيات الأساسية للشخصية المصرية ، ومعنَي هذا مواجهة فكرية فيما يتصل بحرية النظام التعليمي وعلاقته بالسلطة ، ودور الثقافة المصرية من أجل تحقيق الوحدة الفكرية بين المتعلمين ، بل بين أفراد الأمة المصرية .

٦ ـــ وينبغي توجيه دراسة أصول التربية فى كليات التربيـة ومعاهد إعداد المعلمين إلَي دراسة التربية الإسلامية من مصادرها الأصيلة ، وذلك حتَّي يمكن أن نضمن أصالة العمل التربوي وفكره ، وذلك من خلال دراسة التربية الإسلامية ، ودراسة الشخصية الإسلامية من خلال خصائصها الأصيلة ومقوماتها المتميزة الفريدة .

(٨)

وأمام التحدي الحضارى المعاصر من قبل الحضارة الغربية المعاصرة التى تتحدَّي بوسائلها ومنجزاتها ؛ الإنسان المصرى ، فإنه لا سبيل إلَي الانغلاق أو الانعزال ، ولابد لنا من سبيل لأن نستعيد المنزلة الريادية التي كانت لنا فى مجال الإبداع الحضارى ، ولأن '' نتربَّى تربية إبداعية ، ولأن ننمو نموا إبداعيا[٣٧] '' ، ليس هو الأسلوب التغريبي ـــ طبعا ـــ وإنما هو أسلوب وطريق ذاتي ، نابع من ذاتنا وأصالتنا ، لأن الأسلوب التغريبي أدي إلى أن التربية المعاصرة ، لاهي ذاتية أصيلة ، متفتحة ، ولا هى مبدعة

(٣٧) د . حسن صعب : تحديث العقل العربى (دراسات حول الثورة الثقافية اللازمة للتقدم العربى فى العصر الحديث) ـــ ط ٢ ـــ دار العلم للملايين ـــ بيروت ـــ ١٩٧٢ ، ص ١٧٠ .

مبتكرة ، فهى تربى أجيالا مقلدة لا مبدعة .

وإذا كان العالم اليوم تجتاحه ثورة شاملة ، في كل نواحي الحياة ، سواء فى سرعة التقدم والمحصول العلمي والتكنولوجي ، أوفي المطالب والمطامح ، أو في سرعة التغير وشموله ، مع تزايد خطورة المبتكرات العلمية والتكنولوجية وغير ذلك من شواهد التغير والثورة[٣٨] ، فإنه في نفس الوقت يعاني من '' انشطارات جسيمة ، وفجوات واسعة ، فجوات بين رجال الفكر ورجال العمل ، وبين رجال العلم ورجال الدين ، وبين الموسرين والفقراء ، وبين الدول المتقدمة والغنية ، والدول الناهضة والفقيرة ، وبين الدول التي تؤمن بالنهوض والنمو عن طريق التثقيف والتنوير ، والحكومات التي تؤمن بالسيطرة والعنف ، واستعمال القوة والبطش . إن هذه الانشطارات وهذه الفجوات وما ينتج عنها من اضطرابات واندفاعات هياجية ، وديماجوجية ، يجعل الحياة المعاصرة (التي كان يؤمل أن تكون زاهية على الأغلب) كدرة قلقة[٣٩] '' . وذلك بما تعانيه الإنسانية اليوم من فوارق اقتصادية هائلة [٤٠] إلى جانب مشكلات أخرى كثيرة ، منها تلوث البيئة وتضاؤل الريف وتضخم المدن ، وتزايد الانحراف والعنف والإجزام[٤١] . ومشكلة أزمة الضمير والأخلاق ، ومشكلة الحرية المطلقة وغير ذلك .

وإزاء هذا يمكن القول إن النموذج الحضارى الغربى قد وصل إلى طريق مسدود ، وهو شبه عاجز ــ إن لم يكن عاجزا ــ عن بناء الإنسان

(٣٨) راجع : د . قسطنطين زريق : نحن والمستقبل ــ طبعة أولى ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٧٧ ، ص ١٠٥ ــ ١٣٦ .

(٣٩) د . محمد فاضل الجمالي : تربية الانسان الجديد (مرجع سابق) ، ص ٢٨٠ .

(٤٠) راجع : د . قسطنطين زريق : المرجع الأسبق ، ص ١٤٢ ــ ١٥١ .

(٤١) المرجع السابق ، ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

وبناء مجتمع جدير بالإنسان ، فهناك الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية والنفسية التى يعانى منها هذا النموذج الحضارى ، والتى تناولتها أقلام الغربيين أنفسهم مثل كولن ولسن وأشفيتسر ، وإشبنجلر وغيرهم ، وفشل هذا النموذج فى علاج أمراضه ومشكلاته ، هذا إلى جانب تلك الهوة الحديثة القائمة بين العالم المتقدم والعالم النامى ، وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى فشل النموذج الغربى فى نظامه التعليمى وفلسفته التربوية عن تحقيق التوازن اللازم بين قوى الإنسان وبين التطور العلمى والمعرفى والتكنولوجى وبين التطور الإنسانى الروحى ، بحيث جعل الإنسانية أكثر تقدما فى الظاهر دون أن يجعلها أكثر إنسانية وسعادة ، ونأى الإنسان عن رسالته الحقيقية من تسخير للكون لخدمة الإنسان ، ولتحقيق مزيد من إنسانيته وتقدمه ، وأصبح التعليم المعاصر يسيطر عليه إلى درجة كبيرة هذا المفهوم الذى يكون غالبا ضمنيا ، وهو أن الطبيعة عدو ، وسرعان ما يتعلم الإنسان أنه سيد نفسه وسيد هذه الأرض ، وأن الطبيعة التى هزمت أجداده ، هى الآن أسيرة له ، وهو لا يتعلم على وجه العموم حبها واحترامها ، وإنما يعتبر السيطرة عليها واجبا وحقا فحسب ، وعندما يطرد نمو هذا الاعتقاد يصبح دعوة إلى تدمير الطبيعة ، والثمرة النهائية لذلك ، هى تدمير الإنسان وحضارته ، مما لا يمكن وجوده منفصلا عن بيئة طبيعية تقوم عليها ، والتعليم الذى يقوم على الفكرة المعارضة للطبيعة ، يبدو أنه مملوء بأعظم الأخطار المهددة لأمن الحياة الإنسانية نفسها وتقدمها "(٤٢) .

وعموما فإنه مع تقدم الغرب ، وجدت مشاكل ، وهى تشمل كل شعوب الأرض ، كبيرها وصغيرها ، غنيها ومتخلفها ، وإذن فلابد من وعيها ومجابهتها .

---

(٤٢) فيليب فيكس : فلسفة التربية ـ (ترجمة د . محمد لبيب النجيحى) ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ ، ص ٢٩٩ .

وإذا كنا أمام التحدى الحضارى ، بما يشمله من تحدى البقاء أو الاندثار ، وتحدى الصحة والكرامة ، إنه تحد خطير لنا ، يتحدى هويتنا وذاتيتنا ، ويجابهها بسؤال : ما موقعنا من محيط الحياة الإنسانية الواسع ومن مجراها الدافق ؟ إن تحديد هويتنا الحضارية يتطلب جهدا دائبا ، ودور التربية هنا كبير ضخم ، ومن هنا فإننا أمام هذا وإلى جانب المحددات السابقة لابد أن نعى جيدا ذلك التحدى الحضارى على أن تعمل التربية على مواجهته لا مطاوعته ، وهذا يحدو بها ويوجب عليها :

١ ــ الانفتاح الكامل على كافة فروع المعرفة واستخداماتها التطبيقية بالذات ، ابتداء من السلاح العسكرى ، وحتى السلع اليومية ، ومعنى هذا إتقان الفنون الصناعية والعلوم الغربية المتصلة بها ، وبالجوانب المادية عموما ، إذ هو الجانب الطاغى فى حضارة اليوم ، حتى نطوعها لإرادتنا ونشارك فى التحكم فيها .

ومع هذا يجب الاهتمام بتنمية العقلية الإبداعية المبتكرة ، وذلك على أساس استيعاب كافة المنجزات والمستحدثات المادية ، وهنا لا يجب أن يقام بينها وبين هذه أي حاجز ، مع ضرورة تغيير النظام التعليمى أهدافا ومناهج فى سبيل تنمية هذه العقلية الإبداعية ، وحتى تكون هناك فرصة للانتقاء والاختيار فى كافة المجالات .

ولنا في التطور الذي حدث فى المجتمع الإسلامى والفكر الإسلامى العبرة والقدوة في هذا المجال ، فقد انفتح انفتاحا لا مثيل له على الفكر العالمي واستوعبه استيعابا كاملا ، وكانت لديه الإمكانية للاختيار من داخل نفسه .

٢ ــ إحياء جذورنا الأُصيلة والضاربة فى أعماق تربتنا ، وقد طال عليها الجفاف ، ولم يرو عطشها منذ زمن بعيد ، وهي لا تحول دون الإبداع

والابتكار ، بل تدعو إليه وتحبذه وتدفع إليه دفعا ، ولا شيء يجعل هذا يروق من جديد إلا بحثه ودراسته وتدريسه ، ومناقشته والاجتهاد فيه ، حتي يتجدد وينبعث من جديد .

ويعنى هذا أن على التربية المصرية أن تنمى الشخصية العربية الإسلامية بأصالتها وقدرتها علي التجديد والابتكار والإبداع ، وتصوغ فلسفتها وأهدافها فى ضوء هذا ، وأن تقدم مناهجها علي هذا الأساس ، فهذا كفيل بأن يجنبنا الكثير من الأمراض الحضارية التي تكتسح العالم اليوم ، ويجب أن تأخذ دورها ــ بعد طول غياب ــ فى إحياء التراث التربوي الإسلامى ، والذى تشكل عليه شخصيات طلابها ، بحيث تتكون لديهم حصانة ومناعة تكمن في كل نفس ، وتصبح جزءا من التكوين المجتمعى الذهنى والنفسي ، وبهذا ينطلق المجتمع المصري والإنسان المصري من حياة صحيحة ، عربية إسلامية ، قائمة على فهم واع ، وإبداع ملهم مبتكر خلاق .

٣ ــ الانطلاق في هذا المجال محققة الدور المنشود بها فى تحقيق التنمية والتقدم علي أساس تصور كامل متكامل عن دور الإنسان ومركزه وطبيعته والشروط الواجب توافرها في ضوء المتغيرات والمشكلات الحضارية القائمة .

وإذا كان مما عاق كثيرا الوصول إلي التقدم الحضارى ، ذلك الفكر التغريبى بتقليده الأعمى من ناحية ، وبانقطاعه عن الجذور الأصيلة من ناحية أخرى ، فإنه يجب التخلص منه وكسر التبعية للغرب ، وذلك عن طريق تحقيق التكامل بين ثقافتنا وفكرنا وفكر الآخرين ، دون خوف أو رفض عاطفي ، وذلك يتضمن القيام بخطوتين :

ــ **الخطوة الأولى** : دراسة وتحليل وفحص ونقد كافة الدراسات

السابقة فى كافة المجالات ، على أساس ومن منطلق غربلة هذه الاتجاهات والدراسات ، بحيث تستبعد الأفكار التغريبية التي تمس الإطار العام للتربية فى أهدافها ووسائلها ، ومن ثم الإجراءات التي اتخذت فى هذا المجال ، وليس معني هذا رفض كل ما هو غربى بل على أساس الإطار العام والفلسفة التربوية المصرية الإسلامية الصحيحة ، يمكن تمييز ما هو صالح للاندماج ويستحق المحافظة عليه ، وما هو غير صالح للاندماج في جسم الثقافة والإطار العام للتربية ، بمعنى آخر ، تناول هذا في إطار الأصالة والحداثة معا .

ـ **الخطوة الثانية** : استقاء أسس التقدم من خلال الفكر الإسلامى الصحيح ، ومعطيات الفكرة الإسلامية ، وعلى أساسها تتحدد معالم الإنسان المراد تكوينه ، ويمكن من خلال الدراسة وفى ضوء ما سبق تحديد ملامح الإنسان المراد تكوينه وخصائصه :

أ ـ أن يكون موحِّدا وموحَّدا ومتكاملا فى شخصيته ، ومع المجتمع الذي يعيش فيه ومع الوجود كله ، يأبى الانشطار والانعزال عن الحياة والوجود ، ومركزه فى الكون يتلخص فى أنه الخليفة المكلف والمسؤول ، ومن ثم فلا تعارض بين أهدافه وأهداف الحياة ، ولا بين أهدافه وأهداف الكون والطبيعة ، فهو متكامل معها ، لا يعارضها ولا يعاديها ولا يستعديها ، بل العلاقة بينهما تتلخص فى موقف التحدي الذي تبرزه الطبيعة للإنسان ، تستثيره فيكتشفها ويستغلها ويستغل قوانينها فى خدمته وخدمة الإنسانية جميعا .

ويبرز دور هذا في أنه إذا كان الكون والطبيعة يتمتعان بهذا القدر الهائل من الإبداع والتكامل والتناسق والجمال وهو من خلق الله ، فإنه من اللازم توجيه النمو الإنسانى نحو تنظيم شامل متسق متناسق بين الأشياء المتعارضة في الإنسان ، حيث يفترض علم الكون التربوى أن التربية يمكن

أن تحدد وتوجه بحيث تعمل على التقدم ، وتحقيق الاتجاه العالمى نحو التنظيم [٣٢] .

ب ــ أن يكون متوازنا فى تصرفاته ، معقولا يستطيع أن يضبط انفعالاته ، ويتجنب التطرف فى الأمور ، لأن هذا التطرف يسبب هلاكا ودمارا للفرد والمجتمع ، فالإنسان الملتزم في عواطفه ، الرصين في تصرفاته ، والعامل الجاد ، يفكر ويعمل بانتظام وبرباطة جأش ، وهذا تجده عندنا فى تراثنا التربوى القديم وفى محاولة المفكرين المسلمين فى العصر الحديث .

جـ ــ أن يكون متحليا بالروح العلمية ، ويمارس الأسلوب العلمى فى بحثه عن الحقيقة ، بشمولها وشمول معنى العلم ، فيشارك فى الكشف عن نواميس الطبيعة والمشاركة فى تطوير هذه المعرفة واستثمارها فى استغلال الثروات لرفع مستوى العيش وإغناء محتواه ، وأيضا يشارك فى معرفة نواميس الحياة الإنسانية ، واستخدام هذه المعرفة من أجل ترقية الفرد وتنظيم المجتمع ، بحيث تتوافر لديه النظرة الشمولية المتكاملة إلى الكون والطبيعة ، وبحيث يؤدى هذا فى النهاية إلى الارتباط الوثيق بالله ، ويمزج مزجا دقيقا بين العلم والدين ، ويربط بينهما ربطا دقيقا حقيقيا ، فكل منهما يكمل الآخر ، وهذا ما نراه واضحا في كتابات الكثير من المفكرين المسلمين قديما وحديثا ، بحيث يمكن الاستفادة منه فى هذا .

د ــ أن يكون ذا خلق قويم ، يربطه بنفسه وبأخيه الإنسان وبالمجتمع والدولة ، إذ أن أهم ما تعانيه التربية اليوم ، بل والعالم أجمع هو الأزمة الأخلاقية ، وبدون الأخلاق لا يكون ثمة سلام ولا استقرار ولا تقدم ، ولذا فمن الضرورى جدا أن ينشأ الإنسان علي أخلاق سامية ، بحيث يحترم

---

(٤٣) راجع : فيليب فينكس (مرجع سابق) ، ص ٧٩٦ .

الجميع ويتعاون مع أفراد المجتمع في سبيل الخير العام .

ولعل هذا من أبرز ما نادى به الفكر الإسلامي الحديث فى عمومه ، والفكر التربوى بخاصة ، بعد الإحساس بالأزمة العالمية وتردى العلاقات الإنسانية والتي أصبحت تقوم على المصلحة .

هـ ـــ أن يكون ذا صحة جيدة ، ويمارس الرياضة ، ويراعى قواعد الصحة العامة ، فى أكله وشربه ونومه وغير ذلك ، وأن يحب العمل ويخلص فيه ، ويحسن استعمال يده ، كما يحسن استخدام الآلة ، وذلك بموازاة مهارته فى استخدام عقله ، ولنا فى الفكر الإسلامي الكثير من المبادىء التي تحبذ وتنصح بضرورة التكامل بين العلم والعمل .

إن التربية بمراعاتها هذا وبمحاولة تكوين الإنسان على هذا النمط تكون قد كونت إنسانا قادرا على النفس بعمق إيمانه ، مسيطرا علي شهواته وأطماعه ، قادرا على البذل والتضحية والتعاون والمشاركة فى سبيل المثل العليا التي يبغى المجتمع تحقيقها ، وانبثاقا من إيمانه القوى بالله ، وفى نفس الوقت قادر على استعمال عقله الاستعمال اللازم لتحقيق النمو والتنمية .

٤ ـــ الأخذ بالإطار الذي قدمه المفكرون المسلمون ، كمنطلق وأساس توجيه العملية التربوية ، وبالرغم من أنه يحتاج إلي جهود كثيرة في سبيل تكوين النظرية التربوية الإسلامية ، فإنه يمكن اعتباره إطارا عاما يحكمه الإسلام ، ويمكن الانطلاق منه لإحداث التنوع المطلوب ، والإثراء الفكري العميق للعملية التربوية .

إذ أننا نلاحظ أن هذا الفكر كان الأنسب فى مجال إحداث التقدم والتطوير ، ودور التربية فيه ، بما يمتاز به من تكامل وشمول ، والتزام بمبادىء الأخلاق الإسلامية ، مع فهم هذا الفكر للطبيعة الإنسانية ، وللشخصية المصرية ، وفهم لأسس التقدم الحقيقى الذى ينبغى أن تلتزم به التربية .

٥ ــ وإذا كان هذا الفكر لم يقدم ــ حتى الآن ــ تلك النظرية التربوية ، نرى ضرورة :

أ ــ استكمال كافة الجوانب التربوية التي لم تتناول بعد ، وتأصيلها من خلال المعطيات الإسلامية والتراث التربوى الإسلامى ، وتحديد أهداف التربية والمناهج على أساسها ، وتحديد العلاقات بين النظام التعليمى وبين الظواهر الحياتية المختلفة بحيث تقدم فى إطار تنسجم فيه الصور مع الوحدة الأساسية ، والولاء للمصادر الأولي ، مع الانفتاح العقلى. وهذا يعني تشجيع الباحثين فى هذا المجال .

ب ــ تكوين هيئة علمية ــ أو على الأقل ــ فريق بحث في التربية الإسلامية ، تعتمد في أبحاثها على القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والتراث الإسلامى مما يصلح منه ، وتأتى بعد ذلك متغيرات العصر وعلومه على أن يكون دوره كشف الجوانب المختلفة فى الفكر الإسلامى التربوى ، بحيث يُجَلِّى لنا الكثير من جوانبه ، وبحيث يشمل هذا متخصصين فى علم النفس ، والمناهج وغير ذلك من التخصصات ، بحيث يسهم كل هذا فى بناء النظرية التربوية المصرية الإسلامية المتكاملة .

ويعمل هذا الفريق أيضا على إصدار دائرة معارف للتربية الإسلامية تقوم بالتعريف بالإطار التربوى الإسلامى ، وتاريخ التربية الإسلامية ، ورجالها ، وأثرها فى الفكر التربوى العالمى ، على أن يتعاون فى إخراج هذه الدائرة ويشرف عليها مجموعة من العلماء الذين جمعوا القديم إلى جانب الحديث .

٦ ــ معالجة القضايا التربوية المعاصرة من خلال المميزات التى امتاز بها الفكر الإسلامى عامة والفكر التربوى خاصة ، وهى مميزات عامة ، إلا أن هذا ليس معناه مجرد التنميط أو التقولب ، بل هو الاختيار الحر ، بعد

الدراسة والاستيعاب فى إطار من الشمول والاتساع ، والعمق فى المعرفة ، والأصالة ، والحرية الفكرية فى التحليل والنقد والبناء .

(٩)

وأمام السمات الشخصية الأصيلة ، وأمام مخاطر التغريب والضياع الذى يعانى منه النموذج الغربى الحضارى والأزمة التى تعانى منها النظم التعليمية ، والنظام التعليمى المصرى ـــ بالذات ـــ فإنه بادئ ذى بدء نقرر أن النظام التعليمى المصرى ينبغى أن يلبى حاجات المجتمع ، وقد آن له الأوان للتخلص من ربقة التقليد ، ومن أسر التغريب ، ويعود إلى ذات الأمة المصرية ليؤكد خصائص شخصيتها الأصيلة ، بالعودة إلي ينابيعها الأصيلة الكامنة في الفكرة الإسلامية ، والتى حافظت على الشخصية المصرية ، وسعيا لهداية الانسانية ، لأن ارتباطه بها هو سبيله إلى النجاح فى كافة مناشطه .

وليس هذا بدعا ، إذ ليس المهم هو الجرى وراء التحديث فى كل شيء ، بافتراض أن القديم والحديث نقيضان ، يفترض تكوين نسق متغيرات مناقض للآخر ، فهذا فى صورته هذه خطأ ، نظرا لأنه مشتق من النموذج الغربى لتحديث المجتمعات النامية والتربية فيها ، والصحيح أن التحديث الحقيقى ينبع من الأهداف القومية النابعة من المحتوي الثقافى والتاريخى للمجتمع ، فهناك تداخل واضح بين القديم والحديث ، وذلك حتى يمكن التوصل إلى الأشكال المحتملة للتحديث الذى يقوم " على مجموعة من قيم ومبررات اجتماعية وثقافية ، منها المفهوم الديمقراطى للحياة ومفهوم العدالة الاجتماعية والاعتقاد بأن التغيير الناجح هو الذى ينبثق من المجتمع

ولا يفرض عليه ، وإثراء الحياة وتعميقها واستمرار تجددها وتطورها من خلال التفاعل المستمر بين قوى المجتمع ''[٤٤] .

وإذا كانت الصفوة المتعلمة والمثقفة تثقيفا غربيا ، فيما مضى هى التى تخطط وتحدد الأهداف للمجتمع والنظام التعليمى ، بهدف التحديث ، فإن هذا لم يعد مقبولا اليوم ـــ وإن كانت آثاره مازالت موجودة فى النظام التعليمى ـــ لأن التحديث إنما يتم '' نتيجة للبناء الاجتماعى وما يترتب عليه وعلاقته بقيم المجتمع وقدرة المجتمع على تحقيق أهدافه ، والذى يقوم أساسا على ميكانيزم التداخل بين القيم التقليدية والحديثة ''[٤٥] .

وإذا كان هذا ما أثبته علم الاجتماع ، فإن النظام التربوى وفلاسفة التربية قد أوضحوا هذا وأكدوه ، ومن هذا المنطلق ومع المميزات العامة للنظام التعليمى من حيث مراعاته للخصائص القومية للمجتمع الذي يعيش فيه ، وضرورة ترجمة هذا فى أهداف للتربية تنبع من المجتمع ، مع ضرورة الإثراء الثقافى لهذا النظام .

وإذ كنا أمام عدة اختيارات بشأن المستقبل التربوى فى مصر وهى تتلخص في :

ـــ **الاختيار الأول** : أن تواصل التربية نموها مركزة على التوسع الخطى وزيادة الأعداد ، مع تعديلات هامشية وهو اختيار يمكن أن نطلق عليه استراتيجية التقليد أو الاستمرار على القديم .

ـــ **الاختيار الثانى** : أن تواصل التربية نموها مع تحول الاهتمام من

(٤٤) د . جهينة سلطان العيسى : التحديث فى المجتمع القطري المعاصر ـــ طبعة أولى ـــ دار العودة ـــ بيروت ـــ ١٩٧٩ ، ص ٢٧٨ .

(٤٥) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

الكم إلى الكيف ، ولكن وفق المفاهيم والمعايير والممارسات والأدوات الدارجة ، مع بعض الملاءمات والمراجعات الجزئية ، وهذا الاختيار يمكن تسميته استراتيجية التجويد التربوى أو الإصلاح الجزئى من داخل نظم التعليم .

ـ **الاختيار الثالث** : أن تواصل التربية نموها مركزة على الكفاية الخارجية التى تحصرها فى الملاءمة بين ناتج النظم التربوية والاحتياجات المختلفة من العمالة الماهرة على شتى المستويات وفق تصورات طبيعة العمل والعمالة ، ويمكن تسمية هذا الاختيار استراتيجية الكفاية الخارجية الضيقة للتربية أو الإصلاح الجزئى من خارج التعليم .

ـ **الاختيار الرابع** : أن تخضع التربية والنظام التعليمى لمراجعة جذرية شاملة ، بحيث تصبح التربية عربية مصرية للجميع ، تقدمية ، ديموقراطية ، إسلامية مستديمة ، بحيث تتم إدارتها على أسس علمية ، ضمن إطار عربى إسلامى كامل ، وهذا الاختيار يمكن تسميته التجديد التربوى الشامل [٤٦] ، وذلك لن يتم إلا من خلال رؤية عربية مصرية إسلامية تتلاءم مع طبيعتنا وواقعنا .

ولكى يحقق النظام التربوى هذا بشموليته ، وما ذكرناه سابقا ، فإننا نوصى بما يلى :

١ ــ ينبغى أن ينطلق النظام التربوى من اعتماد مفهوم متجدد للتربية فى إطار المعطيات الإسلامية ، وإعداد الإنسان الصالح ، وتوظيف هذا المفهوم فى اشتقاق أهداف تربوية تحقق حاجات المجتمع ، بحيث تكون متكاملة شاملة متوازنة ، وبحيث تحقق الخصائص الجوهرية للشخصية

---

(٤٦) راجع : محمد أحمد الغنام : " مستقبل التربية فى البلدان العربية " (الجزء الثالث : احتمالات المستقبل التربوى) ــ التربية الجديدة ــ السنة الثانية ــ العدد الرابع ــ كانون أول ــ ١٩٧٤ .

المصرية الإسلامية ، وتعينها على كسر حاجز التخلف ، بغرس القيم والصفات والسمات الإيجابية الفعالة ، التى تجعل من الإنسان إنسانا صالحا ، قادرا على تعليم نفسه باستمرار ، مساهما فى إحداث التغيير الحضارى المنشود ، بحيث تنطلق ذاتيته مؤكدا إياها فى تقدم حضارى فعال .

٢ ــ وينبغى أن يتخلص النظام التربوى من دائرة التقليد والتبعية ، وذلك بالاستفادة من التراث العربى الإسلامى ، فمن واجبه المحافظة على ما فيه من قيم مادية وروحية باقية على الدهر ، ويعمل النظر فيه فيحتفظ بالصالح منه ويترك الطالح غير آسف ولا وجل[٤٧] ، وسوف يجد فيه الكثير المتصل بفلسفة التربية ، وسوف يجد فيه العديد من مبادىء طرق التدريس العامة ، بل وأمثلة علي التطبيق[٤٨] .

ومن هذا المنطلق يجب الحيلولة دون العوامل التي تفسد النظام وتزيده ضعفا وتخلفا ، ومنها جعله تابعا من توابع السياسة ، فإنه بالرغم من ضرورة التوجيه التربوى من أجل إعلاء الوطن ، إلا أنه ليس من الضرورى إخضاع النظام التربوى لأغراض السياسة ، التى تتبدل وتتغير تبعا للظروف والأحوال ، وذلك ضمانا لاستقرار النظام والقيام بدوره ، وإن لم نمانع فى إشراف الدولة على هذا النظام ، وذلك حتى يحقق أهداف الوطن .

٣ ــ وفى مجال الاستحداث والتحديث ، ينبغى الرجوع إلى التراث أيضا ، فلا يحدث بما هو جديد وهو موجود عندنا ، بل الواجب الكشف عنه ووضعه موضع التطبيق دون تضييع للوقت ، مثل إلزامية التعليم

---

(٤٧) د . فاخر عاقل : نحو إصلاح تربوى جذرى " التربية من أجل التنمية ــ المؤتمر التربوى لتطوير التعليم ما قبل الجامعي» ــ المنعقد بدمشق فى ٣ / ٨ آب / ١٩٧٤ ــ الجمهورية العربية السورية ــ وزارة التربية ــ ١٩٧٤ ، ص ١٩١ .

(٤٨) راجع : د . عبد الفتاح جلال (مرجع سابق) ، ص ١٠ .

وضرورتها ، وتعليم البنت ، ومراعاة ميول المتعلمين ، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص ، وأهمية الإعداد المهنى ، وأصالة الروح الاستقلالية فى التعليم ، وتوفير جو الحرية للمعلمين والمتعلمين ، فهذه وأمثالها كثير موجودة لدينا فى تراثنا ، ثم تأتى الإضافة بعد ذلك .

ومثال ذلك فى مجال التعليم الأساسى ينبغى أن لا يخاطر النظام التعليمى ، بل يجب التروى ويستفتى التراث ففيه الكثير مما يتعلق بهذا التعليم ، أما مد فترة التعليم الإلزامى فهذا مما ينبغى أن ينظر فيه نظرة فاحصة فى ضوء معطيات المجتمع وقدراته الاقتصادية ، والتجربة الدولية فى هذا ، وبمعنى آخر أن لا يتم التحديث لمجرد التغيير أو التحديث ، بل يتم على أساس من فلسفة النظام الأساسية وإطارها العام المنبثق من فلسفة المجتمع وأهدافه .

٤ ــ وفى ضوء التجربة المصرية والعالمية ، ينبغى أن يدور النظام التعليمى حول مكانة الإنسان ، بوصفة خليفة الله فى الأرض والكائن الحى المكلف ، صاحب الملكات والمواهب ، والذى سخر الله الكون له ، والمؤمن برسالات السماء ، صاحب الدور الحضارى الخلاق ، باعتبار أن الهدف الأساسى هو تمكين الإنسان من أن يكون إنسانا صالحا ، فاضلا طبقا لما جاء بالإسلام .

٥ ــ ولما كان المنهج هو لب العملية التربوية والنظام التعليمى فينبغى إعادة النظر فيه ، وتنظيمه على أساس الشمول والتكامل ، لا على أساس الفصل بين المواد ، بمعنى ، القضاء على تقسيمات المناهج القديمة ، واعتماد شمولية المعرفة ، بحيث لا يفصل بين نظر وعمل ، ودين ودنيا ، وفكر وتطبيق ، وبحيث يشتمل على الموضوعات ذات التأثير والفائدة فى الحياة العملية والبيئة ، مع مراعاة المرونة ، وتهيئة مخرجاته للحياة والعمل وإثارة الإمكانيات الذاتية للمتعلمين ، بحيث تجعلهم قادرين على التعلم

الذاتى المستمر ، وقادرين على التكيف مع الأوضاع المتحركة المتغيرة .

وينبغى أن تركز على تطوير الشخصية وتنميتها بدلا من التلقين والحفظ ، وذلك بتزويد الطلاب بالقدرة على التعلم الذاتى ، وغرس ملكة التفكير العلمى ومجابهة المشكلات ، والتكيف والملاءمة ، والإبداع إلى جانب الأخلاق .

وينبغى أيضا مراعاة الكتاب الذى يحمل المنهج ، فلا يكون أداة لتحقيق الربح المادى أو التجارى ، ولا يكون هزيلا ضعيفا ضارا ، وفى هذا المجال يجب إيقاف جميع الكتب الملخصة .

وليس هذا جديدا كل الجدة ، فلنا فى تراثنا التربوى ، وفى تجاربنا التعليمية مندوحة فى هذا ، وقدوة نقتدى بها .

٦ ـــ العناية بإعداد المعلم فإن صلاحه وصلاح إعداده يعنى صلاح العملية التربوية ونجاح النظام التعليمى ، وفساده يعنى غير هذا ، ومن منطلق إسلامى ، ينبغى العناية به ، بحيث يكون مستقيم الخلق غزير العلم والمعرفة ، مدربا أحسن التدريب على القيام برسالته ، ومعنى هذا أن تكون أبعاد إعداد المعلم : بعد دينى أخلاقى ، وبعد ثقافى عام ، وبعد أكاديمى ، وبعد مهنى .

وينبغى إدخال مادة التربية الإسلامية ومادة الثقافة الإسلامية فى خطط إعداد المعلمين كمواد أساسية لما لها من أثر مهم فى إعداد المعلم ، على أن تكون لغة التدريس فى كليات التربية هى اللغة العربية فى كافة التخصصات .

وينبغى مراعاة حسن اختيار الطلاب لمعاهد وكليات إعداد المعلمين ، مع ضمان حسن الرعاية الصحية والاجتماعية والنفسية والمادية ، فحسن

انتقاء المعلمين وتدريبهم ومكافأتهم وضمان كفايتهم وتقدمهم تقع فى مقدمة الأولويات التى يجب أن يقصدها الجهد فى الإصلاح التربوى اليقظ الدائب فى تقوية فاعلية التربية وتجويد نتاجها .

٧ ــ العمل على تبسيط العملية التربوية وتيسير إجراءاتها ، وإزالة الحواجز بين مراحل التعليم المختلفة وتخصصاته ومستوياته وبين التعليم المدرسى وغير المدرسى ، والنظرى والمهنى ، بحيث يكون النظام مفتوحا ، على أن يحفظ لكل نوع من التعليم مستواه ولكل مرحلة من مراحله مقتضياتها ، فلا يحشر فى أى منها من ليس أهلا له ، فتتضخم الأعداد وينحط المستوى ، وينعكس هذا فى الإضرار الشديد بالمجتمع ، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالمراحل التعليمية العليا .

ولنا فى التجربة الإسلامية فى هذا المجال توجيهات كثيرة وتجربة فذة فريدة فى تاريخ التعليم كله .

٨ ــ وفى ضوء التربية الإسلامية والفكر الإسلامى التربوى قديما وحديثا ، يجب أن يمتد النشاط التعليمى إلى كافة الأفراد فى المجتمع ، ولا يقتصر على فئة معينة ، بمعنى أنه من الضرورى تغيير مفهوم التربية المحدودة المجزأة إلى التربية الشاملة لكل المجتمع ، ومن هذا الشمول أن يمتد إلى الطفولة المبكرة ، بحيث يضم نظام التعليم ما قبل المدرسة الإلزامية ، مركزا على تلبية الحاجات الصحية والغذائية والاجتماعية للأطفال .

ومن الشمول أن تنسحب العملية التربوية على مختلف جهود الناشئة وتوجيه أنشطتها ، ويجب عدم الفصل بين الفكر والعمل ، إلى جانب الشمول فى الإعداد ، فلا يجب الفصل بين الأدبى والعلمى والمهنى .

ومن الشمول أيضا أن يمتد النشاط التعليمى إلى كافة مراحل العمر متكاملة ، إذ يجب الاهتمام بتعليم الكبار بفعالية وشمول ، لأن تعليم الكبار وغالبيتهم أميون ، يكتسب أهميته من تأثير هؤلاء على الصغار ، وليس المعنى هنا محو الأمية الكتابية ، ولكن محو الأمية الكامل .

ومن الشمول أن تدخل التربية وتنبت فى مختلف خلايا المجتمع ، فتتجاوز المدرسة إلى كافة المؤسسات التي تقوم بالتعليم والتربية والتوجيه ، وربطها بأهداف التربية ، فى البيت والحقل والمصنع والمتجر والمسجد والكنيسة والنوادى وغيرها من مؤسسات المجتمع .

وهذا الشمول يضمن الكثير من المكاسب ، ويضمن أيضا تعليم المجتمع ، ولكن فى مدارس بلا جدران ، أوبالأصح تعليم مفتوح شامل داخل الجدران وخارجها ، ويكسر الحدود والحواجز بين المتعلمين وغير المتعلمين ، بين العلم والعمل ، بين الثقافتين النظرية والمهنية ، وبين مراحل العمر . وبين التوسع الكمى والتحسين النوعى فى التربية .

وبعـــد .....

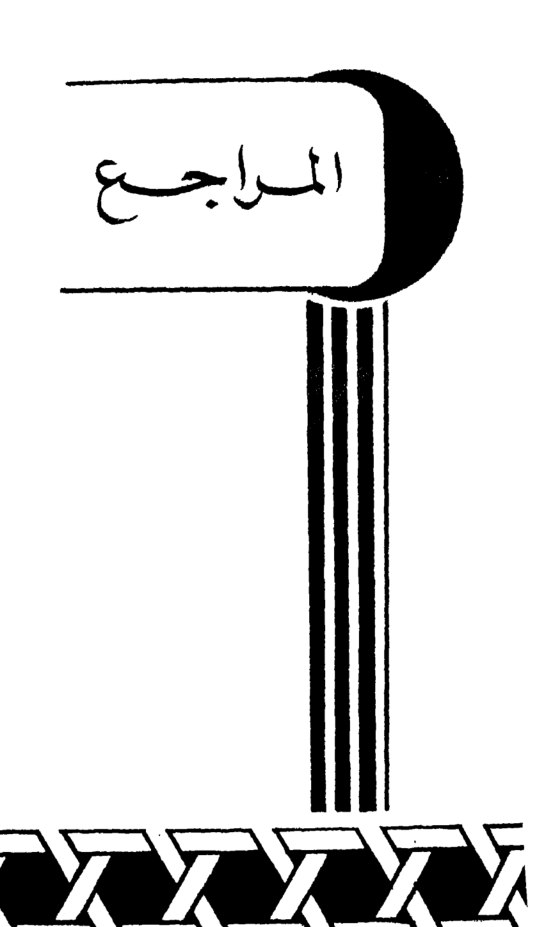
فإن هذه المحددات والتوصيات ليست قرآنا ، ولا كلاما مقدسا ، وإنما هى اجتهادات ، وقد تكون مثالية ولكن المثال هو الذى يصنع الواقع ، وقد يكون بعضها محققا ، أو بدأ الأخذ به ، ولكن دورنا هنا واضح فى محاولتنا ربط هذه المحاولات بالأصول الذاتية النابعة من شخصيتنا وخصائصها الأصيلة ، فهى محاولة للبناء على دعائم تحفظ البنيان من الانهيار . وتحفظ التعليم والتربية من الاغتراب والانتماء .

ولا أدعى أن هذا العمل بالغ درجة الكمال ، فهو عمل بشر يخطئ ويصيب ، فإن كان هناك من إصابة وصواب فمن الله ، وإن كان هناك خطأ ومجانبة للصواب فمنى تغلب على شيطانى فيها .

وأيضا لا أدعى أننى وفيت الموضوع حقه من البحث ، بل هو محاولة ، بل أود وأريد أن يكون بداية لأبحاث تربوية كثيرة فى هذه الفترة ، سواء فى تناول الشخصيات أو تناول الاتجاهات التربوية بتخصص دقيق ، فما قدمته هو إطار يمكن أن تخرج منه أبحاث كثيرة وافرة .

والله أسأل أن أكون قد وفقت فيما درست ، والخير أردت ، وما توفيقى إلا بالله تعالى ، وهو ولى التوفيق والسداد .

* * *


المراجع

المراجع

أولا : المراجع العربية :

١ ـ آدم متـــــــز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ (ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده) ـ الجزء الأول ـ الطبعة الثانية ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م .

٢ ـ دكتـور إبراهيـم أحمد العدوى : مصر الإسلامية ، مقوماتها العربية ، ورسالتها الحضارية ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ .

٣ ـ إبراهيم جمعـة : قصة الكتابة العربية ـ سلسلة اقرأ ـ دار المعارف بمصر ـ إبريل ١٩٧٥ .

٤ ـ دكتـور إبراهيـم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العالى ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ .

٥ ـ دكتـور إبراهيـم عصمت مطاوع : أصول التربية ـ الطبعـة الأولى ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٩ .

٦ ـ ابن قيم الجوزية : زاد المعاد فى هدي خير العباد ـ الطبعة الأولى ـ المطبعة المصرية ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م .

٧ ـ ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين ـ (تحقيق محمد رشيا رضا) ـ مطبعة المنار ـ القاهرة ـ ١٣٣١ هـ .

٨ ـ ابن قيم الجوزية : مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ـ (صححه محمود حسن ربيع) ـ طبعة ثالثة ـ الإسكندرية ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

٩ ـ ابـن النديـم : الفهرست ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت (بدون تاريخ) .

١٠ ـ ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ـ (تحقيق أحمد يوسف نجاتى) ـ الجزء الأول ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٦ .

١١ ـ ابـن تيميـة : حقيقة مذاهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية ـ (تحقيق محمد رشيد رضا) ـ الجزء الرابع ـ المطبعة الأولى ـ مطبعة المنار ـ القاهرة ـ ١٣٤٩ هـ .

١٢ ـ ابـن تيميـة : تفسير سورة النور : (تحقيق صلاح عزام) ـ دار الشعب ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ .

١٣ ـ ابـن تيميـة : السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ـ كتاب الهلال ـ العدد (٣٦٧) ـ القاهرة ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

١٤ ـ ابـن مسكويـه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ـ (حققه وشرح غريبه ابن الخطيب) ـ الطبعة الأولى ـ المطبعة المصرية ـ القاهرة (بدون تاريخ) .

١٥ ـ الإمام أبو إسحق إبراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى (الشاطبى) : الموافقات فى أصول الشريعة ـ (شرح وتعليق عبد الله دراز) ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة (بدون تاريخ) .

١٦ ـ أبـو الأعلـى المودودى : موجز تاريخ الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ـ (نقله إلى العربية محمد عاصم الحداد) ـ طبعة ثالثة ـ دار الفكر الحديث ببيروت ، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م .

١٧ ــ أبو الحسن الندوى: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ــ دار القلم ــ الكويت ــ ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م

١٨ ــ أبو الحسن الندوى: نحو التربية الإسلامية الحرة فى الحكومات والبلاد الإسلامية ــ المختار الإسلامى ــ القاهرة ــ ١٩٧٦ م .

١٩ ــ أبو الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ــ الطبعة العاشرة ــ دار الأنصار ــ دار القلم ــ القاهرة ــ الكويت ــ ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م .

٢٠ ــ أبو الحسن الندوى: رجال الفكر والدعوة فى الإسلام ــ الطبعة الرابعة ــ دار القلم ــ الكويت ــ ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ .

٢١ ــ أبو الحسن بن أحمد بن الحسن ابن على (الوزير) : يتيمة الدهر ــ (تحقيق عزت العطار) ــ القاهرة ــ ١٣٥٦ هـ ــ ١٩٣٧ م .

٢٢ ــ أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى : أدب الدنيا والدين ــ دار الكتب العربية ــ القاهرة ــ ١٣٢٧ هـ

٢٣ ــ أبو الحسن على بن محمد بن خلف القابسى : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ــ (ملحقة بكتاب التربية فى الإسلام للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى) ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٦٨ م .

٢٤ ــ أبو بكر محمد بن زكريا الرازى : رسائل فلسفية ــ مطبوعات جامعة فؤاد ــ القاهرة ــ ١٩٣٩ م .

٢٥ ـ الإمام أبو حامد الغزالى : فضائح الباطنية ـ (تحقيق عبد الرحمن بدوى) ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ ١٩٦٤ م .
٢٦ ـ الإمام أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين ـ دار الشعب ـ القاهرة (بدون تاريخ) .
٢٧ ـ الإمام أبو حامد الغزالى : معيار العلم ـ (تحقيق سليمان دنيا) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦١ م .
٢٨ ـ أبو حيان التوحيدى : المقابسات ـ المطبعة الرحمانية ـ القاهرة ـ ١٩٢٩ م .
٢٩ ـ أبو خلدون ساطع الحصرى : حولية الثقافة العربية ـ السنة الأولى ـ جامعة الدول العربية ـ الإدارة الثقافية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٦٩ هـ ١٩٤٩ م .
٣٠ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ) : كتاب المعلمين ـ (مطبوع بهامش كتاب الكامل فى اللغة والأدب لأبى العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد) ـ الجزء الأول ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة التقدم العلمية ـ القاهرة ـ ١٣٢٣ هـ .
٣١ ـ أبو على الحسين ابن عبد الله (ابن سينا) : كتاب السياسة (التدبير) ـ (نشره الأب لويس معلوف) ـ مجله الشرق البيروتية ـ السنة التاسعة ـ الأعداد ٢١ ـ ٢٣ ـ ١٩٠٦ م
٣٢ ـ أبو عمر يوسف النمرى القرطبى (ابن عبد البر) : جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله ـ (تقديم عبد الكريم الخطيب وراجعه عبد الرحمن حسن محمود) ـ دار

الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

٣٣ ـ **أحمد أبو زيد** : الاستشراق والمستشرقون ـ عالم الفكر ـ المجلد العاشر ـ العدد الثانى ـ وزارة الإعلام ـ الكويت ـ ١٩٧٩م .

٣٤ ـ **أحمد بن أبى جمعة المغراوى** : جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان ـ (تحقيق وتعليق أحمد جاولى البدرى ورابح بونار) ـ سلسلة ذخائر المغرب العربى ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر (بدون تاريخ) .

٣٥ ـ **الإمام أحمد بن حنبل** : مسند الإمام أحمد ـ طبعة أولى ـ المطبعة الميمنية ـ مصر (بدون تاريخ) .

٣٦ ـ **أحمد بن على (المقريزى)** : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ الجزء الثالث ـ دار التحرير للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ م .

٣٧ ـ **أحمد بهاء الدين** : استعمار التاريخ والحوار بين الحضارات ـ العربى ـ العدد (٢٣٤) ـ الكويت ـ ربيع أول ١٣٣٩ هـ ـ فبراير ١٩٧٩ م .

٣٨ ـ **الشيخ أحمد الاسكندري والشيخ مصطفى عنانى** : الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ـ د المعارف ـ القاهرة ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٣٩ ـ **دكتور أحمد حسن عبيد** : فلسفة النظام التعليمى وبنية السياسة التربوية ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ م .

٤٠ ـ **أحمد عبد الفتاح بدير** : نشأة الجامعة المصرية ـ مطبعة جامعة فؤاد الأول ـ القاهرة ـ ١٩٥٠ م .

٤١ ــ أحمد عزت راجح: أصول علم النفس ــ الطبعة التاسعة ــ المكتب المصرى الحديث ــ القاهرة ــ ١٩٧٣ م .

٤٢ ــ أحمد العنانى: « توثيق القرآن أولى منجزات العلم الإسلامية » ــ الدوحة ــ العدد (٦١) ــ ربيع أول ١٤٠١ هـ ــ يناير ١٩٨١ م .

٤٣ ــ أحمد أمين: زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٤٩ م .

٤٤ ــ دكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٨٠ م .

٤٥ ــ دكتور أحمد سويلم العمرى: بحوث فى المجتمع العربى (دراسات سياسية) ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٦٠ م .

٤٦ ــ دكتور أحمد شلبى: المجتمع الإسلامى أسس تكوينه وأسباب تدهوره والطريق إلى إصلاحه ــ الطبعة الثانية ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٦٣ م .

٤٧ ــ دكتور أحمد شلبى: الفكر الإسلامى ، منابعه وآثاره ــ رقم (٢) ــ من موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ــ طبعة سادسة ــ النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٧٨ م .

٤٨ ــ دكتور أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية ــ رقم (٤) ــ من موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ــ الطبعة الرابعة ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٧٣ م .

٤٩ ــ دكتور أحمد شلبي : المسيحية ــ الجزء الثانى من مقارنة الأديان ــ النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٧٣م.

٥٠ ــ دكتور أحمد عروة : الإسلام فى مفترق الطرق ــ (ترجمة دكتور عثمان أمين) ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٩٧٥ م .

٥١ ــ دكتور أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٣٨ م .

٥٢ ــ دكتور أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر (من نهاية حكم محمد على إلى أوائل حكم توفيق) ــ الجزء الأول ــ وزارة المعارف العمومية ــ القاهرة ــ ١٩٤٥م .

٥٣ ــ دكتور أحمد فؤاد الأهوانى : التربية فى الإسلام ــ الطبعة الثانية ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٧٥ م .

٥٤ ــ أحمد لطفى السيد : قصة حياتى ــ سلسلة كتاب الهلال ــ ١٩٦٢ م .

٥٥ ــ أحمد لطفى السيد : تأملات فى الفلسفة والأدب والاجتماع ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٤٦ م .

٥٦ ــ أحمد لطفى السيد : المنتخبات ــ الجزء الأول والثانى ــ الأنجلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٤٥ م .

٥٧ ــ أحمد محمد جمال العمرى : أبو بكر الصولى الأديب النديم ــ رقم (١٠) من (سلسله أعلام العرب) ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ١٩٧٣ م .

٥٨ ــ دكتور أحمد محمد صبحى : فى فلسفة التاريخ ــ مؤسسة الثقافة الجامعية ــ الاسكندرية ــ ١٩٧٥ م .

٥٩ ــ دكتور أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية فى مصر ــ وزارة الثقافة ــ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ــ

الجمهورية العربية المتحدة ــ ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م .

٦٠ ــ أحمد وفيق : اللغة والدين والعادات من مقومات الاستقلال ــ النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٣٦ م .

٦١ ــ إخوان الصفا : رسائل إخوان الصفا ــ (تحقيق خير الدين الزركلى) ــ المطبعة العربية ــ القاهرة ــ ١٩٢٨ م .

٦٢ ــ أدونيس : الثابت والمتحول ، بحث فى الاتباع والإبداع عند العرب ــ ١ ــ الأصول ــ الطبعة الأولى ــ دار العودة ــ بيروت ــ ١٩٧٤م .

٦٣ ــ أسماء حسن فهمى : مبادىء التربية الإسلامية ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٤٧م .

٦٤ ــ إسماعيل مظهر : ملقى السبيل فى مذهب النشوء والارتقاء ــ المطبعة العصرية ــ القاهرة ــ ١٩٢٤ م .

٦٥ ــ إسماعيل القبانى : سياسة التعليم فى مصر ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٤٤ م .

٦٦ ــ أسوالد شبنجلر : تدهور الحضارة الغربية ــ الجزء الأول والثانى والثالث ــ (ترجمة أحمد الشيبانى) ــ منشورات مكتبة الحياة ــ بيروت ــ ١٩٦٤ م .

٦٧ ــ أمينة أحمد حسن : أهمية التنمية الإدارية لحل مشكلات الإلزام فى التعليم فى مصر ــ رسالة دكتوراه ــ كلية البنات ــ جامعة عين شمس (استنسل غير منشورة) ــ ١٩٧٩ م .

٦٨ ــ أمين الخولى : المجددون فى الإسلام ــ الجزء الأول ــ الطبعة الأولى ــ دار المعرفة ــ القاهرة ــ ١٩٦٥ م .

٦٩ ــ **الإمام البخاري :** الأدب المفرد ــ مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ــ القاهرة ــ ١٩٧٩ م .

٧٠ ــ **الإمام البخاري :** صحيح البخارى ــ كتاب الشعب ــ دار الشعب ــ ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٧٩ م .

٧١ ــ **أليير ريفو :** الفلسفة اليونانية أصولها وتطوراتها ــ (ترجمة دكتور عبد الحليم محمود وأبو بكر زكري) ــ مكتبه دار العروبة ــ القاهرة ــ ١٩٥٨ م .

٧٢ ــ **الزرنوجي (برهان الإسلام) :** تعليم المتعلم طرق التعلم ــ استانبول ــ ١٢٩٢ هـ .

٧٣ ــ **أ . ل . شاتليه :** الغارة على العالم الإسلامي ــ (لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافى) ــ الطبعة الرابعة ــ المطبعة السلفية ومكتبتها ــ ١٩٣٨ م .

٧٤ ــ **دكتور السيد عبد العزيز سالم :** تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام حتى ظهور الدولة الأموية ــ مؤسسة الثقافة الجامعية ــ الاسكندرية ١٩٧٤ م .

٧٥ ــ **دكتور الشحات السيد زغلول :** السريان والحضارة الإسلامية ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ الاسكندرية ــ ١٩٧٥ م .

٧٦ ــ **القرآن الكريم .**

٧٧ ــ **الكتاب المقدس :** العهد القديم والعهد الجديد .

٧٨ ــ **ألمر . هـ . وايلدز وكينث . ف . لوتش :** أصول التربية الحديثة ــ الجزء الأول ــ الطبعة الأولي ــ (ترجمة دكتور محمد سمير حسانين) ــ مطبعة سعيد ــ طنطا ــ ١٩٧٧ م .

٧٩ ــ **الإمام المنذري :** الترغيب والترهيب ــ إدارة الطباعة المنيرية ــ القاهرة ــ (بدون تاريخ) .

٨٠ ــ **الميثاق الوطني :** (قدمه الرئيس جمال عبد الناصر للمؤتمر الوطنى

للقوى الشعبية ١٩٦٢م) ـــ مصلحة الاستعلامات ـــ القاهرة (بدون تاريخ) .

٨١ ـــ أنتوني ناتنج : العرب تاريخ وحضارة ـــ (ترجمة محمد مسعود) ـــ العدد (٣٥٠) من كتاب الهلال ـــ القاهرة ـــ ١٩٨٠ م .

٨٢ ـــ أنور الجندي : التربية وبناء الأجيال فى ضوء الإسلام ـــ رقم (١٦) من الموسوعة الإسلامية العربية ـــ الطبعة الأولي ـــ دار الكتاب اللبناني ـــ بيروت ـــ ١٩٧٥ م .

٨٣ ـــ أنور الجندي : أخطاء المنهج الغربي الوافد فى العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع ـــ رقم (٦) من الموسوعة العربية الإسلامية ـــ الطبعة الأولي ـــ دار الكتاب اللبنانى ـــ بيروت ـــ ١٩٧٤ م .

٨٤ ـــ أنور الجندي : عبد العزيز جاويش ـــ رقم (٤٤) من (سلسلة أعلام العرب) ـــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ـــ القاهرة (بدون تاريخ) .

٨٥ ـــ أنور الجندي : مقدمات العلوم والمناهج . محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل ـــ المجلد الثانى ـــ دار الأنصار ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٩ م . .

٨٦ ـــ أنور الجندي : اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار منذ ظهورها إلي أوائل الحرب العالمية الأولى ـــ الطبعة الأولي ـــ دار الاعتصام ـــ القاهرة ـــ ١٣٩٨ هـ ـــ ١٩٧٨ م .

٨٧ ـــ أحوز الجندى :من التبعية إلى الأصالة فى التعليم والقانون واللغة ـــ دار الاعتصام ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٧)

٨٨ ــ أنــور الجنــدي : الإسلام والغرب ــ دار الاعتصام ــ القاهرة (بدون تاريخ) .

٨٩ ــ أنــور الجنــدي : شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامي ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م .

٩٠ ــ أنــور الجنــدي : يقظة الفكر العربي مرحلة ما بين الحربين ــ مطبعة زهران ــ القاهرة ــ ١٩٧٢ م .

٩١ ــ أ . هـــــــــ . جونسون : فلسفة وايتهيد فى الحضارة ــ (ترجمة الدكتور عبد الرحمن ياغى) ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ــ ١٩٦٦ م .

٩٢ ــ إيدجــار فــور : تعلم لتكون ــ (ترجمة حنفي بن عيسي) ــ اليونسكو ــ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ــ الجزائر ــ ١٩٧٤ م .

٩٣ ــ دكتــور بركــات عبــد الفتــاح دويدار : الحركــة الفكريــة ضد الإسلام أهدافهــا ومقوماتها ــ دار التراث العربي للطبع والنشر ــ القاهرة (بدون تاريخ) .

٩٤ ــ بــول مــاسون أورسيل : الفلسفة فى الشرق ــ (ترجمة محمد يوسف موسى) ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٤٧ م .

٩٥ ــ تقرير عن محــو الأميــة وتعليــم الكبار : خطــط ودراسات ــ المجالس القوميــة المتخصصة ــ رئاسة الجمهورية ــ القاهرة ــ يوليو ١٩٧٧ م .

٩٦ ــ توفيــق الحكيــم : التعادلية ــ مكتبة الآداب ومطبعتها ــ القاهرة ــ ١٩٧٦ م .

٩٧ ـ توفيق الحكيم : قالبنا المسرحي ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ م .

٩٨ ـ توفيق علي برد : العرب والترك فى العهد الدستورى العثماني (١٩٠٨ـ١٩١٤ م) ـ معهد الدراسات العربية العالمية ـ القاهرة ١٩٦٠ م .

٩٩ ـ جلال الدين عبد الرحمن (السيوطي) : الإتقان فى علوم القرآن ـ الجزء الأول ـ المطبعة الكستلية ـ القاهرة ـ ١٢٧٩ هـ .

١٠٠ ـ دكتور جلال يحيى : الاستعمار والاستغلال والتخلف ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٥م .

١٠١ ـ دكتور جلال يحيى ودكتور جاد طه : معلم التاريخ الأوربى الحديث ـ منشأة المعارف بالاسكندرية ـ ١٩٧٤ م .

١٠٢ ـ جمال الدين الأفغاني : الأعمال الكاملة ـ (تحقيق محمد عمارة) ـ المؤسسة المصرية العامة ـ القاهرة (بدون تاريخ) .

١٠٣ ـ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده : العروة الوثقي ـ الطبعة الأولي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م .

١٠٤ ـ دكتور جمال حمدان : شخصية مصر ، دراسة في عبقرية المكان ـ الجزء الأول ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ .

١٠٥ ـ دكتور جميل صليبا : " التربية العربية بين الأصالة والاقتباس " ـ أسس التربية فى العالم العربي ـ المجلس الأعلى

لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ـ لجنة التربية وعلم النفس ـ الحلقة الدراسية الأولى ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ القاهرة ـ ١٩٦١م.

١٠٦ ـ دكتورة جهينة سلطان العيسى : التحديث فى المجتمع القطرى المعاصر ـ الطبعة الأولى ـ دار العودة ـ بيروت ـ ١٩٧٩ .

١٠٧ ـ جورج سباين : تطور الفكر السياسي ـ الكتاب الأول ـ الطبعة الرابعة ـ (ترجمة حسن جلال العروسي) ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧١ .

١٠٨ ـ دكتور جوزيف جماد : أوربا ومصير الشرق العربي ، حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية ـ (ترجمة بطرس الحلاق وماجد نعمة ، مراجعة حسن فخر) ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٦ م .

١٠٩ ـ جوستاف لوبون : حضارة العرب ـ (ترجمة عادل زعيتر) ـ القاهرة ـ ١٩٤٨ م .

١١٠ ـ جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الإسلام ـ (ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين) ـ دار الكاتب المصرى ـ القاهرة ـ ١٩٤٦ م .

١١١ ـ جون باجوت جلوب : امبراطورية العرب ـ (تعريب وتعليق خيرى حماد) ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ ١٩٦٦ م .

١١٢ ـ جيمس . س . روس : الأسس العامة لنظريات التربية ـ (ترجمة صالح عبد العزيز ومحمد السيد غلاب) ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ـ (بدون تاريخ) .

١١٣ـ جيمس هنري برستد : فجر الضمير ـ (ترجمة سليم حسن) ـ القاهرة ـ ١٩٥٦ م .

١١٤ـ دكتور حامد عمار : فى بناء البشر ـ دراسات فى التغير الحضارى والفكر التربوى ـ المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى ـ سرس الليان ـ المنوفية ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ ١٩٦٤ م .

١١٥ـ حامد عوض الله : الألوهية وفكر العصر . أهناك اله ؟ ـ رقم (١) من (سلسلة الدراسات العلمية) ـ المركز الثقافى الجامعى ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ م .

١١٦ـ حسان محمد حسان : اتجاهات الفكر التربوي في مصر من ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢م ـ ماجيستير غير منشورة ـ كلية التربية ـ جامعة عين شمس ـ ١٩٧١م.

١١٧ـ حسن إبراهيم عبد العال : التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجري ـ رقم (١) من مكتبة التربية الإسلامية ـ إشراف الدكتور إبراهيم عصمت مطاوع والدكتور عبد الغني عبود ، تقديم الدكتور عبد الغني عبود ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ م .

١١٨ـ حسن إبراهيم عبد العال : أصول تربية الطفل فى الإسلام ـ دكتوراه غير منشورة ـ كلية التربية ـ جامعة طنطا ـ قسم أصول التربية ـ طنطا ـ ١٩٨٠ م .

١١٩ـ حسن الأمين : الغزو المغولي ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

١٢٠ـ حسن البنا : مجموعة الرسائل ـ دار الشهاب (بدون تاريخ) .

١٢١ـ حسن توفيق أفندي : كتاب هداية الأطفال ـ الطبعة السابعة ـ المطبعة الأميرية ـ القاهرة ـ ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٤ م .

١٢٢ـ دكتور حسن حنفي : التراث والتجديد ـ موقفنا إزاء التراث ـ المركز العربي للبحث والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ م .

١٢٣ـ دكتور حسن سلامة الفقي : التاريخ الثقافي للتعليم بالجمهورية العربية المتحدة ـ الطبعة الأولى ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ م .

١٢٤ـ دكتور حسن صعب : تحديث العقل العربي . دراسات حول الثورة الثقافية اللازمة للتقدم العربي فى العصر الحديث ـ الطبعة الثانية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٢ م .

١٢٥ـ حسين بن غنام : تاريخ نجد ـ (تحقيق ناصر الدين الأسد) ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة المدنى ـ القاهرة ١٩٦١ م .

١٢٦ـ دكتور حسين فوزى النجار : أحمد لطفي السيد أستاذ الجيل ـ رقم (٣٩) من (سلسلة أعلام العرب) ـ المؤسسة العربية للتأليف والأنباء والنشر ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ـ ١٩٦٥ م .

١٢٧ـ دكتور حسين فوزى النجار : رفاعة الطهطاوي ـ رقم (٥٣) من (سلسلة أعلام العرب) ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة (بدون تاريخ) .

١٢٨ـ دكتور حسين مؤنس : عالم الإسلام ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ م .

١٢٩ــ **دكتور حسين مؤنس**: المساجد ــ رقم (٣٧) من (سلسلة عالم المعرفة) ــ سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت ــ ربيع أول ١٤٠١ هـ ــ يناير ١٩٨١ م .

١٣٠ــ **خليل طوطح** : التربية عند العرب ــ المطبعة التجارية بالقدس ــ ١٩٣٥ م .

١٣١ــ **رالف وين** : قاموس جون ديوي ــ (ترجمة محمد العريان) . مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٦٤ م .

١٣٢ــ **رفاعة رافع الطهطاوى** : مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية ــ ضمن الجزء الأول من الأعمال الكاملة ــ الطبعة الأولى ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ــ ١٩٧٣م.

١٣٣ــ **رفاعة رافع الطهطاوى** : تخليص الإبريز فى تلخيص باريز ــ ضمن الجزء الثانى من الأعمال الكاملة لرفاعة ــ (دراسة وتحقيق محمد عمارة) ــ الطبعة الأولى ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ــ ١٩٧٣ م .

١٣٤ــ **رفاعة رافع الطهطاوى** : المرشد الأمين للبنات والبنين ــ ضمن الجزء الثانى من الأعمال الكاملة .

١٣٥ــ **زاهر عزب الزغبى** : الإسلام ضرورة عالمية ــ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٧١ م .

١٣٦ــ **دكتور زغلول راغب النجار** : '' أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية '' ــ المسلم المعاصر ــ العدد الثانى

عشر ــ شوال ــ ذو الحجة ١٣٩٧ هـ ــ أكتوبر ــ ديسمبر ١٩٧٧ م .

١٣٧ــ **دكتور زكي نجيب محمود :** '' طريق العقل فى التراث الإسلامي '' مجلة الهلال ــ يناير ١٩٨٠ م .

١٣٨ــ **دكتور زكي نجيب محمود :** تجديد الفكر العربي ــ الطبعة الثانية ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٩٧٣م.

١٣٩ــ **دكتور زكي نجيب محمود :** '' إحياء التراث وكيف أفهمه '' العربى ــ العدد (٢٦٥) ــ الكويت ــ محرم ١٤٠١ هـ ، ديسمبر ١٩٨٠ م .

١٤٠ــ **دكتور زكي نجيب محمود :** ثقافتنا فى مواجهة العصر ــ الطبعة الأولى ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٩٧٦ م .

١٤١ــ **دكتور زكي نجيب محمود :** هذا العصر وثقافته ــ الطبعه الأولى ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م .

١٤٢ــ **دكتور زكي نجيب محمود :** هموم المثقفين ــ الطبعة الأولى ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٩٨١ هـ ــ ١٤٠١ م .

١٤٣ــ **دكتور زكي نجيب محمود :** خرافة الميتافيزيقا ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٥٣ .

١٤٤ــ **زكريا هاشم زكريا :** المستشرقون والإسلام ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة ــ ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٥ م .

١٤٥ــ **دكتور سامي عزيز :** الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي ــ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ــ وزارة الثقافة ــ الجمهورية العربية المتحدة ــ ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م .

١٤٦ــ **سامية السعيد بغاغو :** دراسة مقارنة للتعليم الابتدائي فى مصر إثر ثورتى ١٩١٩ ، ١٩٥٢م ــ ماجيستير غير

منشورة ـ كلية التربية ـ جامعة طنطا ـ قسم أصول التربية ـ طنطا ـ ١٩٧٩ م .

١٤٧ـ س . و . ب جويس : '' العقاقير والشخصية '' الفصل الرابع عشر من آفاق حديدة فى علم النفس ـ أشرف على تأليفه ـ ب . م . فوس ـ (ترجمة دكتور فؤاد أبو حطب) ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ م .

١٤٨ـ دكتور سعد مرسي أحمد ودكتور سعيد إسماعيل علي : تاريخ التربية والتعليم ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ م .

١٤٩ـ دكتور سعيد إسماعيل علي : '' مصادر التربية الإسلامية '' الكتاب السنوي فى التربية وعلم النفس ـ بأقلام نخبة من أساتذة التربية وعلم النفس ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ م .

١٥٠ـ دكتور سعيد إسماعيل علي : دراسات فى التربية والفلسفة ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٢م .

١٥١ـ دكتور سعيد إسماعيل علي : أصول التربية الإسلامية ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ م .

١٥٢ـ دكتور سعيد إسماعيل علي : قضايا التعليم فى عهد الاحتلال ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ م .

١٥٣ـ دكتور سعيد إسماعيل علي : نشأة التربية الإسلامية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ، ١٩٧٨ م .

١٥٤ـ دكتور سعيد إسماعيل علي : تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ م .

١٥٥ـ دكتور سعيد إسماعيل علي ودكتورة زينب حسن حسن : دراسات في اجتماعيات التربية ـ الطبعة الثانية ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ م .

١٥٦ـ دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٦٥ م .

١٥٧ـ سلامة موسى : اليوم والغد ـ المطبعة العصرية ـ القاهرة ـ ١٩٢٨ م .

١٥٨ـ سلامة موسى : أحلام الفلاسفة ـ الشركة التونسية للنشر والتوزيع ـ تونس ـ ١٩٦١ م .

١٥٩ـ سلامة موسى : دراسات سيكولوجية ـ الشركة العربية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٢ م .

١٦٠ـ سميرة مختار الليثى : الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ م .

١٦١ـ دكتور سيد إبراهيم الجيار : تاريخ التعليم فى مصر وأبعاده الثقافية ـ طبعة ثانية ـ مكتبة غريب ـ ١٩٧٧ م .

١٦٢ـ سيد أمير علي : روح الإسلام ـ الجزء الأول ـ (ترجمة أمين محمود الشريف) ـ مكتبة الآداب ومطبعتها ـ القاهرة ـ ١٩٦١ م .

١٦٣ـ سيد حسين نصر : الإسلام أهدافه وحقائقه ـ الطبعة الأولى ـ الدار المتحدة للنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٤ م .

١٦٤ـ سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

١٦٥ــ سيد قطب : في ظلال القرآن ــ الطبعة الثانية ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م .

١٦٦ــ سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ــ دار الشروق ــ بيروت (بدون تاريخ) .

١٦٧ــ سيد قطب : هذا الدين ــ دار الشروق ــ بيروت (بدون تاريخ) .

١٦٨ــ سيد قطب : الإسلام ومشكلات الحضارة ــ بيروت (بدون تاريخ) .

١٦٩ــ دكتور سيد محمد غنيم : سيكولوجية الشخصية . محدداتها ، قياسها ، نظرياتها ــ الطبعة الأولى ــ دار النهضة العربية ــ القاهرة ــ ١٩٧٣ م .

١٧٠ــ دكتور شبلي شميل : مجموعة الدكتور شبلي شميل ــ الجزء الأول ــ مطبعة المقتطف بمصر ــ ١٩١٠ م .

١٧١ــ شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني (ابن حجر) : فتح الباري ، شرح صحيح البخارى ــ البابى الحلبى ــ القاهرة ــ ١٩٥٩ م .

١٧٢ــ صابر طعيمة : المعرفة فى منهج القرآن الكريم ــ دار الجيل ــ بيروت (بدون تاريخ) .

١٧٣ــ صابر طعيمة : تحديات أمام العروبة والإسلام ــ دار الجيل ــ بيروت ــ ١٩٧٦ م .

١٧٤ــ صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية ــ طبعة ثانية ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٦٤ م .

١٧٥ــ ضياء الدين الريس : الدستور والاستقلال والثورة الوطنية ــ الجزء الثانى ــ دار الشعب ــ القاهرة ــ ١٩٧٥ م .

١٧٦ــ طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ ــ

١٩٥٢م) ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ١٩٧٢ م .

١٧٧ــ طاغور : سادهانا ــ (ترجمة محمد طاهر الجبلاوى) ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة (بدون تاريخ) .

١٧٨ــ طنطاوي جوهري : نهضة الأمة وحياتها ــ مطبعة اللواء ــ القاهرة ــ ١٣٢٦ هـ ــ ١٩٠٨ م .

١٧٩ــ دكتور طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر ــ مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ــ ١٩٣٨م .

١٨٠ــ دكتور طه حسين : حديث الأربعاء ــ الجزء الأول ــ الطبعة الثانية عشرة ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٧٦م .

١٨١ــ دكتور طه حسين : تقليد وتجديد ــ الطبعة الأولى ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٧٨م .

١٨٢ــ دكتور طيب تيزيني : مشروع رؤية جديدة للفكر العربي من العصر الجاهلي حتى المرحلة المعاصرة ــ الجزء الأول ــ حول نظرية مقترحة في قضية التراث العربي ــ الطبعة الثانية ــ دار ابن خلدون ــ بيروت ــ ١٩٧٨م .

١٨٣ــ دكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : الشخصية الإسلامية (دراسة قرآنية) ــ الطبعة الثانية ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٧٧م .

١٨٤ــ عباس محمود العقاد : دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية ــ المكتبة العصرية ــ بيروت (بدون تاريخ) .

١٨٥ــ عباس محمود العقاد : أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٦٣ م .

١٨٦ـ عباس محمود العقاد : الله ـ مطابع الأهرام التجارية ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ م .

١٨٧ـ عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية ـ المجلد السابع من مؤلفات الأستاذ العقاد ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ١٩٧٤ م .

١٨٨ـ عباس محمود العقاد : ما يقال عن الإسلام ـ دار الهلال ـ القاهرة ـ ١٩٧٠م.

١٨٩ـ عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم ـ كتاب الهلال ـ ١٩٦٣م.

١٩٠ـ عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ـ دار الإسلام.القاهرة ـ ١٩٧٢م.

١٩١ـ دكتور عبد الحليم محمود : منهج الإصلاح فى المجتمع الإسلامي ـ دار الشعب ـ القاهرة (بدون تاريخ) .

١٩٢ـ دكتور عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي فى الإسلام ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م .

١٩٣ـ دكتور عبد الحميد إبراهيم : الوسطية العربية مذهب وتطبيق ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٩ م .

١٩٤ـ عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ـ الجزء الثالث ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة النهضة المصرية ـ ١٩٣٠ م .

١٩٥ـ عبد الرحمن الرافعي : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ـ الطبعة الرابعة ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٢ م .

١٩٦ـ عبد الرحمن الرافعي : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال (١٨٨٢ ـ ١٨٩٢م) ـ الطبعة الثالثة ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٤٨ م .

١٩٧ـ عبد الرحمن الكواكبي : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ـ الأعمال الكاملة ـ (دراسة وتحقيق محمد عمارة) ـ الطبعة الأولى ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٥م .

١٩٨ـ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ـ (تحقيق محمد حامد الفقى) ـ الطبعة الرابعة ـ مطبعة أنصار السنة المحمدية ـ القاهرة ـ ١٣٦٢ هـ .

١٩٩ـ دكتور عبد الرحمن بدوي : اشبنجلر ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٤٥ م .

٢٠٠ـ عبد الرحمن ابن خلدون : المقدمة ـ دار الشعب ـ القاهرة (بدون تاريخ) .

٢٠١ـ عبد الرحمن بن علي (ابن الديبع الشيبانى) : تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ـ البابى الحلبى ـ القاهرة (بدون تاريخ) .

٢٠٢ـ عبد الرحمن زكي : تراث القاهرة العلمى والفني فى العصر الإسلامي ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٩ م .

٢٠٣ـ دكتور عبد الشافي غنيم عبد القادر ودكتور رأفت غنيمى الشيخ : قضايا إسلامية معاصرة ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ م .

٢٠٤ــ دكتور عبد العزيز الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ــ بيروت ــ ١٩٦٢م. مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربي ــ الطبعة الأولى ــ دار الطليعة للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ١٩٦٩ م .

٢٠٥ــ عبد العزيز جاويش : غنية المؤدبين فى الطرق الحديثة للتربية والتعليم ــ الطبعة الثانية ــ مطبعة الهداية ــ مصر ــ ١٩١٠ م .

٢٠٦ــ دكتور عبد العزيز رفاعي : الطابع القومى للشخصية المصرية بين الإيجابية والسلبية ــ دار النهضة العربية ــ القاهرة ، ١٩٧١ م .

٢٠٧ــ دكتور عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ــ وزارة الثقافة والإرشاد القومى ــ الدار العربية للطباعة والنشر ــ الجمهورية العربية المتحدة ــ القاهرة ــ ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م .

٢٠٨ــ دكتور عبد العزيز صالح : الشرق الأدني القديم ــ الجزء الأول (مصر والعراق) ــ القاهرة ، ١٩٦٧ م .

٢٠٩ــ دكتور عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها ــ الجزء الأول ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٨٠ م .

٢١٠ــ دكتور عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ــ الجزء الثاني ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٨٠ م .

٢١١ــ دكتور عبد الغنى النوري ودكتور عبد الغني عبود : نحو فلسفة عربية للتربية ــ طبعة أولي ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ ١٩٧٦ م .

٢١٢ـ دكتور عبد الغني عبود : دراسة مقارنة لنظام البحث العلمي في الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ـ كلية التربية ـ جامعة عين شمس ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ م .

٢١٣ـ دكتور عبد الغني عبود : دراسة مقارنة لتاريخ التربية ـ طبعة أولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ م .

٢١٤ـ دكتور عبد الغني عبود : الأيديولوجيا والتربية ـ طبعة ثانية ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ م .

٢١٥ـ دكتور عبد الغني عبود : التربية واشكالات المجتمع ـ طبعة أولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ م .

٢١٦ـ دكتور عبد الغني عبود : فى التربية الإسلامية ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧٧م .

٢١٧ـ دكتور عبد الغني عبود : إدارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة ـ طبعة أولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧٩ م .

٢١٨ـ دكتور عبد الغني عبود : العقيدة الإسلامية والأيدلوجيات المعاصرة ـ طبعة أولى ـ الكتاب الأول من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) . دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ م .

٢١٩ـ دكتور عبد الغني عبود : الله والانسان المعاصر ـ الكتاب الثانى سلسلة الإسلام (تحديات العصر) ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ م .

٢٢٠ـ دكتور عبد الغني عبود : الإسلام والكون ـ الكتاب الثالث من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ م .

٢٢١ــ دكتور عبد الغني عبود : الإنسان فى الإسلام والإنسان المعاصر ــ الكتاب الرابع من سلسلة الإسلام وتحديات العصر ــ طبعة أولى ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ١٩٨٠ م .

٢٢٢ــ دكتور عبد الغني عبود : اليوم الآخر والحياة المعاصرة ــ الكتاب الخامس من سلسلة الإسلام وتحديات العصر ــ طبعة أولى ــ دار العربى ــ القاهرة ــ ١٩٧٨م .

٢٢٣ــ دكتور عبد الغني عبود : قضية الحرية وقضايا أخرى ــ الكتاب السابع من سلسلة الإسلام وتحديات العصر ــ طبعة أولى ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٧٩ م .

٢٢٤ــ دكتور عبد الغني عبود : الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة ــ الكتاب الثامن من سلسلة الإسلام وتحديات العصر ــ طبعة أولى ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٧٩ م .

٢٢٥ــ دكتور عبد الغني عبود : الملامح العامة للمجتمع الإسلامى ــ الكتاب التاسع من سلسلة الإسلام وتحديات العصر ــ طبعة أولى ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٧٩م .

٢٢٦ــ دكتور عبد الغني عبود : ديناميات المجتمع الإسلامى ــ الكتاب العاشر من سلسلة الإسلام وتحديات العصر ــ طبعة أولى ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٨٠ م .

٢٢٧ــ دكتور عبد الغني عبود : الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة ــ الكتاب الحادى عشر من سلسلة الإسلام

وتحديات العصر ــ طبعة أولى ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٨١ م .

٢٢٨ــ **دكتور عبد الفتاح جلال :** من الأصول التربوية فى الإسلام ــ المركز الدولى للتعليم الوظيفي للكبار فى العالم العربي ــ سرس الليان ــ جمهورية مصر العربية ــ المنوفية ــ ١٩٧٧ م .

٢٢٩ــ **دكتور عبد الفتاح حجاج :** ''التربية والمجتمع العربي عبر العصور'' ــ من بحوث المؤتمر الفكرى الثانى للتربويين العرب ــ بغداد ــ حزيران ١٩٧٨ م .

٢٣٠ــ **عبد القادر المغربي :** جمال الدين الأفغاني ، ذكريات وأحاديث ــ العدد (١٨) من سلسله (اقرأ) ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٤٨ م .

٢٣١ــ **عبد القادر عودة :** الإسلام وأوضاعنا السياسية ــ الطبعة الثانية ــ بيروت ــ ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٧ م .

٢٣٢ــ **عبد الكريم غلاب :** الفكر الإسلامي بين الاستلاب وتأكيد الذات ــ الدار العربية للكتاب ــ ليبيا ــ تونس ــ ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م .

٢٣٣ــ **دكتور عبد اللطيف حمزة :** الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى ــ الطبعة الأولى ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ ١٩٤٧ م .

٢٣٤ــ **عبد اللطيف محمد السبكي وآخران :** تاريخ التشريع الإسلامى ــ المكتبة التجارية الكبرى ــ القاهرة ــ ١٣٥٥ هـ ــ ١٩٣٧ م .

٢٣٥ــ **دكتور عبد الله عبد الدايم :** التربية عبر التاريخ ــ طبعة ثالثة ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٧٨ م .

٢٣٦ـ دكتور عبد الله عبد الدايم : تاريخ التربية ـ منشورات كلية التربية بجامعة دمشق ـ ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م .

٢٣٧ـ عبد الله نديم : سلافة النديم ـ الجزء الأول ـ الطبعة الأولى ـ المطبعة الجامعية بمصر ـ ١٣١٤ هـ ـ ١٨٩٧ .

٢٣٨ـ عبد المتعال الصعيدي : المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر ـ طبعة ثانية ـ مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماهير ـ القاهرة ـ ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

٢٣٩ـ عبد المتعال محمد الجبري : المرأة فى التصور الإسلامي ـ طبعة رابعة ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .

٢٤٠ـ عبد المعطي محمد بيومي : تجديد الفكر الإسلامي فى العصر الحديث ـ دكتوراه غير منشورة ـ كلية أصول الدين ـ الأزهر ـ القاهرة ، ـ (بدون تاريخ) .

٢٤١ـ دكتور عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة ـ الجزء الأول ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٩م .

٢٤٢ـ دكتور عثمان أمين : رواد الوعي الإنساني فى الشرق الإسلامي ـ رقم (٤٦) من المكتبة الثقافية ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومى ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ ١٩٦١ م .

٢٤٣ـ على الجندي وآخرون (جمع وضبط وشرح) : سجع الحمام فى حكم الإمام علي بن أبى طالب عليه السلام ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ م .

٢٤٤ـ دكتور على الحديدي : عبد الله النديم خطيب الوطنية ـ رقم (٩) من (سلسلة أعلام العرب) ـ وزارة الثقافة

والإرشاد القومى ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة ـ الجمهورية العربية المتحدة (بدون تاريخ) .

٢٤٥ـ **علماء الحملة الفرنسية :** وصف بمصر ـ المجلد الأول ـ المصريون المحدثون ـ (ترجمة زهير الشايب) ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٩٧٩م .

٢٤٦ـ **على المحافظة :** الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة (١٧٩٨ ـ ١٩١٤م) ـ الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية) ـ طبعة ثانية ـ الأهلية للنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٧٨ م .

٢٤٧ـ **دكتور على حسنى الخربوطلى :** التاريخ الموحد للأمة العربية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ م .

٢٤٨ـ **على سالم إبراهيم النباهين :** نظام التربية فى عصر دولة المماليك فى مصر ـ ماجستير ـ كلية التربية ـ جامعة طنطا ـ ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .

٢٤٩ـ **دكتور علي سامي النشار :** مناهج البحث عند مفكري الإسلام ـ طبعة ثانية ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ م .

٢٥٠ـ **دكتور علي سامي النشار :** نشأة الفكر الفلسفى في الإسلام ـ طبعة ثانية ـ دار المعارف ـ الأسكندرية ـ ١٩٦٢ م .

٢٥١ـ **علي عبد الرازق :** الإسلام وأصول الحكم ، بحث فى الخلافة والحكومة فى الإسلام ـ (نقد وتعليق ممدوح حق) ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٧٨م .

٢٥٢ـ **علي مبارك :** الأعمال الكاملة ـ المجلد الأول ـ (تحقيق محمد عمارة) ـ طبعة أولى ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٩ .

٢٥٣ــ علي مبارك : الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ــ الجزء الرابع ــ بولاق ــ مصر ــ ١٣٠٦ هـ .

٢٥٤ــ دكتور علي محمد جريشة ، ومحمد شريف الزيبق : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ــ طبعة أولى ــ دار الاعتصام ــ القاهرة ــ ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .

٢٥٥ــ دكتور عماد الدين خليل : '' موقف إزاء التراث '' ــ المسلم المعاصر ــ العدد التاسع ــ ربيع أول ١٣٩٧ هـ ــ مارس ١٩٧٧ م .

٢٥٦ــ دكتور عماد الدين خليل : فى النقد الإسلامي المعاصر ــ طبعة أولى ــ مؤسسة الرسالة بيروت ــ ١٩٧٧ م .

٢٥٧ــ دكتور عماد الدين خليل : التفسير الإسلامي للتاريخ ــ طبعة أولى ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٧٥م.

٢٥٨ــ عمر أبو النصر : على وعائشة ــ دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة ــ ١٩٤٧م.

٢٥٩ــ دكتور عمر عبد العزيز : دراسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ــ ١ ــ مصر (١٥١٧ ــ ١٩٥٢م)ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ــ ١٩٧٥م.

٢٦٠ــ دكتور عمر فروخ : تجديد التاريخ فى تعليله وتدوينه (إعادة النظر فى التاريخ) ــ طبعة أولى ــ دار الباحث ــ بيروت ــ ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨٠ م .

٢٦١ــ دكتور عمر محمد التومي الشيباني : تطور النظريات والأفكار التربوية ــ طبعة ثانية ــ دار الثقافة ــ بيروت ــ ١٩٧٥ م .

٢٦٢ــ دكتور عون الشريف قاسم : الإسلام والثورة الحضارية ــ دار العلم ــ بيروت ــ ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م .

٢٦٣ــ **غازى التوبة** : الفكر الإسلامي المعاصر (دراسة وتقويم) ــ الطبعة الثالثة ــ دار القلم ــ بيروت ــ ١٩٧٧م.

٢٦٤ــ **دكتور فتحى عبد المقصود الديب ودكتور صلاح الدين علي مجاور** : المنهج المدرسى أسسه وتطبيقاته ــ طبعة أولى ــ دار القلم ــ الكويت ــ ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٣ م .

٢٦٥ــ **فتحية حسن سليمان** بحث فى المذهب التربوي عند الغزالى ــ طبعة ثانية ــ مكتبة نهضة مصر ــ القاهرة ، ١٩٦٤ م .

٢٦٦ــ **فتحية حسن سليمان** : التربية عند اليونان والرومان ــ مكتبة نهضة مصر (بدون تاريخ) .

٢٦٧ــ **دكتور فهمي جدعان** : أسس التقدم عند مفكري الإسلام فى العالم العربي الحديث ــ طبعة أولى ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت ، ١٩٧٩م.

٢٦٨ــ **دكتور فكري حسن ريان** : المناهج الدراسية ــ عالم الكتب ــ القاهرة ، ١٩٧٢ م .

٢٦٩ــ **فيليب حتي**: تاريخ العرب ــ (ترجمة محمد مبروك نافع) ــ الجزء الأول ــ القاهرة ــ ١٩٥٢م.

٢٧٠ــ **فيليب فينكس** : فلسفة التربية (ترجمة دكتور محمد لبيب النجيحى) ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة، ١٩٦٧ م .

٢٧١ــ **دكتور قسطنطين زريق** : نحن والمستقبل ــ طبعة أولى ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ، ١٩٧٧ م .

٢٧٢ــ **ك . م . بانيكار** : آسيا والسيطرة الغربية ــ (ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة أحمد خاكي) ــ من الفكر السياسى والاشتراكى ــ الجمهورية العربية

المتحدة — وزارة الثقافة والارشاد القومى — الادارة العامة للثقافة — دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ م .

٢٧٣ — دكتور كامل سعفان : أمين الخولي فى مناهج تجديده — المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية — القاهرة ، ١٩٧٧ م .

٢٧٤ — دكتور كمال اليازجي : معالم الفكر العربي — طبعة سادسة — دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٧٩ م .

٢٧٥ — كولن ولسن : ما بعد اللامنتمى (فلسفة المستقبل) — نقلها إلى العربية يوسف شرور وعمر عق — طبعة أولى — دار الآداب — بيروت ، ١٩٦٥ م .

٢٧٦ — لوثروب استوادرد : حاضر العالم الإسلامي — (ترجمة عجاج ، تعليقات الأمير شكيب أرسلان) — الطبعة الرابعة — المجلد الأول — الجزء الأول — دار الفكر — بيروت (بدون تاريخ) .

٢٧٧ — مؤتمر الأصالة والتجديدفى الثقافة العربية المعاصرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — جامعة الدول العربية — إدارة الثقافة — القاهرة — ٤ — ١١ / ١٠ / ١٩٧١ م .

٢٧٨ — دكتور مالك بدري : "علماء النفس المسلمون فى جحر ضيب" — ٢ — المسلم المعاصر العدد الخامس عشر — رمضان ١٣٩٨ هـ — سبتمبر ١٩٧٨ م .

٢٧٩ — مالك بن نبى : المسلم فى عالم الاقتصاد — دار الشروق — بيروت — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م .

٢٨٠ـ مالك بن نبـي : وجهة العالم الإسلامى ـ (ترجمة عبد الصبور شاهين) ـــ دار الفكر ــــ دمشق ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

٢٨١ـ مالك بن نبـي : مشكلة الثقافة (ترجمة عبد الصبور شاهين) ـ طبعة ثانية ـ دار الفكر ـ دمشق ـــ ١٣٩١ هـ .

٢٨٢ـ مالك بن نبـي : شروط النهضة ـ (ترجمة عمر كامل مكاوى ـ عبد الصبور شاهين) ـــ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

٢٨٣ـ مالك بن نبـي : إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث ـ مكتبة عمار ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ م .

٢٨٤ـ مالك بن نبـي : الظاهرة القرآنية ـ (ترجمة عبد الصبور شاهين ، تقديم محمد عبد الله دراز ، ومحمود شاكر) ـ دار الفكر ـ دمشق ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

٢٨٥ـ محمـــد أسد : الإسلام على مفترق الطرق ـ سلسلة صوت الحق ـ تصدرها الجماعة الإسلامية بجامعة القاهرة ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ـ (بدون تاريخ) .

٢٨٦ـ دكتـور محمـــد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ـ مكتبة سعيد رأفت ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ م .

٢٨٧ـ دكتـور محمـــد الصادق عفيفى : المجتمع الإسلامى وأصول الحكم ـ طبعة أولى ـــ دار الاعتصام ـــ القاهرة ـــ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

٢٨٨ــ **محمــد إقبــال** : تجديد الفكر الديني فى الإسلام ــ (ترجمة عباس محمود) ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة (بدون تاريخ) .

٢٨٩ــ **دكتــور محمــد البهى** : الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر ــ مشكلات الحكم والتوجيه ــ طبعة ثانية ــ دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت ــ ١٩٧٥ م .

٢٩٠ــ **دكتــور محمــد البهى** : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ــ طبعة ثانية ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م .

٢٩١ــ **دكتــور محمــد البهى** : الإسلام فى حل مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة ــ طبعة ثانية ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ــ ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م .

٢٩٢ــ **دكتــور محمــد البهى** : الدين والحضارة الإنسانية ــ مكتبة الشركة الجزائرية ــ الجزائر (بدون تاريخ) .

٢٩٣ــ **دكتــور محمــد البهى** : الإسلام فى الواقع الأيدلوجى المعاصر ــ طبعة أولى ــ دار الفكر ــ بيروت ــ ١٩٧٠ م .

٢٩٤ــ **دكتــور محمــد السيــد غــلاب** : البيئة والمجتمع ــ طبعة رابعة ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٦٩ م .

٢٩٥ــ **دكتــور محمــد الهــادى عفيفــى ودكتور سعد مرسى أحمد** : قراءات فى التربية المعاصرة ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ١٩٧٧ م .

٢٩٦ــ **دكتــور محمــد الهــادى عفيفــى** : التربية والتغير الثقافى ــ طبعة ثالثة ــ الأنجلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٧٠ م .

٢٩٧ــ دكتور محمد الهادى عفيفى وآخرون : نحو استراتجية جديدة للتربية فى البلاد العربية ــ المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب ــ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ صنعاء ٢٣ ــ ٢٨ / ١٢ / ١٩٧٢ م .

٢٩٨ــ محمد بن إبراهيم ـ ابن سعد الله (ابن جماعة) : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ــ نشر السيد محمد هاشم الندوى ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٣٥٤ هـ .

٢٩٩ــ محمد بن سحنون : كتاب آداب المعلمين ــ رقم (١) من تحقيقات حسن حسنى عبد الوهاب ــ مراجعة وتعليقات محمد العروسى المطيعى ــ تونس ــ ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م .

٣٠٠ــ محمد بن محمد القرشى (ابن الأخوة) : معالم القربة فى أحكام الحسبة ــ (تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعى) ــ النهضة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ١٩٧٦ م .

٣٠١ــ الإمام محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ــ الطبعة الثانية ــ المكتب الإسلامى ــ بيروت ــ ١٣٩٠ هـ .

الدر النضيد على كتاب التوحيد ــ (شرح وتعليق سعيد الجندول) ــ الطبعة الرابعة ــ الرياض ــ السعودية ــ ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م .

٣٠٢ــ الإمام محمد بن القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد ــ

على الشوكانى : (تحقيق إبراهيم حسن الانبابى الشافعى) ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة ــ ١٩٧٠ م .

٣٠٣ــ دكتور محمد جابر الأنصارى : تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى (١٩٣٠ ــ ١٩٧٠م) ــ رقم (٣٥) من سلسلة (عالم المعرفة) ــ سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت ــ ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠م.

٣٠٤ــ محمد جلال كشك : ودخلت الخيل الأزهر ــ المكتبة السياسية ــ طبعة أولى ــ الدار العلمية ــ بيروت ــ ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧٢ م .

القومية والغزو الفكرى ــ مكتبة الأمل ــ الكويت ، ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٧ م .

٣٠٥ــ دكتور محمد جمال الدين الفندى : الله والكون ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ ١٩٧٦ م .

٣٠٦ــ دكتور محمد جمال صقر : الاشتراكية والتربية ــ مطابع دار الكتاب العربى بمصر ــ (بدون تاريخ) .

٣٠٧ــ محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام ــ الجزء الثانى ــ الطبعة الثانية ــ مطبعة المنار ــ القاهرة ــ ١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٥ م .

٣٠٨ــ دكتور محمد سعيد رمضان البوطى : تجربة التربية الاسلامية فى ميزان البحث ــ المكتبة الأموية ــ دمشق ــ ١٩٦١ م .

٣٠٩ــ **دكتور محمد سيف الدين فهمى** : النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية ــ الطبعة الأولى ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ، ١٩٨٠ م .

٣١٠ــ **الإمام محمد عبده** : الأعمال الكاملة ــ الجزء الخامس ــ (تحقيق محمد عمارة) ــ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ١٩٧٣ م .
الأعمال الكاملة ــ الجزء الثالث ــ (تحقيق محمد عمارة) ــ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ١٩٧٢ م .

٣١١ــ **محمد عبد الجواد** : تقويم دار العلوم ــ صورة من العدد الماسى يصدر لمرور ٧٥ عاما على المدرسة (١٨٧٢ ــ ١٩٤٧م) ــ الجمهورية العربية المتحدة ــ القاهرة ، ١٩٥٩ م .

٣١٢ــ **دكتور محمد عبد الرحمن بيصار** : العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع ــ طبعة ثانية ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٧٠م.

٣١٣ــ **محمد عبد الغنى حسن وآخرون** : روضة المدارس نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ، ١٩٧٥ م .

٣١٤ــ **محمد عبد الغنى حسن** : حسن العطار ــ رقم (٤) من (نوابغ الفكر العربى) ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٦٨ م .

٣١٥ــ **دكتور محمد عبد الله دراز** : دستور الأخلاق فى القرآن (ترجمة دكتور عبد الصبور شاهين ــ ومراجعة دكتور السيد بدوى) ــ طبعة أولى ـ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م .

٣١٦ ــ دكتور محمد عبد الله العربى : النظم الإسلامية ــ الاقتصادية والحكومية والدولية ــ الجزء الثانى ــ القسم الأول ــ مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية ــ القاهرة (بدون تاريخ) .

٣١٧ ــ محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام ــ طبعة رابعة ــ مؤسسة الخانجى ــ القاهرة ــ ١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٢ م .

٣١٨ ــ دكتور محمد عزيز الحبابى : الشخصانية الإسلامية ــ دار المعارف ــ القاهرة ، ١٩٦٩ م .

٣١٩ ــ محمد عطية الأبراشى : التربية الإسلامية وفلاسفتها ــ طبعة ثانية ــ مطبعة عيسى البابى ــ الحلبى ــ القاهرة ــ ١٩٦٩ م .

٣٢٠ ــ دكتور محمد على أبو ريان : الفلسفة ومباحثها مع كتاب المدخل إلى الميتافيزيقا لبرجسون ــ طبعة ثانية ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٦٨ م .

٣٢١ ــ دكتور محمد عمارة : التراث فى ضوء العقل ــ الطبعة الأولى ــ دار الوحدة ــ بيروت ١٩٨٠ م .

٣٢٢ ــ دكتور محمد عمارة : رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ــ كتاب الهلال ــ يولية ، ١٩٨٠ م .

٣٢٣ ــ دكتور محمد عوض محمد : الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ــ طبعة رابعة ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٥٧ م .

٣٢٤ ــ دكتور محمد فؤاد شكري وآخرون : بناء دولة مصر محمد على ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ١٩٤٩ م .

٣٢٥ ــ دكتور محمد فاضل الجمالى : دعوة إلى الإسلام ــ الطبعة الأولى ــ منشورات دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ــ بيروت ــ ١٩٦٣ م .

٣٢٦ـ دكتور محمد فاضل الجمالى : فلسفة تربوية متجددة ، أهميتها للبلدان النامية ـ فلسفة تربوية متجددة لعالم عربى يتجدد ـ دائرة التربية فى الجامعة الأمريكية ـ مطابع دار الكشاف ـ بيروت ـ ١٩٥٦ م .

٣٢٧ـ دكتور محمد فاضل الجمالى : تربية الإنسان الجديد ـ الشركة التونسية للتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٦٧ م .

٣٢٨ـ محمد فريد وجدى : الإسلام فى عصر العلم ـ الطبعة الثالثة ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت ، ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م .

٣٢٩ـ محمد فريد وجدى : المدنية والإسلام ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة هندية ـ القاهرة ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩١٢ م .

٣٣٠ـ محمد فوزى العنتيل : التربية عند العرب ، مظاهرها واتجاهاتها ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ، ١٩٦٦ م .

٣٣١ـ محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية ـ طبعة ثالثة ـ الجزء الأول ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ م .

٣٣٢ـ دكتور محمد كمال جعفر : « فكر بلا نزعات » ـ المسلم المعاصر ـ العدد السادس والعشرون ـ جمادى الأولى ١٤٠١ هـ ـ إبريل ١٩٨١ م .

٣٣٣ـ دكتور محمد كمال جعفر : « ثقافة المسلم المعاصر بين الأصالة والتجديد » ـ المسلم المعاصر ـ العدد الثالث ، رجب ١٣٩٥ هـ ـ يوليو ١٩٧٥ م .

٣٣٤ـ دكتور محمد كمال جعفر : رحلة بين العقل والوجدان ـ كتاب الهلال ـ العدد (٣٥٧) ـ دار الهلال ، شوال ١٤٠٠ هـ ـ سبتمبر ١٩٨٠ م .

٣٣٥ ــ الشيخ محمد متولى الشعراوى : الطريق إلى الله ــ الطبعة الأولى ــ المكتب المصرى الحديث ــ رمضان ١٤٠٠ هـ .

٣٣٦ ــ الشيخ محمد متولى الشعراوى : الله والكون ــ الطبعة الأولى ــ دار المسلم المعاصر ، ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م .

٣٣٧ ــ محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ــ دار النهضة العربية ــ القاهرة (بدون تاريخ) .

٣٣٨ ــ دكتور محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها ــ الطبعة الرابعة ــ المكتب الإسلامى ــ بيروت ــ دمشق ، ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م .

٣٣٩ ــ دكتور محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ــ الجزء الأول (من الثورة العرابية إلى قيام الحرب العالمية الأولى) ــ الطبعة الثالثة ــ بمكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ــ القاهرة ، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .

٣٤٠ ــ دكتور محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ــ الجزء الثانى (من قيام الحرب العالمية الأولى إلى قيام الجامعة العربية) ــ الطبعة الثانية ــ مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ــ القاهرة ، ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م .

٣٤١ ــ دكتور محمد منير مرسى : تاريخ التربية فى الشرق والغرب ــ عالم الكتب ، ١٩٨٠ م .

٣٤٢ ــ دكتور محمد منير مرسى : التربية الإسلامية أصولها وتطورها فى البلاد العربية ــ عالم الكتب ، ١٩٧٧ م .

٣٤٣ ــ دكتور محمد منير مرسى : إدارة وتنظيم التعليم العام ــ طبعة ثانية ــ عالم الكتب ، ١٩٨٠ م .

٣٤٤ـ دكتور محمد منير مرسى : أصول التربية الثقافية والفلسفة ـ عالم الكتب ، ١٩٧٧ م .

٣٤٥ـ دكتور محمد ناصر : قراءات فى الفكر التربوى ـ الجزء الأول ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت ، ١٩٧٣ م .

٣٤٦ـ دكتور محمد نبيل نوفل : « مفهوم العلم فى الإسلام » ـ من بحوث المؤتمر الفكرى الثانى للتربويين العرب ـ بغداد ، حزيران ١٩٦٨ م .

٣٤٧ـ دكتور محمود السيد سلطان : مفاهيم تربوية فى الإسلام ـ طبعة ثانية ـ دار المعارف القاهرة ، ١٩٨١ م .

٣٤٨ـ دكتور محمود السيد سلطان : بحوث فى التربية الإسلامية ـ دار المعارف ـ القاهرة ، ١٩٧٩ م .

٣٤٩ـ دكتور محمود السيد سلطان ودكتور جعفر صادق إسماعيل : مسار الفكر التربوى عبر العصور ـ طبعة ثانية جامعة الكويت ، ١٩٧٧ م .

٣٥٠ـ دكتور محمد السيد : فى قضايا اللغة التربوية ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت (بدون تاريخ) .

٣٥١ـ الإمام محمود بن عمر الزمخشرى : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ـ طبعة أولى ـ المكتبة التجارية ـ القاهرة ، ١٣٥٤ هـ .

٣٥٢ـ الإمام محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ـ طبعة تاسعة ـ دار الشروق ـ بيروت ، ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م .

٣٥٣ـ دكتور محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى ـ رقم (١) من (دراسات فى تاريخ المشرق العربى) ـ القاهرة ، ١٩٧٢ م

٣٦٦ــ **دكتور مصطفى خالدى ودكتور عمر فروخ** : التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ــ طبعة خامسة ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ، ١٩٧٣ م .

٣٦٧ــ **مصطفى صادق الرافعى** : وحى القلم ــ الحزء الثانى ــ دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت (بدون تاريخ) .

٣٦٨ــ **مصطفى صادق الرافعى** : وحى القلم ــ الجزء الثالث ــ دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت (بدون تاريخ) .

٣٦٩ــ **مصطفى صادق الرافعى** : تحت راية القرآن (المعركة بين القديم والجديد) ــ (صحح أصوله محمد سعيد العريان) ــ طبعة سابعة ــ دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت ، ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م .

٣٧٠ــ **دكتور مصطفى كمال حلمى** : « حركة التعليم فى مصر بين الماضى والحاضر والمستقبل » ــ الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس ــ المجلد الثالث ــ القاهرة، ١٩٧٦ م .

٣٧١ــ **مصطفى نعمان حسين البدرى** : الإمام مصطفى صادق الرافعى ــ (قدم له الأستاذ الكبير محمد بهجة الأثرى) ــ مطبعة دار النصيرى ــ بغداد ، ١٩٦٨ م .

٣٧٢ــ **مقداد يالجن** : الاتجاه الأخلاقى فى الإسلام . دراسة مقارنة ــ طبعة أولى ــ مكتبة الخانجى ــ القاهرة ، ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م .

٣٧٣ــ **الشيخ منصور على ناصف** : التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ﷺ ــ الجزء الأول ــ طبعة رابعة ــ دار الفكر ــ بيروت ، ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م .

٣٧٤ــ **منير المرسى سرحان** : فى اجتماعيات التربية ــ طبعة أولى ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ، ١٩٧٣ م .

٣٧٥ـ منير عطاالله سليمان : دراسات مقارنة فى التربية ونظم التعليم ـ الطبعة الأولى ـ الأنجلو المصرية ـ القاهرة ، ١٩٧٣ .

٣٧٦ـ دكتور نازلى إسماعيل حسن : فلسفة الحضارة ـ مكتبة سعيد رأفت ـ القاهرة (بدون تاريخ) .

٣٧٧ـ دكتورة نازلى صالح أحمد : حول التعليم الابتدائى ونظمة ـ طبعة أولى ـ الأنحلو المصرية ـ القاهرة ، ١٩٧٥ م .

٣٧٨ـ نبيل راغب : أنور السادات رائد التأصيل الفكرى ـ دار المعارف ـ القاهرة ، ١٩٧٥ م .

٣٧٩ـ نجيب العفيفى : المستشرقون ـ طبعة ثالثة ـ الجزء الأول والثانى والثالث ـ دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ م .

٣٨٠ـ دكتورة نعمات أحمد فؤاد : شخصية مصر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ، ١٩٧٨ م .

٣٨١ـ دكتورة نفوسة زكريا : تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها فى مصر ـ طبعة أولى ـ دار المعارف بمصر ، ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .

٣٨٢ـ دكتور هانى عبد الرحمن صالح : فلسفة التربية ـ مطبعة الجيش ، عمان ـ الأردن ـ ١٩٦٧ م .

٣٨٣ـ هـ . أ . ر . جب وآخرون : وجهة الإسلام ـ (ترجمة محمد الهادى أبو ريدة) ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة (بدون تاريخ) .

٣٨٤ـ هربرت ماركيوز : الانسان ذو البعد الواحد ـ (ترجمة جورج طرابيشى) ـ دار الآداب ـ بيروت ، ١٩٦٩م .

٣٨٥ـ **وحيد الدين خان** : المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل ـ (ترجمة ظفر الدين خان) ومراجعة دكتور عبد الحليم عويس ـ الطبعة العربية الأولى ـ المختار الإسلامى للطبع والنشر والتوزيع ـ القاهرة ، ١٩٧٨ م .

٣٨٦ـ ورقة عمل حول **تطوير وتحديث التعليم فى مصر** وزارة التربية والتعليم ـ مكتب الوزير ـ القاهرة ، سبتمبر ١٩٧٩ م .

٣٨٧ـ **وزارة المعـــارف العمومية** : تقرير وزير المعارف عن التعليم الثانوى ـ عيوبه ووسائل إصلاحه ـ المطبعة الأميرية ـ بولاق ـ القاهرة ، ١٩٣٥ م .

٣٨٨ـ **ول ديورانت** : قصة الحضارة ـ الجزء الأول من المجلد الثانى ـ (حياة اليونان) ـ ترجمة محمد بدران ـ الإدارة الثقافية ـ جامعة الدول العربية ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ، ١٩٥٤ م .

٣٨٩ـ **ول ديورانت** : قصة الحضارة ـ الجزء الأول من المجلد الثالث ـ (٩ ـ قيصر والمسيح والحضارة الرومانية) ـ ترجمة محمد بدران ـ الإدارة الثقافية ـ جامعة الدول العربية ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ، ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .

٣٩٠ـ **ول ديورانت** : قصة الحضارة ـ الجزء الرابع من المجلد الأول ـ (٤ـ الشرق الأقصى والصين) ـ الطبعة الثانية ـ ترجمة محمد بدران ـ الإدارة الثقافية ـ جامعة الدول العربية ـ لجنة التأليف

والترجمة والنشر ــ القاهرة ، ١٩٥٧ .

٣٩١ــ **يعقوب أرتين** : القول التام فى التعليم العام ــ (ترجمة على بهجت) ــ المطبعة الأميرية ــ بولاق ــ القاهرة ، ١٨٩٤ م .

٣٩٢ــ **يوسف إبراهيم يوسف** : الأسلوب الإسلامى لتحقيق التنمية الاقتصادية (دراسة مقارنة) ــ دكتوراه غير منشورة ــ كلية التجارة ــ جامعة الأزهر ــ القاهرة (بدون تاريخ) .

٣٩٣ــ **دكتور يوسف القرضاوى** : الخصائص العامة للإسلام ــ طبعة أولى ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة ، ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م .

٣٩٤ــ **دكتور يوسف القرضاوى** : « المجتمع المسلم بين الثبات والتطور » ــ الدوحة ــ السنة الخامسة ــ العدد (٥٥) ــ شعبان ١٤٠٠ هـ ــ يوليو ١٩٨٠ م .

٣٩٥ــ **دكتور يوسف خليل** : القومية العربية ودور التربية فى تحقيقها ــ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ــ القاهرة ، ١٩٦٧ م .

٣٩٦ــ **دكتور يوسف مراد** : مبادىء علم النفس ــ الطبعة السادسة ــ دار المعارف ــ القاهرة ، ١٩٦٩ م .

٣٩٧ــ **دكتور يوسف كرم** : تاريخ الفلسفة اليونانية ــ طبعة ثالثة ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٥٣ م .

٣٩٨ــ **دكتور يوسف كرم** : تاريخ الفلسفة الحديثة ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ ١٩٥٣ م .

٣٩٩ــ **دكتور يوسف نور عوض** : المقومات الإسلامية للثقافة العربية ــ دار القلم ــ بيروت (بدون تاريخ) .

ثانيا : المراجع الأفرنجية

400 - **Adu El-Futuh Radwan** : Old and New Forces in Egyptian Education, Calumbia university, New York, 1951.

401 - **A. El Koussy:** 'Education in Egypt', The Year Book of Education, By Evans Btothers Russell Square, London 1952.

402 - **Amir Boktor** : The development and Expansion of Education in the United Arad Republic, The American university in Cairo press, Cairo, 1963

403 - **Bayard Dodge** : Muslim Education in Medieval Times, The Middle East Institute, washington, 1962.

404 - **Cromer, Earl** Modern Egypt, Vol II, London, 1909.

405 - **Charis Waddy** : The Muslim Mind, lengman group, London and New York, 1976.

406 - **Clement Levy** : The Stock Exchang Year- Bear- Book of Egypt, Alexandria, 1939.

407 - **Final Roport of the** : university Commission Gavernment, University Press, Cairo, 1921.

408 - **Hans, Nicholas** : Comparative Education, Astudy of Educational Factors and traditions, Routledge and kegan Paul, Limited, 1958.

409 - **H. A. Gibb, and H. Bowen** : Islamic Society and the west, Vol, I, part II, Oxford University Press, London, 1969.

410 - **Jone Dewey** : Education to day, G. P. Putman's, New-York , 1940 .

411 - **Jone Dewey** : Democracy and Education, An Introduction to the Philosophy of Education, The macmillan company, New-York, 1961.

412 - **Kenneth. H. Hansen** : Philisophy For Amircan Education, Engle wodd clifs, Prentica Hall, I.N.C, New-York, 1960.

413 - **M. Zeitlin Irving** : Ideology and Development of Cociological Theory, Engle wood Clifs, Prentia Hall, J.N.C, New-York, 1968.

414 - **Mehdy Nakhoteen** : History of Islamic Origins of Western Education, University of Clorado Press, 1964.

415	- **M. Fouad El - Bidewy**	:	The Development of Social Security in Egypt, Cairo, 1953.
416	- **Modiwi, Alikhalid**	:	A Theoretical for Islamic Education, Thesis Submitted to the University of Wales in Candidature for the Degree of Philosophiae Doctor, April, 1977.
417	- **Poul. Monro**	:	A Brief Course in the History of Education, The macmillan Company, New-York, 1918
418	- **Read, Margaret**	:	Education and Social Charge in Trapical Areas, Tomas Nelson and Sons Litd, Edinburgh, 1956.
419	- **Tritton, A.S**	:	Materials on Muslim Education in the Middle Ages, London, 1957.
420	- **Vernon Mallinson**	:	An Introdacation to the Study of Compative Education, London, 1951.
421	- **William Boyd**	:	The History of Western Education - Seventh Ed. Adams & Charles, London, 1964.

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

* * *

الموضـــــوع	الصفحة

* * *



ت ٨٥١٦٥٥

مؤسسة

دار الكتاب الحديث

للطبع والنشر والتوزيع

الكويت شارع فهد السالم عمارة السوق الكبير

بجوار المخازن الكبرى محل رقم ٢٥٠ أرضى

ت : ٤٣٦٧٦٥ ص ٠ ب ٢٢٧٥٤